

ديوان خافض إبراهيم

ضبطه وصححه وشرحه ورتبه

ابراهيم الابيارى
المدرس
بالمدراس الأميرية

أحمد الزين
بالقسم الأدبي
بدار الكتب المصرية سابقا

أحمد أمين بك
أستاذ اللغة العربية
بالجامعة المصرية سابقا

للمجموعة الأولى

ويشمل :

المدائح والتهاني و الأهاجى و الإخوانيات و الوصف و
الخمريات و الغزل و الاجتماعيات

[الطبعة الثالثة]

المطبعة الأميرية بالقاهرة

وزارة المعارف العمومية

ديوان خافض إبراهيم

ضبطه وصححه وشرحه ورتبه

ابراهيم الايبارى
المدرس
بالمدارس الأميرية

أحمد الزين
بإقسام الأدب
بدار الكتب المصرية سابقا

أحمد أمين بك
أستاذ اللغة العربية
بالجامعة المصرية سابقا

المجموع الأول

ويشمل :

المدائح والتهاني ٬ الأهاجى ٬ الإخوانيات ٬ الوصف ٬
النجريات ٬ الغزل ٬ الاجتماعيات

[الطبعة الثالثة]

المطبعة الأميرية بالقاهرة

١٩٤٨

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة ديوان حافظ ابراهيم

للاستاذ أحمد أمين بك

معلومات رسمية عنه مستقاة من ملف خدمته

المحفوظ الآن بإدارة المعاشات

(١) لم يعرف بالضبط تاريخ مولده ، ولم يعرفه حافظ نفسه ، كما أقرب بذلك ، وقد عرض على (القومسيون) الطبي عند ما أريد تعيينه في دار الكتب ، فقدر سنه تسعا وثلاثين سنة ، وكان الكشف الطبي عليه يوم ٤ فبراير سنة ١٩١١ ، برئاسة الدكتور بتسي ، وهذا هو السبب الذي اعتمد عليه من قال : إنه ولد يوم ٤ فبراير سنة ١٨٧٢ م ، وهو سبب واه كما ترى .

(٢) كتب حافظ بخطه ما يأتي : "ولدت في ذهبية (أى حراقة) بالليل ، بالقرب من قناطر (ديروط) بالصعيد" .

(٣) كتب إلى (ديروط) للبحث في الدفاتر عن تاريخ ميلاد حافظ ، فأجابت بأنها بحثت من سنة ١٨٧٠ إلى سنة ١٨٨٠ فلم تعثر عليه في دفاترها .

(٤) كتب حافظ بخطه أن "أباه اسمه إبراهيم فهيم ، واسم أمه الست هانم كريمة أحمد البورصة لى بك" .

(٥) (الدبومات) والشهادات الحاصل عليها : "عريضة ملازم أول" .

(٦) وظائفه :

في وزارة الحرية : من إلى

ملازم ثان ١٨٩١/ ٢/ ١٣ ١٨٩٣/ ٧/ ٣١

ملازم أول ١٨٩٣/ ٨/ ١ ١٨٩٤/ ٥/ ٦

في وزارة الداخلية :

ملاحظ من كرنجى سويف ... ٧ / ٥ / ١٨٩٤ ٢٣ / ٣ / ١٨٩٥

معاون بوليس من كرايمبراهيمية ٢٤ / ٣ / ١٨٩٥ ١٥ / ١٠ / ١٨٩٥

في وزارة الحرية ثانية :

أحيل على الاستيداع ... ١٦ / ١٠ / ١٨٩٥ ... ١٧ / ٣ / ١٨٩٦

ملازم أول بإدارة التعيينات ... ٨ / ٣ / ١٨٩٦ ٢ / ٥ / ١٩٠٠

أحيل على الاستيداع ... ٣ / ٥ / ١٩٠٠ ... ٣١ / ١٠ / ١٩٠٣

أحيل على المعاش ... ١ / ١١ / ١٩٠٣

(٧) كانت إحالته على المعاش بناء على طلبه ، فقد كتب تظلماً قال فيه ”إنه مكث بخدمة الجيش ١٢ سنة ، ولم يحصل فيها على غير رتبة ملازم أول ، ومضى عليه أربع سنوات وهو في الاستيداع ، وأنه فقد الأقدمية ، ويلتمس إحالته على المعاش ليتمكن من وجود شغل له يقوم بتفقتة ونفقة عائلته الكبيرة التي لا يقوم مرتب الاستيداع بلوازمها“ ، ”وبناء على ذلك تقرر إحالته على المعاش كالتماسه“.

(٨) كان مرتبه في الاستيداع : جنهات .

(٩) في أثناء خدمته بإدارة التعيينات سافر إلى السودان ، وقد أمضى فيه مدة ، منها :

يوم	شهر
١٥	٩ في سواكن .
٥	٢ » وطوكر .
—	١٠ قبلى خلفا .

(١٠) حينما أحيل إلى المعاش كتب وكيل الحرية ما نصه : ”إن محمد حافظ إبراهيم الملازم أول المحال على المعاش سلم السيف والقايش (الذين كانوا في عهده)“ .

(١١) عين رئيسا للقسم الأدبي بدار الكتب في ١٤/٣/١٩١١ تحت الاختبار ، بمرتبة قدره ٣٠ جنيها ، وفي ١/٤/١٩١٢ عين بصفة دائمة ، وفي ٧/٢/١٩١٦ عين رئيسا للمغيرين بدار الكتب أيضا .

(١٢) كتب وهو في سن الخامسة والخمسين يطلب إحالته على المعاش ، وأن يعطى خمسين جنيها شهريا ، لأنه خدم اللغة والأدب مدة طويلة ، فلم يجب إلى طلبه .

(١٣) ظل مرتبه في دار الكتب يزيد إلى أن بلغ ثمانين جنيها .

(١٤) أحيل إلى المعاش من دار الكتب في ٤/٢/١٩٣٢ .

(١٥) مجموع مدة خدمته في الحكومة : ٣٥ سنة و٤ أشهر و٢٩ يوما ، وبيانها كالتالي :

يوم	شهر	سنة
٨	٦	١٤
مدة خدمته في الحرية والداخلية .		
٢١	١٠	٢٠
» » بدار الكتب .		

(١٦) ملف خدمته مملوء بطلب الإجازات الاعتيادية والمراضية ، وفي سنة ١٩٢٣ طلب إجازة ثلاثة أشهر لقضائها خارج القطر ابتداء من ٣٠ أغسطس .

حياته — حوالى سنة ١٨٧٢ م ، كانت سفينة (ذهبية) ترسو على شاطئ النيل أمام بلدة (ديروط) في أعلى الصعيد ، وكان يسكنها إبراهيم افندى فهمى أحد المهندسين المشرفين على قناطر ديروط وزوجته الست هانم .

ففى يوم منها أو قريب منها ، ولد لهذه الأسرة في هذه السفينة مولود سموه ”محمد حافظ“ وهو شاعرنا فيما بعد ، فكان ذلك إرثا صا لطيفا ، وإيماء طريفا ، إذ شاء القدر ألا يولد ”شاعر النيل“ إلا على صفحة النيل .

كان أبوه ”إبراهيم فهمى“ مصريا صميا ، وكانت أمه ”هانم بنت أحمد البورصة لى“ من أسرة تركية الأصل ، تسكن ”المغربلين“ تعرف بأسرة الصروان ، إذ كان والدها أمين الصرة في الحج ، ، فلقب بالصروان (القيم على الصرة) ولقبت الأسرة به

ومع أن الدم التركي كان يجري في عروقه كالدم المصري ، لم يترنم بمدح الترك ترنمه بمدح مصر والعرب ، ولم يشد بذكر الأتراك إشادة (شوق) بهم ، لأن ما كان في (شوق) دم تركي (أرستقراطي) ، وما في حافظ دم تركي (ديمقراطي) : ولأن تركية شوق غلبتها بيئة القصور التي ولد بها ، وعاش في أكافها ، وتنفس في جوها ، وتركية حافظ غلبتها حياته البائسة ، وعيشه في أوساط الجماهير ، واندماجه في غمار الناس ، يعيش عيشتهم ، ويحيا حياتهم ، فماتت عصبية التركية إلا نادرا ، فكان شوق إذا شعر في الترك وحروبهم والخلافة وشؤونها شعرت أنه يتخاضع عن قومه ، يفخر بنصرهم ، ويعتز بعزهم ، ويراعى العلاقة القوية بين عابدين وبلدز ، وبين الخديو وال خليفة ، وإذا شعر حافظ في ذلك لم ترعصية جنسية ، إنما هي عصبية دينية ووطنية ، فهو يفخر بنصرة الترك ، لأنها نصره للإسلام ، ويخشى على الخلافة لأن في ضعفها ضعفا لدينه وفي النيل منها نيلا من وطنه .

*
* *

لم يعيش أبو حافظ طويلا بعد ولادته ، ولم يرزق ولدا غيره ، وقد توفي إبراهيم في ديروط وحافظ في الرابعة من عمره ، فانتقلت به والدته إلى القاهرة ، ونزلت عند أخيها ، فتولى أمره وقام بتربيته .

أدخله خاله مدرسة "تسمى المدرسة الخيرية" كان مقرها (القلعة) ، وكانت مكتبا تعلم فيه القراءة والكتابة وشيء من العربية وشيء من الحساب .

ثم دخل مدرسة القرية وهي مدرسة ابتدائية يعلم فيها ما يعلم في المكتب على نمط أرقى . ثم تحول إلى مدرسة المبتديان ، ثم صار إلى المدرسة الخديوية ، ولكن لم يطل مقامه فيها ، فانتقل مع خاله "محمد أفندي نيازى" إلى طنطا ، وكان خاله هذا مهندس تنظيم بها .

وقد تعرف به هناك الأستاذ الشيخ عبد الوهاب النجار وكان هذا طالبا بالمعهد الأحمدي ، وذلك في شعبان سنة ١٣٠٥ هـ — أبريل سنة ١٨٨٨ م. وسن حافظ إذ ذاك نحو ستة عشر عاما . قال الأستاذ النجار : "عندما عدت من القرشية إلى طنطا في شعبان من تلك السنة ، رأيت إخواني وأصدقائي يلودون بفتى غض الإهاب ، جديد الشباب ، وقد أسرعوا بتقديمي إليه وتقديمه إلى ، باسم الأديب الشاعر "محمد حافظ إبراهيم" ولم تمر إلا عشية أو ضحاها حتى

أحسست من نفسى ميلا إليه يجاذب من الأدب الذى كان نهمة نفسى ، حتى آل ذلك إلى غرام بأدبه ، وما يشتمل عليه من ظرف ولطف محاضرة ، وبديهة مطاوعة ، وسرعة خاطر ، وحضور نادرة “ .

”وقد قضينا رمضان هذه السنة نصلى المغرب والعشاء والتراويح معا ، ثم نلبث في سمر ممتع ومطارحة للشعر ، ومذاكرة في نواذر الأدب ، وما كان يطرفنى به مما يقف عليه من جيد القريض ، إلى أن يأتى وقت السحور ، ثم نعود بعد السحور إلى ما كنا فيه إلى انبثاق الفجر . فتؤديه ، ثم نخرج بغلس إلى خارج المدينة . ثم نعود وقد آذنت الشمس بالطلوع ، فيذهب كل منا إلى بيته (١) “ .

فهو في سن السادسة عشرة يربى نفسه بالمطالعات ، ويحفظ جيد الشعر ، ويسمر به مع أصدقائه ، ويقلده فيما يقوله هو من الشعر ، لا عمل له ولا مدرسة إلا مدرسته التى أنشأها بنفسه لنفسه ، وكان فيها وحده المعلم والمتعلم .

وحدثت حادثة طريفة تدل على شدة شعوره بجمال الطبيعة ، وحسن ذوقه وجودة حسه ، فقد رأى طائرا جميلا هو (اللقاق) أو كما يسمى في مصر ”البشروش“ في حديقة مدرسة الفريز بطنطا ، فكان يفزعه بتحريك حلقة باب المدرسة ليرى جمال شكله وجمال حركته ، واستمر على هذا حتى ضج رجال المدرسة ، وأكمنوا له وقبضوا عليه ، وأسلموه للضبطية ، ثم عفوا عنه لما رأوا من سداخته وطهارة الباعث على عمله (٢) .

طبعي أن يمل خاله هذه الحال التى عليها ابن أخته ، ولو كان أبوه حيا ملها منه ، فشاب ليس في مدرسة ، وليس له ثروة ، ثم لا يتكسب ، حالة توجب الملل ؛ أشعره خاله بذلك ، أو شعره هو به . فنظم له بيتين يدلان على ما في نفسه من ألم عميق ، فهو يقول :

ثقلت عليك مؤونتي إني أراها واهيه

فأفرح فإني ذاهب متوجه في داهيه

(١) مقال للأستاذ النجار نشر في مجلة أبولو : رليه سنة ١٩٣٣

(٢) المصدر نفسه .

شعر ساذج في سنّ الصبا ، ولكنه يكنّ عاطفة قوية حزينة . موقف أليم في بيت خاله يذكره دائماً بئمه وعدمه ، ويصوّره دائماً بؤسه وشقاءه ؛ وهذا يفسر لنا ما كان في نفس حافظ من حزن عميق ، وألم كامن ، على الرغم مما يلوح على سطحها من ضحك وسرور .

يذكر لنا الأستاذ النجار أنه في هذه الحالة ، كان كثيراً ما يشكو الدهر ويندب سوء حظّه ، ويتبرّم بأحداث الزمن . ويتمنى لو يوافيه حمامه ؛ فن ذلك قوله :

عجبت لِعمرى كيف مد فطالا وما أثرت فيه الهموم زوالا
وللموت ، مالى قد أراه مباعدا وجل مرادى ان اوسد حالا
فلموت خير من حياة ارى بها ذليلا وكنت السيد المفضالا

ماذا يصنع وقد ضاقت به السبل ، وعضه الفقر ، لقد أبى أن يأكل من بيت خاله ،
فن أين يأكل ؟

كانت أمامه إحدى سبيلين : سلكهما قبله من كان على شاكلته ممن تعلموا علما لم يتبع نظاما ولم يستند إلى "شهادة" وهى أن يكون معلما في مكتب أو شبهه . كما فعل قبله (عبد الله نديم) وكثير غيره ، أو يكون محاميا . كلاهما إذ ذاك مهنة حرة يدخلها من شاء بلا قيد ولا شرط .

ولعل حافظا رأى أنه طالق اللسان ، حسن التأني إلى ما يريد ، مداور محاور ، وأن المحاماة تدرّ على صاحبها إذا نجح ما لا يدرّ عليه التعليم إذا نجح . ففضل أن يكون محاميا .

ولكنه لا يستطيع أن يفتح مكتباً ، وينتظر شهرته " فذهب إلى أحد المحامين الشيوخ محمد الشيمى المحامى بطنطا (بك فيما بعد) واشتغل عنده في مكتبه وكان يسافر إلى المحاكم الجزئية القريبة من طنطا ، ويرافع في القضايا ويكسبها ثم اختلف معه وتركه " وترك له بيتين وهما :

جراب حظى قد أفرغته طمعا بباب أستاذنا الشيمى ولا عجا
فعاد لي وهو مملوء فقلت له مما ؟ فقال : من الحشرات واحربا

ثم انتقل بعد ذلك إلى مكتب محمد أبى شادى بك بطنطا ، فمكث عنده مدّة كان فيها مغتبطا كل الاغتباط ، وكان أبو شادى بك يرى نفسه قد عثر على كثر ثمين فكانا يتنادران بالأدب ، ويتطارحان الشعر .

ثم خرج من مكتبه إلى مكتب عبد الكريم فهم أفندى المحامى ، فكث فيه مدة من الزمن يشتغل عنده (١) .

*
* *

لم تطمئن نفس حافظ إلى المحاماة ولم ينجح فيها ، ويرجع ذلك — فى نظرى — إلى أمور: فالمحاماة تتطلب عكوفاً على درس القضايا وكتابة وقائعها ، ووضع مذكراتها ، وليس "حافظ" بالصبور على ذلك ، فهو يجيد الكلام ويجيد الدفاع بالخطرات تخطر له ، ولكنه لا يجيد البحث والكتابة ، ثم كان قتي غرا ، فهو فى السادسة عشرة ، أو فى السابعة عشرة لم تحنكه التجارب ، ولم تعلمه الأيام ، إنما كان همه أن يستعرض ديوان شعر يقع منه على ما يرضى ذوقه ، فيرتسم فى حافظته ، أما العناية بكتب الفقه والقانون ومراجعتها ، واستخراج الحكم منها ، فعمل لم يألفه حافظ ، ولم يدرسه ، ولم يتذوقه ، ثم هو مائل لا يشتغل فى مكتب واحد حتى يملأه وهى خصلة لا تتجح ، كالتاجر يفتح كل يوم دكاناً فى مكان ثم يغلقها ليفتح فى مكان آخر — وأخيراً — هو متلاف ، ينفق كل ما تصل إليه يده ، فلا يستطيع أن يقتصد ما يمكنه من فتح مكتب يعتمد فيه على نفسه .

فشل فى المحاماة ففكر فيما يعمل ، فهداه تفكيره الى أن يسافر من طنطا إلى القاهرة ، ويدخل المدرسة الحربية .

يبدو هذا التفكير غريباً ، فأديب ناشئ ، ومحام فاشل ، يفكر فى أن يكون ضابطاً ! لسنا ندرى الباعث على هذا التفكير ، قد يكون الباعث عليه قراءة سيرة البارودى الحربى الشاعر ، وقد يكون ما رأى فى نفسه من بسطة فى الجسم ، وقد تكون المصادفة البحتة هيات له ذلك .

وأياً ما كان فقد دخل المدرسة الحربية واغتنبط بدخولها ومنى نفسه بمنصب حكومى يضمن له فيه الرزق ، ثم يقول الشعر بعد ذلك ، يغنى به لنفسه ولإخوانه ، وظل فى المدرسة الى أن تخرج سنة ١٣٠٩ هـ — ١٨٩١ م . فيكون عند تخرجه فى سنّ العشرين تقريباً .

وكانت المدرسة الحربية قد نظمت فى عهد الخديو توفيق باشا عقب الثورة العرابية ، وأدخل عليها تعديلات جديدة ، وعين لها (البكاشى) هولوت (Huleatt) الإنجليزى (قومنداناً) ،

وكان ناظرها اللواء لارمى باشا الفرنسى . وزادوا عدد تلاميذها الى بضع وتسعين ، وكان ذلك سنة ١٨٨٧ ، وجعلت الدراسة فيها نوعين : دروسا مشتركة لجميع التلاميذ ، ودروسا خاصة للاقسام ، فالمشتركة هى القوانين ، والتعاليم العسكرية ، والجغرافيا ، اللغة الأجنبية ، والطبيعة والكيمياء ، والرسم ، والخاصة هى (الطبوغرافيا) ، والاستحكامات ، والتمرنات فى (الطوبجية) والسوارى (والجنباذ والشيش) . وعين المستر براين الإنجليزى أيضا فى وظيفة معلم أول بالمدرسة سنة ١٨٨٩ ، وأصدر السردار أمرا ببيان اختصاص القومندان والمعلم الأول فكان اختصاص القومندان النظر فى كل شئ يتعلق بإدارة المدرسة ، واختصاص المعلم الأول النظر فى البرامج ، وبذلك سلب من الناظر الفرنسى كل شئ^(١) .

هذا هو عهد المدرسة أيام كان فيها حافظ ، بدأت تتدخل فيها السلطات وتحدد برامجها ، وتحدد من تعليمها . وكانت الثقافة فيها سطحية ضعيفة لم يستفد منها حافظ كثيرا من ناحية معارفه العامة ، فسا كان عنده من ذلك فهو ما استفاده من مطالعته الشخصية .

عين فى الحرية بعد تخرجه وظل بها نحو ثلاث سنوات ، ثم نقل إلى الداخلية ملاحظ (بوليس) فى بنى سويف ، ثم الإبراهيمية لأن مدرسة (البوليس) لم تكن أنشئت بعد ، فكان يؤخذ (للبوليس) من الحرية ، ثم أعيد للحرية . وسافر منها الى السودان فى الحملة الأخيرة التى كانت بقيادة اللورد كيتشنر ، وكانت منطقة عمله فى السودان الشرقى .

تبرم حافظ من عمله بالسودان ، وأكثر من الشكوى الى أصدقائه ، وعأوده داء الملل القديم ، ولم يطق جو السودان ، ولا جفاء العيشة فى السودان ، فتحسر على أصدقائه فى مصر ، وليالى الأنايس بها ، وجوها البديع ، وعيشها الناعم ، كما يدل على ذلك شعوره فى هذه الفترة .

قال فى ذلك يصف حاله :

وما أعذرت حتى كان نعلى دما ووسادنى وجه التراب
وحقى صيرتنى الشمس عبدا صبيغا بعد ما دبغت إهابى
وحقى قلم الإملاق ظفرى وحقى حطم المقدار نابى
مق أنا بالغ يامصر أرضا أشم بتربها ريح الملاب

(١) انظر الجزء الثانى من حقائق الأخبار لاسماعيل سرهنك باشا .

وزاد حاله سوءاً في السودان كراهية كتشنرله ، إذ كان حافظ غير معنى بنظام ، ولا مراعاة حسن هندام ، وعبر عن ذلك بما كتب به إلى الأستاذ الإمام من السودان ، إذ يقول ”وقعدت هممة النجيمين ، وقصرت يد الحديدين ، عن إزالة ما في نفس ذلك الجبار العنيد ، فقد نأى ضب ضعفه على ، وبدرت بواذر السوء منه إلى ، فأصبحت كإسر العدو ، وساء الحميم “ الخ .

وكان رئيس فرقته رفعت بك يكرهه ، ويرفع التقارير السيئة عنه ، إذ كان حافظ يعمل الأراجيز في ذمه يحدوها هو وأصحابه ، فمنها قوله فيه :

تراه إذ ينفخ في المِزمار تحسبه في رتبة السردار
يجتنب العاقل والنبيها ويعشق الجاهل والسفها

*
* *

وأفادته أيام عمله في المحاماة فاستغلها في السودان ، فقد عرف بين إخوانه بقوة الحجّة ، وحسن البيان ، فكان كثيراً ما ينبيه الضباط المتهمون في الدفاع عنهم أمام المجالس العسكرية . حتى إذا جاءت سنة ١٨٩٩ م حدثت ثورة في السودان ، اتهم فيها ثمانية عشر ضابطاً ، كان من بينهم حافظ ، فحُكوا وأحيلوا إلى الاستبداد .

وقد قال اللورد كرومر في كتابه ”عباس الثاني“ عن هذا الحادث ما يأتي :

”عند ما شبت حرب جنوبي أفريقيا . عاد كثير — من أفضل الضباط البريطانيين ، الذين كانوا يقودون فرق الجيش السوداني — إلى فرقهم الأصلية في الجيش البريطاني ، ونظروا لبعض الملابس التي لا حاجة بي إلى ذكرها — والتي ما كانت تقع لو لم يضطر هؤلاء الضباط الخبيرون إلى السفر — حدث استياء في الجيش وجاهرت فرقة من فرق الجيش السوداني بالعصيان ، وقد كثرت الإشاعة بأن الخديو قد قال أقوالاً تجعل الثائرين يعتقدون أنه راض عنهم عاطف عليهم . على أن الثورة أحمدت بدون إراقة دماء ، وحوكم عدد من الزعماء أمام المجالس العسكرية ، وحكم عليهم بالسجن مدداً مختلفة ، وأرسلوا إلى مصر ليقضوها بها .

ولما حادث الخديو في هذه المسألة ، رأيت من الحكمة أن أتجاهل ما كان يقال عن اشتراكه في الثورة ، لأن ذلك لا سبيل إلى إثباته ، واقتصرت في حديثي على وصف الحادثة

والخيانة العظمى التي ارتكبتها بعض جنده نحو سموه ، واقترحت عليه أن يرى المحكوم عليهم ، ويخاطبهم بكلمات اخترتها وعربت بها له ، فوجد الحديد نفسه في مأزق حرج ، وموقف لا يدرى كيف يخرج منه ، لأنه إذا رفض يعرض نفسه للشبهة في أنه عرض على الثورة في جيشه ، كما فعل جده من قبله ، وإذا قبل يتضح للثائرين أن لا أمل لهم بمساعدته ، وبذلك يفقد كثيرا من من احترامه ونفوذه في الجيش ، على أنه — كما كنت أتوقع — اختار الأمر الأخير^(١) .

أثر هذا الحادث كثيرا في نفس حافظ وملاؤه ياسا وخالط نفسه شيء ليس بقليل من الخوف فلم يقل في ذلك شعرا ، أو قاله وكتبه ، وزاد في خوفه ويأسه ، ما صار إليه أمر الثورة ، وأمر الأمير .

وخير ما يمثله في هذا الموقف قوله :

إذا نطقت فقاع السجين متكأ وإن سكت فإن النفس لم تطب

ثم التمس إحالته إلى المعاش ؛ فأجيب إلى طلبه ، وكان قد أخذ يبحث عن عمل يعمل به ، فعرض نفسه على جريدة الأهرام ليتولى عملا فيها ، ويظهر أن ذلك كان بإيعاز الحديد ، لأنه شعر بتبعته نحو هؤلاء الضباط ، وأنه هو السبب فيما آلت إليه حالهم ، وأنه لا يستطيع توظيفهم في الحكومة ، فأخذ يسهل لهم الأعمال الحرة ، يدل على ذلك أن الذى قدم حافظا لصاحب الأهرام هو شوقي بك . وصلته بالقصر معروفة . ولكن ذلك لم يتم ، ولست أدرى السبب في ذلك .

فظل بلا عمل يغشى مجلس الأستاذ الإمام ، وكان قد اتصل به أيام كان في السودان ، فلما عاد زاد اتصاله به ، وعطف عليه الأستاذ ، وأنهله من علمه وفضله ، كما غشى مجالس الأدباء والعظماء ، يسمع منهم ، ويغنى لهم بشعره وأدبه ، حتى كانت سنة ١٩١١ فبساعده المرحوم أحمد حشمت باشا ناظر المعارف وعينه رئيسا للقسم الأدبي في دار الكتب المصرية ، وظل بها إلى فبراير سنة ١٩٣٢ ، إذ أحيل إلى المعاش بعد أن ظل بها نحو من عشرين سنة .

كما أعانه حشمت باشا ، إذ طلب له رتبة البكوية من الدرجة الثانية ، فأنعم عليه بها سنة ١٩١٢ م . ثم أنعم عليه بنشان النيل من الدرجة الرابعة .

(١) كتاب اللورد كرومر "عباس الثانى" .

في سنة ١٩٠٦ بعد أن عاد حافظ من السودان ، تزوج من أسرة بحى عابدين ولكن لم يدم زواجه أكثر من أربعة أشهر ، فافترق الزوجان ، ولم يعقب منها ؛ ثم لم يعد بعد ذلك إلى الزواج . وتوفيت والدته حول سنة ١٩٠٨ فظل يعيش مدة في بيت خاله ، وبعد أن توفي خاله ، كان يعيش مع زوجة خاله نيازى بك الست عائشة هانم ؛ فكانت تدبر بيته ، وتقوم بأمره ، وكانت لم ترزق بأولاد ، فكانت تتبنى بنتين وظلت تقوم بشؤونه إلى أن توفيت قبل وفاة حافظ بنحو ثلاث سنين .

وفي بيت صغير بالزيتون من ضواحي القاهرة ، توفي حافظ في الساعة الخامسة من صباح الخميس ٢١ يولييه سنة ١٩٣٢ ، أى بعد إحالته على المعاش بنحو أربعة أشهر ونصف . دعا في ليلة وفاته صديقين من أصدقائه لتناول الطعام معه ، ولكنه لم يستطع مشاركتهما لما أحس من تعب . فاقصر على أن آنسهما بحديثه .

وبعد انصرفهما ازداد ألمه ، فأسرع خادمه إلى مخاطبة صديق له ليحضر ومعه طبيب ، فلما حضرا كان حافظ في النزع الأخير ، وما ليث أن فاضت روحه ، رحمه الله .

أخلاقه — انتاب حافظا كثير من الشدائد منذ حداثة ، فقد مات والده صغيرا ، ولم يورثه ثروة . وكان بأسا في بيت خاله ، ولم ينجح في المحاماة ؛ وأصيب في منصبه فأحيل إلى الاستيداع ، ثم إلى المعاش في مقتبل عمره ، وكانت له إلى هذا نفس شاعرة ، وحس سرهف ، فأثر كل ذلك في نفسه أثرا بليغا ، فهو ناغم على الدهر ، ناغم على قومه ، يكثر من شكوى الزمان وشكوى الناس .

ولكن أبت الطبيعة إلا أن تجد لثوران نفسه منفذا ، ولشقاؤه مسعدا ، فنجحت القدرة الفائقة على الفكاهة الحلوة ، والنادرة المستملحة ، فضحك من البؤس ، ومن الشقاء ، ومن كل شيء ؛ وكان له ذوق بارع في اختراع النكتة من كل ما يدور حوله ، فما يسمع حديثا ، أو يعرض أمامه شيء ، حتى يدرك موضع الفكاهة منه ، فيصوغ ذلك صياغة تستخرج ضحك السامعين من أعماق صدورهم ، وقرارات قلوبهم ؛ فكان في مجالسه موضع إعجابهم ، ومنع سرورهم ، يرسل النكتة من بديهة حاضرة ، تستخف الوقور ، وتستهوى الرزين ، فهوزينة المجلس ، وبهجة النادى .

ومن العجيب مع هذا أنك قلما ترى للنوادر والنكات في شعره مجالا، فمن قرأ شعره وحده، ولم يعرف شيئا من صفاته، لا يشعر بأنه كان فكها مزاحا، وسبب ذلك أن الأديب في كثير من الأحيان تكون له شخصيتان أو أكثر؛ فله في حياته العامة شخصية خاصة، فإذا أراد أن يصوغ شعره أو نثره، انصب في قالب خاص، وتقمص شخصية أخرى؛ ولو قد أتيح له أن يدخل كثيرا من فكاهته في شعره لربحنا من وراء ذلك الشيء الكثير. وسبب آخر، وهو أن الناس كانوا ينظرون إلى هذه النوادر، كأنها من الأدب الشعبي الذي لا يصح أن يرتقى إلى الأدب الأرستقراطي، ولذلك قل أن يدخلوا - حتى الآن - فكاهتهم ونوادرهم في الأدب، كما احتقروا القصة، واحتقروا ألف ليلة وليلة، وقصة عنترة ونحوها، ولم يعرفوا الأدباء الراقون اهتماما إلا في الأيام الأخيرة، فكان حافظ إذا قال شعرا في فكاهة أو مزح، عاده من سقط متاعه، ولم ينظر إليه عند ما يتخير شعره للنشر أو التدوين.



ثم قد تعود في حياته ألا يقيم للال وزنا، فهو كريم، واسع العطاء، ذاق طعم البؤس، فعرف موقعه من الناس، فسخت كفه، ونديت راحته، حتى لو ملك الدنيا كلها لفرقها في يوم واحد؛ قد يعرض له الفقير البائس فيسمح له بما في يده وهو أحوج ما يكون إليه لستة رمله وتفريج همه.

وكما كان كريما على الناس فهو كريم على نفسه، يتمتع بما تشتهى ما وجد إلى ذلك سبيلا، يأكل خير ما يؤكل، وقد عرف إخوانه بيته بذلك، ويدخن خير "سيجار" وأغلاه، ويستمتع بكل ما تصبو إليه نفسه، فإذا فرغ جيبه عرف كيف يصبر، له يد صناع في الكسب، نحرقاء في الإنفاق، خير أيامه وهو "موظف" بضعة أيام في أول الشهر، ثم لا شيء، فإذا لم يكن "موظفا" نخير أيامه ما استفاد فيها مالا فحسب، لو كان تاجرا لأضاع رأس ماله في أول شهره ثم أعلن إفلاسه، ولو وضع ميزانية دولة لجعل الإنفاق كله في أيامها الأولى ثم لا إنفاق. ومن طريف ملاحظاته في ذلك أنه كان يقترح على الحكومة أن تعطى موظفيها أكبر مرتب أول استخدامهم، ثم تنقصه شيئا فشيئا كلما تقدمت به السن، لا أن تعطية مرتبا يزيد مع القدم، وكان يعلل ذلك بأنه يبدأ وظيفته وهو يبدأ شبابه، وهذا هو زمن الإنفاق، فإذا هرم ثم شاخ فيكفيه القليل، وحسبه من غنى شيع وري.

ومع هذا لم يكن سخيا بمنصبه سخاء بماله ، فهو حريص على بقائه في عمله بدار الكتب أشد الحرص ، ضنين به أشد الضن ؛ فهو لا يقول شعرا يغضب به أحدا من ذوى السلطان خشية أن يزحزحوه عن منصبه ، أو ينالوه بأذى فيه ؛ وإن قال شعرا سياسيا أخفاه ولم ينسبه إلى نفسه فقد قال قصيدته في مظاهرة السيدات سنة ١٩١٩ ، ولكنها نشرت في منشور من غير اسمه ، ولم تنشر في الصحف إلا سنة ١٩٢٩ حين أمن عاقبة نشرها ؛ وكذلك قصيدته التي قالها حين خيف على الاستانة من احتلال الأجانب ، لم تنشر إلا سنة ١٩٣٢ ، وهكذا ، وما قاله من الشعر السياسي في ذلك العصر — صراحة — هادئ لين ، أو في ظروف تحميه ؛ بل قد قال في ذلك العهد أحيانا ما يخالف منهجه ، ولا يجري مع ما عرف من حماسه ، كقوله للنفور له السلطان حسين يطالب إليه أن يوالى الانجليز ويمادهم حبال الود :

ووال القوم إنهم كرام	ميامين النقية أين حلوا
وليس كقومهم في الغرب قوم	من الأخلاق قد نهلوا وعلاوا
وإن شاورتهم والأمر جد	ظفرت لهم برأي لا إيل
فاددهم حبال الود وانفض	بنا فقيادنا للخير سهل

*
* *

ومن ثم كانت هذه الفترة في حياته — وما أطولها — فترة نضوب في شعره ، وجمود في قريحته إلا نادرا ، فكان منصبه نعمة عليه ، ونقمة على فنه ، ومنفعة له ، ومضرة على الناس ولعل أيام بؤسه الأولى رؤيته وأفرغته حتى قامت شبحا دائما أمام عينه تنذر به بالويل والثبور وعظائم الأمور ، إن هو أصيب في منصبه أو مس في مرتبه .

ولعل ذلك الخوف لازمه بعد خروجه من وظيفته بإحالة إلى المعاش ، إذ ألف حب الأمن واعتاده ، وعقد عليه ، حتى لقد ألشدني قبيل وفاته قصيدته التي مطلعها :

قد مر عام يا سعاد وعام وابن الكنانة في حماء يضام

وكانت نحو مائتي بيت ، يصف فيها وزارة إسماعيل صدق باشا فأشرت عليه أن ينشر بعضها ، أو يكتبها ، أو يملئها ، أو يحتفظ بها بأى شكل من الأشكال فقال : ” إني أخاف السجن ، ولست أحتمله “ .

*
* *

تم هو واسع الصدر في نقدك شعره ، إذا كنت وهو على انفراد ، فإذا نشرت نقدك في صحيفة أو على ملاّ من الناس ، فهو غضوب أشد الغضب ، ناغم أشد النعمة ، حريص على منزلته في فنه أكثر من حرصه على شخصه ، حتى لأحب إليه أن تهجوّه من أن تهجو شعره .

*
* *

وثقافته الرسمية — إن جاز هذا التعبير — ثقافة محدودة ، فهي لا تعدو دراسته في مكتب أو مدرسة ابتدائية ، ثم دراسة فنية وما تستلزمها في المدرسة الحربية .

ولكنه أكل ثقافته ، ووسع معارفه من نواح متعددة ، فقد أكثر من قراءة كتب الأدب وأطال النظر خاصة في كتاب الأغاني ، فقد حدث أن قرأه مرات ، وتحدث هو عن نفسه أنه كان يطيل النظر في دواوين الشعراء ويتخير من شعرهم ويحفظ ما يتخير من أمثال شعر بشار ابن برد ، ومسلم بن الوليد ، وأبي نواس ، وأبي تمام ، والبحتري ، والشريف الرضي ، وابن هانيء الأندلسي ، وابن المعتز ، والعباس بن الأحنف ، وأبي العلاء المعري ، يدل على ذلك ما كان يحفظ من متنخل الأدب وعيون الشعر ، فإذا جلست إليه أخذ يسمعك من محفوظه ما يبهرك ، حتى لقد خيل إلى أنه لو دون ما يحفظه لفاق أبا تمام في اختياره "ديوان الحماسة" إذ كان حافظ يتخير بذوق العصر ، وروح العصر — وكان له حافظة قوية تسعف ذوقه وتلي اختياره ، فما يختار جيداً من القول حتى يرسم في حافظته ، ويبقى في ذاكرته ، ثم يتجلى ذلك في شعره — لكنه — مع ذلك لم يعكف على دراسة منظمة ، ولم يقرأ قراءة مستفيضة في عمق ولم يرسم له خطة يلتزمها في الدراسة ، بل كان كالنحلة تنتقل من زهرة إلى زهرة ، وترتشف من هذه رشفة ، ومن تلك رشفة ، فهو يرضى ذوقه في أوقات فراغه بالمطالعة المتنقلة ، فإذا عثر على أسلوب رشيق أو معنى دقيق اخترنه في نفسه .

وقد عاقه عن المطالعة الراتب المنظمة ، أنه كان ملول الطبع ، كما يدل عليه تاريخ حياته ، عمل في المحاماة فلم تعجبه ، واشتغل في (البوليس) فملّه ، وفي الجيش فسئمه ولولا أنه كان حراً طليقاً — إلى حد كبير — في دار الكتب لملها أيضاً ، ثم كانت هذه الفوضى في قراءته يتبعها إهمال في حياته الأدبية ، فقلما يكتب قصيدته وقلما يحافظ على شعره ، بل لا نبالغ إذا قلنا إنه قلما كان يعني أن يكون في بيته دواة وقلم ، أو مكتبة منظمة ، كان لديه كتب تبثر ، فيأتي زائراً يأخذ جزءاً من الأغاني ، وجزءاً من غيره حتى أنه لما مات — رحمه الله — لم يكن

في بيته من الكتب غير جزء من تذكرة داود ، و جزء من تفسير الأحلام لابن سيرين ، فأما الأول فلا أنه كان في سنيه الأخيرة دائم الشكوى من المرض ، كثير توهم العلل ، فكان كلما سمع بوصف مرض تخيل أنه مصاب به ، ولعله اقتنى تذكرة داود ليرجع إليها فيما يتخيل من أدواء ، وأما "تفسير الأحلام" فلا أنه كان يعتقد في الرؤى وأثرها في حياة الإنسان ، وكان يرجع إليه في التناذر على بعض الأصدقاء ، فقد حدثنا أنه كان في ضيافة المرحوم سعد زغلول باشا ، في مسجد وصيف ، وكان حافظ وصحبه يتنادرون على صديق من الأضياف ، كان يعتقد في الأحلام وصحتها ، ويتفائل بها في آماله في منصب كبير ، أو مطلب خطير .

وشيء آخر يعد مصدرا كبيرا من مصادر ثقافته ، وهو كثرة غشيانه لمجالس العلماء وقادة الرأي في الأمة ، فقد اتصل بالأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، وعد نفسه فتاه ، وكان يحضر بعض دروسه التي يلقيها على نخبة من الفضلاء في منزله بعين شمس ، ويجلس في مجالسه ، وقد يصحبه في أسفاره ، ثم يغشى مجالس أمثال سعد زغلول ، وقاسم أمين ، ومصطفى كامل ، ونحوهم ، وكانت مجالسهم مدارس من أرق المدارس ، تطرح فيها المسائل العلمية ، والمعضلات السياسية ، والمشكلات الاجتماعية ، وتعرض فيها الحلول المختلفة ، وتبسط فيها أدواء الأمم ، وكيف عولجت وما إلى ذلك — وحسبك بمدارس كان المعلم فيها أمثال محمد عبده ، وسعد ، ومصطفى كامل ، ولعل هذا كان أكبر منبع استقى منه حافظ أفكاره التي صاغها في شعره .

ثم كان له مجلس من الأدباء في المقاهي والمستديات أمثال : خليل مطران والبشرى ، وإمام العبد ، وكانت مجالس تجتمع فيها الفكاهة الحلوة ، والنادرة الطريفة ، ويستعرض فيها الأدب وطرائفه ، فكان كل منهم مفيدا مستفيدا عارضا سامعا .

وقد كان حافظ يلم بالفرنسية ، فمكنته من الاطلاع على شئ من آدابها ، وقد ترجم البؤساء لفيكتور هوجو ، وترجم بعض قطع لجان چاك روسو ، واشترك مع الأستاذ خليل مطران في ترجمة "كتاب موجز الاقتصاد" وكان يقرأ بعض ما يترجم من الأدب الانجليزي ، كما ترى أثر ذلك في ترجمته لبعض قطع شكسبير ، ولكنه على كل حال ، لم ينل حظا وافرا من الأدب الغربي ، ولم يكن أثر ذلك كبيرا في شعره ، إنما شعره — على الأكثر — نتاج الأدب العربي ، والثقافة العربية ، والتجارب الشخصية .

وأخيرا — وإن شئت أقولا — كان من مصدر ثقافته ، تجاربه الواسعة ، فقد أتاح له بؤسه الامتزاج بفهار الناس ومجالستهم ومشاركتهم في الخير والشر ، ومطارحتهم النكات والنوادر كما يمكن له ظرفه وأدبه أن يتصل بسادة الناس وقادتهم يسمع لحديثهم ، ويسمعون لأدبه وأن يتصل برجال النهضة الوطنية فيأخذ عنهم ، ويلتهب حماسة من حماسهم ، ويمتلئ وطنية من وطنيتهم .

* شعره — منح حافظ عاطفة قوية ، ونفسا فنية سمت به عن أقرانه من نابذة العصر ، ومن طلبة المدرسة الحربية التي كان بها ، وإلا فإلى الذي جعله وسط صليل السيوف ، والتدريب العسكري ، وترويض الخيل ، يتجه نحو الشعر يطالعه ويتذوقه ، ويتخير ويحفظه ، ثم يحاول أن يقلده ، وينظم على غرارهِ ، وكان له أسوة حسنة في محمود سامي البارودي باشا ، فقد تخرج في المدرسة الحربية ، وتعلم فنونها ، وترقى في رتب الجيش ، وخاض معامع القتال ، وكان رب القلم ، كما كان رب السيف ، وكان مؤسس النهضة الحديثة في الشعر ، أعاد إليه بهجته الأولى ونضارته وقوته . فاتمذه حافظ مثله الأعلى يحذو حذوه ، ويخطط نهجه ، ويأمل أن يبلغ في الحياة مبلغه ، فيكون ذا الرأسين ، وحامل اللوائين ، وقد عبر عن تقديره للبارودي وإعجابه به في قصيدة من قصائده يمدحه بها إذ يقول فيه :

أمر القوافي إن لي مستهامة	بمدح ومن لي فيه أن أبلغ المدى
أعزني لمديك اليراع الذي به	تخط وأقرضني القريض المسددا
ومر كل معنى فارسي بطاعتي	وكل نفور منه أن يتوددا
وهبني من أنوار عالمك لمعة	على ضوءها أسرى وأقفو من اهتدى
وأربو على ذاك الفخور بقوله	إذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا

ومدحه في هذه القصيدة بالإجادة في الحماسة والنسيب واللعب بالسيف والتفنن في التشبيب فكأنه في مدحه البارودي يرسم لنفسه مثله ، ويحتاد مستقبله ، وقد قلد البارودي أيضا في ناحيته الأدبيتين ، فقد عنى البارودي بالتخير من شعر الفحول ، فاختر لثلاثين شاعرا من الشعراء المولدين ، ثم أنشأ شعره ، وجود نظمته ، وكذلك فعل حافظ ، فقد تخير وشعر ، وحفظ ونظم . ولكن قعد بحافظ عن جمع مختاره ما عهد فيه من إهمال ، ولولا نعمة الصحف والمجلات تنشره بعض ما نظم لكان مصير شعره مصير مختاره .

ولكن شاء الله لحافظ أن يقارب شأو البارودى فى دولة القلم لا فى دولة السيف ، فاتمى
— على عجل — تاريخ حافظ الحربى بأحاليته فى شبابه إلى المعاش ، واستمر — طول حياته —
تاريخه الأدبى ، فلم يتحقق إلا شطر رجاءيه ، ولم يدرك من البارودى إلا إحدى دولتيه .

وكان حرياً بحافظ أن يدرك أن ماناله البارودى فى عهد الاستقلال ، لا يمكن أن يناله حافظ
فى عهد الاحتلال ، إذ كيف يرضى الاحتلال أن يبلغ أحد مبلغ العظمة فى الحروب ، ومبلغ
العظمة فى الآداب ، والاحتلال هو الذى حطم سيف البارودى ، بل وحطم قلمه القوى ،
وقدم له قلماً آخر يشكو به الدهر ، ويبكى على زمانه الغابر ، ولكن أنى لشباب حافظ أن يدرك
هذه الحقائق المرة ، والشباب يهزأ بكل قوة .

على أنه يخيل لى أن حافظاً لم يخلق رجل قتال ، نعم كان منظره رجل حرب ، فهو مستحکم
الحلقة ، وثيق التركيب ، مفتول الساعدين ، عريض المنكبين ، ولكن لا أظن أن قلبه يشاكل
جسمه ، لقد ظل وهو فى السودان يشكو فى شعره حره ، ويشكو حرمانه من لذائذ القاهرة
وترفها ونعيمها :

فمن لى أن أرى تلك المغانى وما فيها من الحسن المقيم
وها أنا بين أنياب المنايا وتحت برائن الخطب الجسيم
أتيتك والخطوب تزف رحلى ولى حال أرق من السديم

وهكذا ظل فى السودان يبكى ويتوجع ويتشوق ، ويستغيث بالأستاذ الإمام المرة بعد المرة
أن يرده إلى مصر ”رد الشمس قطرة المزن إلى أصلها ، ورد الوفى الأمانات إلى أهلها“ .
ولست هذه بالنفس الحريية ، ثم لما ثار الضباط فى السودان وهو منهم ، وطردوا وعادوا
إلى مصر ، وأحيلوا إلى المعاش ، لم ينطق بشكوى ، ولم يثر على من ظلمه ، ولم يهيج من نكبه ،
ولكنه سكت واستسلم ، وأخذ يسعى إلى وظيفة فى القصر ، أو أن يكون شاعراً خليفة أو أمير .

ولما عين فى دار الكتب سكت وأمعن فى السكوت ، إلا ما كان يقوله فى المواسم
والحفلات ، أو ما تدعو إليه المناسبات .

كل هذا يرينا أنه كان مغالياً فى أمله — إن كان — أن يجمع فى يده بين السيف والقلم .

ولكن إن أخفق حافظ في حربه فقد نجح في شعره ، بدأ ينظمه في أغراض اعتاد الناس أن ينظموا فيها ، من مدح للخيرو والأغنياء ، ومداعبة الإخوان والشكوى اليهم ، ونحو ذلك ؛ وقل أن تجد في هذا النوع من الشعر معنى جديدا أو خيالا رائعا ، وإنما هو أسلوب من سبقه ومعانيهم وأغراضهم . ومع هذا كان يرى في نفسه أنه في هذا العهد أكبر شاعر في مصر لا يفضلته إلا شوقي ؛ فيقول من قصيدته التي قالها سنة ١٩٠١ :

قل للألى جعلوا للشعر جائزة فيم الخلاف ألم يرشدكم الله
إني فتحت لها صدرا تليق به إن لم تحلوه فالرحمن حلاه
لم أخش من أحد في الشعر يسبقني إلا قتي ماله في السبق إلاه
ذاك الذي حكمت فينا يراعه وأكرم الله والعباس مثواه

وكان في عصره من كبار الشعراء المصريين أمثال البارودي ، وإسماعيل صبرى ، وشوقي ، ومحمد عبد المطلب .

ولكن يحق له هذا القول ، لأن حظ مصر في هذا العصر من الشعر ، بل من الأدب عامة كان حظا ضعيفا ، فلم ير حافظ له ندا غير شوقي ، لأن البارودي على إجادته وفتحته للناس باب الشعر الحلى القوى بعد أن أغلق طويلا ، كان في أنحريات أيامه ، وقد برحت به الحوادث ، ودلف إلى القبر ، إذ أدركته وفاته سنة ١٩٠٤

وإسماعيل صبرى باشا كان أشعر من حافظ في ناحية خاصة ، وهي مقطوعاته الصغيرة ، يعبر بها عن معان دقيقة ، وعن شعور نفسى عميق — ولم يكن يحترف الشعر كما احترفه شوقي وحاول أن يحترفه حافظ — وكان منصبه الحكومى يسمو به عن ذلك .

لهذا جهر حافظ بأنه خير شاعر في مصر إذا استثنى شوقي ، ولعله كان يرى في أعماق نفسه أن "شوقي" لم يفضل به بشاعريته ، وإنما فضله بقربه إلى القصر وأنه شاعر الأمير ، ولولا ذلك لما فضله ، ويشير إلى هذا المعنى من طرف خفى في هذه القصيدة نفسها ، إذ يقول :

ذاك الذى حكمت فىنا يراعه وأكرم الله والعباس مثواه

قامت بعد ذلك حركة في مصر من بعض الأدباء المثقفين ثقافة غربية وبعض قادة الرأي ، تعيب على الشعراء هذا الشعر التقليدي في أسلوبه وفي أغراضه ، وفي أوزانه وقوافيه ، وتنقد شوقي وحافظا من النقد ، لأنهما قديمان في أفكارهما ، مقلدان في أغراضهما ، محافظان في أوزانهما .

كان من آثار هذه الحركة في حافظ أن ثار هو أيضا على الشعر القديم ، فقال قصيدته المشهورة في الشعر ، التي مطلعها :

ضمت بين النهى وبين الخيال يا حكيم النفوس يا ابن المعالي

عاب فيها على شعراء الشرق شعرهم في الكاس والطاس ، والمدح والهجاء والرثاء ، وحب سلمى وليلى ، ومكان الآثار والأطلال ، والرجال والجمال ، ثم يقول :

آن يا شعر أن نفك قيودا قيدتنا بها دعاة المحال

فارفعوا هذه الكجائم عنا ودعونا نشم ريح الشمال

فكانت ثورة صارخة على الشعر القديم . فهل جدد حافظ بعد في شعره ؟

لم يجدد في بحوره وأوزانه . ولم يجدد في أسلوبه وبيانه ، ولا تفكيره وخياله ، إنما جدد في شيء هو فوق ذلك كله ، جدد في موضوعه وأغراضه ، فبدلا من أن ينظم في موضوعات أمريئ القيس وطرفة ، أو جرير والفرزدق ، أو بشار وأبي نواس : نظم في موضوعات عصره وأمانى قومه .

وساعده على هذا الاتجاه تربيته الحربية ، فان فشل في حرب السيف فليحارب بالقلم ، وإن تكسر سن رمحه فليشرع سن قلمه ، وإن أخطأ النجاح في ثورة الضباط في السودان فليكتب له التوفيق في إثارة الأمة على الاحتلال .

ميزة حافظ الكبرى أنه تبلورت في شعره آمال أمته أولا ، وآمال الشعب العربي ثانيا .

كانت الأمة تشكو من فوضى الأخلاق ، وتشكو من الاحتلال ، وتشكو من تضيق الغرب على الشرق ، وكان زعماء الوطنية يلهبون حماسه ، ويشعلون غيظه ، وكان الخطباء يحاولون إيقاظه ، — وكان حافظ — بما له من حس مرهف ، وعاطفة حساسة — يجمع كل ذلك

في نفسه ، فلما ثار على الشعر القديم وحطمه ، بنى على أنقاضه شعره الجديد في الوطنيات والاجتماعيات والسياسيات ، وكان في شعره يقف موقف الصحافة الوطنية ، والخطباء الوطنيين وقادة الرأي الاجتماعيين ، يغشى مجالس كل هؤلاء ، ويتشرب من أرواحهم ، ويستمد من وحيهم ويغذى عواطفه من عواطفهم ، ثم يخرج ذلك كله شعرا قويا ملتبها ، يفعل في النفوس — وذلك شأن الشعر الحى — ما لا تفعله الخطب والمقالات ، فكان حافظ — حقا — شاعر الوطنية ، وشاعر الشعب ، وشاعر السياسة والاجتماع ، ولم يجاره أحد في ذلك من شعراء عصره .

وقف حافظ في ذلك مواقف مختلفة ، فثارة يقرع الأمة تقرعها جارحا مؤلما على استنابها وإخلادها إلى السكون ، واستسلامها للآجانب :

أمة قد فت في ساعدها	بغضها الأهل وحب الغربا
تعشق الألقاب في غير العلا	وتفقدى بالنفوس الرتبا
وهى والأحداث تستهدفها	تعشق اللهو وتهوى الطربا
لا تبالى لعب القوم بها	أم بها صرف الليالى لعبا

ويقول :

فأنت يا مصر دار الأديب ولا أنت بالبلد الطيب

*
* *

وكم ذا بمصر من المضحكات	كما قال فيها أبو الطيب
أمور تمر وعيش يمر	ونحن من اللهو في ملعب
وشعب يفتن من الصالحات	فرار السليم من الأجر

ويقول :

وإذا سئلت عن المكانة قل لهم هى أمة تلهو وشعب يلعب

ونحو ذلك كثير في ديوانه .

وتبدأ الأمة بحركة ، وتقف موقفا مشرفا يوما ، فيحيي أمله ، ويشر بعد أن كان ينذر ،
ويعاوده الأمل بعد اليأس ، والرجاء بعد الخيبة ، فيقول مخاطبا سعدا :

فاوض نخلفك أمة قد أقسمت ألا تنسام وفي البلاد دخیل
عزل ولكن في البلاد ضراغم لا الجيش يفزعها ولا الأسطول

ويقول :

النسر يطمع أن يصيد بأرضنا سنريه كيف يصيده زغلول

ويقول :

أفقنا بعد نوم فوق نوم على نوم كأصحاب الرقيم

إلى كثير من أمثال ذلك .

وهكذا يضطرب في شعره بين التفاضل والتشاؤم ، اضطراب الأئمة بين اليقظة والنوم ،
والعمل والتواكل ، والإصابة والخطأ ، فهو صدى لها في حركاتها ، وهو المدرّس الحكيم
الذي يأخذ موضوع درسه من حوادث يومه .

نعم إنه بعد هذه الثورة على الشعر القديم ، نظم في موضوعاته ، ولكنه حتى في هذه لا ينسى
مقامه ، ولا يجهل رسالته ، ولا يفوته غرضه ، فهو يتنهر فرصة تحية العام الجديد ، وتحية
المليك ، ورناء الفقيد ، وتنهاني العيد ، ليث في ذلك كله عاطفته الوطنية ، ونظراته الأخلاقية ،
وليشر وينذر ، ويرغب ويرهب ، فهو مجتهد من هذه الناحية في موضوعاته الجديدة وموضوعاته
القديمة ، حتى في وصفه لا يريد أن يخليه من غرضه الذي ملك عليه قلبه ، ولا يحاول أن يجعله
أدبا صرفا ، فهو يشبه طول الليل بعهد الاحتلال ، إلى كثير من أمثال ذلك .

ويتغزل في هذا الطور من الحياة ، ولكن لا في جارية ولا في غلام ، ويتغنى ولكن
لا في كأس أو مدام ، إنما يتغزل في مصر ، ويتغنى بمصر ، ويأرق في حب مصر :

وما أنا والغرام وشاب رأسي وغال شبابي الخطب الجسام
لعمرك ما أرقّت لغير مصر ومالي دونها أمل يرام
ذكرت جلاها أيام كانت تصول بها الفراعنة العظام
وأيام الرجال بها رجال وأيام الزمان لها غلام
فأقلق مضجعي ما بات فيها وباتت مصر فيه فهل ألام ؟

لم يشأ حافظ أن يكون شعره في وطنياته طبلا أجوف ، يقول القول عاما لا يستند إلى مادة من حقائق ، وإنما اتخذ ما يحدث من أحداث اجتماعية في عصره أساسا لدعوته ، وسنادا لهجمته .

فقد كان يترصد كل حادث هام يعرض فيخلق منه موضوعا لشعره ، ويمأؤه بما يجيش في صدره .

تقوم حركة الجامعة ، ويستخدم الجدال بين أنصار الكاتيب وأنصار الجامعة ، فيناصر الحركة الوطنية ، ويدعو إلى التبوع للجامعة ، ويبين مزاياها ويكتب هو بالشعر - كما يقول - ليكتب قومه بالمال .

وتحدث حادثة المؤيد ، وينقسم فيها الرأي العام في مصر قسمين : قسم يطالب بحرية المرأة في الزواج ، وقسم يطالب بالمحافظة على التقاليد ، فيتخذ ذلك وسيلة إلى تقريع المصريين باهتمامهم بصفاة الأمور ، وتركهم جسامها ، وتحزبهم فئات : منهم من يلوذ بالأمر ، ومن يلوذ بالعميد ، ومن يصبح مع الصائحين ، ثم يلذعهم لئلا أيلما في حبهم للجمالة ، وتركهم الصراحة ، وإلا فما لهم يقرعون صاحب المؤيد على فعلته ، والوفود تتوافد على بيته .

وتحدث حادثة دنشواي فيشن الغارة على الإنجليز في تصرفهم ، وعلى بعض المصريين في معاونتهم ، وعلى المصريين جميعا في استكانتهم ، ويلهب الشعور ، ويشعل الحماسة ، ويستثير الدمع .

ويتحدث الناس في اللغة العربية ، وهل هي أداة صالحة للعلوم الحديثة ، والأدب الحديث ، فيبين محاسنها ، ويظهر مزاياها ، ويدعو إلى إنهاضها ، ويعنى على من لم يأخذ بيدها ، وهكذا شعره في رعاية الأطفال ، والجمعية الخيرية الإسلامية ، ومساعدة العميان ، وما إليها .

كان في شعره سجل الأحداث ، إنما يسجلها بدماء قلبه ، وأجزاء روحه ، ويصوغ منها أدبا قويا يستحث النفوس ، ويدفع إلى النهضة ، سواء أضحك في شعره أم بكى ، وأمل أم يئس .

ويتسع أفقه في كثير من الأحيان ، فينظر إلى الوحدة العربية ، والوحدة الإسلامية ، فكم قال في علاقة الشامين والمصريين ، وفي الدعوة إلى الإخاء والقضاء على من يبذر بذور البغضاء ، وكم قال في علاقة مصر بالآستانة ، وتمنى نهضة الخلافة ، ورفع لوائها ، وعودة مكاتبا ، وكم شعر

في وحدة الشرق وتعاونه ، وتبادل المنافع بين أجزائه ، فكان شعره مقتربا للقلوب ، داعيا إلى ائتلاف الشعوب ، يتم لذلك كل فرصة ، كافتتاح السكة الحديدية الحجازية ، وأعياد الدستور للأمة التركية ، وحفلات التكريم التي يشترك فيها أدباء الشرق ، ونحو ذلك ، بل أحيانا يزيد اتساع أفقه ، فينظر إلى الإنسانية كلها ، كالذي يقوله في زلزال مسينا :

فسلام عليك يوم توليت بما فيك من مغان حسان

وسلام على أمري جاد بالدمح وثني بالأصفر الرنان

ذاك حق الإنسان عند بني الإنسان لم أدعكم إلى إحسان

ومما يتصل بناحية حافظ الاجتماعية أشد اتصال ، شعره في الرثاء ، فقد أكثر منه ، كما في ديوانه . وقد قال في ذلك عن نفسه :

إذا تصفحت ديواني لتقرأني وجدت شعر المرائي نصف ديواني

وقد أجاد فيه كل الإجادة ، وأحسن كل الإحسان ، وسبب ذلك ، أنه استطاع في كثير من الأحيان أن ينقل الرثاء من مسألة فردية إلى مسألة اجتماعية ، فموت الأستاذ الشيخ محمد عبده نكبة على مصر ، وعلى العالم الإسلامي ، وموت مصطفى كامل كارثة على مصر وعلى الوطنية الحقة ، فهو يتسلل في حذق ومهارة بعد تصوير الفقييد صورة كاملة ، إلى المسائل العامة الاجتماعية ، وبذلك يجلس حافظ على عرشه ، ويقول في سهولة وجزالة ما برع فيه وفاق أقرانه .

وشيء آخر ، وهو أن الموت كان عند حافظ وسيلة من وسائل شكوى الزمان والحقن عليه ، والغیظ منه . فالزمان قد فعل بحافظ الأفاعيل ، فرماه بالبؤس والفقر ، ورمى أمته بالتفرق والتواكل ، وبالاحتلال ، ورمى العالم الإسلامي بالغرب يمتص دمه ، ويسومه سوء العذاب ، فما هو إلا أن يموت مبيت من أصدقائه حتى ينغر جرحه وينفجر ألمه .

وثالث ، هو أنه رحمه الله كان شديد الخوف من الموت ، دعاه ذلك إلى أن ينعي نفسه ، ويتألم كثيرا لشيخوخته ، ويتوهم المرض في كل عضو من أعضائه ، فإذا مات قرين له أو صديق أو نديم راحه ذلك ، لأن موته إنذار بموت حافظ ، وما أشد وقع ذلك على نفسه .

فكان يصوغ من نبوغه في الناحية الاجتماعية ، ومن بغضه للدهر وحققه عليه ، ومن إشفاقه على نفسه ، رثاء يقطع الأحشاء ، ويذيب لفائف القلب ، ولولا هذه مجتمعة ما بلغ في الرثاء ما بلغ .

*
* *

قد يؤخذ عليه أنه لم يكن يتعمق في دراسة المسائل الاجتماعية ، ولم يكن يكون فيها رأيا بعد بحثها وتمحيصها ، ودرس حججها ، كوقفه في مسألة الزوجية ، لقد هرب من إبداء رأيه فيها . ولم يتحيز إلى أحد الفريقين ، وترك المتنازعين يتنازعون في حرية المرأة وتقييدها ، وحلق في المسائل العامة التي أشرت إليها قبل ، وكوقفه إزاء دعوة قاسم أمين ، فقد حكى عنه بعض أصدقائه رواية عنه ، أنه لم يقرأ كتاب تحرير المرأة ، وإن كان قال فيه شعرا ، ولم يقطع بإصابة قاسم أو خطئه ، ويظل على هذا حتى في رثائه ، فيقول :

إن رأيت رأيا في الحجاب ولم	تعصم فذلك مراتب الرسل
الحكم للأيام مرجعه	فيا رأيت فتم ولا تسلم
فإذا أصبت فأنت خير فتى	وضع الدواء مواضع العلل ؟
أولا فحسبك ما شرفت به	وتركت في دنياك من عمل ؟

فتراه مضطربا لا يستطيع الجزم برأى ، أو هو لا يريد ، وتراه في بعض المواقف السياسية يكتفى بسرد آراء الفريقين وحججهم ، كما في قصيدته في وداع اللورد كرومر ، فقد حكى فيها آراء المادحين وآراء الناقدين ، ثم قال :

فهذا حديث الناس والناس ألسن	إذا قال هذا صاح ذاك مفندا
ولو كنت من أهل السياسة بينهم	ل سجلت لي رأيا وبلغت مقصدا
ولكنني في معرض القول شاعر	أضاف إلى التاريخ قولاً مخلدا

وهرب بذلك من إبداء رأى ، وترجيح قول على قول .

ولكن قد يخفف من هذا النقص أن هناك فرقا كبيرا ، بين الأديب والعالم ، فالعالم يلاحظ الأشياء ليستكشف ظواهرها وقوانينها ، وعلاقتها بالأشياء الأخرى ، وعلاقتها بالظروف التي

تحيط بها ، على حين أن الأديب يلاحظ الأشياء من حيث علاقتها بعواطف الإنسان وطبيعته الأخلاقية ، فالعالم بالنبات مثلا يدرسه ليكشف كل الطبائع الخاصة ، وأوجه الشبه بينه وبين أمثاله من النباتات الأخر ، ووظيفة كل جزء منه ، والتغيرات التي تطرأ عليه كلما نما ، حتى يصل به إلى الموت والفناء .

أما الأديب فلا يهتم كل ذلك ، إنما النبات في نظره قد خلق لجمالته ، وليست شجرة الورد في نظره إلا زهرته الجميلة وأريجها العطر .

فهذه الناحية الخاصة التي يعنى بها الأديب تنفرد لحافظ قامة عمقه في البحث وإمعانه في الدرس ، وتخفف حدة نقدنا في أنه كان ينظر إلى الأشياء نظرة عامة من ناحية اتصالها بعواطف الجمهور .

ومما يتصل بهذا أن حافظا كان يؤثر في الجمهور بإلقائه بالقدر الذي يؤثر فيهم بنفس شعره لقد كان في نبرات صوته وحسن إجادته في الإلقاء يلعب بعواطف السامعين كما يلعب بها بألفاظه ومعانيه ، ومن أجل هذا ، يحسن ألا يقوم شعر حافظ ومقدار أثره في الجمهور بمقدار ما يقيسه قارئ لديوانه ، فهو بقراءته يفقد جزءا كبيرا من تأثيره السحري الذي كان يتركه في سامعه ، ومن أجل هذا كان يطيل الوقت في تخير اللفظ الذي يحسن وقوعه في السمع ، كما يتخير الانسجام فيتغنى بالبيت قبل أن يدخله في عداد شعره ، وينصت إلى جرسه ووقعه على سمعه قبل أن يبدأ بإلقائه على أسماع الناس .

وعلى الجملة كان حافظ يرصد الحوادث الاجتماعية والسياسية كما يرصدها رجال مصر على اختلاف مناحيهم ، فيصوغها الصحفيون الوطنيون مقالات حارة قوية ، ويصوغها القادة وأولو الرأي أفكارا ينادون بها في مجلس الشورى ، أو الجمعية العمومية ، أو أحاديث وحكا وأمثالا في مجالسهم الخاصة ، ويصوغها حافظ شعرا قويا يغذى نفوس الشباب ، ويلهب شعور من سمعه .

كان طلبة المدارس الثانوية والعالية ينحازون إلى معسكرين : قسم يتعصب لحافظ ويفضله على شوقي ، وقسم يتعصب لشوقي ويفضله على حافظ ، وكما نلاحظ أن من فضل حافظا كان يفضلته لأن شعره غذاء قلبه ، وغذاء وطنيته ، ومن فضل شوقي فضله لفنه وخياله ، فشبيهة الوطنية إمامهم حافظ ، وشبيهة الفن إمامهم شوقي .

ظل حافظ يعنى بشعره التقليدى — أولا — والجديد — ثانيا — نحو خمسة عشر عاما
تنتهى سنة ١٩١١ ، لما عرضت عليه "وظيفة" دار الكتب .

وطبىعى أن "الوظيفة" الحكومية لم تكن تتفق وشعر حافظ السياسى والاجتماعى فهو يدعو
المصريين إلى الثورة ، والانجليز إلى الجلاء ، وحرام على الموظف وقتذاك أن يتكلم فى السياسة
وأن يتصل بالجرائد ، فكيف يسمح بالشعر السياسى عامة ، ولشعر حافظ خاصة .

كان حافظ يفهم كل هذا حق الفهم ، فلما قبل الوظيفة كان معنى قبولها سكوته فى هذا
الباب ، وقد بر بوعده ، ووفى بشرطه غالبا ، فلم يقل من الشعر إلا قليلا ، وفى مناسبات ملحة
وتحفظ تام وحذر شديد ، أو أن تحميه الظروف .

غيره كثيرون بذلك وبقبوله الوظيفة، ولكن لماذا نعيه وحده بالوظيفة ولا نعي من ألقاه؟
لماذا نطالب منه التضحية بقوته ، ونؤنبه على سكوته ؟ ولا تؤنب الأمة وقتذاك تعجب به ،
ثم يتبخر هذا الإعجاب ، ولا يتحول إلى قليل من مال يتبلغ به — الحق أن الأمة فى تاريخها
الماضى أبدت جودا عجيبا وشحا أليما فى حافظ وأمثاله : تصفق لهم طويلا ، وتركهم يألمون
من الحاجة إلى ضروريات الحياة ، وتعيهم إذا ركنوا إلى الوظيفة ، ولا تشجعهم بقليل مما
فى أيديها ، وتنعم وتعرق فى الترف ، وتدعو المغنى أن يعنى لها ، ثم تضن عليه بأجره ، فإذا
طالبها به غضبت منه .

إذا — فليس من العدل أن نسرف فى نقده على صمته ، ونعيه بكسر عوده وقيثارته ، فلم
يفعل غير ما فعله من قبله :

غزلت لهم غزلا رقيقا فلم أجد لغزلى نساجا فكسرت مغزلى

إنما يصح أن يوجه إليه نقد من نوع آخر ، وهو أن حافظا لم يكن يستطيع — حقا —
وقد قبل المنصب فى دار الكتب أن يقول الشعر فيما كان يقول فيه قبل من اجتماعات وسياسيات
ولكن لماذا سكت عن فنون الشعر الأخرى ، والمجال أمامه فسيح ؟ فليس كل شعر سياسة
 واجتماع ، فهناك شعر الطبيعة ، وهناك شعر القصص ، وهناك شعر الوصف ، وغيره من أنواع
الشعر ، ولم تكن وظيفته تمنعه من أن يقول فى كل ذلك ، أو فى شئ من ذلك ، وفى شوقى
المثل لهذا ، فقد كان مقيدا فى القصر بأشد من قيود دار الكتب ، ومع هذا ظل يقول فى فنون
مختلفة من الشعر لا تتنافى وتقاليد القصر .

ولكن ما ذنب حافظ ؟ ! ونبوغه إنما كان في ثورته ، وإجادته في فورته ، وطبيعته وتعليمه ودرسته تدعو إلى النبوغ في سياسياته واجتماعياته ، لا في غزله ونحرياته ، وما يعيب الموسيقى أن يكون ملك العود ، وليس ملك القانون ، أو ملك الكمان ، وليس ملك الناي ، فملك في إحداها خير عندي من سوقة في جميعها .

*
* *

وبعد ، فما منزلة شعر حافظ في الشعر ، وما قيمته الأدبية ؟

الشعر الجيد — في نظري — فيضان من شعور قوى ، سما به الخيال ، وحلاه اللفظ ، ووقع على نغمات الأوزان ، فهو لا بد أن تتجمع فيه — ككل نوع من الأدب — عاطفة وخيال وصياغة وجمال ، ويمتاز الشعر بأن له لغة خاصة غير لغة النثر ، وللشاعر ملكة لا يمكن توضيحها تمام الوضوح ، يستطيع بها أن يتخير من ألفاظ اللغة ما يرى أنها أبعث على إثارة المشاعر ، وأفعل في نفس السامع ، ثم هو يضعها بعد في أساليب خاصة يتخيرها من بين التراكيب اللغوية والأساليب الأدبية ، يرى أنها تؤدي غرضه ، وتخدم مأربه ، كما يمتاز بما له من موسيقى عبر عنها بالبحور والأوزان ، ولهذه الأوزان فعل في النفوس كفعل "مرنات المثلث والمثنائي" ، وللشاعر قدرة على أن يختار منها ما يناسب موضوعه ، من رقة ولين في شعر الغزل ، وقوة وجلبة في شعر الحماسة ، والقصيدة على قافية قد يكون لها من الأثر في النفس ما ليس لقافية أخرى ، وهكذا .

وأخيرا حاجة الشاعر إلى الخيال الخصب أقوى من حاجة الناثر ! فلا بد له من اختراع صور ، وتأليف مناظر ، ومقارنة صورة بصورة ، ومنظر بمنظر ، حتى يثير المشاعر ، ويحرك العواطف ، ويفعل في النفوس فعل السحر .

وقد سلم لشاعرنا من هذه الأمور ثلاثة : قوة العاطفة ، وحسن الصياغة ، وجمال الموسيقى وأعوزه أمر منها وهو قوة الخيال .

فأما عاطفته فقوية فياضة ، وأكبر مظهر لقوتها إثارة نفس السامع والقارئ ، فما يسمع شعره سامع ولا يقرأه قارئ إلا توثبت نفسه ، وهاجت مشاعره ، وعواطفه صحيحة لا مريضة والعاطفة الصحيحة هي التي تدعو لأن تكون حياتنا أسعد وأقوى ، لحافظ يريد منا أن نتبوأ

مقعدنا بين الأمم ، وأن يرفع عنا نير الاحتلال ، وأن يعادل الشرق الغرب ، وأن تكون حياتنا الاجتماعية خيرا مما هي ، فلا توال كل ولا استنامة ولا خنوع ، ويريد أن تكون لانتاحية قوية وأن نجتد في الحياة حتى ننعم بطبيعتها ، ونحو ذلك من وجوه الإصلاح ، فهو يمتلئ شعورا بذلك ، ثم يصوغه شعرا يسير فينا سير العافية ، وأجل ما في هذه العاطفة أنها ليست من ذلك النوع المألوف الذي اعتدناه في كثير من الأدب العربي من إفراط في المديح ، فإن العاطفة التي يبعثها ضعيفة من ناحية ميلها إلى أمور شخصية ، والأدب الذي ينبعث من عاطفة عامة ويبعث عليها ، خير من الذي ينبعث عن عاطفة شخصية ويبعث عليها ، كما أن عاطفته ليست من هذا النوع الذي يذوب رقة في غزل ، أو هياما في حب ، فإن هذا النوع قد كثرت حتى مل ، وهو في كثير من الأحيان أجوف وهو في كثير من الأحيان نتاج عاطفة مريضة ، فليس من الخير أن يبيع الإنسان عواطفه بهذه السهولة وهذا الرخص .

فمزية عاطفة (حافظ) في شعره عمومها وقوتها ، وإن شئت فقل : وجدتها ، فلم نعرف شاعرا عربيا قبله ، ولا معاصرا له أفاض في العاطفة الوطنية والاجتماعية إقاضته .

قد يؤخذ عليه أن عاطفته ينقصها التنوع — كما أشرنا إلى ذلك قبل — فلا تجد كثيرا من شعره في جمال الطبيعة ، بل لا تجد شعره فيها حيا قويا ، كما ترى في قصيدته في الشمس .

وسبب ذلك — على ما يظهر — أن طبيعة حافظ كانت مخالفة تمام المخالفة لمظهره الخارجي كان مظهره الخارجي ضموكا مرحا ، لا يراه الرأي متى يضحك من ضحك ، ولا يكون في مجلس حتى يلاؤه سرورا وضحكا ، ولكنه في أعماق نفسه حزين ، كالشمعة تضيء وهي تحترق ، أو كالتمثيل يجيد تمثيل دور الضاحك وهو في نفسه يذوب حسرات .

وهذا ما يعلل أيضا ضعف الفكاهة في شعره ، وقوتها في مجلسه ، وهذا ما يعلل أن نصف شعره رثاء كما يقول هو .

هذا الطبع الحزين يبعث عواطف حزينة ، ويحمل على الإجابة فيها ، فتوافق طبعه وشكوى الزمان والرثاء والبكاء على الأمة وعلى الشرق ، ونحو ذلك .

ومن أجل هذا أيضا أجاد حافظ في أحد وجهي الوطنية ، أكثر مما أجاد في وجهها الآخر ، ذلك أن الشعر في الوطنيات والسياسيات والاجتماعيات يدور على التفاؤل والتشاؤم ، والتأويل

وعدمه ، والترغيب والترهيب ، والمدح للتشجيع ، والذم للتقريع ، فأجاد حافظ في التناوؤم وفي الترهيب وفي التقريع أكثر مما أجاد في التناوؤل والترغيب والتشجيع ، لأن الضرب الأول أنسب لحزنه ، وأقرب إلى نفسه ، والثاني يحتاج إلى مقدار كبير من الأمل ، والأمل يحتاج إلى سرور ، وهو قليل في نفسه ، فغير شعر حافظ ما اتصل بعاطفته الحزينة ، فأما فرح بالطبيعة ، وفرح بنفسه ونحو ذلك مما ينبعث من عاطفة السرور ، فلم يكن له كبير مجال في شعره .

هذه العاطفة القوية التي شرحنا ، بحثت لها عن الثوب الذي تلبسه حتى عثرت عليه ، فكانت صيغتها قوية ، وموسيقاها قوية ، يفتش عن اللفظ حتى يجد أنسبه لنفسه ، وأنسبه لمعناه ويعرض للترادفات ، يقلبها حتى يختار خيرها ، وينثر كنانته ليتخير أشدها عودا ، وأصلها مكسرا ، ويعمد إلى الأساليب يتصفحها ليوائم بين المعنى واللفظ والأسلوب ، وكان (حافظ) يسمى هذه (العملية) كلها (التذوق) ، ويمدح بعض الشعراء بأنه (ذواق) يريد بذلك أن له ذوقا مرفعا في اختيار اللفظ واختيار الأسلوب ، وقد بالغ في ذلك حتى كان جهده في اختيار الألفاظ والأساليب يفوق جهده في ابتكار المعاني ، فهو يذهب مذهب من يرى أن المعاني مطروحة في الطريق ، وإنما الإجابة في الصياغة ، وهو يستعين على ذلك بالموسيقى ، وموسيقى اللفظ ، وموسيقى الأسلوب ، وموسيقى الأوزان والقوافي .

قد كان يصنع البيت فيردده على أذنه بإنشاده اللطيف حتى يتبين موقعه من أذنه قبل أن يوقعه على آذان الناس ، ويتذوق موسيقاه بنفسه قبل أن يتذوقها الناس ، فكان يراعى موسيقى الطول والقصر ، وموسيقى الفخامة والرقّة ، وموسيقى اللين والشدة ، ويوائم بين ذلك وموضوعه وبين ذلك ومعانيه وأغراضه ، فيوفق في ذلك توفيقا كبيرا .

أما خياله ، فكان مع الأسف — خيالا قريبا — قلل حظه من الابتكار ، وقلل حظه من التصوير ، قصر خياله عن أن يفوس في باطن الشئ فيصل إلى مكان الحياة منه ، ثم يخرج به إلى الناس كما يشعر به ، وقصر عن أن يحلق في السماء فيصوّر منظرا عاما يجذب النفوس إليه .

لقد حاول أن يخلق بخياله قصة ، ولكنها قصة نرجت عرجاء ، تتخلى على الأرض ، ولا تسبح في السماء ، قريبة المنال ، مضحكة التصوير — إن شئت فاقرأ قصته في مدح البارودي التي مطّاهها : "تعمدت قتلى في الهوى وتعمدا" إذ يصف ذهابه إلى حبيبته خفية ، فيقلد عمر بن

أبي ربيعة في رائيته المشهورة ، ثم لا يحسن التقليد ، ولا تأتي خياله بجديد ، أو فاقرأ قصته الشعرية التي وضعها في ضرب الأسطول الطلياني لمدينة بيروت ، والتي مطلعها :

ليلاى ما أنا حى يرجى ولا أنا ميت

ترى خيالا ساذجا وتصويرا مهلهلا .

ولكن من ذا الذى حاز الكمال أجمع ؟ ومن ذا الذى بلغ شأو الفن في جميع عناصره ؟ حسب الشاعر النابغة أن تكتمل فيه صفات ، ثم يستطيع أن يعوض ما نقص بالبراعة التامة فيما أتقن لأن نقص حافظ في الخيال لقد غطى عيبه شيوخ الجمال في سائر نواحيه ، وكفاه ذلك موهبة .

*
* *

وقد رأى حضرة صاحب المعالى على زكى العرابى باشا وزير المعارف العمومية حبا منه في الأدب ، وتقديرا لحق الوطن ، أن يجمع شعر حافظ ، وتقوم على طبعه وزارة المعارف .

وكان من حظى أن ندبى معاليه للقيام بهذا العمل ، ففضل وطلب إلى جمع شعره وضبطه وشرحه ، وتبويبه وتقديمه ، فاغتنبت للمساهمة في هذا العمل الجليل ، لأن حافظا شاعر كبير ومن واجبه الأدبى أن نخلد شعره ، ونحفظ ذكره ، وهو شاعر الوطنية في عصرنا ، غذى شعره الشعور الوطنى ، وألمبه غيرة وحاسة ، وكان داعيا للنهضة والمطالبة بالحركة حتى ننال استقلالنا .

فكان واجبا — وقد بدأنا — نجنى ثمار جهادنا ، أن نؤرخ قادة حركتنا ، وأول واجب نفعله في تاريخ شاعر أن نجمع شعره ، ونعنى بنشره ، ونأخذ في درسه .

ومن حسن الطالع أن يكون صدور ديوانه ، معاصرا لنجاح دعوته ودعوة زملائه من القادة والزعماء والخطباء والأدباء الذين تعهدوا الحركة الوطنية ، وسهروا عليها ، وضخوا في سبيلها ، ولم يدركهم في ذلك سأم ولا ملل ، ولم يفتر في ساعدتهم تعذيب ولا اضطهاد ، حتى تمت المعاهدة ، وبدأنا ننعم بالاستقلال ، نحمل عبئنا على ظهورنا ، ونبذل جهدنا لنيل سعادتنا بأيدينا .

فلأخرج ديوان حافظ أمانة في عنقنا تؤدبها ، وواجب نهض به .

*
* *

وكان من حظي أيضا أن شاركني في هذا العمل الأستاذان : (أحمد الزين) ، (ولإبراهيم الإيباري) ، فقد لقيا من العناية في الضبط والشرح والتصحيح والترتيب ما أترك تقديره للقارئ الكريم ، وكان لهما من العمل وبذل الجهد في ذلك فوق مالى ، وإليهما يرجع أكثر الفضل في إخراج الديوان على هذا الوضع .

كان حافظ رحمه الله غير منظم في عمله ، ولا حريص على تدوين شعره ، فيكتبه في ورقة حيثما اتفق ، ويلقيها أيضا حيثما اتفق ، فضاع كثير منه ، ولولا فضل الصحف والمجلات في نشره والاحتفاظ به ، لما بقي من شعره إلا القليل .

وقد جمع في حياته بعضا منه ، معتمدا على ما نشر في الصحف والمجلات ، وعلى ما كان منه عند الأصدقاء ، ولكن وقف في ذلك عند أجزاء ثلاثة صغار ، نشر الجزء الأول منها سنة ١٣١٩ هـ مع تعليقات قيمة بقلم محمد إبراهيم هلال بك ، وقد استفدنا منها ، ونشر الثاني سنة ١٩٢٥ هـ (١٣٠٧ م) ، والثالث سنة ١٣٢٩ هـ (١٩١١ م) ، فأما شعره بعد ذلك فلم يجمع في حياته .

فلما توفي حافظ جمع الأديب الدمشقي السيد أحمد عبيد طائفة من شعره لم تنشر في ديوانه ونشرها بدمشق سنة ١٣٥١ هـ ، وكذلك فعل في شوقي وجمع ما نشر في رثائهما ، وبعض ما كتب عنهما ، وسمى كتابه "ذكرى الشاعرين" .

ثم نشرت مكتبة الهلال في مصر سنة ١٣٥٣ هـ ديوانه مجموعا فيه ما نشر من قبل في الأجزاء الثلاثة ، وما نشره السيد أحمد عبيد "في ذكرى الشاعرين" .

ولكن ماورد في ذلك كله ليس وافيا ولا مستقصيا ، فاضطررنا إلى أن نرجع إلى المجلات والصحف نتصفحها عددا عددا ، من يوم أن نشر له شعره ، إلى يوم وفاته ، ورجونا على صفحات الجرائد من القراء أن يبعثوا إلينا ما كان عندهم من شعره ، فتمت لنا بذلك مجموعة هي أقصى ما وصل إليه جهدا .

ثم رتبناها حسب الموضوعات ، فذكرنا كل ما قاله في المديح ، ثم ما قاله في الهجاء ... الخ . وفي كل باب رتبنا ما جاء فيه حسب تاريخ قوله أو نشره ، ثم أتبعنا ذلك بما قاله ولم نقف على تاريخه بالضبط ، حتى ولو كانت القرائن تدل على زمنه ، ورأينا هذا الوضع أقرب إلى الإفادة وأدل على مناحى الشاعر . ووضعنا فهرسا مرتبة فيها القصائد حسب حروف الهجاء في آخر الديوان ليسهل الرجوع إلى القصيدة لمن حفظ قافيتها .

وقد ضبطناه ضبطاً كاملاً لتسهيل قراءته على الناشئ ، وشرحناه نوعين من الشرح : شرحاً
بذكر ظروف القصيدة وملايساتها وتاريخ نشرها أو قوطها ، حتى يتمكن القارئ من معرفة إشاراتنا
وجوهرها ، إذ في ذلك أكبر إغاثة على فهمها وتقديرها ، وشرحاً لغويًا لمفرداتها وأساليبها ، وبيان
المراد من عباراتها ، وذكر الحوادث التاريخية التي أشار إليها في أبياتها ، وقد نكون بالغنا بعض
الشيء في كثرة الشرح والضبط ، وعدرنا أننا راعينا نابتة الأدب ، وناشئة الشعر ، أكثر مما
راعينا الخاصة والمنتهين وقدّرنا أن الديوان ستتناوله أيدي الطلبة في المدارس الثانوية ومن
في مستواهم ، فقصدناهم بالشرح ، ونظرنا إليهم في البسط . وترجو أن نكون قد وفقنا في تحقيق
ما ندبنا له ، وأدبنا شيئاً من واجب الأمة والوزير والشاعر ، والله الموفق ما

١٧ فبراير سنة ١٩٣٧

أحمد أمين

نموذج من خط حافظ ابراهيم

وهما بيتان قاهما في المجمع العلمى العربى بدمشق عند ما استقبل فيه



المرحوم حافظ ابراهيم بك

المحتويات

صفحة

المدائح والتهاني	١
الأهلاجى	١٤٨
الإخوانيات	١٥١
الوصف	١٩٣
الخمریات	٢٢٨
الغزل	٢٣٥
الاجتماعيات	٢٣٩

المجلد الأول

الملاح واليهاني

تهنئة عبد الحلیم عاصم باشا بإسناد إمارة الحج إليه
(سنة ١٣١٣ هـ)

حَالٌ بَيْنَ الْجَفْنِ وَالْوَسَنِ حَائِلٌ لَوْ شِئْتَ لَمْ يَكُنْ^(١)
أَنَا وَالْأَيَّامُ تَقْدِفُ بِي بَيْنَ مُشْتَاقٍ وَمُفْتَتِنِ
لِي فُؤَادٌ فِيكَ تُنْكِرُهُ أَضْلَعِي ، مِنْ شِدَّةِ الْوَهَنِ^(٢)
وَزَفِيرٌ لَوْ عَلِمْتَ بِهِ خَلَّتْ نَارَ الْفُرْسِ فِي بَدَنِي^(٣)
يَا لَقَوْمِي إِنِّي رَجُلٌ حَرْتُ فِي أَمْرِي وَفِي زَمَنِي
أَجْفَاءُ أَشْتَكِي وَشَقًّا ؟ إِنَّ هَذَا مُشْتَهَى الْحَنَنِ
يَا هُمَا فِي الزَّمَانِ ! لَهُ هِمَّةٌ دَقَّتْ عَنِ الْفُطْنِ^(٤)

(١) الوسن : النعاس . أى حال بين الجفن والنوم حائل من صدك لو وصلت ما حال .

(٢) الوهن : الضعف . أى أن لي فؤادا قد اشتد ضعفه حتى لم تكد تحسه ضلوعه ، فأنكرت وجوده فيها .

(٣) نار الفرس : هى النار التى تعبدها مجوس فارس ، ويضرب بها المثل فى قوة الاشتعال ودوامه .

(٤) دقت عن القطن ، أى لاتدركها الأفهام لقصر العقول عنها .

وَفَتَى لَوْ حَلَّ خَاطِرُهُ فِي لِيَالِي الدَّهْرِ لَمْ تَخُنْ^(١)
 يَا أَمِيرَ الْحَجِّ ! أَنْتَ لَهُ خَيْرُ وَاقٍ خَيْرُ مُؤْتَمَنٍ
 هَزَكَ الْبَيْتُ الْحَرَامُ لَهُ هِزَّةَ الْمَشْتَاقِ لِلْوَطَنِ^(٢)
 فَرِحْتَ أَرْضَ الْحِجَازِ بِكُمْ فَرَحَهَا بِالْهَاطِلِ الْهَاتِنِ^(٣)
 وَسَرَتْ بُشْرَى الْقُدُومِ لَهُمْ بِكَ مِنْ مِصْرِ إِلَى عَدَنِ^(٤)

تهنئة الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده^(٥) بمنصب الإفتاء

(١٣١٧ هـ - ١٨٩٩ م)

بَلَّغْتُكَ لَمْ أَنْسُبْ وَلَمْ أَتَغَزَّلِ وَلَمَّا أَقِفَ بَيْنَ الْهَوَى وَالتَّذَلُّ^(٦)
 وَلَمَّا أَصِفْ كُؤْسًا وَلَمْ أَبْكِ مَنَزِلًا وَلَمْ أَتَحِلَّ نَخْرًا وَلَمْ أَتَنْبِلِ^(٧)

(١) يريد أنه لا يخطر له إلا الخير ، فلو كان للأيام مثل خاطره ما توقع أحد منها غدرا .

(٢) هزك البيت : استخفك لزيارته .

(٣) سكن الشاعر « الفرح » لضرورة الوزن . والهاطل : المطر المتتابع العظيم القطر . والهاتن : المنصب .

(٤) عدن : مدينة معروفة باليمن على ساحل بحر اليمن من بحر الهند . ويلاحظ أن آخر هذه القصيدة مفقود ، ولم يتيسر لنا العثور عليه ، فأثبتناها على اقتضاها .

(٥) الشيخ محمد عبده ، هو ابن عبده بن حسن خير الله ، ولد في محلة نصر من إقليم البحيرة بمصر سنة ١٢٦٦ هـ . وتعلم العلم في الجامعين الأحدي والأزهر ، وتولى عدة مناصب علمية وفضائية ودينية ، وآخر منصب تولاه منصب الإفتاء . وظل فيه إلى أن توفي بالاسكندرية في سنة ١٣٢٣ هـ - سنة ١٩٠٥ م . ودفن في القاهرة .

(٦) بلغتك ، أى وصلت إلى مدحك . ولم أنسب : ولم أشبه بالنساء . يريد أنه ابتداء القصيدة بمدحه ولم يسلك طريق الشعراء في تقديم الغزل والفخر وما إليهما على المدح في أوائل القصائد .

(٧) التحل الشيء : ادعاه لنفسه وهو لغيره . وتنبل الرجل : تكلف التبل وتشبه بالنبل .

فَلَمْ يَبْقَ فِي قَلْبِي مَدِيحُكَ مَوْضِعًا تَجُولُ بِهِ ذِكْرِي حَبِيبَ وَمَنْزِلِ^(١)
رَأَيْتَكَ وَالْأَبْصَارُ حَوْلَكَ خُشِعَ فَقُلْتُ (أَبُو حَفْصٍ) بِرَدِّكَ أُمَ (عَلِي)^(٢)
وَحَنَنْضْتُ مِنْ حُزْنِي عَلَى مَجْدِ أُمَةٍ تَدَارَكْتَهَا وَالْخَطْبُ لِلنَّطَبِ يَعْتَلِي^(٣)
طَلَعَتْ بِهَا بِالْيَمَنِ مِنْ خَيْرِ مَطْلَعٍ وَكُنْتُ لَهَا فِي الْفَوْزِ قَدَحَ (أَبْنِ مُقْبِلِ)^(٤)
وَجَرَدْتُ لِلْفُتَيَا حُسَامَ عَزِيمَةٍ بِحَدِّهِ آيَةُ الْكِتَابِ الْمُنَزَّلِ^(٥)
مَحَوَتْ بِهِ فِي الدِّينِ كُلِّ ضَلَالَةٍ وَأَثَبَتْ مَا أَثَبَتْ غَيْرَ مُضَلَّلِ
لَنْ ظَفِرَ الْإِفْتَاءُ مِنْكَ بِفَاضِلٍ لَقَدْ ظَفَرَ الْإِسْلَامُ مِنْكَ بِأَفْضَلِ
فَمَا حَلَّ عَقْدَ الْمُشْكَلاتِ بِحَكْمَةٍ سِوَاكَ وَلَا أَرَبِي عَلَى كُلِّ حَوْلِ^(٦)

* * *

وقال يمدحه ويصف حضرته :

قَالُوا صَدَقْتَ فَكَانَ الصُّدُقُ مَا قَالُوا مَا كُلُّ مُنْتَسِبٍ لِلْقَوْلِ قَوْلُ^(٧)
هَذَا قَرِيضِي وَهَذَا قَدْرُ مُتَدَحِي هَلْ بَعْدَ هَذَيْنِ إِحْكَامٌ وَإِجْلَالُ^(٨)

(١) يشير إلى بيت امرئ القيس :

قفا نيك من ذكرى حبيب ومنزل * الخ

(٢) أبو حفص : كنية أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، وهي في الأصل كنية الأسد . وعمل : هو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب . (٣) يريد بقوله " والخطب للخطب يعتلي " تراكم الخطوب بعضها فوق بعض .

(٤) القدح (بكسر القاف) : واحد قدامح الميسر ، وهي سهامه . وقدح ابن مقبل ، يضرب مثلاً في حسن الأثر والفوز . وابن مقبل : رجل من جاهلية العرب ، واسمه تميم بن أبي بن مقبل ، شاعر مخضرم من المعمرين ، وكان كثير المقامرة ، فاز قدحه سبعين مرة متوالية ، فضرب به المال في الفوز . (٥) جرد الحسام : سله من غمده .

(٦) أربي : زاد . والحوّل : البصير بالأمور وتحويلها ، لا تأخذ عليه طريق إلا نفذ في غيرها .

(٧) القوال : حسن القول اللسان . أي قالوا صدقت في مدح الإمام وهم صادقون فيما وصفوني به .

(٨) القرِيض : الشعر . ومندحي ، أي ممدوحى .

إِنِّي لَأُبْصِرُ فِي أَثْنَاءِ بَرْدَتِهِ نُورًا بِهِ تَهْتَدِي لِلْحَقِّ ضَلَالٌ
 حَلَلْتُ دَارًا بِهَا تُتَلَّى مَنَاقِبُهُ بِبَابِهَا أَرْدَحَتْ لِلنَّاسِ آمَالٌ^(١)
 رَأَيْتُ فِيهَا بِسَاطًا جَلَّ نَاسِجُهُ عَلَيْهِ (فَارُوقُ) هَذَا الْوَقْتُ يَحْتَالُ^(٢)
 بِمِشْيَةٍ بَيْنَ صَفَى حِكْمَةٍ وَتَقَى يُحِبُّهَا اللَّهُ لَا تِيَهُ وَلَا خَالُ^(٣)
 تَبَسَّمَ الْمِصْطَفَى فِي قَبْرِهِ جَدَلًا لَمَّا سَمَوْتَ إِلَيْهَا وَهِيَ مَعْطَالُ^(٤)
 فَكَانَ لَفْظُكَ دُرًّا حَوْلَ لَبَّتِهَا الْعَدْلُ يَنْظُمُ وَالتَّوْفِيقُ لَأَلُ^(٥)
 لِي كُلِّ حَوْلٍ لَبَّتِ الْجَاهُ مُتَجَمِّعٌ كَمَا تُسَدُّ لَبَّتِ اللَّهُ أَرْحَالُ^(٦)
 وَزَهْرَةٌ غَضَّةٌ أَلْقَى الْإِمَامَ بِهَا لَهَا عَلَى أُخْتِهَا فِي الرِّوَضِ إِدْلَالُ^(٧)
 تَفْتَحُ الْحَمْدُ عَنْهَا حِينَ أَسْعَدَهَا مِنْكَ الْقَبُولُ وَفِيهَا نَوَّرَ الْقَالَ^(٨)
 تَنَزَّتْ مَنُظُومَ تِجْيَانِ الْمُلُوكِ بِهَا فَرَّاحٌ يَنْظُمُهُ فِي وَصْفِكَ أَلْبَالُ^(٩)
 يَا مَنْ تَيَسَّتِ الْفُتْيَا بَطْلَعَتِهِ أَدْرِكُ فَنَّاكَ فَقَدْ ضَاقَتْ بِهِ الْحَالُ^(١٠)

(١) المناقب : المفاعروالأفعال الكريمة . الواحدة : منقبة .

(٢) يصف بساطا رآه في دار الامام فأعجب بنفسه وناسجه . والفاروق : اسم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، لأنه فرق بين الحق والباطل .

(٣) الخال : الكبر والاختيال .

(٤) الجذل : القرح . وإليها ، أى إلى الفتيا . والمعطال : المتجردة من الحلى والزينة .

(٥) اللبة : موضع القلادة من الصدر . واللاكل : صاحب اللؤلؤ . والقياس : لؤلؤى .

(٦) يريد بيت الجاه : بيت ممدوحه . ويريد بالمتجمع هنا : الانجباع ، يقال : انجبع فلان فلانا ، إذا أتاه طالبا معروفة^(٧) يريد بالزهرة الغضة : القصيدة التي يمدح بها . والغضة : الناضرة ويريد بأختها : الزهرة الحقيقية . والادلال : الافراط في التباهي .

(٨) نور القال : صار ذا نور (يفتح النون وسكون الواو) . والنور : زهر النبات . والقال والقول : كلاهما بمعنى واحد .

(٩) يقول : إنه نثر اللؤلؤ الذى تحلى به تيجان الملوك ونظمه شعرا فى ممدحه . والمراد تشبيه شعره فيه بدرر التيجان .

(١٠) الفتيا : ما أفتى به الفقيه .

مدحة محمود سامي البارودي باشا^(١)

[نشرت في ١٥ أكتوبر سنة ١٩٠٠ م]

تَعَمَّدْتُ قَتْلِي فِي الْهَوَى وَتَعَمَّدَا فَمَا أَثَمْتُ عَيْنِي وَلَا لَحْظُهُ أَعْتَدَى^(٢)
 كَلَانًا لَهُ عُذْرٌ فَعُذِرِي شَبِيبَتِي وَعُذْرُكَ أَنِّي هِجْتُ سَيْفًا مُجَرَّدًا^(٣)
 هَوَيْنَا فَمَا هُنَا كَمَا هَاتَا غَيْرُنَا وَلَكِنَّا زِدْنَا مَعَ الْحُبِّ سُودَدًا^(٤)
 وَمَا حَكَمْتُ أَشْوَاقُنَا فِي نُفُوسِنَا بَأَيْسَرَ مِنْ حُكْمِ السَّمَاحَةِ وَالنَّدَى^(٥)
 نُفُوسٌ لَهَا بَيْنَ الْجُنُوبِ مَنَازِلُ بَنَاهَا أَلْتَقَى وَأَخْتَارَهَا الْحُبُّ مَعْبَدًا
 وَقَتَانَةٌ أَوْحَى إِلَى الْقَلْبِ لَحْظَهَا فَرَّاحَ عَلَى الْإِيمَانِ بِالْوَحْيِ وَأَعْتَدَى^(٦)
 تَيْمَمَتَا وَاللَّيْلُ فِي غَيْرِ زِيَّةٍ وَحَاسِدُهَا فِي الْأَفْقِ يُغْرِى بِي الْعَدَا^(٧)

(١) محمود سامي البارودي باشا ، هو ابن المرحوم حسن حسني بك مديرة نقلة وبربر في عهد المغفور له محمد علي باشا ولد البارودي في القاهرة سنة ١٢٥٥ هـ . وتعلم الفنون العسكرية في المدرسة الحربية ، وكان من لحول شعراء العربية ، كما كان شاعرا باللغتين التركية والفارسية . وآخر المناصب التي تولاها في الحكومة المصرية رئاسة النظارة بعد شريف باشا قبل الثورة العربية ، ولبث في هذا المنصب قليلا ، ثم شبت الثورة العربية فكان من أقطابها ، فلها هدأت نارها نفى إلى جزيرة سرينديب مع نفى ثم عفا عنه الخديوي عباس الثاني في سنة ١٣١٧ هـ . وتوفي سنة ١٣٢٢ هـ . وله ديوان شعر طبع منه جزءان ومختارات من شعر الشعراء العباسيين طبع في أربعة أجزاء .

(٢) يريد أنه تعمد قتل نفسه بالنظر إلى حبيبه نظرة جلبت الهوى . وتعمد المحبوب قتله بسهام لحظه . وأثمت : أذنبت .

(٣) الشبيبة : الشاب . وهاجه يهيجه : أثاره . والسيف المجرد : المسلول من غمده .

(٤) هنا : من الهوان ، وهو الذل . والسودد (فتح الدال وضحاها : يهمز ولا يهمز) : السيادة والشرف .

(٥) أي لم يكن خضوعنا للحب بأقل من خضوعنا للسماحة والكرم ، ربانكل زدنا سوددا وشرفا .

(٦) "أوحى إلى القلب لحظه" الخ ، أي ألهمه الحب قآمن به إيماننا ثابتا في غدوه ورواحه .

(٧) تيممتا : قصدت إليها . ويريد بقوله "في غريزيه" : أنه ليل مقمر ليس في هيئته المعهودة من السواد والظلمة ويريد "بالحاسد" (هنا) : البدر ، لشبهها به في الجمال .

سَرَيْتُ وَلَمْ أَحْذَرْ وَكَأَنُوا بِمِرْصَدٍ وَهَلْ حَذَرْتُ قَبْلِي الْكَوَكِبُ رُصْدًا^(١)
 فَلَسَا رَأَوْنِي أَبْصُرُوا الْمَوْتَ مُقْبِلًا وَمَا أَبْصُرُوا إِلَّا قَضَاءً تَجَسَّدًا^(٢)
 فَقَالَ كَكْبِيرُ الْقَوْمِ قَدْ سَاءَ فَالْنَا فَأَنَا نَرَى سَحَنًا بِحَتَفٍ تَقْلَدًا^(٣)
 فَلَيْسَ لَنَا إِلَّا اتَّقَاءُ سَبِيلِهِ وَإِلَّا أَعَلَ السَّيْفَ مِنَّا وَأُورِدًا^(٤)
 فَغَطُّوا جَمِيعًا فِي الْمَنَامِ لِيَضْرِبُوا شَبَا صَارِمٍ عَنْهُمْ وَقَدْ كَانَ مُغْمَدًا^(٥)
 وَخُضْتُ بِأَحْشَاءِ الْجَمِيعِ كَأَنَّهُمْ نِيَامٌ سَقَاهُمْ فَاجِئُ الرُّعْبِ مُرْقِدًا^(٦)
 وَرَحْتُ إِلَى حَيْثُ الْمُنَى تَبَعْتُ الْمُنَى وَحَيْثُ حَدَابِي مِنْ هَوَى النَّفْسِ مَا حَدَا^(٧)
 وَحَيْثُ فَتَاةُ الْحَذَرِ تَرْقُبُ زَوْرِي وَتَسْأَلُ عَنِّي كُلَّ طَيْرٍ تَغَرَّدًا^(٨)
 وَتَرْجُو رَجَاءَ اللَّصِّ لَوْ أَسْبَلَ الدُّبْحَى عَلَى الْبَذْرِ سِتْرًا حَالَكَ اللَّوْنِ أَسْوَدًا^(٩)
 وَلَوْ أَنَّهُمْ قَدُّوا غَدَائِرَ فَرَعِهَا خُفَاكُوا لَهُ مِنْهَا نِقَابًا إِذَا بَدَا^(١٠)

(١) سرى يسرى : سار بالليل . والمرصد : المرقب والرصد : الرقابة ، جمع راصد .

(٢) يريد بقوله : " تجسد " أنه قضاء لحقق لاشك فيه ، حتى كأنه جسمه يلمس وينظر .

(٣) يقال : ساء فآله ، أى ساء ظنه . و " سحنا بحتف تقلد " أى موتا ، تقلد موتا ، يريد نفسه متقلدا سيفه .
 وقد خطأ بعضهم حافظا في تعدية " قلد " بالراء في هذا البيت ، وقال : " إنه من الأفعال المتعدية بنفسها لا بالحرف " .
 وهو مردود بقول الزجاج في قوله تعالى : (ولا الهدي ولا القلائد) : إنهم كانوا يقلدون الأبل بلحاء شجر الحرم .

(٤) أصل : من العلى (بالتحريك) ، وهو السفينة الثانية . أى أن لم نخل له سبيله سقى السيف من دماثنا مرة بعد مرة .

(٥) غط النائم غطا وغطيطا : نحر وتردد نفسه صاعدا إلى حلقة حتى يسدعه من حوله . وشباة الصارم : حده ،
 وجمعه : شبا . وقد يستعمل هذا الجمع في الشعر مكان المفرد كما في هذا البيت . قال الشاعر :

أما شبا السيف مسلولا على القمع فقد حدانا ولم نذم شبا القلم

(٦) خضت بأحشاء الجميع : مررت وسطهم وعبرت عليهم . والمرقد : الشراب الذى يجلب الرقاد .

(٧) تغرد الطائر ، كغرد : رفع صوته وطرب به . (٨) أسبل : أرمى . وحالك : الشديد السواد .

(٩) قدوا : قطعوا . والغدائر : الضفائر . والفرع من المرأة : شعرها ، جمعه فروع . وحاكوا : فسجوا . والنقاب :

البرقع . ويريد بهذا البيت الذى قبله أن محبوبته ترجو كما يرجو اللص أن يشتد الظلام ويستتر البدر ، أو أن تجعل للبدر نقابا من غدائرها السود سترا لحبها عن أعين الرقباء .

فلما رَأَيْتُنِي مُشْرِقَ الْوَجْهِ مُقْبِلًا
تَنَادَتْ - وقد أَعْجَبَتْهَا - كَيْفَ قُتِبْتُمْ
فَقُلْتُ : سَلَى أَحْشَاءُهُمْ كَيْفَ رُوِعَتْ
فَقَالَتْ : أَخَافُ الْقَوْمَ وَالْحَقْدُ قَدْ بَرَى
فَلَا تَتَّخِذْ عِنْدَ الرَّوَّاحِ طَرِيقَهُمْ
فَقُلْتُ : دَعِيَ مَا يُخَذِّرِينَ فَأَتْنِي
فَمَا لْتَغْيِرَنِي وَمَا لَهَا أَهْوَى
أَهْمٌ كَمَا هَمَّتْ فَأَذْكُرُ أَتْنِي
كَذَلِكَ لَمْ أَذْكُرْكَ وَالْخَطْبُ يَلْتَقِي
أَمِيرَ الْقَوَافِي ! إِنْ لِي مُسْتَهَامَةٌ
أَعْرَنِي لِمَذْحِيكَ الْبِرَاعَ الَّذِي بِهِ
وَمُرٌّ كُلُّ مَعْنَى فَارِسِيٌّ بِطَاعَتِي

وَلَمْ تَتَّخِذْ عَنِ مَوْعِدِي خَشْيَةً الرَّدَى
وَلَمْ تَتَّخِذْ إِلَّا الطَّرِيقَ الْمُعْبَدًا^(١)
وَأَسْيَافَهُمْ هَلْ صَالَحَتْ مِنْهُمْ يَدًا
صُدُورَهُمْ أَنْ يَبْلُغُوا مِنْكَ مَقْصِدًا^(٢)
فَقَدْ يُقْنَصُ الْبَازِي وَإِنْ كَانَ أَصِيدًا^(٣)
أَصَاحِبُ قَلْبًا بَيْنَ جَنَبَيَّيْ^(٤) أَيْدَا^(٥)
فَحَدَّثْتُ نَفْسِي وَالضَّمِيرُ تَرَدَّدَا^(٦)
فَتَاكَ فَيَدْعُونِي هَذَاكَ إِلَى أَهْدَى^(٧)
بِهِ الْخَطْبُ إِلَّا كَانَ ذِكْرُكَ مُسْعِدًا^(٨)
بِمَدْحٍ وَمَنْ لِي فِيكَ أَنْ أَبْلُغَ الْمَدَى^(٩)
تَخَطُّ وَأَقْرَضْنِي الْقَرِيضَ الْمُسَدَّدَا^(١٠)
وَكُلَّ نَفُورٍ مِنْهُ أَنْ يَتَوَدَّدَا^(١١)

- (١) الطريق المعبد : المهدى المسلول .
(٢) يقنص : يصاد . والبازي : نوع من الصقور يتخذ للصيد . والأصيد (هنا) : الأقدر على الصيد الأعرف به .
(٣) يقنص (بتشديد الياء) : القوى الشديد .
(٤) ما لأها : ساعدها وشايعها .
(٥) يريد بهذا البيت والذي قبله أنها أثبتت لتغريه بنفسها وساعدها على ذلك هو أهاله . وهواه لها ، فهمت به وهم بها ، ثم ذكر هدى المذوح فاهتدى بهديه .
(٦) التقي الخطب بالخطب ، أى توافقت الخطوب على وتراكم بعضها على بعض .
(٧) مستهامة أى نفسا هائمة بمدحك .
(٨) البراع : القلم . والمسدد : الموفق للصواب .
(٩) يريد " بالمعنى الفارسي " : المعنى البديع ، وقد نسبته إلى فارس (وهم الفرس) لأنهم كانوا أهل ابداع وخيال في الشعر . والنفور : الشارد المنقطع على طأله .

وَهَبْنِي مِنْ أَنْوَارِ عِلْمِكَ لَمَعَةً عَلَى ضَوْئِهَا أُسْرِى وَأَقْفُو مَنْ أَهْتَدَى ^(١)
وَأَرْبُو عَلَى ذَاكَ الْفَخْوَورِ بِقَوْلِهِ : (إِذَا قُلْتُ شِعْرًا أَصْبَحَ الدَّهْرُ مُنْشَدًا) ^(٢)
سَلَبْتَ بِحَارِ الْأَرْضِ دُرَّ كُنُوزِهَا فَأَمَسْتُ بِحَارِ الشُّعْرِ لِلدَّرِّ مُورِدًا
وَصَيَّرْتَ مَثُورَ الْكَوَاكِبِ فِي الدُّجَى نَظِيمًا بِأَسْلَاكِ الْمَعَانِي مُنْضَدًا ^(٣)
وَجِئْتَ بِأَبْيَاتٍ مِنَ الشُّعْرِ فَصَلَّتْ إِذَا مَا تَلَوَّهَا أَلْقَى النَّاسُ سُبْحَدًا ^(٤)
إِذَا ذَكَّرُوا مِنْهُ النَّسِيبَ رَأَيْتَنَا وَدَاعَى الْهَوَى مِنْهَا أَقَامَ وَأَقْعَدًا ^(٥)
وَإِنْ ذَكَّرُوا مِنْهُ الْحِمَاسَ حَسِبْتَنَا نَرَى الصَّارِمَ الْمَخْضُوبَ خَدًّا مُورَدًا ^(٦)
وَلَوْ أَنَّنِي نَافَرْتُ دَهْرِي وَأَهْلَهُ بِفَخْرِكَ مَا أَبْقَيْتُ فِي النَّاسِ سَيِّدًا ^(٧)

تهنئة لسمو الخديو عباس الثانى ^(٨) بعيد الفطر

(١٣١٨ هـ - ١٩٠١ م)

مَطَالِعُ سَعْدٍ أَمْ مَطَالِعُ أَقْصَارٍ ؟ تَجَلَّتْ بِهَذَا الْعِيدِ أَمْ تِلْكَ أَشْعَارِي ؟
إِلَى سُدَّةِ (الْعَبَّاسِ) وَجَّهْتُ مَدْحِي بِتَهْنِئَةٍ شَوْقِيَّةٍ النَّسِجِ مِعْطَارٍ ^(٩)

(١) السرى : المشى بالليل . وأقفو : أتبع . (٢) يقال : ربا يربو ، إذا زاد . وأرى عليه
في الأمر : زاد عليه فيه . فلو عبر "بأربى" لكان أقوم . وذاك الفخور : يريد به أبا الطيب أحمد بن الحسين المتنى
الكوفى الشاعر الكبير المشهور ، وهو قائل الشطر الثانى من هذا البيت ، وصدده : "وما الدهر إلا من رواة فصائدى"
(٣) المنضد : المضموم بعضه إلى بعض . (٤) فصله تفصيلا : بينه . (٥) النسيب : التشبيب
بالمرأة وذكر محاسنها وأوصافها فى الشعر .

(٦) الحماس ، أى الشعر المقول فى الجاسة . والحماس (بفتح الحاء) : الشدة والمخاربة . والمخضوب ، المصبوغ
بالدم . يقول : إذا قال أبياناً فى الحماسة تعشقنا السيوف المخضبة بالدماء كما نتعشق الخلود الموردة .

(٧) المنافرة : المفارقة . أى لو فاخت الدهر والناس بمفارك الكثرة ما أبقيت فى الناس سيذا إلا سدة .

(٨) تولى الخديوية المصرية بعد وفاة أبيه توفيق باشا فى يوم ٨ يناير سنة ١٨٩٢ م - ٨ جمادى الآخرة سنة ١٣٠٩ هـ .
ثم خالعه انجلترا سنة ١٩١٤ م . عقب نشوب الحرب العظمى . (٩) السدة ، باب البيت ، أو ساحته .
والمراد هنا : حضرة الخديو . وشوقية النسج : نسبة إلى شوق الشاعر . والمعطار : الطيبة الرائحة .

مَلِيكَ أَبَاحَ الْعِيدُ لَمْ يَمِينِهِ
وَيَحْمِلُ عَنِّي لِلْعَزِيزِ تَحِيَّةً
(لال علي) رينة الملك وجهتي
أَحْنُ لَذَكْرَاهُمْ وَأَشْدُو بَمَدَحِهِمْ
وَأَنْشَدُ أَشْعَارِي وَإِنْ قَالَ حَاسِدِي
فَحَسْبِي مِنَ الْأَشْعَارِ بَيْتٌ أَزِينُهُ
كَذَا فَلْيَكُنْ مَدْحُ الْمُلُوكِ وَهَكَذَا
وَيَسْلُبُ أَصْدَافَ الْبَحَارِ بَنَاتِهَا
مَعَانٍ وَأَلْفَافُ كَمَا شَاءَ (أَحْمَدُ)
إِذَا نَظَرْتُ فِيهَا الْعُيُونُ حَسْبَتِهَا
أَمَّوَلَايَ هَذَا الْعِيدُ وَافَاكَ فَاحِبُهُ
وَيَمْنُهُ وَأَنْشُرُ مِنْ سَعُودِكَ فَوْقَهُ

وَيَالَيْتَ ذَاكَ الْعِيدَ يَبْسُطُ أَعْدَارِي^(١)
وَيَذْكُرُ شَيْئًا مِنْ حَدِيثِي وَأَخْبَارِي
وَإِنْ قِيلَ شَيْعِي فَقَدْ نَلْتُ أَوْطَارِي^(٢)
كَأَنِّي بِجَوْفِ اللَّيْلِ هَاتِفُ أَشْعَارِ^(٣)
نَعَمْ شَاعِرٌ لَكِنَّهُ غَيْرُ مَكَارِ
بَذِكْرِكَ يَا (عَبَّاسُ) فِي رَفْعِ مَقْدَارِي
يَسُوسُ الْقَوَافِي شَاعِرٌ غَيْرُ ثَرَارِ^(٤)
بِنَفْسِهِ سَحَرٍ أَوْ بِحُطْرَةِ أَفْكَارِ^(٥)
طَوْتُ جَزَلٍ (بَسَّارٍ) وَرِقَّةً مَهْيَارِ^(٦)
لِحُسْنِ أَنْسَجَامِ الْقَوْلِ كَالْجَدُولِ الْجَارِي^(٧)
بُحْلَةً إِقْبَالٍ وَيُمْنٍ وَإِثَارِ^(٨)
وَتَوَجَّهْ بِالْبُشْرَى وَهَرِهِ بِالسَّفَارِ^(٩)

- (١) يشير بالشطر الثاني إلى أنه لم يستطع الوصول إلى حضرته فيحظى بلم يمينه الذي قد أباحه العيد ، فهو يعتذر من تقصيره .
- (٢) آل علي ، أي آل محمد على جد الأميرة المالكة . والوجهة : التقصد . والشيعي ، نسبة إلى الشيعة ، وهم من يتولون علي بن أبي طالب وأهل بيته . وقد وري في هذا البيت بعلي وشيعته عن محمد علي وأشياعه . والأوطار : الحاجات .
- (٣) أشدو : أترنم . وهاتف الأشعار : الطائر المفرد في السحر .
- (٤) يسوس القوافي : يروضها ويذلها . والثرار : المتشدد الذي يكثر الكلام تكلفا .
- (٥) بنات الأصدا ف : اللا لى التى تكون فيها . والنفس : النفخ ، وأضافه إلى السحر ، لأن الساحر ينفث في العقد .
- (٦) الظاهر أنه يريد "بأحمد" : أبا الطيب أحمد بن الحسين المتنبي . ويقول إن لشعره من الجزالة والرقّة ما يفوق جزالة بشار ورقّة مهيار .
- (٧) الجدول : النهر الصغير .
- (٨) حباه يحبوه : أعطاه بلا جزاء ولا من . وآثره إثارا : خصه بالإكرام .
- (٩) يمينه ، أي أفض عليه من اليمن ، وهو البركة . والذي في القاموس وشرحه : "يمن عليه" بتعدية هذا الفعل بالحرف . والاسفار : الاضاعة والاشراق .

فلا زالت الأعيادُ تبغى سُعودَهَا لَدَى مَلِكٍ يَسْرَى عَلَى عَدْلِهِ السَّارَى ^(١)
ولا زِلْتَ فِي دَسْتِ الْجَلَالِ مُؤَيِّدًا وَلَا زَالَ هَذَا الْمُلْكُ فِي هَذِهِ الدَّارِ ^(٢)

*
* *

وقال أيضا يمدحه ويهنته بعيد جلوسه في ٨ يناير سنة ١٩٠١ م

مَاذَا أَدَّخَرْتَ لِهَذَا الْعِيدِ مِنْ أَدَبٍ فَقَدْ عَهَدْتُكَ رَبَّ السَّبْقِ وَالْغَلَبِ ^(٣)
تَشْدُو وَتُرْهِفُ بِالشَّعَارِ مُرْتَجِلًا ^(٤) وَتُبْرِزُ الْقَوْلَ بَيْنَ السَّحْرِ وَالْعَجَبِ ^(٥)
وَتَصْقِلُ اللَّفْظَ فِي عَيْنِي فَأَحْسِبَنِي ^(٥) أَرَى فِرْنْدَ سَيْوِفِ الْهِنْدِ فِي الْكُتُبِ ^(٥)
هَذَا هُوَ الْعِيدُ قَدْ لَاحَتْ مَطَالِعُهُ وَكُنَّا بَيْنَ مُشْتَاقٍ وَمُرْتَقِبِ
فَادْعُ الْبَيَانَ لِيَوْمٍ لَا تُطَاوِلُهُ يَدُ الْبَلَاغَةِ فِي الْأَشْعَارِ وَالْخُطْبِ ^(٦)
إِنِّي دَعَوْتُ الْقَوَافِي حِينَ أَشْرَقَ لِي عِيدُ الْأَمِيرِ فَلَبَّتْ غُرَّةَ الطَّلَبِ ^(٧)
وَأَقْبَلْتُ كَأَيَادِيهِ إِذَا أَلْسَجَمْتُ عَلَى الْوَرَى وَغَدَتْ مِنِّي عَلَى كَثَبِ ^(٨)
فَقُمْتُ اخْتَارُ مِنْهَا كُلَّ كَاسِيَةٍ تَاهَتْ بِنَضْرَتِهَا فِي ثَوْبِهَا الْقَشْبِ ^(٩)
وَحَارَ فِيهِ بَيَانِي حِينَ صَحْتُ بِهِ بِالْعَزِّ يَبْدَأُ أَمْ بِالْحَجْدِ وَالْحَسْبِ ؟
يَا مَنْ تَنَافَسَ فِي أَوْصَافِهِ كَلِمَى تَنَافَسَ الْعَرَبُ الْأَعْجَادُ فِي النَّسَبِ ^(١٠)

(١) يسرى على عدله السارى : أى أن عدله قد ظهر واشتهر حتى صار منارا يهتدى به .

(٢) الدست : صدر المجلس ، فارسى - معرب . (٣) فى هذا البيت وما بعده بوجه الشاعر الخطاب إلى نفسه .

(٤) تشدو : تترنم . وأرهف بالشعر : قاله على البديهة ولم يهتبه قبل إنشاده .

(٥) تصقل اللفظ : تجلوه وتكسبه رونقا وطلاوة . وفِرْنْدُ السيف : ماؤه الذى يجرى فيه ، معرب . يشبه الشعر فى بهجته وبهائه بالسيف فى لمعانه وروائه . (٦) لا تطاوله : لا تبلغ مدى وصفه .

(٧) غرة الطلب : أوله : يريد أن الشعر أجابه أول ما طلبه ولم يحوجه إلى تكرار الطلب .

الأيادى : المنن . وألْسَجَمْتُ : قوّلت وتناجعت . والكثب : القرب .

(٩) الكاسية : ذات الكسوة ، ويريد بها الألفاظ فى ثوب من الجمال . والنضرة : الحسن . والقشب : الجديد .

(١٠) تنافس : تنافس وتبارى .

لَمْ يُبَيِّتِ (أحمد) مِنْ قَوْرِ أَحَاوِلُهُ
فَلَسْتُ مِمَّنْ سَمَتْ بِالشُّعْرِ هَمَّتْهُمْ
لَكِنْ عَيْدَكَ يَا (عَبَّاسُ) أَنْطَقَنِي
عِيدَ أَبْجُلُوسٍ ، لَقَدْ ذَكَرْتَ أُمَّتَهُ
أَيْمَنُ أَوَّلُهُ وَالسَّعْدُ آخِرُهُ
فَالْعَرْشُ فِي فَرْجٍ ، وَالْمُلْكُ فِي سَرَجٍ
وَالْمُلْكُ فَوْقَ سَرِيرِ الْمُلْكِ تَحْرُسُهُ
الْحِلْمُ حَلِيَّتُهُ ، وَالْعَدْلُ قِبَلَتُهُ ،
مَشِيئَةُ اللَّهِ فِي (الْعَبَّاسِ) قَدْ سَبَقَتْ
فَهُوَ ابْنُ أَكْرَمٍ مَنْ سَادُوا وَمَنْ مَلَكُوا
يَأْمَنُ تَوَهُّمَ أَنَّ الشُّعْرَ أَعْدَبُهُ
عَذَبُ الْقَرِيضِ قَرِيضُ بَاتٍ يَعِصِمُهُ

فِي مَدْحِ ذَاتِكَ فَأَعِزَّنِي وَلَا تَعِبْ^(١)
إِلَى الْمُلُوكِ وَلَا ذَكَ الْفَتَى الْعَرَبِي
كَالْبَذْرِ أَطْلَقَ صَوْتَ الْبُلْبُلِ الطَّرِبِ^(٢)
يَوْمًا تَأَبَّهُ فِي الْأَيَّامِ وَالْحَقْبِ^(٣)
وَبَيْنَ ذَلِكَ صَفُو الْعَيْشِ لَمْ يُشَبْ^(٤)
وَأَسْلَقَ فِي مَنَاجِ ، وَاللَّهْرُ فِي رَهَبِ^(٥)
عَيْنِ الْإِلَهِ وَتَرَعَى أَعْيُنُ الشُّهْبِ^(٦)
وَالسَّعْدُ لَمَحَتْهُ كَشَافَةُ الْكُرْبِ^(٧)
إِلَى الْجُدُودِ وَمَنْ يَأْتِي عَلَى الْعَقَبِ^(٨)
وَهُوَ الْأَبُّ الْمُفْتَدَى لِلْسَّادَةِ النَّجَبِ
فِي الذَّوْقِ أَكْذَبُهُ ، أَزْرَيْتَ بِالْأَدَبِ^(٩)
ذَكَرُ (ابْنِ تَوْفِيْقٍ) عَنْ لَعُوٍّ وَعَنْ كَذَبِ^(١٠)

(١) يريد "بأحمد" : (أحمد شوقي بك) ، وكان "شاعر الأمير" ، إذ ذاك . ولقب بهذا اللقب ، وقال مفتخرًا به :

شاعر الأمير وما بالقليل ذا اللقب

(٢) يشير بالسطر الثاني من هذا البيت إلى ما يقال من أن البلبل أكثر ما ينطلق صوته بالغناء في الليالي المقمرة . وقد شبه الشاعر عيد الجلولس في إطلاقه ألسنة الشعراء بالغناء ، بالبدوي في إطلاقه أصوات البلابل بالغناء .

(٣) تأبى : من الأبى ، وهي العظمة والبهجة . ويريد بهذا اليوم يوم تولية الخديو عباس الثاني ، وهو اليوم الثامن من شهر يناير سنة ١٨٩٢ م ، الموافق اليوم الثامن من جمادى الآخرة سنة ١٣٠٩ هـ . والحقب : السنون ، جمع حقبه (بالكسر) . (٤) لم يشب : لم يمزج بما يكدره . (٥) المرح : شدة الفرح . والرهب : الخوف .

(٦) الملك (بسكون اللام) : لغة في الملك (بكسرهما) . وترعى أعين الشهب : أى تحرسه الكواكب .

(٧) اللاحه : واحدة الملاح ، وهذا من النوادر . يريد أن السعد يبدو في طلعه وملاح وجهه . ويصح أن يراد "بالاحه" : النظرة ، أى أنه يسعد من يلمحه . (٨) يريد أن الله تولى أمرة العباس بالرعاية في الآباء والأبناء .

(٩) أزرى بالأدب : تهاون به . يفند في هذا البيت العبارة المسأورة : "أعذب الشعر أ كذبه" .

(١٠) توفيق : هو محمد توفيق باشا ، بكر أنشال إسماعيل باشا ، تولى خديوية مصر سنة ١٨٧٩ م . وتوفى سنة ١٨٩٢ م .

تخلفه ابنه عباس .

تهنئة الأمير محمد عبد المنعم

وكان وليا لعهد أبيه الخديو عباس ، قالها في ذكرى مولده لأول العام الثالث من عمره

[نشرت في ٣٠ يناير سنة ١٩٠١ م]

في عيد مولانا الصَّغِيرِ برِّ وعيد مولانا الكَبِيرِ
إشراقُ عيدِ الفِطْرِ والـ لأُضْحَى على عَرشِ الأمير^(١)

تهنئة السلطان عبد الحميد^(٢) بعيد جلوسه

[نشرت في ٢ سبتمبر سنة ١٩٠١ م]

لَمَحْتُ جَلَالَ الْعِيدِ وَالْقَوْمِ هَيْبُ فَعَلَّمَنِي آيَ الْعَلَا كَيْفَ تُكْتَبُ
وَمَثَلَ لِي عَرْشُ الْخِلَافَةِ خَاطِرِي فَأَرْهَبَ قَلْبِي ، وَأَجْلَالَةُ تَرْهَبُ
سَلُّوا الْفَلَكَ الدَّوَّارَ هَلْ لَاحَ كَوْكَبُ عَلَى مِثْلِ هَذَا الْعَرْشِ أَوْرَاحَ كَوْكَبُ؟
وَهَلْ أَشْرَقَتْ شَمْسٌ عَلَى مِثْلِ سَاحَةِ إِلَى ذَلِكَ الْبَيْتِ (الْحَمِيدِي) تُنْسَبُ؟^(٣)
وَهَلْ قَرَّ فِي بَرْجِ السُّعُودِ مُتَوَجُّ كَمَا قَرَّ فِي (يَلْدِيز) ذَاكَ الْمُعَصَّبُ؟^(٤)
تَجَلَّى عَلَى عَرْشِ الْجَلَالِ وَتَاجُهُ يَهْشُ وَأَعْوَادُ السَّرِيرِ تُرَحَّبُ^(٥)

(١) شبه العبدین السابقین فی البیت الأول ، بعيد الفطر وعید الأضحی ، لما اشتهر من وصف الأول بالصغير والثاني بالكبير . (٢) ولد السلطان عبد الحميد في ٢١ سبتمبر سنة ١٨٤٢ م وولى الملك في أغسطس سنة ١٨٧٦ م .

وخلع في ٢٧ أبريل سنة ١٩٠٩ م . وتوفي في ١٠ فبراير سنة ١٩١٨ م .

(٣) الحميدى : نسبة إلى السلطان عبد الحميد . (٤) يلدیز : كان قصر الخلافة بالآستانة . والمعصب :

المتوج ، وذلك لأن التاج يحيط بالرأس كالعصابة ، قال عمرو بن كلثوم :

بكل معصب من آل سعد بتاج الملك يحى المحجربينا

(٥) تجلى : ظهر . ويهش : يرتاح .

- سَمَا فَوْقَهُ وَالشَّرْقُ جَذْلَانُ شَيْقُ (١)
 لَطَلَعَتْهُ وَالْغَرْبُ خَذْلَانُ يَرْقُبُ (١)
 فَقَامَ بِأَمْرِ اللَّهِ حَتَّى تَرَعَرَعَتْ (٢)
 بِهِ دَوْحَةُ الْإِسْلَامِ وَالشُّرْكُ مُجْدِبُ (٢)
 وَقَرَّبَ بَيْنَ الْمَسْجِدَيْنِ تَقَرُّبًا (٣)
 إِلَى الْمَلِكِ الْأَعْلَى فَنِعَمَ الْمُقَرَّبُ (٣)
 وَكَمْ حَاوَلُوا فِي الْأَرْضِ إطفَاءَ نُورِهِ
 وَإطفَاءَ نُورِ الشَّمْسِ مِنْ ذَلِكَ أَقْرَبُ
 فَرَأَعَهُمْ مِنْهُ بِجَيْشٍ مُدَجَّجٍ (٤)
 لَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْحَقِّ مَذْهَبُ (٤)
 يُدَانِي شُخُوصَ الْمَوْتِ حَتَّى كَأَنَّمَا
 لَهُ بَيْنَ أَظْفَارِ الْمَنِيَّةِ مَطْلَبُ
 إِذَا ثَارَ فِي يَوْمِ الْوَعَى مَالٌ مِنْكَ (٥)
 مِنْ الْأَرْضِ وَالْأَطْوَادِ وَأَنهَالٍ مِنْكَ (٥)
 لَهُ مِنْ رُعُوسِ الشَّمِّ فِي الْبَرِّ مَرْكَبُ (٦)
 وَمِنْ ثَائِرِ الْأَمْوَاجِ فِي الْبَحْرِ مَرْكَبُ (٦)
 فَدَى لَكَ يَا (عَبْدَ الْحَمِيدِ) عَصَابَةُ (٧)
 عَصَتْ أَمْرَ بَارِيهَا وَحَزْبُ مَذْبَذْبُ (٧)
 مَلَكْتَ عَلَيْهِمْ كُلَّ فَجٍّ وَجَلَّةٍ
 فَلَيْسَ لَهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ مَهْرَبُ
 تَقَاذِفُهُمْ أَيْدَى اللَّيَالِي كَأَنَّهُمْ (٨)
 بِهَا مَثَلٌ لِلنَّاسِ فِي الْقَوْمِ يُضْرَبُ (٨)

(١) جذلان : من الجذل (بالتحريك) ، وهو الفرج . والشيق : المشتاق . ويريد بالجذلان : المحذول . ولم نجد هذه الصيغة بهذا المعنى فيما راجعناه من مدونات اللغة ، وإنما ذكرها الشاعر موافقة لقوله في الشطر الأول : ” جذلان “ .

(٢) الدوحة : الشجرة العظيمة المتسعة الظل .

(٣) يريد ” بالمسجدين “ (هنا) : بيت المقدس ومسجد المدينة ، ويشير بذلك إلى انخط الحديدى الجحازى من دمشق إلى المدينة ، وقد بدأ العمل فيه فى مايو سنة ١٩٠٠ م . واحتفل بالفراغ منه وافتتاحه سنة ١٩٠٨ م .

(٤) راعهم : أفرعهم . والمدجج : المسلح .

(٥) الوعى : الحرب لما فيها من الأصوات والجلبة . ومنكب من الأرض : أى ناحية منها . والأطواد : الجبال العظيمة ، الواحد طود (فتح الطاء) . والمعنى أن الأرض تميم هذا الجيش لكثرة وعدته .

(٦) الشم : الجبال العالية ، واحداها : أشم .

(٧) يشير إلى حزب تركيا الفتاة الذى كان يعارض السلطان عبد الحميد فى سياسته .

(٨) تقاذفهم ، أى تقاذفهم . وقد شبههم فى البلاد بالأمثال السائرة بين الناس من لسان إلى لسان .

وَكَمْ سَأَلُوهَا لَتَمَّ أَذْيَالُكَ الَّتِي لَهَا فَوْقَ أَجْرَامِ السَّمَوَاتِ مَسْحَبٌ^(١)
فَمَا بَلَغُوا سُؤْلًا وَلَا بَلَغُوا مَنِي كَذَلِكَ يَتَشَقَّى الْحَائِرُ الْمُتَقَلِّبُ
فِي صَاحِبِ الْعِيدَيْنِ لَا زِلْتَ سَالِمًا يَهْنِكُ بِالْعِيدَيْنِ شَرْقٌ وَمَغْرِبٌ^(٢)
فَفِي كُلِّ رَوْضٍ مِنْكَ طَيْبٌ وَنَضْرَةٌ وَفِي كُلِّ أَرْضٍ مِنْكَ عِيدٌ وَمَوْكَبٌ
أَرَى مَضَرَ وَالْأَنْوَارَ : مِنْهَا مُورِدٌ ، وَمِنْهَا بُلْبُلِيٌّ ، وَمِنْهَا مَذْهَبٌ^(٣)
وَأَشْكَأُ شَتَّى فَهَذَا مُنْظَمٌ وَذَلِكَ مَثُورٌ وَذَلِكَ مُقَبَّبٌ^(٤)
وَبَعْضٌ تَجَلَّى فِي مَصَابِيحِ زَيْتِهَا يُضِيءُ وَلَا نَارٌ وَبَعْضٌ مُكْهَرَبٌ^(٥)
وَأَنْظُرُ فِي بُسْتَانِهَا النَّجْمَ مُشْرِقًا فَهَلْ أَنْتَ يَا بُسْتَانُ أَفْقٌ مُكْوَكَبٌ^(٦)
وَأَسْمَعُ فِي الدُّنْيَا دُعَاءَ بَنَصْرِهِ يَرُدُّهُ الْبَيْتُ الْعَتِيقُ وَيَثْرِبُ^(٧)

تهنئة جلالة ادوارد السابع بتتويجه^(٨)

[نشرت في ٩ أغسطس سنة ١٩٠٢ م]

لَحَّتْ مِنْ مَضَرَ ذَاكَ التَّاجِ وَالْقَمَرَا فَقَطَّتْ لِلشَّعْرِ هَذَا يَوْمٌ مِنْ شَعْرَا^(٩)
يَا دَوْلَةً فَوْقَ أَعْلَامٍ لَهَا أَسَدٌ تَحْشَى بَوَادِرَ الدُّنْيَا إِذَا زَارَا^(١٠)

(١) سألوها : أى سألوا الليالى . وأجرام السموات : أفلاكها . والمسحب : المكان الذى تنسحب عليه الأذيال .

(٢) يريد " بالعيدين " : عيد جلوس السلطان وعيد تأسيس الدولة العثمانية .

(٣) اللبني : نسبة إلى اللبن ، وهو الفضة . (٤) المقبب : المصنوع على أشكال القباب .

(٥) يريد بقوله : " يضيء ، ولا نار " : أن هذا الزيت صاف براق . (٦) المكوكب : ذو الكواكب

(٧) البيت العتيق : الكعبة . ويثرب : اسم قديم لمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٨) ولد ادوارد السابع في سنة ١٨٤١ م . وولى الملك في يناير سنة ١٩٠١ م . وتوفي في سنة ١٩١٠ م .

(٩) يريد " بالقدر " : صاحب التاج . وشعر : أى قال الشعر .

(١٠) الأسد : شعار الدولة الانجليزية ، كما جعل النسر شعار الدولة الألمانية ، والخلل شعار الدولة العثمانية ، وغير ذلك . والبوادر : جمع بادرة ، وهى ما يندر من الشر ، أى يسبق منه عند الحدة والغضب .

بالأمس كانت عليك الشمس ضاحيةً واليوم فوق ذراك البدر قد سَفَرًا^(١)
يؤول عرشك من شمس إلى قمرٍ إن غابت الشمس أولت تاجها القمرًا^(٢)
من ذا يُناويك والأقدارُ جاريةٌ بما تشائين ، والدنيا لمن قهرا^(٣)
إذا ابتسمت لنا فالدهرُ مبتمٍ وإن كشرت لنا عن نابه كَشَرًا^(٤)
لا تعجبَنَّ لملكٍ عرَّ جانبَه لولا التعاونُ لم تنظُرْ له أثرًا
ما ثلَّ ربك عرشًا بات يحرسه عدلٌ ، ولا مدَّ في سلطانٍ من غدرا^(٥)
خبرتهم فرأيتُ القومَ قد سهرُوا على مرافقهم والملكُ قد سهرًا^(٦)
تشاورُوا في أمورِ الملكِ من ملكٍ الى وزيرٍ الى من يغرسُ الشجرًا^(٧)
وكان فارسهم في الحربِ صاعقةً وذو السياسةِ منهم طائرًا حذرًا
بالبرِّ صافنةٌ ، داست سنابكها مناجمَ التبرِّ لما عافت المدرا^(٨)
وفي البحارِ أساطيلٌ إذا غضبت ترى (البراكين) فيها تقذفُ الشررا^(٩)

- (١) يريد "بالشمس" : الملكة فكنوز يا ملكة الانجيز . والذرا ، جمع ذروة ، وهى ما ارتفع من المواضع .
ويريد "بالبدر" : ابنها ادوارد السابع . وسفر : ظهر وانكشف .
(٢) أولت : أعطت . (٣) المناوأة : المعادة والمعارضة .
(٤) كشر عن نابه : كشف عنه وأبداه ، وهو مستعمل هنا فى معنى التئمر والغضب .
(٥) ثل الله عرشهم : أى هدم ملكهم وأذهب عزهم .
(٦) المرافق : المنافع والمصالح . والملك (بتسكين اللام) : لغة فى الملك (بكسرها) .
(٧) من يغرس الشجر : أى الفلاح .
(٨) الصافنة : الخيل . والشافن منها : ما قام على ثلاث قوائم وطرف حافر الرابعة ، وهو من الصفات الحمودة فيها . والسنابك : أطراف الخوافر ، الواحد : سنبك (بضم السين والباء) . والمدر : التراب المتلبد . يريد أن جيوشهم ملكت من الأرض أغناها وأكثرها ثروة حتى إن شعوبهم يدوس ما تضمينت الأرض من ذهب ، لكثرة ما فى أيديهم من الأماكن الثنية ، وكهنت أن تدوس التراب .
(٩) شبه سفنهم فى الحرب (براكين) النار .

وَهُنَّ فِي السَّلَامِ وَالْأَيَّامِ بِاسْمَةٍ
 حَتَّى إِذَا تَشَبَّتْ حَرْبٌ رَأَيْتَ بِهَا
 الْيَوْمَ يُشْرِقُ "إِدْوَارٌ" عَلَى أُمَمٍ
 لَوْ أَمْطَرَ الْغَيْثُ أَرْضًا تَسْتَظِلُّ بِهِمْ
 الْيَوْمَ يَلْبِسُهُمْ تَاجُ الْعِزِّ مُحْتَشِمًا
 يُصَرِّفُ الْأَمْرَ مِنْ مِصْرِ إِلَى عَدَنٍ
 قَدْ سَالَمَتْهُ اللَّيَالِي حِينَ أَعْجَزَهَا
 (إِدْوَارٌ) دُمْتَ وَدَامَ الْمُلْكُ فِي رَغَدٍ
 حَقَنْتَ بِالْصُّلْحِ وَالرَّأْيِ السَّيِّدِ دَمًا
 هُمْ يَذْكُرُونَكَ إِنْ عَدُّوا عُدُولَهُمْ
 كَأَنَّمَا أَنْتَ تَجْرِي فِي طَرِيقَتِهِ
 عَرَائِسُ ، يَكْتَسِينِ الدَّلَّ وَالْخَفَرَ^(١)
 أَغْوَالٌ قَفَرٌ وَلَكِنْ تَنْهَشُ الْحَجَرَ^(٢)
 كَأَنَّهَا الْبَحْرُ بِالْأَذَى قَدْ زَحَرَ^(٣)
 عَدَتْ رَعْوَسُهُمْ عَنْ وَجْهِهَا الْمَطَرَا^(٤)
 رَأْسًا يَدْبُرُ مَلَكًا يَكْلَأُ الْبَشْرَا^(٥)
 فَالْهِنْدِ فَالْكَابِ حَتَّى يَعْبُرَ الْجُزْرَا^(٦)
 عَقْدٌ لِمَا حَلَّ أَوْ تَقْوِيمٌ مَا أَطْرَا^(٧)
 وَدَامَ جُنْدُكَ فِي الْإِفَاقِ مُتَّصِرَا
 رَوَى الشُّعَابَ وَرَوَى الصَّارِمَ الذِّكْرَا^(٨)
 وَنَحْنُ نَذْكُرُكَ إِنْ عَدُّوا لَنَا (عُمَرَا)
 عَدْلًا وَحِلْمًا وَإِقَاعًا بَيْنَ أَشْرَا^(٩)

- (١) الخفر (بالتحريك): شدة الحياء . (٢) الأغوال: جمع غول، شبه بها ما ترميه السفن من القذائف .
 (٣) آذى البحر: موجه، وجمعه: أواذى (تشديد الياء) . شبه به الأمم التي تحت سلطان التاج البريطاني في كثرتها .
 (٤) "عدت رعووسهم" الخ: أى صرفت رعووسهم المطر عن وجه الأرض . يصفهم بكثرة العدد، حتى لأنهم لكثرتهم يحجبون وجه الأرض برعووسهم فلا يمسها المطر .
 (٥) محتشما: أى مستحيا . ويكلاً: يحفظ ويحرس . (٦) يصرف الأمر: يدبره ويقلبه كما يشاء .
 (٧) أطره: عوجه وثناه . والمعنى أن الدهر قد صالحه وسالاه حين لم يقدر على مناوئته ومعارضته فيما أراد .
 (٨) يقال: حقن فلان دم فلان، إذا حل به القتل فأنتقه . ويريد "الشعاب": الطرق، الواحد: شعب (بكسر الشين)، وهو في الأصل: الطريق في الجبل . والصارم الذكر: السيف الذي شفرته من الحديد الذكر، ومنته من الحديد الأنثى . والحديد الذكر: هو أيلس الحديد وأجوده . ويشير بهذا البيت إلى الصلح في الحرب التي كانت بين البوير والانجليز، وقد ابتدأت في سنة ١٨٩٩ م . وانتهت في سنة ١٩٠٢ م . وهى السنة التي قال فيها الشاعر قصيدته في تنويع إدارد السابع .
 (٩) أشراشر (من باب فرح يفرح): بطر، يريد العاصي المتمرد .

إلى الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده^(١)

[قالها في سفره إلى بعض بلاد الوجه البحرى وكان مصاحباً له في هذا السفر]

صَدَفْتُ عَنِ الْأَهْوَاءِ، وَالْحُرِّ يَصْدِفُ وَأَنْصَفْتُ مِنْ نَفْسِي، وَذُو اللَّبِّ يَنْصَفُ^(٢)
 صَحَبْتُ الْهَلْدَى عَشْرِينَ يَوْمًا وَلَيْلَةً فَقَرَّ يَقِينِي بَعْدَ مَا كَانَ يَرْجِفُ^(٣)
 فُرِحْتُ وَفِي نَفْسِي مِنَ الْيَأْسِ صَارِمٌ وَعُدْتُ وَفِي صَدْرِي مِنَ الْحِلْمِ مُصْحَفٌ
 وَكُنْتُ كَمَا كَانَ (أَبْنُ عُمَرَ) نَاشِئًا وَكَانَ كَمَنْ فِي (سُورَةِ الْكَهْفِ) يُوصَفُ^(٤)
 كَأَنَّ فَوَادِي إِبْرَةَ قَدْ تَمَغَّطَتْ بِحُبِّكَ أَلَّنِي حُرْفَتُ عَنْكَ تَعَطَّفُ^(٥)
 كَأَنَّ يَرَاعِي فِي مَدِيحِكَ سَاجِدٌ مَدَامَعُهُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ تَذَرِفُ^(٦)
 كَأَنَّكَ وَالْآمَالُ حَوْلَكَ حُومٌ نَمِيرٌ عَلَى عِطْفِيهِ طَيْرٌ تُرْفَرُ^(٧)
 وَأَزْهَرَ فِي طَرَسِي يَرَاعِي وَأَنْمُلِي وَلَفْظِي فَبَاتَ الطَّرْسُ يَجْنِي وَيَقْطَفُ^(٨)

(١) أنظر التعريف بالأستاذ الإمام في الحاشية رقم ٥ ص ٢ من هذا الجزء .

(٢) صدفت : أعرضت وصددت .

(٣) يرجف : يضطرب . ويشير بهذا البيت إلى قصة إسعافها منه وهي أن حافظاً كان يظن بالأستاذ الإمام أنه شاك في عقيدته الدينية غير قائم بالشعائر الإسلامية من صلاة وصوم ونحوهما فلما صحبه في هذا السفر واتصل به تلك المدة المذكورة كان يراه في الليل يكثر الصلاة والتضرع لله تعالى إيماناً في كتابان ذلك عن حوله ؛ فأحسن الشاعر اعتقاده بالأستاذ الإمام وأيقن أنه كان على خطأ في ظنه الأول به ؛ ثم اهتدى بهديه وبذل شكه يقيناً .

(٤) يشير إلى قصة نبي الله موسى الكليم مع الخضر عليهما السلام ، وإثكار موسى على الخضر في الأسئلة ؛ وقد ذكر الله تعالى ذلك في سورة الكهف .

(٥) تعطف : ترجع .

(٦) تذرِف : تسيل .

(٧) الحوم من الطيور : التي تدور حول الماء . الواحد : حاتم . والنمير : الماء الناجع في الرى . والعطفان :

الجانبان . (٨) أزهر : أخرج الزهر . والطرس : الصحيفة التي يكتب فيها .

وَجَمَعَ مِنْ أَنْوَارِ مَدْحِكَ طَاقَةً يُطَالِعُهَا طَرْفُ الرَّبِيعِ فَيُطَرْفُ^(١)
 تَهَادَى بِهَا الْأَرْوَاحُ فِي كُلِّ سَحْرَةٍ وَتَمَشَى عَلَى وَجْهِ الرِّيَاضِ فَتَعْرِفُ^(٢)
 إِمَامَ الْهُدَى ! إِنِّي أَرَى الْقَوْمَ أَبْدَعُوا لَهِمْ بَدْعًا عَنْهَا الشَّرِيعَةُ تَعْرِفُ^(٣)
 رَأَوْا فِي قُبُورِ الْمَيِّتِينَ حَيَاتَهُمْ فَقَامُوا إِلَى تِلْكَ الْقُبُورِ وَطُوفُوا
 وَبَاتُوا عَلَيْهَا جَائِعِينَ كَأَنَّهُمْ "عَلَى صَنِمٍ لِلْجَاهِلِيَّةِ عَكْفُ"^(٤)
 فَأَشْرَقَ عَلَى تِلْكَ النُّفُوسِ لَعَالَهَا تَرَقُّ إِذَا أَشْرَفَتْ فِيهَا وَتَلَطَّفُ
 فَأَنْتَ بِهِمْ كَالشَّمْسِ بِالْبَحْرِ ، إِنَّهَا تَرْدُّ الْأَجَاجَ الْمِلْحَ عَذْبًا فَيُرْشَفُ^(٥)
 كَثِيرُ الْأَيَادِي ، حَاضِرُ الصَّفْحِ مُنْصَفٍ كَثِيرُ الْأَعَادِي ، غَائِبُ الْحَقْدِ مُسْعَفُ^(٦)
 لَهُ كُلُّ يَوْمٍ فِي رَضَى اللَّهِ مَوْقِفٌ وَفِي سَاحَةِ الْإِحْسَانِ وَالْبِرِّ مَوْقِفُ

(١) الأنوار : جمع نور (يفتح النون) ، وهو الزهر . والطاقة : الخزمة من الزهر . ويطالعها طرف الربيع : أى ينظر إليها عينه . فيطرف : أى يصاب بما يؤذيه ؛ يقال : طرف فلان عين فلان ، إذا أصابها بشئ . فدمعت ؛ وقد طرفت عينه (منبأ للجوهول) فهى مطروقة . يريد أن مدحه للاستاذ الإمام يفوق أزهار الربيع حسنا ، فإذا نظر إليه الربيع ارتد طرفه عنه حسيرا .

(٢) تهادى : أى تهادى . والتهادى : المشى فى لين وثقل ؛ ويجوز أن يكون التهادى (هنا) من الإهداء ، أى أن الرياح تحمل طيب هذه الطاقة فيهدى بعضها بعضا به . والسحرة : أول وقت السحر . وتعريف (بضم الراء) ، أى تصير ذات عرف (يفتح العين وسكون الراء) ، أى راحة طيبة ؛ أى أن الرياح تمر على الرياض ، حاملة طيب هذه الطاقة فتعطر الرياض به . (٣) أبدعو : أجدثوا . وتعزف (بضم الزاى وكسر ها) : تنصرف وتعرض .

(٤) جائمون : ملازمون لها لم يبرحوها ؛ وفعله من باب (نصر وضرب) . وقوله : «على صنم» الخ : عجز بيت من قصيدة للفرزدق ، وقيله :

لقد علم الجيران أن قدورنا جوامع للأرزاق والريح زلزل
 ترى حولهن المفسرين كأنهم على صنم الخ

والعكف : العاكفون ، من عكف على الشئ ، إذا لزمه وحبس نفسه عليه .

(٥) بهم : أى فيهم . ويشير إلى ما هو معروف من تفرغ ماء البحر بحرارة الشمس وصيرورة هذا البخار سخا ، ثم مطرا . والأجاج من الماء : الشديد الملوحة . ويرشف ، أى يشرب . وأصل الرشف : مص الماء بالشفنتين .

(٦) الأيادى : النعم . وغائب الحقد : لا يتحقق على أحد .

تَحَلَّى (جَمَالَ الدِّينِ) فِي نُورٍ وَجْهِهِ وَأَشْرَقَ فِي أَتْنَاءِ بُرْدِيهِ (أَحْنَفُ)
رَأَيْتُكَ فِي الْإِفْتَاءِ لَا تُغْضِبُ الْحِجَا كَأَنَّكَ فِي الْإِفْتَاءِ وَالْعِلْمِ (يُوسُفُ)^(٢)
فَأَنْتَ لَهَا إِنْ قَامَ فِي الشَّرْقِ مُرْجِفُ وَأَنْتَ لَهَا إِنْ قَامَ فِي الْغَرْبِ مُرْجِفُ^(٣)
كَكُمَلْتَ كَمَا لَا لَوْ تَنَاوَلَ كُفْرَهُ لِأَصْبَحَ إِيمَانًا بِهِ يُخَنَّفُ^(٤)

*
* *

وقال يهنته بعودته من سياحته في بلاد الجزائر :

[نشرت في ٦ أكتوبر ١٩٠٣ م]

بَكْرًا صَاحِبِي يَوْمَ الْإِيَابِ وَقَفَا بِي (بَعَيْنِ شَمْسٍ) قَفَا بِي
إِنِّي - وَالَّذِي يَرَى مَا بِنَفْسِي - لَمَشُوقٌ لِظِلِّ تِلْكَ الرَّحَابِ^(٥)
يَا أَمِينًا عَلَى الْحَقِيقَةِ وَالْإِفْ تَاءِ وَالشَّرْعِ وَالْهُدَى وَالْكَتَابِ
أَنْتَ نِعَمَ الْإِمَامُ فِي مَوْطِنِ الرَّأْيِ وَنِعَمَ الْإِمَامُ فِي الْمَحْرَابِ

(١) يشير إلى أستاذ المدوح الشيخ جمال الدين الأفغاني العالم الفيلسوف المعروف ، ورد مصر في زمن إسماعيل باشا ، وتلقى عليه العلم أذكاء الطلاب بالأزهر ، ومنهم الأستاذ المدوح ، فكانوا دعاة النهضة الحديثة وهدايتها . ويريد بالأحنف : الأحنف بن قيس التميمي ، وكان من سادات التابعين ، مشهورا بالحلم ، وأسلم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ولم يصحبه ، وشهد بعض الفتوحات ، ونوفى حوالى سنة سبع وستين .

(٢) الحجا : العقل . يريد أن الأستاذ الإمام وفق بين الدين والعقل في فتاويه . ويوسف ، هونى الله يوسف الصديق عليه السلام ، ويشير إلى قوله تعالى في سورة يوسف : (ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما) الآية .

(٣) لها : أى لمة الإسلام . والمرجف : الذي يخوض في الأخبار السيئة على أن يوقع في الناس الانطراب من غير أن يصح منه شيء منها .

(٤) يخنف به يتعبد به : يشير إلى ما هو مأثور في كلام الفرس من قولهم : كل شيء يتناوله العليل يتحول إلى علة ، وكذلك العكس ، فكل شيء يتناوله الصحيح يتحول إلى صحة ، والكامل لو تناول الكفر سار إيمانا . وكان الأستاذ الإمام كثيرا ما يردد هذه العبارة . ويريد الشاعر أن كمال الأستاذ الإمام لو تناول كفر هذا المرجف لصيره إيمانا .

(٥) الذى يرى ما بنفسه هو الله تعالى .

خَشَعَ الْبَحْرُ إِذْ رَكِبْتَ جَوَارِيهِ بِهِ خُشُوعَ الْقُلُوبِ يَوْمَ الْحِسَابِ ^(١)
 وَبَدَأَ مَائُهُ نَحْوَ طَرِكِ الْمَضَى قَوْلٌ ، أَوْ كَالْفَرْنِدِ أَوْ كَالسَّرَابِ ^(٢)
 يَجْجَلِي كَأَنَّهُ صُحُفُ الْأَبَدِ رَارٍ مَنَشُورَةٌ بَيَوْمِ الْمَتَابِ ^(٣)
 عَلِمْتُ مَنْ تَهَلَّلَ فَأَنْبَعَثَتْ لَهُ قَصْدٌ مِثْلَ أَنْبَعَاثِهِ لِلثَّوَابِ ^(٤)
 فَهِيَ تَسْرِي كَأَنَّهَا دَعْوَةُ الْمَضَى طَرٌّ فِي مَسْبَجِ الدَّعَاءِ الْجُبَابِ ^(٥)
 وَضِيَاءُ (الإمام) يُوضِحُ لِلرَّبِّ بَانَ سُبُلَ النَّجَاةِ فَوْقَ الْعُبَابِ ^(٦)
 بَاتَ يُغْنِيهِ عَنْ مُكَالَفَةِ الْبَحْرِ رِ وَرُقْبَى النُّجُومِ وَالْأَقْطَابِ ^(٧)
 وَسَرَى الْبَرْقُ لِلْجَزَائِرِ بِالْبُشَى رَى بِقُرْبِ الْمُطَهَّرِ الْأَوَابِ ^(٨)
 فَسَعَى أَهْلُهَا إِلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ رِ وَفُودًا بِالْبُشْرِ وَالتَّرْحَابِ
 أَدْرَكُوا قَدَرَ ضَيْفِهِمْ ، فَأَقَامُوا يَرْقُبُونَ (الإمام) فَوْقَ السَّحَابِ ^(٩)
 لَيْتَ مَضْرًا كَغَيْرِهَا تَعْرِفُ الْفَضْ لَ لِذِي الْفَضْلِ مِنْ ذَوَى الْأَلْبَابِ
 إِنَّهَا لَوْ دَرَّتْ مَكَانَكَ فِي الْحَجِّ دِ وَمَرْمَاكَ فِي صُدُورِ الصُّعَابِ
 وَتَفَانِيكَ فِي سَبِيلِ (أبي حفص) صِ وَمَسْعَاكَ عِنْدَ دَفْعِ الْمُصَابِ ^(١٠)

(١) الجوارى : السفن .

(٢) المصقول : المجلج . وفريد السيف : مائه الذي يترقق فيه ؛ وهو فارسي معرب . والسراب : ما يرى على البعد في نهاية الأفق كأنه الماء وليس به . شبه الشاعر به ماء البحر في الصفاء .

(٣) المتاب : المرجع . ويوم المتاب : أى يوم القيامة . شبه ماء البحر بصحف الأبرار في النضوع والنقاء .

(٤) علمت : أى السفينة . وتقل : تحمل . (٥) مسبح الدعاء : أى طريقته .

(٦) عباب البحر : موجه . (٧) الرقبي : المراقبة . (٨) الأتراب : الكثير الرجوع إلى الله .

(٩) يشير بهذا الكلام إلى ما ذهب إليه بعض الشيعة من أن محمد بن الحنفية سرجع إليهم في ظلال من الغمام ، فشبه الأستاذ الإمام به .

(١٠) «وتفانيك في سبيل أبي حفص» ، أى استماتتك في نصرة الحق ، وهو سبيل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب .

لَا ظَلَّتْكَ يَالْقُلُوبَ مِنَ الشَّمْسِ وَوَارَتْ عُدَاكَ تَحْتَ التُّرَابِ
 أَنْتَ عَلَّمْتَنَا الرُّجُوعَ إِلَى الْحَقِّ وَرَدَّ الْأُمُورَ لِلْأَسْبَابِ
 ثُمَّ أَشْرَقْتَ فِي (الْمَنَارِ) عَلَيْنَا بَيْنَ نُورِ أَهْلُدَى وَنُورِ الصَّوَابِ^(١)
 فَقَرَأْنَا عَلَى ضِيَائِكَ فِيهِ كَلِمَاتِ الْمُهَيِّمِينَ الْوَهَّابِ^(٢)
 وَسَكَنَّا إِلَى الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ وَكُنَّا مِنْ قَبْلِهِ فِي أَرْتِيَابِ^(٣)
 أَيُّهَا الْإِمَامُ أَكْثَرْتَ حُسَا دِي فَبَاتَتْ نَفُوسُهُمْ فِي الْتِهَابِ
 أَبْصَرُوا مَوْقِفِي فَعَزَّ عَلَيْهِمْ مِنْكَ قُرْبِي وَمِنْ عُلَاكَ أَنْتِسَابِي
 أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ عِشَاءً وَبَاتُوا يُسْمِعُونَ الْوَرَى طَنِينَ الدُّبَابِ^(٤)
 وَنُسُوا رَبَّهُمْ ، وَقَالُوا ضَمِّنَا بَعْدَهُ ، عَنْ رِحَابِ ذَاكَ الْجَنَابِ^(٥)
 قُلْ لَجَمْعِ الْمُنَافِقِينَ وَمِنْهُمْ خُصَّ بِالْقَوْلِ عَبْدٌ أُمُّ الْحَبَابِ^(٦)
 عَبْدَ تِلْكَ الَّتِي يُجَرِّمُهَا اللَّهُ إِزَاءَ الْأَزْلَامِ وَالْأَنْصَابِ^(٧)

(١) يريد (مجلة المنار) المعروفة ، التي كان يحررها المرحوم الشيخ محمد رشيد رضا تلميذ الأستاذ الإمام ، وقد أنشئت هذه المجلة في سنة ١٣١٥ هـ (سنة ١٨٩٨ م) .

(٢) يشير بذلك إلى ما كان ينشر في (مجلة المنار) من تفسير الأستاذ الإمام لبعض آيات القرآن الكريم .

(٣) سكن إلى الأمر : اطمأن إليه ووثق به .

(٤) أجمعوا أمرهم عشاء : أي يتوآ النية عن الكيد والوشاية بي .

(٥) يريد جناب الأستاذ الإمام .

(٦) أم الحباب : كناية عن الخمر . والحباب : الفقاقيع التي تعلقو الشراب في الكأس . ويريد « بعدد أم الحباب » : أحد الساعين في التفريق بينه وبين الأستاذ الإمام ، وكان مدمنا للخمر .

(٧) إزاء الأزلام : أي معها . والأزلام : سهام الميسر ، الواحد زلم (بالتحريك) . والأنصاب : ما ينصب من الأوثان ليعبد من دون الله ، الواحد نصب (وزان عنق وقفل) . ويشير بهذا إلى قوله تعالى : (إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام) الآية .

إِنَّ نَفْسَ الْإِمَامِ فَوْقَ مُنَاهُمْ مَا تَمَنَّوْا وَإِنِّي غَيْرُ صَابِي^(١)
شَابَ فِيهِمْ وَلَاؤُهُمْ حِينَ شَابُوا وَوَلَائِي فِي عُذْفَوَاتِ الشَّابَابِ

*
* *

وقال فيه عند عودته من بعض أسفاره :

لَوْ يَنْظُمُونَ اللَّالِي مِثْلَ مَا نَظَّمْتُ مُذْ غَبَتَ عَنَّا عُمُيُونَ الْفَضْلِ وَالْأَدَبِ^(٢)
لَأَقْفَرَ الْجَلِيدُ مِنْ دُرٍّ يُحِيطُ بِهِ وَالنَّعْرُ مِنْ لَوْلُؤٍ وَالْكَأْسُ مِنْ حَبِّ^(٣)

*
* *

وقال مدافعا عنه أيضا ضد من حمل عليه من أعدائه في الصحف ورسموا له

صورا تزرى بقدره :

إِنْ صَوَّرُوكَ فَاتِمًا قَدْ صَوَّرُوا تَاجَ الْفَخَارِ وَمَظْلَعِ الْأَنْوَارِ
أَوْ نَقَّصُوكَ فَاتِمًا قَدْ نَقَّصُوا دِينَ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ الْمُخْتَارِ
سَخَّرُوا مِنَ الْفَضْلِ الَّذِي أُوتِيَتْهُ وَاللَّهُ يَسْخَرُ مِنْهُمْ فِي النَّارِ
لَا تَجْزَعَنَّ فَلَسْتَ أَوَّلَ مَا جِدِ كَذَبَتْ عَلَيْهِ صَحَائِفُ الْفُجَّارِ

(١) صابي ، أى صابى (بالهمز) ، وهو الخارج من دين إلى دين ، واستعمله هنا في المتحول عن مودته .

(٢) يريد « بعيون الفضل والأدب » : ما كان يحبره الأسناد الإمام في غيبته من مقالات وخطب .

(٣) الجليد : العنق . وحب الكأس : الفقايع التي تعلو سطح الشراب . والمراد بهذا البيت والذي قبله أن الناس لو أدوا أن ينظموا مثل ما نظمت في خطبك ورسائلك لم يجدوا غير در النحور ولآلى الغور وحب الكؤوس شبيها بما قلت ، ولا يستغند نظمهم كل ذلك .

رَسَمُوا بِذَاتِكَ لِلنَّوَائِظِ جَنَّةً مُحْفُوفَةً بِمَكَارِهِ الْأَشْهُارِ^(١)
وَتَقُولُوا عَنْكَ الْقَبِيحَ وَهَكَذَا يُمْنَى الْكَرِيمُ بَغَارَةَ الْأَشْرَارِ^(٢)
لَنْ يَحْجُبُوكَ عَنِ الْوَرَى أَوْ يَحْجُبُوا فَلَقَّ الصَّبَاحَ وَمَشْرِقَ الْأَفْكَارِ^(٣)
أَوْ يَبْلُغُوا عَلَيْكَ حَتَّى يَبْلُغُوا بَيْنَ الزَّوَاهِرِ صُورَةَ الْجَبَّارِ^(٤)
مَا أَنْتَ ذِيَاكَ الْبَغِيضُ فَتَسْتَنِي مُتَسَرِّبًا بِالْعَارِ فَوْقَ الْعَارِ^(٥)
لَعَبُوا بِهِ فِي صُورَةٍ قَدْ أَسْفَرَتْ عَنْ عَزْلِهِ فَأَقَامَ حِلْسَ الدَّارِ^(٦)

تهنئة الخديو عباس الثاني بعيد الأضحى سنة ١٣٢١ هـ

[نشرت في ٢٥ فبراير سنة ١٩٠٤]

طُفْ بِالْأَرِيكَةِ ذَاتِ الْعِزِّ وَالْشَّانِ وَأَقْضِ الْمَنَاسِكَ عَنْ قَاصِّ وَعَنْ دَانِي^(٧)
يَا عَيْدُ لَيْتَ الَّذِي أَوْلَاكَ نِعْمَتَهُ بِقُرْبِ صَاحِبِ مُضِرِّ كَانَ أَوْلَانِي^(٨)

(١) يشير إلى قوله صلى الله عليه وسلم : « حفت الجنة بالمكاره » . شبه صورة الإمام في صحف أعدائه وما كتبوه حولها من مستكره الهجو والجنة التي حفت بالمكاره .

(٢) يقال : تقول عليه الخبر ، إذا افتراه . ويمنى : يتلى ويصاب .

(٣) أويحجبوا ، أى حتى يحجبوا . وفلق الصباح : ضوءه أول ما يبدو .

(٤) الزواهر : النجوم . والجوارىء : الجوزاء ؛ يقال : « طلع الجبار » وذلك لأنها على صورة ملك متّج على كرسى .

(٥) المتسرّب : اللابس .

(٦) حلس الدار : الذى يلزمها ولا يبرحها . ويشير إلى أنهم كانوا قد رسموه على صورة تشعرا أنه قد عزل من منصب الإقناء وأقام في داره . واستعماله « أسفرت » بمعنى « سفرت » ، أى كشفت وأظهرت ، لم يرد في كتب اللغة التى بين أيدينا ؛ وهو استعمال شائع بين كتاب العصر . والذى في كتب اللغة أن « أسفر » بمعنى أضاء وأشرق ؛ وليس مرادها هنا .

(٧) الأريكة : سرير الملك . وقد شبه في هذا البيت ما يؤديه المخلصون للخديو من شعائر الولاء بالذين يؤدون مناسك الحج ومناسك الحج : أموره وشؤونه ، أو المواضع التى تذب فيها ذبائح .

(٨) مولاك : أعطاك .

صُغِفَتْ الْقَرِيضُ فَمَا غَادَرْتُ لَوْلُوَّةً فِي تَاجِ (كَسْرَى) وَلَا فِي عَقْدِ (بُورَان) ^(١)
 أَغْرَيْتِ بِالْعَوَاصِفِ أَفْلاهِ فَمَا تَرَكَتِ فِي لُحَّةِ الْبَحْرِ مِنْ دُرٍّ وَمَرْجَانٍ ^(٢)
 شَكَا (عُمَانُ) وَضَجَّ الْغَائِصُونَ بِهِ عَلَى اللَّالِي وَصَجَّ الْحَاسِدُ الشَّانِي ^(٣)
 كَرَامَ شَأْوَى فَلَمْ يُدْرِكْ سَوَى صَدَفٍ سَامَحْتُ فِيهِ لِنَظَامٍ وَوَزَانٍ ^(٤)
 عَابُوا سُكُوتِي وَلَوْلَاهُ لَمَا نَطَقُوا وَلَا بَحَرَتْ خَيْلُهُمْ شَوْطًا بِمَيْدَانٍ
 وَالْيَوْمَ أَتَشَدُّهُمْ شِعْرًا يُعِيدُ لَهُمْ عَهْدَ (النَّوَاسِي) أَوْ أَيَّامَ (حَسَّان) ^(٥)
 أَزْفُ فِيهِ إِلَى (الْعَبَّاسِ) غَانِيَةً عَفِيفَةً انْخَدَرُ مِنْ آيَاتِ عَدْنَانٍ ^(٦)
 مِنَ الْأَوَانِسِ حَلَّاهَا يَرَاعُ فَتَى صَافِي الْقَرِيحَةِ صَاحِجٍ غَيْرِ نَشْوَانٍ
 مَا ضَاقَ أَصْغَرُهُ عَنْ مَدْحِ سَيِّدِهِ وَلَا اسْتَعَانَ بِمَدْحِ الرَّاحِ وَالْبَانِ ^(٧)
 وَلَا اسْتَهْلَ بِذِكْرِ الْغَيْدِ مَدْحَتَهُ فِي مَوْطِنِ بَجَلَالِ الْمُلْكِ رَيَّانٍ ^(٨)

(١) كسرى : لقب ملك الفرس . وبوران : هي بوران دخت بنت كسرى ؛ أو هي بوران بنت الحسن بن مهمل .
 شبه شعره بالآلآى التى فى هذا التاج وذلك العقد .

(٢) أغراء به : حضه عليه .

(٣) عمان : كورة عربية على ساحل بحر التين والهند يجلب منها اللؤلؤ . يقول : إن معاص اللؤلؤ بهذا الموضع
 ومن يغوصون به قد شكوا وتغيظوا من كثرة ما أناله من الآلى الغالية التى أرصع بها شعرى وأحول بينهم وبينها ؛
 وهى مبالغة فى تشبيه شعره بالنفاسة . والشانى بالهمز (ومهل للشعر) : المبعض السيئ الخلق .

(٤) الشأو : الغاية . ويريد « بالنظام والوزان » : الذين يقولون الشعر خاليا من المعانى ذات القيمة .

(٥) يريد « بالنواسى » : أبانواس الشاعر المعروف . وحسان : هو أبو الوليد حسان بن ثابت الأنصارى
 شاعر النبى صلى الله عليه وسلم ؛ وكانت وفاته سنة أربع وخمسين هجرية .

(٦) شبه قصيدته فى حسنها وجمالها بالغانية ؛ وهى الفتاة التى غنيت بجمالها عن الحللى . ويريد بقوله : « عفيفة
 انخدر » : اختصاص مدحه بالخصد يوشبها لها بالغانية التى لم يطرُق خلدوها غير حلليها . « ومن آيات عدنان » ، أى
 أنها هجرية صبيحة .

(٧) أصغره : أى لسانه . والراح : الخمر . ويريد بقوله : « ولا استعان » الخ . أنه لم يجز على طريقة الشعراء
 فى ابتداء قصائد المدح بوصف الخمر وما إليها .

(٨) استهل : ابتداء . والغيد من النساء : النواغم اللينات منهن ، الواحدة غادة .

أَغْلَيْتِ بِالْعَدْلِ مُلْكًا أَنْتَ حَارِسُهُ فَأَصْبَحَتْ أَرْضُهُ تُشْرَى بِمِيزَانٍ
جَرَى بِهَا الْخَضْبُ حَتَّى أَنْبَتَ ذَهَبًا فَلَيْتَ لِي فِي نَرَاهَا نَصْفَ فِدَانٍ
نَظَرْتُ لِلنَّيْلِ فَاهْتَزَّتْ جَوَانِبُهُ وَنَاضَ بِالْخَيْرِ فِي سَهْلٍ وَوِديَانٍ
يَجْرِي عَلَى قَدَرٍ فِي كُلِّ مُنْهَدِرٍ لَمْ يَجِفْ أَرْضًا وَلَمْ يَعْمُدْ لَطْفِيَانٍ^(١)
كَأَنَّهُ وَرَجَالُ الرِّىِّ تَحْرُسُهُ مِمَّا لَكَ سَارَ فِي جُنْدٍ وَأَعْوَانٍ
قَدْ كَانَ يَشْكُو ضِيَاعًا مَذْجَرَى طَائِفًا حَتَّى أَقَاتَ لَهُ نَخْرَانُ أَسْوَانٍ^(٢)
كَمْ مِنْ يَدٍ لَكَ فِي الْقُطْرَيْنِ صَالِحَةٍ نَاضَتْ عَلَيْنَا بِجُودٍ مِنْكَ هَتَّانٍ^(٣)
رَدَدْتَ— مَا سَابَتْ أَيْدَى الزَّمَانِ— لَنَا وَمَا تَقَاعَصَ رِثَ ظُلٍّ وَسُلْطَانٍ^(٤)
وَمَا قَعَدْتَ عَنِ السُّودَانِ إِذْ قَعَدُوا لَكِنْ أَمَرْتَ فَبَآئِي الْأَمْرِ جَيْشَانٍ^(٥)
هَذَا مِنَ الْغَرْبِ قَدْ سَالَتْ مَرَاكِبُهُ وَذَا مِنَ الشَّرْقِ قَدْ أَوْفَى بِطُوفَانٍ^(٦)
وَلَاكَ رَبُّكَ مُلْكًا فِي رِعَايَتِهِ وَمَدَّهُ لَكَ فِي خَضْبٍ وَعُمُرَانٍ
مَنْ كَرْدُفَانِ إِلَى مَضَرٍّ إِلَى جَبَلٍ عَلَيْهِ كَلَّمَهُ (مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ)^(٧)
فَكُنْ بِمُلْكِكَ بِنَاءَ الرُّجَالِ ، وَلَا تَجْعَلْ بِنَاءَكَ إِلَّا كُلَّ مِعْوَانٍ^(٨)

(١) على قدر : أى على حساب ومقدار . ويريد بقوله : « ولم يعمد لطفيان » : أنه لم يفرق البلاد بكثرة فيضانه . ويشير بهذا البيت إلى ما يقوم به المهندسون في تدبير ماء النيل .

(٢) طائفاً (بضم الطاء واللام) : أى منطلقاً بلا قيد ولا حبس .

(٣) يريد « بالقطرين » : مصر والسودان . وهتان : أى منصب .

(٤) تقاعص : أى تقبض وتقاصر .

(٥) يشير بهذا البيت إلى إعادة فتح السودان الذى تم سنة ١٨٩٨ م . ويريد « بالجيشين » : الجيش المصرى والجيش الانجليزى . (٦) أوفى بطوفان : أى جاء بعدد كثير كطوفان الماء .

(٧) كردفان : إقليم من السودان معروف . ويريد « بالجبل » : جبل الطور الذى كلم الله نبيه موسى بن عمران عليه السلام فوقه . (٨) يقول : هي لشعبك رجالاً تعتمد بهم عند الشدائد ، ولا تعتمد إلا على كل عظيم المعونة منهم .

وَأَنْظِرْ إِلَى أُمَّةٍ لَوْلَاكَ مَا طَلَبْتُ حَقًّا ، وَلَا شَعَرْتُ حُبًّا لِأَوْطَانِ
لَاذَتْ بِسُدَّتِكَ الْعَالِيَاءُ وَأَعْتَصَمْتُ وَأَخْلَصْتُ لَكَ فِي سِرٍّ وَإِعْلَانِ^(١)
حَسْبُ الْأَرِيكَةِ أَنَّ اللَّهَ شَرَفَهَا فَأَصْبَحْتُ بِكَ تَسْمُو فَوْقَ كَيَوَانِ^(٢)
تَاهَتْ بِعَهْدِ مَلِكٍ فَوْقَ مَنَازِلِهِ لِمَلِكٍ مِصْرٍ وَلِلْأَسْوَدَانِ تَاجَانِ^(٣)
هَذَا هُوَ الْمَلِكُ فَلْيَهْنِئْ مُلْكَكَ وَذَا هُوَ الشَّعْرُ فَلْتُنْشِدْهُ أَزْمَانِي

*
* *

وقال أيضا يهنيء بيموه بالعام الهبيري :

[نشرت في ١٩ مارس سنة ١٩٠٤ م]

قَصَرْتُ عَلَيْكَ الْعُمَرَ وَهُوَ قَصِيرٌ وَغَالَبْتُ فِيكَ الشَّقْوَ وَهُوَ قَدِيرٌ^(٤)
وَأُنْشَأْتُ فِي صَدْرِي لِحُسْنِكَ دَوْلَةً لَهَا الْحُبُّ جُنْدٌ وَالْوَلَاءُ سَفِيرٌ^(٥)
فَوَادَى لَهَا عَرْشٌ وَأَنْتَ مَلِكُهُ وَدُونَكَ مِنْ تِلْكَ الضُّلُوعِ مُسْتَوِرٌ
وَمَا انْتَقَضَتْ يَوْمًا عَلَيْكَ جَوَانِحِي وَلَا حَلَّ فِي قَلْبِي سِوَاكَ أَمِيرٌ^(٦)
كَتَمْتُ فَقَالُوا: شَاعِرٌ يُنْكِرُ الْهَوَى وَهَلْ غَيْرُ صَدْرِي بِالْغَرَامِ خَبِيرٌ؟

(١) سدتك : أى بابك .

(٢) كيوان : اسم زحل بالفارسية ؛ وهو ممنوع من الصرف وإنما أوردته الشاعر هنا مجرورا بالكسر لضرورة القافية .

(٣) المفرق (بفتح الراء وكسرهما) : وسط الرأس ، وهو الموضع الذى يفرق فيه الشعر هنا .

(٤) قصرت عليك العمر : أى حسبته على حبك .

(٥) الولاء (بفتح الواو) : الاخلاص .

(٦) انتقضت : أى فسدت ، كما تنتقض الامارات على أمرائها ، أى تخرج عليهم وتشق عصا الطاعة .

ولو شئتُ أَهَلَّتْ النجومُ عن السرى
وأشعلتُ جلدَ اللَّيْلِ مِنِّي بزفرةٍ
ولكننى أَخَفَيْتُ مابى وإمما
أرى الحُبَّ ذُلًّا ، والشَّكَايَةَ ذِلَّةً ،
ولى فى السَّوَى شِعْرَانِ : شعرٌ أَذِيعُهُ
ولولا جَلَّاجُ الحاسِدِينَ لما بَدَأَ
ولا شَرَعَتْ هَذَا اليرَاعُ أَناملى
على أَتْنى لا أَرْكَبُ اليأسَ مَرْكَبًا
فكم حَادَ عَنِّي الحَيْنُ والسَّيْفُ مُصَلَّتٌ
وكم لَمَحَةٌ فى غَفْلَةِ الدَّهْرِ نَفَسَتْ
فقد يَشْتَفِي الصَّبُّ السَّقِيمُ بزُورَةٍ
عسى ذَلكَ العامُّ الجَدِيدُ يَسَّرَنى
وَيَنْظُرُ لى رَبِّ الأَرِيكَةِ نَظْرَةً
وعَظَّمْتُ أَفلاكًا مِن تَدُورٍ^(١)
غَرَامِيَّةٍ مِنْهَا الشَّرَارُ يَطِيرُ
لِكُلِّ غَرَامٍ عَاذِلٌ وَعَظِيرُ^(٢)
وإِنِّ بِسَترِ الذَّلَّتَيْنِ جَدِيرُ
وَأَنحرُ فى طَيِّ الفُؤَادِ سَـتِيرُ^(٣)
لَمَكُونٍ سِرِّى فى الغَرَامِ صَهِيرُ^(٤)
لَشَكْوَى وَلَكِنَّ الجَلَّاجُ يُشِيرُ^(٥)
ولا أَكْبِرُ البَأْسَاءَ حِينَ تَغِيرُ^(٦)
وهانَ عَلَى الأَمْرِ وهو عَسِيرُ^(٧)
هُموما لَهَا بَيْنَ الضُّلُوعِ سَعِيرُ
وَيَجْبُو بَلْفَظٍ عَائِرٌ وَأَسِيرُ
بُشْرَى ، وهل البائِسِينَ بَشِيرُ؟
بها يَجَلَى لَيْلُ الأَسَى وَيُنِيرُ^(٨)

(١) السرى : السير بالليل . يقول : إِنى لو شئتُ بشتت من اللوعة وحرارة الوجد ما يذهل النجوم عن مسيرها ، ويمتلأ الافلاك عن دورانها ، فتصنى لى ، وترى لوجدى .

(٢) العذير : العذرا والتصير أيضا . (٣) ستر : أى مستور ، فعيل بمعنى مفعول .

(٤) الجلاج : التماذى فى العناد والخصومة . يقول : لولا عناد ذوى الحسد والبغضاء لما بدأ بما أكتنه من غرامى وشوقى ما يشمر الناس بهما .

(٥) يقال : شرع الريح ، إذا سدده وصوبه . شبه القلم بالريح فى ذلك . ويشير : يهيج .

(٦) « لا أكبر البأساء » الخ : أى لا استعظم الشدة إذا نزلت بى ، بل أستهين بها وأصبر على مضضها .

(٧) الحين (بفتح الحاء) : الهلاك . والسيف المصلت : المجرد من غمده .

(٨) رب الأريكة ١ هو خديو مصر . والأريكة العرش ؛ وأصل معناها السرير المنجد المزين فى قبة أو بيت .

مَلِيكَ إِذَا غَنَى الْيَرَاعُ بِمَدْحِهِ سَرَتْ بِالْمَعَالَى هِزَّةٌ وَسُرُورٌ^(١)
 أَمْوَلَايَ ! إِنَّ الشَّرْقَ قَدْ لَاحَ نَجْمُهُ وَأَنْتَ لَهُ بَعْدَ الْمَوَاتِ نُشُورٌ^(٢)
 تَفَاعَلَ خَيْرًا إِذْ رَأَاكَ مُمْلَكًا وَفَوْقَكَ مِنْ نُورِ الْمُؤَيَّمِنِ نُورٌ^(٣)
 مَضَى زَمَنٌ وَالْغَرْبُ يَسْطُو بِحَوْلِهِ عَلَيَّ ، وَمَالِي فِي الْأَنْعَامِ ظَلِيمٌ^(٤)
 إِلَى أَنْ أَتَاكَ اللَّهُ لِلصَّقْرِ نَهْضَةً فَفَاقَتْ غَرَارَ الْخَطْبِ وَهُوَ طَرِيرٌ^(٥)
 جَرَتْ أُمَّةُ الْيَابَانِ شَوْطًا إِلَى الْعَلَا وَمَضَى عَلَى آثَارِهَا سَتَسِيرٌ^(٦)
 وَلَا يُمْنَعُ الْمَصْرِئُ إِذْ رَأَاكَ شَاوَهَا وَأَنْتَ لَطَلَابِ الْعَلَاءِ نَصِيرٌ^(٧)
 فَتَمَفَّ مَوْقِفَ (الْفَارُوقِ) وَانْظُرْ لِأُمَّةٍ إِلَيْكَ بِحَبَاتِ الْقُلُوبِ تُشِيرُ^(٨)
 وَلَا تَسْتَشِيرْ غَيْرَ الْعَزِيمَةِ فِي الْعَلَا فَلَيْسَ سِوَاهَا نَاصِحٌ وَمُشِيرٌ^(٩)
 فَعَرَّشَكَ مَحْرُوسٌ وَرَبُّكَ حَارِسٌ وَأَنْتَ عَلَى مُلْكِ الْقُلُوبِ أَمِيرٌ

(١) الهزة (بكسر الهاء) الأريحية والخفة .

(٢) النشور : البعث

(٣) التفاؤل : من الفأل (بسكون الهمزة) ، وهو ضد التطير ، فهو فيما يستحب أما التطير فهو يسوء .

(٤) هذا البيت والذي بعده على لسان الشرق المتقدم ذكره . ويسطو : يعدو . والحول : القوة والظهير : المعين والنصير .

(٥) كنى « بالصقر » عن الشرق . وفل السيف : ثلم حده . والغرار : الخد . والطيرير : الخدد . يقال : طر السيف ونحوه بطره (من باب نصر) طرا وطوروا ، أى حده .

(٦) الضمير في « شأوها » لأمة اليابان السابق ذكرها . والشأور : الغاية .

(٧) الفاروق : أمير المؤمنين عمر بن الخطاب .

(٨) يقول : إذا حاولت أمرا تكون غايته المجد والعلا فافعله ، ولا تستشر غير عزيمتك الوثاب ، وهنالك البعيدة الغاية .

تهنئة إلى رفعت بك بوكالته لمصاحبة السجون

أَهْنِيكَ أُمَّ أَشْكُو فِرَاقَكَ قَائِلًا أَيَا لَيْتَنِي كُنْتُ السَّجِينَ الْمُصَنَّدًا^(١)
فلو كنت في عهد (ابن يعقوب) لم يقل لصاحبه ، أذكرني ولا تنسني غدا^(٢)

مدحة كتب بها إلى محمد بك هلال^(٣)

جَهِعْتُ يَا طَيْرٌ وَلَمْ أَجْعِ مَا أَنْتَ إِلَّا عَاشِقٌ مُدْعَى^(٤)
لو كنت ممن يعرفون الجوى قضيت هذا الليل سهداً معي^(٥)
يا مَنْ تَحَامَيْتُمْ سَبِيلَ الْهَوَى أُعِيدُكُمْ مِنْ قَلَقِ الْمَضْجَعِ^(٦)
وحسرة في النفس لو قُسمت على ذوات الطوق لم تسجع^(٧)
ويا بني الشوق وأهل الأسى ومن قضوا في هذه الأربع
عليكم من واجد مغرم تحية الموجه للموجه^(٨)

(١) المصنف : المقيد .

(٢) يريد بهذا البيت : أن السجناء يتنون بقاءهم في السجن لحسن أخلاقه وجميل عشرته ، فلو تولى السجن في عهد يوسف عليه السلام لأثر البقاء بجانبه في السجن ولم يقل لصاحبه الذي نجا : (اذكرني عند ربك) كما حكى الله تعالى ذلك في القرآن في سورة يوسف .

(٣) هو ابن إبراهيم بك هلال ، وكان — رحمه الله — شاعراً مجيداً وكاتباً فاضلاً ، قد اشتغل بالصحافة زمناً غير قصير ، وكانت له صحيفة اسمها « التراب » ، كما كان واسع العلم بأخبار ما حدث في البلاد في نصف القرن الأخير . وتوفي رحمه الله في ليلة الأحد ١١ ديسمبر سنة ١٩٣٢ م . ومحمد بك هلال هو شارح الطبعة الأدبية من ديوان حافظ .

(٤) الهجوع : النوم بالليل . (٥) الحفرة وشدة الوجد من عشق وحزن .

(٦) تحامى الشيء : تجنبه وبعد عنه .

(٧) ذوات الطوق : الحمام ، والطوق هو البياض المحيط بأعناقها وتسجع : تهدر وتردد أصواتها .

(٨) الواجد : ذو الوجد .

اللَّهُ مَا أَقَمَنِي فُؤَادَ الدُّجَى عَلَى فُؤَادِ الْعَاشِقِ الْمَوَالِجِ
 هَذَا غَلِظًا لَمْ يَرْضَهُ الْهَوَى مَا بَيْنَ جَنَبِي أَمْسَدَ السَّجَى (١)
 وَذَلِكَ فِي جَنْبِ فَقِي مُدْنِفٍ عَلَى سِوَى الرِّقَةِ لَا يَطْمَعُ (٢)
 وَأَغْيَدَ أَسَدُكُنْهُ فِي الْحِشَا وَقُلْتُ : يَا نَفْسُ بِهِ فَاقْنِي (٣)
 نِفَارُهُ أَسْرَعُ مِنْ خَاطِرِي وَصَدُّهُ أَقْرَبُ مِنْ مَدْمَعِي
 وَخَذَهُ لَا تَنْطَلِفِي نَارُهُ كَأَمَّا بِقَيْسٍ مِنْ أَضْلَعِي (٤)
 تَسَاءَلْتُ عَنِّي نُجُومُ الدُّجَى لَمَّا رَأَيْتِي دَانِي الْمَصْرَعِ
 قَالَتْ : نَرَى فِي الْأَرْضِ ذَا لَوْعَةٍ قَدْ بَاتَ بَيْنَ الْيَأْسِ وَالْمَطْمَعِ
 يَنْبُتُ كَالْمَفْتُودِ أَوْ كَالَّذِي أَصَابَهُ سَهْمٌ وَلَمْ يُنْزِعِ (٥)
 إِنْ كَانَ فِي بَدْرِ الدُّجَى هَائِمًا أَمَّا هَذَا الْبَدْرُ مِنْ مَطْلَعِ ؟
 أَوْ كَانَ فِي ظَلَمِي الْحَيِّ مُغْرَمًا أَمَّا هَذَا الظِّلُّ مِنْ مَرْتَعِ ؟
 هَيْهَاتَ يَا أَجْجُمُ أَنْ تَعْلَمِي مُشِيرَ أَشْجَانِي أَوْ تَطْمَعِي (٦)
 إِنِّي لَضَنَانٌ بِذِكْرِ اسْمِهِ ضَنِّي بِوَدِّ الْكَاتِبِ الْأَلْمَعِي (٧)

(١) يشير بقوله : « هذا » إلى « فؤاد الدجى » السابق ذكره ، وراضه يروضه : ذلله . والأسفع : الشديد السواد يريد الليل .

(٢) يشير بقوله : « ذاك » إلى فؤاد العاشق « السابق ذكره » . والمدنف : الذي أنقله المرض المشرف على الموت .

(٣) الأغيد : المسائل العنق ، اللين الأعطاف ، المشتكى لنا . والأثني : غيداء .

(٤) قيس النار واقتبسها : أخذ منها قيسا (بالتحريك) ، أى شعلة .

(٥) المفثود : المصاب بفؤاده .

(٦) أو تطمعي أى تطمعي فى علم ذلك .

(٧) الضنان : الشديد الضن ، وهو البخل . والألمعى : الذكى المتوقد ذكاء .

الضاربِ الجزيةَ مُنْذُ أَنتَشَى على يراعِ الشَّاعِرِ المُبْدِعِ^(١)
والحامِلِ الأَقلامِ مشرُوعَةً كأنَّها بَعْضُ القَناءِ الشَّرَحِ^(٢)
إذا دَعَا القَوْلَ أَتَى طائِعاً وإنَّ دَعَاهُ العِىُّ لَمْ يَسْمَعْ^(٣)
صَحْبُهُ دَهْرًا فَالْفَيْتُهُ فَنَى كَرِيمَ الأَصْلِ والمَنْزِعِ^(٤)
مَوَدَّةً كَأَنَّمَا إِنِّ عَتَّقْتُ جَادَتْ وَفَضَّلَ بِاسْمِ المَشْرِعِ^(٥)
وعَزَمَةً لَوْ قُسِّمَتْ فِي الوَرَى باتُوا مِنَ الشُّعْرِى عَلَى مَسْمَعِ^(٦)

تهنئة على حيدر بك بعيد الأضفى

وكان مديرا لبني سوييف إذ ذاك

لِلَّهِ عِيدٌ كَبِيرٌ يَزْهُو بِنُورِ جَبِينِكَ
لَمْ تَقْبَلْهُ الْبَرَايَا إِلَّا لِلَّهِ يَمِينِكَ^(٧)

(١) الجزية : ما يفرض من الضرائب على الروس . ومعنى البيت أن هذا المدوح قد فرض منذ نشأ على المبدعين من الشعراء أن يؤدوا إليه من المدح والثناء جزءاً مما أنشأ إليهم من النعم والآلاء . ولم نجد فيما راجعناه من كتب اللغة « انتشى » بمعنى نشأ ، كما هو المراد في هذا البيت .

(٢) المشروعة : المستددة نحو الغرض . والقنا : الرماح . الواحدة : قناة . والشرع : بمعنى المشروعة .

(٣) العى (بالكسر) : الحصر والعجز عن البيان .

(٤) المنزع : الأصل الذى ينزع إليه أى يجذب ويميل ويقال : « نزع فلان إلى عرق كريم » و « نزع إلى أبيه » ، أى مال إليه وأشبهه .

(٥) الحجر المعتبرة (بتشديد التاء) : القديمة . والمشرع : المورد الذى يستقى منه .

(٦) الشعرى : كوكب نير يطلع بعد الجوزاء . ومعنى البيت : أن عزيمته لو وزعت على الناس لسماوا إلى منزلة الشعرى . ويلاحظ أن آخر هذه القصيدة مفقود ؛ ولم يتيسر لنا العثور عليه ، فأثبتناها على نقصها .

(٧) اقتبل الأمر : استقبله .

تمنئة سليمان أباطة باشا^(١)

بابلالة من مرض ألم به ، وبعرس نجله (على بك)

تَرَامِي لَكَ الْإِقْبَالَ حَتَّى شَهْدَانَهُ وَدَانَ لَكَ الْمَقْدَارُ حَتَّى أَمْنَاهُ^(٢)
 (سُلَيْمَانُ) ذَكَرْتَ الزَّمَانَ وَأَهْلَهُ بِهِزُّ (سُلَيْمَانٍ) وَإِقْبَالَ دُنْيَاهُ^(٣)
 إِذَا سِرْتَ يَوْمًا حَذَرَ التَّمَلُّ بِعَضَاهُ خِفَافَةَ جَيْشٍ مِنْ مَوَالِيكَ يَغْشَاهُ^(٤)
 وَإِنْ كُنْتَ فِي رَوْضٍ تَغَنَّتْ طُيُورُهُ وَصَاحَتْ عَلَى الْأَفْنَانِ : يَجْرُسُكَ اللَّهُ^(٥)
 وَكَانَ (أَبْنُ دَاوُدَ) لَهُ الرِّيحُ خَادِمٌ وَتَحْدُمُكَ الْأَيَّامُ وَالسَّعْدُ وَالْجَاهُ
 تَحُلُّ بِحَيْثُ الْحَجْدُ النَّقَى رِحَالَهُ "فَطَاهِرَةٌ" وَالْبَيْتُ وَالْقُدْسُ أَشْبَاهُ^(٦)
 لَيْسَتْ الشُّفَا ثَوْبًا جَدِيدًا مُبَارَكًا فَأَلْبَسْتَنَا ثَوْبًا مِنْ الْعِزِّ نَرْضَاهُ
 وَكَانَ عَلَيْكَ الدَّهْرُ يَجْفِقُ قَلْبَهُ فَلَيْسَ شِفَاكَ اللَّهُ أَهْدَأَتِ أَحْشَاهُ
 وَهَنًا جَدِيدَاهُ الزَّمَانَ وَأَصْبَحَتْ تَسُوقُ لَنَا الْأَيَّامُ مَا نَتَمَنَّى^(٧)

(١) سليمان أباطة باشا : هو ابن حسن أباطة ؛ وكان مولده في نحو سنة ١٨٣٤م ، وتولى عدة مناصب في الحكومة المصرية ؛ وأختم منصب تولاه نظارة المعارف في عهد المنفور له توفيق باشا الخديوي عقب الثورة العرابية ؛ وكانت وفاته في سنة ١٨٩٧م .

(٢) تَرَامِي لَكَ : تصدئ لك لثراه . « ودان » : خضع والمقدار : القدر (بالتحريك) ، بالغ في تصوير الإقبال حتى جعله شيئاً يرى . (٣) يريد بسليمان الثاني نبي الله سليمان بن داود ، عليهما السلام .

(٤) يشير بهذا البيت إلى ما حكاه الله تعالى عن النمل حين رأى نبي الله سليمان مقبلاً بجنوده ، إذ قال تعالى في سورة النمل : (حتى إذا أتوا على وادي النمل قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون) والمولى ، العبد . الواحد : مولى .

(٥) الأفنان : الأغصان . الواحد : فنن (بالتحريك) .

(٦) ألقي رحاله : أقام . وطاهرة : بلدة إقليم الشرقية من أعمال مركز الزقازيق ، وهو بلد الممدوح . ويريد « بالبيت » : الكعبة

(٧) الجديدان : الليل والنهار . ولا يفردان ، فلا يقال : الجديد لواحد منهما .

وباتَ بَنُوكَ الْغُرَّ مَا بَيْنَ رَافِلٍ بِحُلَّةٍ يُمْنٍ أَوْ شَكُورٍ لِمَوْلَاهُ^(١)
 (سَائِمَانُ) دُمَّ مَا دَامَتِ الشُّهْبُ فِي الدَّجَى وَمَا دَامَ يَسْرِي ذَلِكَ الْبَدْرُ مَسْرَاهُ
 وَكُنْ (لَعْلِيٌّ) بِهَجَّةِ الْعُرْسِ إِنَّهُ بِعِزِّكَ فِي الْأَفْرَاحِ تَمَّتْ مَرَايَاهُ
 وَلَا تَنْسَ مَنْ أَمْسَى يُقَلِّبُ طَرْفَهُ فَلَمْ تَرَ إِلَّا أَنْتَ فِي النَّاسِ عَيْنَاهُ

فِي كُتُورِ هَوِغُو^(٢)

[نشرت سنة ١٩٠٧ م]

أَجْمِي كَادَ يَعْلُو نَجْمُهُ فِي سَمَاءِ الشُّعْرِ نَجْمَ الْعَرَبِي
 صَاخَ الْعِلْيَاءُ فِيهَا وَالتَّقَى "بِالْمَعْرَى" فَوْقَ هَامِ الشُّهْبِ^(٣)
 مَا تُغَوِّرُ الزَّهْرَ - فِي أَكْثَامِهَا ضَاحِكَاتٍ مِنْ بُكَاءِ السَّحْبِ^(٤)
 نَظَمَ الْوَسْمِيَّ فِيهَا لَوْلُؤًا كَثَايَا الْغَيْدِ أَوْ كَالْحَبِيبِ^(٥)
 عِنْدَ مَنْ يَقْضَى - بِأَهْيَ مَنْظَرًا مِنْ مَعَانِيهِ الَّتِي تَلْعَبُ بِي^(٦)

(١) الغر : جمع أغر ، وهو السيد الشريف الكريم الأفعال . ورغل في ثوبه : جرد ثوبه وتجنز . واليمن : البركة .

(٢) هو الشاعر الفرنسي المعروف ، ولد سنة ١٨٠٢ م وكانت وفاته بباريس سنة ١٨٨٥ م . ومن كتبه : "كتاب البؤساء" الذي نقله إلى العربية المرحوم حافظ بك . وفي هسده القصيدة يشير حافظ إلى نفي فكتور بأمر لويس بوناپرت في سنة ١٨٥١ م ، وإلى خصوبة قريحته في منقاه ، وكثرة ما وضع من المؤلفات .

(٣) الهام : الروس . الواحدة : هامة . وقد وازن بينه وبين أبي العلاء المعري لأن كليهما شاعر فيلسوف .

(٤) الأكمام : جمع كم ، وهو غطاء الزهر ، وكفى بضحك الأزهار عن تفتحها . وير « يبكاء السحب » : مطرها .

(٥) الوسمي : المطر أزل الربيع . والثايا : الأسنان . الواحدة ثنية (يفتح الثاء وتشديد الباء) . والزيد : جمع غيداء ، وهي المرأة المثنية لبنا .

(٦) يقضى : يحكم . وأهْيَ منظرا : خير « لما » في قوله السابق : « ما تغور » .

بِسَمْتٍ لِلذَّهْنِ فَاسْتَهَوَتْ نَهْيَ مَغْرَمِ الْفَضْلِ وَصَبِّ الْأَدَبِ
 وَجَلَّتْهَا حِكْمَةٌ بِالْفِغَةِ أَعْجَزَتْ أَطْوَاقَ أَهْلِ الْمَغْرِبِ^(١)
 سَأَلُوا النَّاسِيرَ إِذَا مَا هَاجَكُمُ شَدُّهَا بَيْنَ الْهَوَى وَالطَّرَبِ^(٢)
 هَلْ تَغَنَّتْ أَوْ أَرْنَتْ بِسَوَى شِعْرِ (هُوَغُو) بَعْدَ عَهْدِ الْعَرَبِ^(٣)
 كَانَ مَرَّ النَّفْسِ أَوْ تَرْضَى الْعَلَا تَظْلَمًا الْأَفْلَاكَ إِنْ لَمْ يَشْرَبِ^(٤)
 عَافَ فِي مَنَمَاهُ أَنْ يَدْنُو بِهِ عَفْوُ ذَلِكَ الْقَاهِرِ الْمُغْتَصِبِ^(٥)
 بَشَّرُوهُ بِالتَّدَانِي وَتَسَاوَا أَنَّهُ ذَلِكَ الْعِصَامِيُّ الْأَبْيِ^(٦)
 كَتَبَ الْمَنِيُّ سَطْرًا لِلَّذِي جَاءَهُ بِالْعَفْوِ فَاقْرَأْ وَاعْجَبِ^(٧)
 أَبْرَىءُ عَنْهُ يَعْفُو مُذْنِبٌ ؟ كَيْفَ تُسَدِّي الْعَفْوَكَفَّ الْمُذْنِبِ ؟
 جَاءَ وَالْأَحْلَامُ فِي أَصْفَادِهَا مَا نَهَا فِي سَبِينِهَا مِنْ مَذْهَبِ^(٨)
 طَبَعَ الظُّلْمُ عَلَى أَقْفَالِهَا بِإِظْهَارِ خَائِمَاتِ مَنْ رَهَبِ^(٩)
 أَمَعَنَّ التَّقْلِيدُ فِيهَا فَخَدَّتْ لَا تَرَى إِلَّا بَعَيْنَ الْكُتُبِ^(١٠)

(١) جللتها صقلتها . والأطواق : جمع طوق ، وهو الطاقة والجهد . (٢) شدوها : تعريدها وترتها .

(٣) أرنت : صاح . (٤) مر النفس : شديد المراس .

(٥) يشير إلى نفي فكتور سنة ١٨٥١ م إلى بروكسل حين اشترك في الحرب ضد لويس بوناپرت ، وقد بقي بعيداً عن وطنه ثمان عشرة سنة . وقد أقدم الأليهود إلى أرض فرنسا ما دام الأمبراذور على العرش ، ولقد برقسهه ، فلم يعد إليها إلا بعد سقوط الأمبراذور سنة ١٨٧٠ م . ويريد « بالقاهر : المعتصب » لويس بوناپرت السابق ذكره .

(٦) العصامي : الذي تأسد بنفسه ، نسبة إلى عصام المذكور في قول الشاعر :

نفس عصام سودت عصاما

(٧) المنفى : فكتور هوغو

(٨) الأحلام : القول . الواحد : حلم (بالكسر) . والأصناد : القيود . الواحد : صفد (بالفتح) .

(٩) الظن : بالار .

(١٠) أمعن : بالغ .

أَمَرَ التَّقْلِيدُ فِيهَا وَنَهَى بِجُيُوشٍ مِنْ ظَلَامِ الْحُجُبِ
جَاءَهَا (هُوْغُو) بِعَزِيمٍ ، دُونَهُ عِزَّةُ النَّجَاحِ ، وَزَهْوُ الْمَوَكِبِ^(١)
وَأَنْبَرَى يَصْدَعُ مِنْ أَغْلَالِهَا بِالْيَرَّاعِ الْحُرِّ لَا بِالْقُضْبِ^(٢)
هَالَهُ إِلَّا يَرَاهَا حُورَةٌ تَمْتَطِي فِي الْبَحْثِ مَتْنِ الْكَوْكِبِ^(٣)
سَاءَهُ إِلَّا يَرَى فِي قَوْمِهِ سِيرَةَ الْإِسْلَامِ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ
قُلْتَ عَنْ نَفْسِكَ قَوْلًا صَادِقًا لَمْ تَشْبَهُ شَائِبَاتُ الْكَذِبِ :^(٤)
أَنَا كَالْمَنْجَمِ تَبَرُّ وَثَرَى فَاطْرَحُوا تُرْبِي وَصُونُوا ذَهَبِي

تهنئة سمو الخديو عباس الثاني^(٥) بعيد الأضي

(١٣٢٥ هـ - ١٩٠٨ م)

سَكَنَ الظَّلَامُ وَبَاتَ قَلْبُكَ يَخْفِقُ وَسَطًا عَلَى جَنَائِكَ هَمٌّ مُقْلِقُ
حَارَ الْفِرَاشُ ، وَحَرَّتْ فِيهِ ، فَأَنْتَمَا تَحْتَ الظَّلَامِ مُعَذِّبٌ وَمُؤَرِّقُ^(٦)
دَرَجَ الزَّمَانُ وَأَنْتَ مَفْتُونُ الْمُنَى وَمَضَى الشَّبَابُ وَأَنْتَ سَاهٍ مُطْرِقُ^(٧)

(١) الزهو : الاختيال .

(٢) يصدع : يكسر ويحطم . والأغلال : السلاسل ، الواحد غل (بضم الغين وتشديد اللام) . والقضب : السيوف . الواحد قضيب . (٣) المتن : الظهر . (٤) لم تشبه : لم تحاطه .

(٥) في هذه القصيدة يشكر سمو الخديو على عفوه عن مسجونى دنشواى . وهو يجارى بهذه القصيدة قصيدة اسماعيل صبرى باشا التى مطلعها :

لو أن أطلال المنازل تنطق ما ارتد حزان الجوانح شقيق

(٦) المؤرق : المدهد الذى ذهب عنه النوم .

(٧) درج : ذهب ومضى . ومفتون المنى : أى طامع فيما لا ينال .

عَجَبًا يَلِدُ لَكَ السُّكُوتُ مَعَ أَهْوَى
خُلِقَ الْغَرَامُ لِأَصْغَرِيكَ ، وَطَالَمَا
وَرَمَوْكَ بِالسَّلَوى وَلَوْ شَهِدُوا الَّذِى
أَخْفَيْتَ أَسْرَارَ الْفُؤَادِ وَإِنَّمَا
نَفْسٌ - بَرِّبَكَ - عَنْ فُؤَادِكَ كَرِبَهُ
وَأَذْكُرُ لَنَا عَهْدَ الَّذِينَ بَنَيْنَاهُمْ
مَا لِلْقَوَايِ ؟ ! انْكُرْتِكَ وَلَمْ تَكُنْ
مَا لِلْيَاسَنِ ؟ ! بَغَيْرِ بَابِكَ وَاقِفًا
إِنِّى كَهَمِّكَ فِي الصَّبَابَةِ لَمْ أَزَلْ
نَفْسِى - بَرَغَمِ الْحَادِثَاتِ - فَتِيَّةٌ
إِنَّ الَّذِى أَغْرَى الشَّهَادَ بِمُقْلَتِى
وَأَثَقْنَاهُ إِلَّا أَبُوحَ ، وَإِنَّمَا
وَشَقِيتُ مِنْهُ بِقُرْبِهِ وَبِعَادِهِ
صَاحِبْتُ أَسْبَابَ الرِّضَا لِرُكُوبِهِ

وَسِوَاكَ يَبْعَثُهُ الْغَرَامُ فَيَنْطِقُ
ظَنُّوا الظُّنُونِ بِأَصْغَرِيكَ وَأَغْرَقُوا^(١)
تَطْوِيهِ فِي تِلْكَ الضُّلُوعِ لِأَشْفَقُوا
سِرَّ الْفُؤَادِ مِنَ النَّوَظِرِ يُسْرِقُ^(٢)
وَأَرْحَمُ حَشَاكَ فَانْهَ تَتَمَزَّقُ^(٣)
جَمَعُوا عَلَيْكَ هُمُومَهُمْ وَتَفَرَّقُوا
لِكِسَادِهَا فِي غَيْرِ سُوقِكَ تَنْفُقُ^(٤)
يَبْكِي ، وَيُعْجِلُهُ الْبُكَاءُ فَيَشْرِقُ^(٥)
أَلْهُو وَأُرْتَجِلُ الْقَرِيضَ وَأَعْشَقُ^(٦)
عُودِى - عَلَى رَغَمِ السَّكَارِثِ - مُورِقُ
مُتَعَنِّتٌ قَلْبِي بِهِ مُتَعَلِّقُ^(٧)
يَوْمَ الْحِسَابِ يُحَلُّ ذَاكَ الْمَوْثِقُ^(٨)
وَأَخُو الشَّقَاءِ إِلَى الشَّقَاءِ مُوقِفُ
مَنْ إِنْخِلَافٍ لِمَا بِهِ اتَّخَلَقُ^(٩)

(١) الأصفران : القلب واللسان . وأغرقوا : باأنوا وأفراطوا .

(٢) يقول : إن ما يكتمه الفؤاد تبديه العين . (٣) نفس : فرج وخفف .

(٤) تنفق : تروج . (٥) يشرق : يغص .

(٦) ألهم : العزم والقصد . (٧) أغراه به : أولعه به ورحضه عليه .

(٨) واثقه : عاهده . يريد أن سرجه سبطل مكتوما إلى يوم القيامة .

(٩) المتن : الظاهر . وركوبه متن الخلاف : كناية عن المغاضبة والشقاق . يقول : إنى وإياه مختلفان ، أنا

ملازم فعل ما يرضيه ، وهو دائب على أن يخالف ما فى طبعى وأخلاق .

وَصَبَرْتُ مِنْهُ عَلَى الَّذِي يَعْنِي بِهِ (١)
أَصْبَحْتُ كَالْدَهْرِيِّ أَعْبُدُ شَعْرَهُ
وَعَدَوْتُ أَنْظِمَ مِنْ ثَنَائِي ثَغْرَهُ
(صَبْرِي) أَسْتَثَرْتُ دَفَائِي وَهَزَزْتَنِي
فَأَبْجَحْتُ لِي شَكْوَى الْهَوَى وَسَبَقْتَنِي
قَالَ الرَّئِيسُ ، فَمَا لِقَوْلٍ بَعْدَهُ
(شَوْقِي) نَسَبْتُ فَمَا مَلَكَتُ مَدَامِعِي
أَعْجَزْتُ أَطْوَأَ الْأَنَامِ بِمَدْحَةٍ
لَمْ تَتْرُكْ أَلِي فِي الْمَدَائِحِ فَضْلَةً
نَفْسِي عَلَى شَوْقِي لِمَدْحِ أَمِيرِهَا
مَاذَا أَقُولُ وَأُنْتُمَا فِي مَدْحِهِ

حِلْمُ الْحَلِيمِ وَيَتَّقِيهِ الْأَحْمَقُ (١)
وَجَبِينَهُ وَأَنَا الشَّرِيفُ الْمُعْرِقُ (٢)
دُرًّا أَقْلَدَهَا الْمَدَى وَأَطْوَقُ (٣)
وَأَرَيْتَنِي الْإِبْدَاعَ كَيْفَ يَنْسَقُ (٤)
فِي مَدْحِ (عَبَّاسٍ) وَمِثْلِكَ يَسْبِقُ
بَاعٌ تَطُولُ وَلَا لِمَدْحِ رَوْتُ (٥)
مَنْ أَنْ يَسِيلَ بِهَا النَّسِيبُ الشَّيْقُ (٦)
سَجَدَ الْيَبَانُ لِرَبِّهَا وَالْمَنْطِقُ (٧)
يَجْرِي بِهَا قَلْبِي الضَّعِيفُ وَيَلْحَقُ
وَيَرَاعَتِي بَيْنَ الْأَنَامِلِ أَشَوْقُ (٨)
بَحْرَانِ بَاتَ كِلَاهُمَا يَتَدَفَّقُ

(١) يعنياه : يعجز عنه .

(٢) الدهري : الملحد الذي ينكر الإله وينسب الفعل إلى الدهر . وخص الشاعر الشعر والجبين بالذكر لما في الأول من سواد يشبه ظلمة الليل ، وما في الثاني من تألق يشبه بياض النهار ؛ وليس الدهر إلا الليل والنهار . وهو في البيت يعجب من جمعه بين شبه متباينين : إلحاد في العقيدة ، وشرف في النسب . والمعرق (بفتح الراء وكسرهما) : الذي له أصل في الكرم . (٣) المدا : البحر الوحشي ، يريد النساء التي تشبهها في جمال العيون الواحدة مهابة .

(٤) استعار : هيج . ويريد « بالدقائق » : ما يضره القلب من الشجون ، الواحدة : دفينة . ويشير بذلك إلى قصيدة صبري التي أوردنا مطلعها فيما سبق .

(٥) يريد « بالرئيس » : إسماعيل صبري باشا . وطول الباع : كناية عن اتساع المقدرة وقوة الاستطاعة . (٦) يريد أحمداً شوقي بك الشاعر . والنسيب : التشبيب بالنساء وذكر محاسنهن . ويريد « بالشيق » : الشائق ؛ والذي وجدناه في كتب اللغة أن « الشيق » بمعنى المشناق ؛ وليس مراداً هنا . ويشير بهذا البيت إلى قصيدة شوقي في هذا العيد ، والتي جارى فيها صبري ، ومطلعها :

أما العتاب فبالأحبة أخلق والحب يصلح بالعتاب ويصدق

(٧) الأطواق : جمع طوق ، وهو الوسع الطافة . (٨) البراعة : القلم .

العُجْزُ أَقْعَدَنِي ، وَإِنَّ عَزَائِمِي - لَوْلَا كُنَا - فَوْقَ السَّمَاءِ تُحَلَّقُ^(١)
 فَلَيْهِنِي الْعَبَّاسُ أَنْ بَكْفُهُ عَلَيْنِ هَزَّهُمَا الْوَلَاءُ الْمُطْلَقُ^(٢)
 وَلَيْبَقَ دُخْرًا لِلْبِلَادِ وَأَهْلِهَا يَعْفُو وَيَرْحِمُ مَنْ يَشَاءُ وَيُعْتِقُ
 (عَبَّاسُ) وَالْعِيدُ الْكَبِيرُ كِلَاهُمَا مَسْأَلُ بِيَازَاتِهِ مَسْأَلُ^(٣)
 هَذَا لَهُ تَجْرِي الدَّمَاءُ ، وَذَاكَ تَجْرِي الْقَرَائِحُ بِالْمَدِيحِ وَتُعْتِقُ^(٤)
 صَدَقَ الَّذِي قَدْ قَالَ فِيهِ ، وَحَسْبُهُ أَنَّ الزَّمَانَ لِمَا يَقُولُ مُصَدِّقُ :
 (لَكَ مَضْرُومَاتُهَا وَحَاضِرُهَا مَعًا) وَلَكَ الْغَدُ الْمُتَحْتِمُ الْمُتَحَقِّقُ^(٥)

تهنئة السلطان عبد الحميد^(٥) بعيد جلوسه

[نشرت في أزل سبتمبر سنة ١٩٠٨ م]

أَتْنِي الْحَجِيجُ عَلَيْكَ وَالْحَرَمَانِ وَأَجَلَّ عِيدَ جُلُوسِكَ الثَّقَلَانِ^(٦)
 أَرْضَيْتَ رَبَّكَ إِذْ جَعَلْتَ طَرِيقَهُ أَمَّا وَفُزْتَ بِنِعْمَةِ الرُّضْوَانِ
 وَجَمَعْتَ بِالْأُسْتُورِ حَوْلَكَ أُمَّةً شَتَّى الْمَذَاهِبِ بِجَمَّةِ الْأَضْفَانِ

(١) السماء : أحد نجمين يرين يقال لأحدهما : السماء الراح . والآخر : السماء الأعزل .

(٢) يريد « بالعَيْن » : صبرى وشوقى السابق ذكرهما .

(٣) هذا : أى العيد الكبير . ويشير بقوله « تجرى الدماء » : إلى دماء الأضاحى . وذا : أى العباس .
 وتعتق : تسرع .

(٤) هذا البيت من قصيدة صبرى فى هذا العيد ، وهى التى أشرنا إلى مطلعها فيما سبق .

(٥) انظر التعريف بالسلطان عبد الحميد فى الحاشية رقم ٢ ص ١٢ من هذا الجزء .

(٦) الحجيج : جمع حاج . والثقلان : الإنسان والجن .

فَعَدَوْتَ تَسْكُنُ فِي الْقُلُوبِ وَتَرْتَعِي حَبَاتِهَا وَتَحُلُ فِي الْوُجْدَانِ^(١)
 رَاعَيْتَهُمْ حَتَّى عَلِمْتَ بَانَهُمْ بَلَّغُوا أَشَدَّهُمْ عَلَى الْأَزْمَانِ
 بَفَعَلْتَ أَمْرَ النَّاسِ شُورَى بَيْنَهُمْ وَأَقَسْتَ شَرْعَ الْوَاحِدِ الدِّيَانِ
 لَوْ أَنَّهُمْ وَزَنُوا الْجِيُوشَ بِمَشْهَدِ رَجَحْتَ بِجَبِيشِكَ كِفَّةَ الْمِيزَانِ
 لَوْ شَاءَ زَلَزَلَا عَلَى أَعْدَائِهِ أَوْ شَاءَ أَذْهَلَهَا عَنِ الدَّوَرَانِ^(٢)
 يَمْشُونَ فِي حَلْقِ الْحَدِيدِ إِلَى الْعِدَا وَكَأَنَّهُمْ سَدُّ مِنَ الْإِنْسَانِ^(٣)
 وَكَأَنَّ مَقْدَمَهُمْ - إِذَا مَدَحَ الضُّمَحَى سَيْلٌ مِنَ الْهِنْدِيِّ وَالْمُرَانِ^(٤)
 يَتَوَاقِعُونَ عَلَى الرَّدَى وَصَفُوفُهُمْ - رَغَمَ الْوُثُوبِ - تَخَابَتِ الْبُنْيَانِ^(٥)
 فَإِذَا الْمَدَافِعُ فِي الزَّلَالِ تَجَاوَبَتْ بِزَيِّرِهَا وَتَلَا حَمَّ الْجَيْشَانِ
 وَإِذَا الْقَنَابِلُ دَمَدَمَتْ وَتَفَجَّرَتْ تَحْتَ الْغُبَارِ تَفَجَّرَ (الْبُرْكَانِ)^(٦)
 وَإِذَا الْبِنَادِقُ أُرْسَلَتْ نِيرَانَهَا طُلُقًا وَأَسْبَابُ الْهَلَاكِ دَوَانِي^(٧)
 أَبْصَرْتَ جَنًّا فِي مَسَالِيخٍ فَتِيَّةٍ وَشَهِدْتَ أَفْسَدَةً مِنَ الصَّوَّانِ^(٨)

(١) حبات القلوب « سويداواتها . وترتعي حباتها : الارتعاء : الرعى ؛ وهو مبالغة في تعلق القلوب به .

(٢) زلزلها وأذهلها ، أى الأرض ، يصف جيشه بالقوة والكثرة ، حتى إنه لو شاء أزال الأرض بأعدائه ، أو جعلها تقف ذاهلة لما ترى من بأسه وقوته .

(٣) حلق الحديد : الدروع .

(٤) الهندي : السيف . والمران : الرماح القوية اللدنة ، الواحدة : مرانة .

(٥) الردى : الهلاك .

(٦) استعمال « القنابل بمعنى قذائف المدافع ، استعمال شائع في لغة العصر ؛ ولم ترد به لغة العرب ، دمدمت عليهم : أى أوجفت الأرض بهم ، وأطلقت عليهم العذاب .

(٧) طلقا (بضم الطاء واللام) : أى انطلاقا بلا احتباس ولا تقييد .

(٨) المسالغ والمسالخ : الجلود . الواحد : مسلخ . يقول : لأنهم جن في صور الإنس

مَرَّهُمْ يَخوضُوا الزَّاحِرَاتِ وَيَنْسِفُوا شَمَّ الْجِبَالِ بِقُوَّةِ الْإِيمَانِ^(١)
 أَلِجَتْ صُدُورُهُمْ وَقَرَّ قَرَارُهُمْ لَمَّا حَلَفْتَ بِأَوْثَقِ الْإِيمَانِ^(٢)
 تَالَلَّهِ مَا شَكُّوا بِصِدْقِكَ دُونَهَا هُمْ يَعْرِفُونَ شَتَائِلَ السُّلْطَانِ^(٣)
 لَكَنَّهُمْ دَرَجُوا عَلَى سَنَنِ ، بِهِ لَوْقَايَةَ الدُّسْتُورِ خَيْرُ ضَمَانِ^(٤)
 يَا أَيُّهَا الشَّعْبُ الْكَرِيمُ تَمَاسَكُوا وَخُذُوا أُمُورَكُمْ بِغَيْرِ تَوَانِي
 مَا لِي أَذْكُرْكُمْ وَتِلْكَ رُبُوعُكُمْ مَرَعَى النَّهْيِ وَمَنَابِتُ الشُّجْعَانِ
 أَدْرَكْتُمُ الدُّسْتُورَ غَيْرَ مَلُوثٍ بِدَمٍ وَلَا مُتَلَطِّظًا بِهَوَانِ^(٥)
 وَفَعَلْتُمْ فِعْلَ الرِّجَالِ وَكُنْتُمْ يَوْمَ الْفَخَارِ كَأُمَّةِ الْيَابَانِ
 فَتَفَيْتُمْ ظِلَّ الْهِلَالِ فِيهِ جَمُّ الْمَبَرَّةِ وَاسِعُ الْإِحْسَانِ^(٦)
 يَرَعَى مُوسَى وَالْمَسِيحُ وَأَحْمَدُ حَقَّ الْوَلَاءِ وَحُرْمَةَ الْأَذْيَانِ
 نَحْذُوا الْمَوَاقِثَ وَالْعُهُودَ عَلَى هُدًى وَرَاةِ الْإِنْجِيلِ وَالْفُرْقَانِ
 وَتَذَوَّقُوا مَعْنَى الْحَيَاةِ فَلَمَّا فِي مِصْرَ الْفَاطِطِ بِغَيْرِ مَعَانِي
 وَدَعُوا التَّقَاطُعَ فِي الْمَذَادِبِ بَيْنَكُمْ إِنَّ التَّقَاطُعَ آيَةُ الْخِلْدَانِ

(١) الزاحرات : البحار . وشم الجبال : أعاليها .

(٢) تلح صدره بالشئ : بردواطمأن وسكن قلبه إليه . ويريد « بأوثق الإيمان » : اليمين التي حلفها السلطان على احترام الدستور .

(٤) درجوا : ساروا . والسنن (بالتحريك) : الطريق . يقول : إنهم ساروا على الطريقة الدستورية المتبعة في جميع الممالك وهي أن يخلف الملك اليمين على احترام الدستور ، وإن كان الملك مقلوعاً بصدقة عند رعيته ، ولكن ليكون ذلك الحلف ضمناً للدستور .

(٦) تفيتوا ظل الهلال : أى التجئوا إليه واستظلوا به ؛ يقال : تنفأ الشجرة ، إذا دخل في أفيائها ، أى ظلالها ، واستظل بها .

وَتَسَابَقُوا لِلْبَاقِيَاتِ ، وَأَظْهَرُوا
وَلَى زَمَانُ الْمُعْتَدِينَ كَمَا أَنْطَوَتْ
لَا الشُّكَّ يَذْهَبُ بِالْيَقِينِ وَلَا الرَّؤْيَى
وُضِعَ الْكِتَابُ وَسِيقَ جَمْعُهُمْ إِلَى
وَتَوَسَّمُوهُمْ فِي الْقِيُودِ فَقَائِلُ
وَمَلَبَّ لَغْرِيمِهِ وَمُطَالِبُ
قَدْ جَاءَ يَوْمُهُمْ هُنَا ، وَأَمَامَهُمْ
سُبْحَانَ مَنْ دَانَ الْقَضَاءُ بِأَمْرِهِ
يَا يَوْمَ عَادَ النَّازِحُونَ لَأَرْضِهِمْ
لِلْعَالَمِينَ دَفَائِنَ الْأَذْهَانِ^(١)
حَيْلُ الشُّيُوخِ وَإِمْرَةُ الْخَصِيَانِ^(٢)
تُجْدَى الْمُسَىءَ وَلَا رُقَى الشَّيْطَانِ^(٣)
يَوْمَ الْحِسَابِ وَمَوْقِفِ الْإِذْعَانِ^(٤)
هَذَا فُلَانٌ قَدْ وَشَى بَفُلَانٍ^(٥)
بِمِ أَرِيقَ بِمَسْبَجِ الْحَيْثَانِ^(٦)
- لَيْدَ النَّشُورِ - هُنَاكَ يَوْمٌ ثَانِي^(٧)
لَيْدَ الضَّعِيفِ مِنَ الْقَوَى الْجَانِي^(٨)
يَتَسَابَقُونَ لِرُؤْيَا الْأَوْطَانِ^(٩)

(١) الباقيات : المآثر الخالدة بعد زوال أصحابها . ويريد « بدفائن الأذهان » : نتائج الفرائح وثمرات العقول .

(٢) يريد « بامرة الخصيان » : السلطة التي كانت (للأغوات) في القصور .

(٣) الرؤى : الاحلام . الواحدة : رؤيا . والرقى : جمع رقية : وهي العوذة التي يرقى بها من به علة . ويشير « بالرؤى والرقى » : إلى أحوال أبي الهدى الصيادى فى زمن السلطان عبد الحميد ، وما كان يدخل به إلى قلب السلطان من الخيل والاذىب بالرقى والتعاوىذ وغير ذلك .

يشير بقوله : « وضع الكتاب » : إلى قوله تعالى إخبارا عما يكون فى البعث يوم الحساب : (ووضع الكتاب فترى المجرمين الآية . والمراد بوضع الكتاب هنا : الاستعداد لحساب المجرمين من الشعب على ما قدمت أيديهم قبل الدستور . والكتاب : هو السجل الذى أحصيت فيه أعمالهم . والإذعان : الخضوع والالتقياد .

(٥) توسمهم : أى تفرسوا فى وجوههم وتعرفوهم .

(٦) يقال : لبب فلان فلانا ، إذا أخذ بتليبه ، أى جمع ثيابه عند صدره ونحره فى الخصومة ثم جره ومسح الخيتان : البحر . يشير إلى من كان يأمر السلطان باغراقهم فى مضيق البسفور .

(٧) النشور : الإحياء بعد الموت ، أى يوم القيامة .

(٨) « دان القضاء » الخ : أى اقتص للضعيف من القوى .

(٩) النازحون : البعيدون ؛ ويريد رجال السياسة الذين كان قد قفاهم السلطان عبد الحميد عن بلادهم لمطالبتهم

إياه بالدستور .

لله كمْ أَطْفَأَتْ مِنْ نَارٍ ذَكَتْ دَهْرًا وَكَمْ هَدَّاتْ مِنْ أَشْجَانٍ^(١)
 هَذَا يَطِيرُ إِلَى (فَرُوقٍ) وَمَنْ بِهَا شَوْقًا وَذَاكَ إِلَى رَبِّي لُبْنَانٍ^(٢)
 خَلَعُوا الشَّابَابَ عَلَى الْبَشِيرِ وَأَخْلَقُوا بِاللَّيْلِ عَهْدَ خَلِيفَةِ الرَّحْمَنِ^(٣)
 وَتَعَانَقُوا بَعْدَ النَّوَى تَكْجَائِلٍ يَحْلُو بِهِنَّ تَعَانُقُ الْأَغْصَانِ^(٤)
 فَتَرَى النِّسَاءَ مَعَ الرِّجَالِ سَوَافِرًا لَا يَتَّقِينَ عَوَادِيَ الْأَجْفَانِ
 عَجَبًا لَهُنَّ وَقَدْ خُلِقْنَ أَوَاسِيًا يَبْرُزْنَ فِي فَرْجٍ وَفِي أَحْزَانِ
 أَهْلًا بِحَاسِرَةِ اللَّسَاءِ وَمَنْ إِذَا سَفَرَتْ عَنَّا لِحَامَهَا الْقَمَرَانِ^(٥)
 خَطَرَتْ فَعَطَّرَتْ الْمَشَارِقَ عِنْدَمَا هَبَّتْ سَائِمُهَا مِنَ الْبَلْقَانِ
 يَا لَيْتَهَا خَطَرَتْ بِضَرْوٍ تُسْرِقَتْ فِي يَوْمٍ أَسْعُرُهَا عَلَى طَهْرَانِ^(٦)
 أَضْنَاهُمَا شَوْقٌ قَدْ ابْيَضَّتْ لَهُ كَيْدَاهُمَا وَتَصَدَّعَ الْقَلْبَانِ^(٧)
 عَرَفَ الْوَرَى مِيقَاتَهَا فَتَرَقَّبُوا (تَمُوزَ) مِثْلَ تَرَقُّبِ الظُّمَانِ^(٨)

(١) ذكت النار : اشتد لها .

(٢) فروق (بفتح الفاء) : اسم القسطنطينية . والرَب : جمع ربوة ، وهى ما ارتفع من الأرض .

(٣) خلعوا الشباب على البشير : أى أنهم كادوا من فرحهم يبشرون بالعودة إلى بلادهم يخلعون على من بشرهم بذلك حلل شبابهم بدل ثيابهم . وأخلقوا باللائم الخ ، أى أكثروا من تقييل عهد الخليفة إلى أن صار كالثوب الخلق ، أى الرث البالى . ويريد « بعهد الخليفة » : (الفرمان) المكتوب بمرده إليهم ، وتأمين الخائفين منهم .

(٤) التَكْجَائِل : جمع نخيلة ، وهى الموضع الكثير الشجر .

(٥) حاسرة اللئام : كاشفته . ويريد بها الحرية . وعنا : نضم . والقمران : الشمس والقمر .

(٦) طهران : مدينة بايران معروفة ، وهى عاصمتها . يتنى فى هذا البيت : بالحرية لمصر وإيران مثل تركيا .

(٧) أضناه الشوق : أسقمه . وابيضاض الكبد : كناية عن شدة الحزن .

(٨) ميقاتها : وقتها . وتموز : اسم شهر من السنة المسيحية ، يقابل شهر يوليو ، وهو الشهر الذى نالت فيه الأمة العثمانية دستورها ، كما نالت فيه فرنسا حريتها ، واستقلت فيه أميركة ، ولهذا جعله الشاعر ميقاث الحرية وإبانها .

شَهْرٌ بِهِ بُعِثَ الرَّجَاءُ وَأُنْشِرَتْ (١)
 فَلَهُ عَلَى الدُّنْيَا الْجَدِيدَةِ نِعْمَةٌ
 وَعَلَى فَرَنْسِيْسِ الْحَضَارَةِ مَنَّةٌ
 تَمْوِزُ ! أَنْتَ أَبُو الشُّهُورِ جَلَالَةٌ
 هَلَّا جَعَلْتَ لَنَا نَصِيبًا ؛ عَلَّنَا
 أَيْعُودُ مِنْكَ الْاُمُلُونِ بِمَا رَجَوَا
 تَمْوِزُ ! إِنَّ بَنِيَّ إِلَيْكَ لِحَاجَةٌ
 مِنِّي عَلَى دَارِ السَّلَامِ تَحِيَّةٌ
 وَعَلَى رِجَالِ الْجَيْشِ مِنْ مَاشٍ بِهِ
 وَعَلَى الْأُلَى سَكُنُوا إِلَى الْحُسْنَى سَوَى
 وَإِلَى الْجَزَارِ الْخَارِجِيِّ وَمَا بِهِ
 مَا لِلشَّرِيفِ الْمُتَمَتِّعِ حَسَبًا إِلَى
 أَمْسَى يَمَالِئُهُ وَيَنْصُرُ غِيَّهَ

أُمَمٌ وَبَدَلٌ خَوْفُهَا بِأَمَانٍ (١)
 يَشْدُو بِذِكْرِ صَنِيعِهَا الْفَتَيَانِ (٢)
 تَتْلَى أَنَا شَيْدٌ لَهَا وَأَغَانِي
 تَمْوِزُ ! أَنْتَ مِنِّي الْأَسِيرِ الْعَانِي
 نَجْرِي مَعَ الْأَحْيَاءِ فِي مَيْدَانِ
 وَنَعُودُ نَحْنُ بِذَلِكَ الْحَرَمَانِ ؟
 فَمَتَى الْأَوَانُ ؟ وَأَنْتَ خَيْرُ أَوَانٍ
 وَعَلَى الْخَلِيفَةِ مِنْ بَنِي عُثْمَانِ (٣)
 أَوْ رَاكِبٍ أَوْ نَازِحٍ أَوْ دَانِي (٤)
 ذَاكَ الَّذِي يَدْعُو إِلَى الْعُصْيَانِ (٥)
 إِلَّا اقْتِنَاصُ الْأَصْفَرِ الزَّانِ (٦)
 خَيْرِ الْبَرِيَّةِ مِنْ بَنِي عَدْنَانِ (٧)
 وَضَلَالَهُ بِجُثَالَةِ الْعُرْبَانِ (٨)

(١) أنشرت : من الإنبات ، وهو الإحياء بعد الموت .

(٢) الدنيا الجديدة : أميركة . ويشدو يترنم . والفتيان : الليل والنهار .

(٣) دار السلام : الآستانة . (٤) النازح : البعيد .

(٥) سكنوا إلى الحسنى : اطمأنوا إليها ولاذوا بها .

(٦) الأصفر الزان : الذهب . ويشير بهذا البيت وما بعده إلى ما كان يضمه وإلى الجواز والشرى من عصيان السلطان والانتفاض عليه إذ ذاك . (٧) الشريف : أمير مكة . والمتنمى : المنتسب .

(٨) تمائله : يشايه . والجثالة : سفلة الناس .

تالله لو جندتما رمّل النّقا ونزلتما بمواطن العقبان^(١)
وغرستما أرض الحجاز أسنة^(٢) وأسلمتما بحراً من النيران^(٣)
وأقمتما فيها المعاقل منعة^(٤) من أرض نجد إلى خليج عُمان^(٥)
لدها كماً ورمّا كماً وذرا كماً ماحي الحصون وما سخّ البلدان^(٦)
إن تأتي طوعاً وإلا فأتياً كرهاً بلا حوٍ ولا سلطان^(٧)
وإليك يافرع الخلائف مدحة^(٨) عزّت شواردها على (حسان)^(٩)
من شاعري تثبُّ النهى لقريضه وثبَّ النفوس لرنة البیدان^(١٠)
يُهدى المديح إلى المايك سبائكاً تعنو لهنّ سبائك العقيان^(١١)
إنّ الملوك إذا استوت البستها بالمدح تيجاناً على تيجان^(١٢)

(١) الضمير في «جندتما» يعود إلى والي الحجاز وشریف مكة . والنقا : القطعة العظيمة من الرمل تنقاد محدودة ، شبه بها الجنود في كثرة العدد . ويريد «مواطن العقبان» : رؤس الجبال ، إذ هي التي تسكنها . العقبان : جمع عقاب ، وهو من جوارح الطير ، وتسميه العرب بالكاسر .

(٢) يريد «بالأسنة» : الرماح .

(٣) المعاقل : الحصون . الواحد : معقل .

(٤) يقال : ذرت الريح التراب في الهواء تذرّه ذرّاً وتذريه ذرباً ، إذا فرقته وأطارته . ويريد «ماحي الحصون» الخ : السلطان .

(٥) الشوارد من الشعر : المعاني التي تشرد عن أذهان الشعراء وتعزب عنها لغرابتها . وحان هو ان ثابت الأنصاري الشاعر المعروف .

(٦) القريض : الشعر .

(٧) تعنو : تحضع . والعقيان : الذهب الخالص .

(٨) استوت : أي جلست على عروشها وتملكت .

إلى أحمد شوقي بك^(١)

يهنئه حين أنعم عليه بالرتبة الأولى العلمية

انْ هَنُّوكْ بِهَا فَلَسْتُ مُهَنَّئًا إِنِّي عَهْدَتُكَ قَبْلَهَا مُحْسُودًا
قد كان قَدْرُكَ لَا يُحْدِنَبَاهَةٌ وَسَعَادَةٌ فَعَدَا بِهَا مُحْدُودًا

تهنئة الخديو عباس الثاني بقدمه من الحج

[١٢٢٧هـ - ١٩٠٩م]

مُنَى نِلْتَهَا يَا لَإِسَ الْمَجْدِ مُعَلِّمًا أَدِينًا وَدُنْيَا؟ زَادَكَ اللَّهُ أَنْعَمًا^(٢)
فَلِلَّهِ مَا أَبْهَكَ فِي مَضَرٍ حَالِيًا وَلِلَّهِ مَا أَتَقَاكَ فِي الْبَيْتِ مُحْرِمًا
أَقُولُ وَقَدْ شَاهَدْتُ رُكْبَكَ مُشْرِقًا وَقَدْ يَمَّمُ الْبَيْتَ الْعَتِيقَ الْمُحْرَمًا^(٣)
مَشَتْ كَعْبَةُ الدُّنْيَا إِلَى كَعْبَةِ الْهُدَى يَفِيضُ جَلَالُ الْمُلْكِ وَالِدَيْنِ مِنْهُمَا
فِيَالْيَتَى اسْتَطَعْتُ السَّيْلَ وَلَيْتِي بَلَغْتُ مِنْ الدَّارَيْنِ رَحْبًا وَمَغْنَمًا^(٤)

(١) ولد أحمد شوقي بك بالقاهرة حوالى سنة ١٨٦٨ م . وبعد أن أتم علومه الابتدائية ثم الثانوية ألحق بمدرسة الحقوق ، وبعد تخرجه فيها أصلى بمعية أمير مصر ثم سافر إلى أوربة ليتعمد دراسته ، ثم عاد إلى الحية ثانية : وبقى بها حتى خلع عباس الثانى ، فاستقال . وتوفى رحمه الله فى ١٤ أكتوبر سنة ١٩٣٢ م عن نحو أربعة وسنين عاما ، وله ديوان شعر مطبوع ، جمع فيه أكثر شعره ، وله غير ذلك من الكتب .

(٢) الذوب المعلم : هو الذى له علم من طراز وغيره ؛ شبه به المجد فى وضوحه واشتهاره .

(٣) يمم : قصد . والبيت العتيق : الكعبة .

(٤) استطعت : استطعت ؛ ويريد قدرته على أداء فريضة الحج ؛ يشير إلى قوله تعالى : (حج البيت من استطاع

إليه سبيلا) .

وفي الركب شمسٌ أُنجبتْ أنجبَ الوردى ففى الشرقِ مولانا الأميرَ المعظما^(١)
 تسيرُ إلى شمسِ الهدى فى حفاوةٍ من العزِّ تحدوها الزواهرُ أينما^(٢)
 فلم أرَ أفقا قبلَ ركبكِ أطلعتْ جوانبُه بذرا وشمسا وأنجما
 ولو أننى خيرتُ لأخترتُ أن أرى لعيسكَ وحدى حاديا مترنما^(٣)
 أسيرُ خلالَ الركبِ نحوَ حظيرةٍ على ربها صلى الإلهُ وسلما
 إلى خيرِ خلقِ الله من جاء ناطقا بآياته إنجيلُ عيسى بنِ مريما
 حللتَ بأكفافِ الجزيرةِ عابرا فأنصرتَ واديا وكنتَ لها سما^(٤)
 وأشرقتَ فى بطحاءِ مكة زائرا فباتَ عليك النيلُ يحسدُ زمزما^(٥)
 وماظفرتَ من بعد (هارون) أرضها بمثلِكَ مميونَ النقيبة منعما^(٦)
 ولا أبصرَ الحجاجَ من بعد شخصه على عرفاتٍ مثلَ شخصكَ محرما
 رميتَ فسددتَ الجمارَ فلم تكن جمارا على إبليسَ بل كُن أسهما^(٧)

(١) يريد « بالشمس » : أم الخديو، وكانت قدجبت معه .

(٢) يريد « بشمس الهدى » : رسول الله صلى الله عليه وسلم . والحفاوة : العناية والإكرام . الزواهر : النجوم ، والمراد وصفاتها . أينما : أى أينما سارت .

(٣) العيس : الإبل ؛ وبطلق فى الأصل على الإبل البيض يحالظ بياضها شقرة ؛ ويقال : إنها إكرام الإبل . الواحد أعيس : والأنثى عيساء .

(٤) أكفاف الجزيرة : جوانبها . وأنصرت واديا ، أى جعلته باضرا حسنا بهيجا من الخصب . ويريد بقوله : « وكنت لها سما » : أنه كان لها مطرا ؛ وقد هطل المطر فى جزيرة العرب أيام حجه .

(٥) البطحاء والأبطح : مسيل للاء واسع ، فيه دقائق الحصى . وبطحاء مكة : مسيل واديا .

(٦) يريد هارون الرشيد الخليفة العباسى المعروف . وميون النقيبة : أى محمود المختبر (بفتح الباء) .

(٧) الجمار : الحصن الذى يرى به الحجاج فى من .

وإنّ الذي ترميه وقف على الردى وإن لاذ بالأفلاك ياخير من رمى^(١)
 وبين الصفا والمسروة أزددت عزّة بسعيك يا (عبّاس) لله مسلماً
 تهزول لأولى الكريم معظماً وكم هزول الساعى إليك وعظماً^(٢)
 وطفت وكم طافت بسدتك المنى وكم أمسك الراجى بها وتحرماً^(٣)
 ولما استلمت الركن حاجت شجونه فلو أنه أسطاع الكلام تكلاً^(٤)
 تذكر (زين العابدين) وجدّه وما كان من قول (الفرزدق) فيهما^(٥)
 فلو يستطيع الركن أمسك راحة مسحت بها يا أكرم الناس مئماً^(٦)
 دعوت لنا حيث الدعاء إجابة وأنت بدعوى الله أظهرنا فكاً
 أمانيك الكبرى وهمك أن ترى بأرجاء وادى النيل شعباً منعماً
 وأن تبني المجد الذى مال ركنه وأن ترهف السيف الذى قد تشلماً^(٧)

(١) الردى : الهلاك . يقول : إن الذى ترميه هالك لا محالة وإن تحصن منك بأفلاك السماء .

(٢) الهزولة : الإسراع فى المشى . ويريد « بالساعى » : طالب لمعروف .

(٣) السدّ الباب . وتحرم بسدته : احتفى بها واستأمن من نواصب الدهر بالوقوف بها ، كما يستأمن الداخل فى الحرم من العدوان عليه . (٤) شجونه : أى أشواقه .

(٥) زين العابدين : هو أبو الحسن على بن الحسين بن على رضى الله تعالى عنهم ، أحد الأئمة ، وهو من سادات التابعين . ولد فى سنة ثمان وثلاثين للهجرة . وتوفى سنة أربع وتسعين ؛ وقيل اثنتين وتسعين . والفرزدق : هو أبو فراس همام بن غالب التميمى أحد فحول الشعر فى العصر الأموى ؛ وكانت ولادته ونشأته بالبصرة ؛ وتوفى بها نحو سنة مائة وعشر هجرية . ويشير الشاعر فى هذا البيت إلى قول الفرزدق فى قصيدته المشروعة فى مدح زين العابدين ، ومنها

هذا الذى تعرف البطحاء وطائمه والبيت يعرفه والحل والحرم

هذا ابن خير عباد الله كلهم هذا النقى التقى الطاهر العلم

(٦) المئمة : الأصل الذى ينتهى إليه الإنسان ، أى يتنسب . ومنى هذا البيت مأخوذ من قول الفرزدق فى

زين العابدين :

بكاد يسكه عرفان راحته ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم

(٧) أرهف السيف : حدّده . وتعلم : تكسرحده ، أى تعيد لمصر القوة التى تطرق إليها الضعف

دَعَوْتَ لِمَصْرٍ أَنْ تَسُودَ، وَكَمْ دَعَتْ
فَالَيْتَ مُلُوكَ الْمُسْلِمِينَ تَسْبَهُوا
سَلِيلِ مُلُوكِ يَشْهَدُ اللَّهُ أَنَّهُمْ
لَنْ بَاتَ بِالْمَجْدِ الْمُؤْتَلِ مُغْرَمًا
وَإِنْ تَامَ حُبُّ الْمُكْرَمَاتِ فَوَادَهُ
وَإِنْ سَكَنْتَ تَقْوَى الْمُهَيِّمِنِ قَلْبَهُ
وَإِنْ بَاتَ نَهَاضًا بِمَصْرٍ إِلَى الدُّرَا
حَوَى مَا حَوَى مِنْ مَجْدِهِمْ وَنِجَارِهِمْ
دَعَوْا بِكَ وَأَسْتَسْقُوا فَلَبَّى دَعَاءَهُمْ
لَكَ اللَّهُ مَصْرٌ أَنْ تَعِيشَ وَتَسْلَمَ
بِمَلِكٍ إِذَا مَا أَجَمَ الدَّهْرُ أَقْدَمًا^(١)
أَقَامُوا عَمُودَ الدِّينِ لِمَا تَهَدَّمَا
لَقَدْ كَانَ (إِبْرَاهِيمُ) بِالْمَجْدِ مُغْرَمًا^(٢)
لَقَدْ كَانَ (إِسْمَاعِيلُ) فِيهَا مُتِمًّا^(٣)
فَقَدْ كَانَ مِنْهَا قَلْبُ (تَوْفِيقٍ) مُفْعَمًا^(٤)
فَمَنْ جَدَّهُ الْأَعْلَى (عَلَى) تَعَلَّى^(٥)
وَزَادَ فَأَعْيَا الْمَسَادِحِينَ وَأَخْفَدَا^(٦)
مَنْ الْأَفْقِ هَتَانٌ مِنَ الْمُنَنِ قَدْ هَمَى^(٧)

(١) الملك بسكون (اللام) : لقة في الملك (بكسرها) . وأجم : تأخر .

(٢) المجد المؤتل : المؤصل الثابت . وإبراهيم ، هو إبراهيم باشا ابن محمد علي باشا الكبير ؛ ولد سنة ٧٨٩ وتولى عرش مصر في حبة أبيه سنة ١٨٤٨ م . وتوفي في السنة نفسها التي ولي فيها .

(٣) تامه الحب والمثاق تيمنا : استعبد . وإسماعيل ، هو إسماعيل باشا ابن إبراهيم باشا ؛ ولد سنة ١٨٣٠ م ؛ وولى خديوية مصر في ١٨ يناير سنة ١٨٦٣ م ؛ وعزل عنها سنة ١٨٧٩ م . وتوفي في ٢ مارس سنة ١٨٩٥ م .

(٤) توفيق : هو محمد توفيق باشا ابن إسماعيل باشا ؛ ولد في سنة ١٨٥٢ م ؛ وتولى الخديوية سنة ١٨٧٩ م ؛ وتوفي سنة ١٨٠٢ م . والمفعم : الممتلئ .

(٥) على : أي محمد علي باشا جد الأسرة المالكة ؛ ولد بمدينة قوله عام ١٧٦٩ م . ؛ وولى مصر عام ١٨٠٥ م ؛ وتوفي في ٢ أغسطس سنة ١٨٤٩ م .

(٦) النجار : الأصل . وأخفه : أعجزه عن الكلام .

(٧) استسقوا ، أي طالوا السقيا . والضمير في « دعوا » « واستسقوا » لأهل مكة . والهتان : المنصب . والمزن : السحاب ذو الماء . وهى : سال لا يقنيه شيء . ويشير بهذا إلى مطر غزير رزق بمكة أيام حج الخديو فأخصبت به الأرض وفاضت بالخير .

أَلَحَّ عَلَى أَوْعَارِهِمْ وَسُهُولِهِمْ وَحَيًّا عَبُوسَ الْقَفْرِ حَتَّى تَبَسَّما^(١)
وَلَمَّا طَوَى بَطْحَاءَ مَكَّةَ هَزَّه إِلَى الْبَيْتِ شَوْقُ الْمُسْتَهَامِ فِيهِمَا^(٢)
أَطَافَ بِهِ ثُمَّ أَتَنَّى عَنْ فَائِهِ وَلَوْ عَبَّ مِنْهُ (السَّامِرِيُّ) لِأَسْلَمَا^(٣)
طَلَعَتْ عَلَيْهِمْ أَسْعَدَ الْخَلْقِ مَطْلَعًا وَعُدَّتْ الْيَنَّا أَيْمَنَ الْخَلْقِ مَقْدَمًا^(٤)
رَجَعْتَ وَقَدْ دَاوَيْتَ بِالْجُودِ فَقَرَّهُمْ وَكَنتَ لَهُمْ فِي مَوْصِمِ الْحَجِّ مَوْسِمًا
وَأَمَنْتَ لِلْبَيْتِ الْحَرَامِ طَرِيقَهُ وَكَانَ طَرِيقُ الْبَيْتِ مِنْ قَبْلِهَا دَمًا^(٥)
وَيَسَّرْتَهُ حَتَّى أَسْتَطَاعَ رُكُوبَهُ أَخُو النَّقْرِ لَا يَطْوِيهِ جُوعٌ وَلَا ظَمًا^(٦)
وَجَدْتَ وَجَدْتَ رَبَّةَ الطُّهْرِ وَالتَّقَى عَلَى الْعَامِ حَتَّى أَخْصَبَ الْعَامُ مِنْكُمْ^(٧)
فَلَمْ تُبْقِيَا فَوْقَ الْجَزِيرَةِ بَائِسًا وَلَمْ تَتْرُكَا فِي سَاحَةِ الْبَيْتِ مُعْدِمًا
فَأَرْضَيْتُمَا الدِّيَانَ وَالْدِّينَ كُلَّهُ لَقَدْ رَضِيَ الدِّيَانُ وَالْدِّينُ عَنْكُمَا

(١) أَلَحَّ عَلَى أَوْعَارِهِمْ : دام عليهما . والأوعار : ما صعب من الأرض . وعبوس القفر : ما جذب منه وقل نباته ، فصار كالوجه العابس الذي لا يشرفه . وتبسم : أى أخصب وكثر نباته ، فاستعار « التبسم » لخصب الأرض وذهاب ألوان الذبابة فيها .

(٢) طوى : أى المزن السابق ذكره . وبطحاء مكة : مسيل واديا . وهزه : حركه . ويم : قصد .

(٣) الفناء : الساحة . ويريد الشاعر بهذا البيت والذي قبله أن السحاب لما أروى بطحاء مكة تشوق إلى الكعبة فسار إليها ، ثم ارتد عنها إجلالا لها ولم يمطر عليها . وعب منه : شرب . ويريد بالسامري : موسى السامري الوارد ذكره في القرآن في قصة بني إسرائيل ، إذ صنع لهم عظام من الخلق وحضهم على عبادته ، وكان ذلك في غيبة نبي الله موسى عليه السلام في ميقات ربه ، قال تعالى في سورة طه : (قال فإنا قد قتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري) الآيات .

(٤) أَيْمَنَ الْخَلْقِ : أى أبركهم .

(٥) دما : أى ملأوا بالقتل وسفك الدماء .

(٦) لا يطويه : أى لا يردّه ولا يصرفه .

(٧) يريد « ربّة الطهر » : والدة الخديو .

تحية محمد سعيد باشا^(١)

بمناسبة عودته من أوربة في اليوم الحادى عشر من شهر شوال سنة ١٣٣٠ هـ . وكان رئيسا للحكومة إذ ذاك

فِيكَ السَّعِيدَانِ اللَّذَانِ تَبَارَيَا يَا مِصْرُ فِي الْخَيْرَاتِ وَالْبَرَكَاتِ^(٢)
 نِيلٌ يَفِيضُ عَلَى سُوءِكَ رَحْمَةً وَقَتِي يَقِيكَ غَوَائِلَ الْعَثَرَاتِ
 عَادَ الرَّئِيسُ فَرَحِي بِقُدُومِهِ وَتَهَلَّى بِمُفَرِّجِ الْأَزْمَاتِ

إلى أمين واصف بك

قال هذين البيتين ليكتبا في لوح مهدى إليه من مدرسة طوخ الصناعية ، إذ كان مديرا للقلوبية

[نشر في سنة ١٩١٢ م]

لَمْ نَجِدْ مَا يَفِي بِقُدْرِكَ فِي الْحَبِّ بِدِ فِيهِدَى إِلَى حِمَاكَ الْكَرِيمِ
 فَبَعَثْنَا إِلَيْكَ بِاسْمِكَ مَكْتُو بَا عَلَى صَفْحَةِ الْوَلَاءِ الْمُقِيمِ

*
* *

(١) محمد سعيد باشا هو الوزير المعروف ولد في سنة ١٨٦٣ م ، وبعد أن أتم علومه تولى عدّة مناصب قضائية وعدة وزارات ورأس الوزارة مرتين ، الأولى من سنة ١٩١٠ م إلى سنة ١٩١٤ م ، والثانية سنة ١٩١٩ م . وكان وزيرا للعارف في الوزارة السعدية سنة ١٩٢٤ م . ثم اعتزل السياسة إلى أن توفي في ٢٠ يولييه سنة ١٩٢٨ م ، وكان معروفا بالعقل والدهاء في الشؤون السياسية .

(٢) تباريا : تسابقا .

وقال يودّعه :

أنشدها في حفل أقامه كبار موظفي مديرية القليوبية ، إذ كان مدبرا لمدير إتهم ونقل

[نشرت في ٩ مايو سنة ١٩١٢ م]

إِنِّي دُعِيتُ إِلَى أَحْتِفَالِكَ بِحُفَاةٍ فَأَجَبْتُ رَغْمَ شَوَاغِلِي وَسَقَامِي
وَدَعَوْتُ شِعْرِي يَا (أَمِينُ) نَحَاتِي أَدَبِي وَلَمْ يَرَعْ الْقَرِيبُ ذِمَامِي^(١)
فَأَتَيْتُ صَفَرَ الْكَفِّ لَمْ أَمْلِكْ سِوَى أَمَلِي بِصَفْحِكَ عَنْ قُصُورِ كَلَامِي
وَأَنْجَلْتِي ! أَيَكُونُ هَذَا مَوْقِفِي فِي حَفْلَةِ التَّوْدِيْعِ وَالْإِكْرَامِ ؟
وَأَنَا الْخَلِيقُ بِأَنْ أُرْتَلَّ لِلوَرَى آيَاتِ هَذَا الْمُصْلِحِ الْمُقْدَامِ
وَأَقُومُ عَنْ نَفْسِي وَعَنْ غَيْرِي بِمَا يَقْضِي الْوَلَاءُ وَوَجِبُ الْإِعْظَامِ
(بِنهَا) لَقَدْ وُفِّيتَ قِسْطُكَ مِنْ مَنِي وَسَعَادَةٍ وَرِعَايَةٍ وَنِظَامِ^(٢)
فَدَعَى سِوَاكَ يَفْزُ بِقَرَبِ مَوْقِفِي هُوَ فِي الْحُكُومَةِ نُحْبَةُ الْحُكَّامِ
لَيْسَ التَّوَاضُّعُ حُلَّةً وَمَشَى إِلَى رُتَبِ الْجَلَالِ مُسَدِّدَ الْأَقْدَامِ
وَعَدَا بِأَبْرَاجِ الْعُلَا مُتَنَقِّلًا كَالْبَلَدِ يُسْعِدُهُ السُّرَى بِتَمَامِ

(١) الذمام : الحق والحرمة .

(٢) بنها : عاصمة مديرية القليوبية .

تمنيّة محمود سامي بك (باشا)^(١)

قالها في حفل أقيم تكريماً له بفندق الكونغرنتال لمناسبة ترفيته إلى منصب كبير في وزارة (نظارة) الأشغال

[نشرت في ١٢ يولييه سنة ١٩١٢ م]

رَبَّكَ وَالِدُكَ الْكَرِيمُ عَلَى التَّقَى وَعَلَى النَّزَاهَةِ وَالضَّحِيرِ الطَّاهِرِ
فَأَشَاتَ بَيْنَ رِعَايَةٍ وَعِنَايَةٍ وَدَرَجَتَ بَيْنَ مُحَمَّدٍ وَمَفَاحِرِ
وَسَمَوْتَ يَا (سَامِي) إِلَى أَوْجِ الْعُلَا وَبَرَّيْتَ قَوْمَكَ بِالذِّكَاةِ النَّادِرِ
رَبِّي أَبُوكَ عُقُولَنَا وَنُفُوسَنَا فَهَذَا بِوَالِدِكَ (الْأَمِينِ) وَفَاحِرِ^(٢)
وَأَهْنَأُ بِمَا أُوتِيْتَهُ مِنْ نِعْمَةٍ فِي عَهْدِ مَوْلَانَا الْأَمِيرِ الزَّاهِرِ^(٣)
يَا مَالِيَّ الْكُرْسِيِّ مِنْهُ مَهَابَةٌ وَكَفَايَةٌ يَا مِلءَ عَيْنِ النَّاطِرِ
إِنِّي الَّتِي قُلْدَتَهَا فِي حَاجَةٍ لِعَزِيمَةٍ تَمُضِي وَرَأْيٍ بَاتِرِ^(٤)
فَأَفِضْ ضِيَاءَكَ فِي (النَّظَارَةِ) كُلِّهَا وَأَقْرِضْ عَلَى الْأَعْمَالِ قَبْضَ الْقَادِرِ
وَأَخْذُكُمْ بِلَادِكَ بِالَّذِي أُوتِيْتَهُ مِنْ فُطْنَةٍ وَأَقْلٍ عِثَارِ الْعَاشِرِ^(٥)
هَنَأْتُ مَضَرَ وَنِيلَهَا وَرَجَاهَا لِمَا رَأَيْتُكَ فِي بَيْابِ الْأَمْرِ

(١) هو ابن صاحب السعادة الأستاذ أمين سامي باشا المربي المعروف . تولى رحمه الله عدة مناصب عالية في الحكومة المصرية آخرها منصب الوزير المفوض لمصر في أميركة ، وتوفي في يولييه سنة ١٩٣٦ م .

(٢) يشير بهذا البيت إلى أن والد الممدوح من رجال التربية بوزارة المعارف ، وكان ناظراً للمدرسة دار العلوم مدة طويلة من الزمن ، وتخرج في أيام نظارته لهذه المدرسة كثيرون من الأساتذة الأجله .

(٣) العهد الزاهر : الماضي ، المشرق ، ويريد عهد الخديوي عباس الثاني .

(٤) الباتر : القاطع .

(٥) يقال : أقال فلان عثار فلان وعثرته ، إذا صفع عن زبله ودفع عنه ما يتوقع بسببها من مكروه .

ورأيتُ في الديوانِ قدركَ عالياً والناسَ تهتِفُ بالثناءِ العاطِرِ
ما بينَ مُعترِفٍ بفضلكَ مُعلنٍ أو ضارِعٍ لكَ بالدُّعاءِ وشاكرِ
أمهندسِ النيلِ السَّعيدِ تحيةً من مضرَ تحذوها تحيةً شاعرِ
يدعوُ إلهكَ أنْ يكثرَ بيننا أمثالَ (سامي) في الزَّمانِ الحاضرِ

إلى الدكتور على إبراهيم بك (باشا) الجراح المعروف

[نشرت في ١٥ سبتمبر سنة ١٩١٢ م]

هل رأيتمُ موقِّعاً (كَعَلِيَّ) في الأطباءِ يَسْتَحِقُّ الثَّناءَ
أودَعَ اللهُ صدره حكمةَ العِذِّ سم وأجرى على يديه الشِّفاءَ
كم نفوسٍ قد سلَّها من يدِ المَوِّ ت بلطفٍ منه وكم سلَّ داءَ^(١)
فأرانا (لقمان) في مضرَ حياً وحبَّانا لكلِّ داءٍ دواءَ^(٢)
حَفِظَ اللهُ مِبْضَعاً في يديه قد آماتَ الأَسَى وأحيا الرِّجاءَ^(٣)

تحية خليل مطران بك

أشدها في حفل أقيم بدار الجامعة المصرية لتكرِّم بمناسبة الإنعام عليه (النيشان) المجيدى

يوم ٢٤ أبريل سنة ١٩١٣ م

جَازَ بِي عَرَفُها فَهَاجَ الغَرامَا ودَعَانِي فزَرَّتْها إِيَّامَا^(٤)
جَنَّةٌ تَبْعُثُ الحَيَاةَ وَتَجْلُو صَدَا النَّفْسِ رَوْنَقاً وَنِظَامَا

(١) سلَّها : أخرجها وأخرجها .

(٢) لقمان : حكيم معروف . وحبَّانا : أعطانا .

(٣) المِبْضَعُ : المشرط . والأَسَى : الحزن .

(٤) العرف : الریح الطيبة . وإِيَّامَا : أى زيارة قصيرة .

زُرْتُهَا مَوْهِنًا وَفِي طَيِّ قَدْسِي ذَلَّةُ الصَّبِّ وَانْكَسَاؤُ أَيَّامِي ^(١)
وَتَنَقَّاتُ فِي نَحَائِلِهَا الْخُضْبُ رَ يَمِينًا وَيَسْرَةً وَأَمَامَا ^(٢)
فَإِذَا رَوَّضَاتٍ فِي ذَلِكَ الرَّوِّ ض تَمَيَّسَاتٍ تَحْتَ رِيحِ الْخُزَامِي ^(٣)
جَاءَتَا تَخْطِرَانِ وَالنَّجْمُ سَاهٍ وَعَيُونُ الْأَزْهَارِ تَبْغِي الْمَنَامَا ^(٤)
جَازَاتَا مَوْضِعِي فَهَبَّ نَسِيمٌ أَذْكَى مِنِّي الْأَسَى وَهَاجَ الْهَيَامَا ^(٥)
قَرَسِمْتُ مِنْهُمَا أَثَرَ الْخَطِّ وَوَخَافْتُ فِي الْمَسِيرِ اخْتِشَامَا ^(٦)
وَنَسَمَعْتُ عَلَنِي أَطْفِئُ السَّوْ قَ وَأَرْوِي مِنَ الْفُؤَادِ الْأَوَامَا ^(٧)
فَإِذَا لَهَجَاتٍ مِنْ لَهَجَاتِ اللَّهِ رَقٍ قَدْ شَاقَتَا فُؤَادِي فَهَامَا ^(٨)
تِلْكَ سُورِيَّةٌ تَفِيضُ بَيَانًا تِلْكَ مَصْرِيَّةٌ تَسِيلُ أَنْسِجَامَا
فَطَنَةٌ عِنْدَ رِقَّةٍ عِنْدَ ظَرْفٍ عِنْدَ رَأْيٍ تَحَالُهُ إِلْهَامَا
مَالَتَا نَحْوَ دَوْحَةٍ تُرْسِلُ الْأَغْ صَانَ وَأَخْتَارَتَا لَدَيْهَا مُقَامَا ^(٩)

(١) الموهن : نحو نصف الليل . (٢) الخمائيل : المواضع الكثيرة الشجر . الواحدة : خميعة .

(٣) تيمسان : تبخرتان . والخزامى : خيزى البر ، وزهره من أطيب الأزهار رقيقة .

(٤) كنى "بسمو النجم" و "نوم الزهر" عن سكون الليل وركود ظلامه .

(٥) يلاحظ أنه لا يستقيم الوزن إلا بحذف حرف العلة من قوله "أذكى" ، وهو خطأ لا تحيظه اللغة ، ولعل في لفظي "أذكى" و "وهاج" في هذا الشطر تقديمًا وتأخيرًا ، والصواب "هاج" في الأثر و "أذكى" في الثاني ليسلم من ذلك العيب فيصير الشطر :

هاج مني الأسى وأذكى الهياما

والأسى : الحزن . والهيام : شدة الشوق .

(٦) خافت في المسير : أى خفضت منه ، وخففت من وقع الخطو لئلا يسمع .

(٧) الأوام : شدة العطش . ويريد الاشتياق إلى حديثهما .

(٨) المراد "باللهجة" هنا : طريقة النطق بالألفاظ وجرس الكلام .

(٩) الدوحة : الشجرة العظيمة المتسعة .

ثم أَلَقْتُ قَنَاعَهَا بِنْتُ مَضْرٍ وَأَمَاطَتْ بِنْتُ الشَّامِ الشَّامَا^(١)
 فَتَوَهَّمتُ أَنْ قَدْ انفَلَقَ الْبَدُ رُوقِدٌ كُنْتُ أَنْكَرُ الْأَوْهَامَا
 فَسَوَّارِيْتُ نَمِ عَلَّقْتُ أَنْفَا سَيَ مَا أَسْطَعْتُ وَأَرْتَدَيْتُ الطَّلَامَا^(٢)
 ظَنَنْتَا ذَلِكَ الْمَكَانَ خِلَاءَ لَا رَقِيبًا يُحْشَى وَلَا نَمَّامَا
 بَجَرَى فِيهِ مَا جَرَى مِنْ حَدِيثٍ كَانَ بَرْدًا عَلَى الْحَشَا وَسَلَامَا
 حِينَ قَالَتْ لِأَخْتِهَا بِنْتُ مَضْرٍ إِنَّكُمْ أُمَّةٌ أَبَتْ أَنْ تُضَامَا
 صَدَقَ الشَّاعِرُ الَّذِي قَالَ فِيكُمْ كَلِمَاتٍ نَبَّهْنَ مِّنَا النِّيَامَا^(٣)
 رَكِبُوا الْبَحْرَ، جَاوَزُوا الْقُطْبَ، فَاتُوا مَوْقِعَ النَّيِّرَيْنِ، خَاضُوا الظَّلَامَا^(٤)
 يَمْتَطُونَ الْخُطُوبَ فِي طَلَبِ الْعَيْشِ وَيَبْرُونَ لِلنُّضَالِ السَّهَامَا
 فَانْبَرَتْ ظَلِيَّةُ الشَّامِ وَقَالَتْ بَعْضُ هَذَا فَقَدْ رَفَعَتْ الشَّامَا^(٥)
 أَنْتُمْ الْأَسْبَقُونَ فِي كُلِّ مَرَمَى قَدْ بَلَغْتُمْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَرَامَا
 إِنَّمَا الشَّامُ وَالْكِنَانَةُ صَنَوْا نَ، رَغَمَ الْخُطُوبِ عَاشَ لَزَامَا^(٦)
 أُمُّكُمْ أُمَّنَا وَقَدْ أَرْضَعْتَنَا مِنْ هَوَاهَا وَنَحْنُ نَأْبَى الْفِطَامَا^(٧)
 قَدْ نَزَّلْنَا جَوَارِكُمْ فَحَمَدْنَا مِنْكُمْ الْوَدَّ وَالنَّدَى وَالذَّمَامَا^(٨)

(١) أَمَاطَتِ اللّام : أَبْعَدَتْهُ وَنَحَتْهُ .

(٢) عَلَّقْتُ أَقْفَاسِي : أَيْ حَبَسْتُهَا عَنْ التَّرَدُّدِ فِي صَدْرِي لِئَلَّا تَسْمَعَ فَيَعْرِفَ مَكَانِي .

(٣) الشَّاعِرُ : هُوَ حَافِظُ . وَالْيَتَانِ اللَّذَانِ بَعْدَ هَذَا الْبَيْتِ مِنْ قَصِيدَةٍ لَهُ سَنَأَتْنِي فِي هَذَا الدِّيْوَانِ .

(٤) الزَّيْرَانُ : الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ . بِسُفِّ عِزِّ الشَّامِيِّينَ وَكَثْرَةِ ارْتِحَالِهِمْ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ .

(٥) بَعْضُ هَذَا : أَيْ قَوْلِي بَعْضُ هَذَا لِإِذْ لَا نَسْتَحِقُّ كُلَّهُ . (٦) الصَّنَوُ : الْأَخُ الشَّقِيقُ .

(٧) تَزِيدُ "بِالْأَمِّ" : اللُّغَةُ الْعَرَبِيَّةُ . (٨) الذَّمَامُ : الْحَرَمَةُ وَالذَّمَةُ .

وَحَلَلْنَا فِي أَرْضِكُمْ فَأَصَبْنَا مَنَزِلًا مُخَصَّبًا وَأَهْلًا كِرَامًا
وَعَشِينَا دِيَارَكُمْ حَيْثُ شِئْنَا فَلَقِينَا طَلَاقَةً وَابْتِسَامًا
وَشَرِبْنَا مِنْ نَيْلِكُمْ فَنَسِينَا مَاءَ لُبْنَانٍ سَلْسَلًا وَالْغَمَامَا^(١)
وَقَبَسْنَا مِنْ نُورِكُمْ فَكَتَبْنَا وَأَجَدْنَا نِشَارَنَا وَالنَّظَامَا
وَتَلَوْنَا آيَاتِ شَوْقِي وَصَبْرِي فَرَأَيْنَا مَا بَيْنَهُمَا الْأَفْهَامَا
مَلَأَ الشَّرْقَ حِكْمَةً وَأَقَامَا فِي ثَنَايَا النُّفُوسِ أُنَى أَقَامَا
غَيًّا الْمَشْرِقَيْنِ مَا تَرَكَ الْأَفْلاكَ حَيْرَى وَأَذْهَلَ الْأَجْرَامَا
وَأَعَادَا عَهْدَ الرَّشِيدِ لَعِبَا سَ فَكَانَا يِرَاعَهُ وَالْحُسَامَا^(٢)
فَأَشَارَتْ فَتَاةٌ مُضَرَّ وَقَالَتْ : قَدْكَ ، لَمْ تَتْرُكِي لِمُضَرِّ كَلَامَا^(٣)
أَنْتُمْ النَّاسُ قُدْرَةٌ وَمَضَاءٌ وَنُحُوضًا إِلَى الْعُلَا وَأَعْتَزَامَا
أَطْلَعْتُ أَرْضَكُمْ عَلَى كُلِّ أَفُقٍ أَنْجُمًا لِأَثَرِ الْأَنْجُمِ تَتَرَامِي^(٤)
تَرْكَبُ الْهَوَلَ لَا تَفَادِي ، وَتَمْشِي فَوْقَ هَامِ الصُّعَابِ لَا تَنْخَامِي^(٥)
قَدْ سَمِعْنَا "خَلِيلَكُمْ" فَسَمِعْنَا شَاعِرًا أَقْعَدَ النَّهْيِ وَأَقَامَا
وَطَمِعْنَا فِي شَأْوِهِ فَقَعَدْنَا وَكَسَرْنَا مِنْ بَعْجِزِنَا الْأَقْلَامَا^(٦)

(١) السلسل : العذب .

(٢) يريد "بالرشيد" : الخليفة العباسي ، وكان عصره حافلًا بالأدباء والشعراء . ويريد "بعباس" : الخديو

(٣) قَدْكَ : حسبك

عباس حلي الثاني .

(٤) يريد "بالأنجم" : رجال سوربة المنفرقين في أنحاء العالم

() لا تفادي : أي لا تفادي .

(٦) الشأو : الغامة

نَظَّمَ الشَّامَ وَالْعِرَاقَ وَمِصْرًا سَلَكَ آيَاتِهِ فَكَانَ الْإِمَامَا
 فَشَى النَّثْرَ خَاضِعًا وَمَشَى الشَّعْرُ وَالْقَى إِلَى الْخَلِيلِ الزُّمَامَا
 وَرَأَى فِيهِ رَأَيْنَا صَاحِبُ النَّيْلِ فَأَهْدَى إِلَيْهِ ذَاكَ الْوَسَامَا^(١)
 شَارَةً زَانِتِ الْقَرِيضِ فَكَانَتْ شَارَةً النَّصْرِ زَانِتِ الْأَعْلَامَا
 فَعَقَدْنَا لَهُ اللَّوَاءَ عَلَيْنَا وَاحْتَفَلْنَا نَزِيدَهُ إِكْرَامَا
 ذَاكَ مَا دَارَ مِنْ حَدِيثٍ شَهِيٍّ يَسْتَفِزُّ النَّهْيَ وَيُشْجِي النَّدَامَا
 قَدْ تَسَقَّطَتْهُ وَخَالَفَتْ فِيهِ مَنْ يَرَى النِّقْلَ سُبَّةً وَاجْتِرَامَا^(٢)
 فَمِنْ النَّقْلِ مَا يَكُونُ حَلَالًا وَمِنْ النَّقْلِ مَا يَكُونُ حَرَامَا

* * *

صَدَقَ الْغَادَتَانِ يَا لَيْتَ قَوْمَيْنَا كَمَا قَالَتَا هَوَىٰ وَاللَّيْمَا
 نَحْنُ فِي حَاجَةٍ إِلَى كُلِّ مَا يُنَمِّي قُؤَانَا وَيَرْبِطُ الْأَرْحَامَا
 فَاجْعَلُوا حَفْلَةَ الْخَلِيلِ صَفَاءً بَيْنَ مِصْرٍ وَأَخْتَهَا وَسَلَامَا
 وَأَسْأَلُوا اللَّهَ أَنْ يُدِيمَ عَلَيْنَا مَلِكُ "عَبَّاسٍ" نَاضِرًا بَسَامَا^(٣)
 هُوَ آمَالُنَا وَحَامِي حِمَانَا أَيْدِ اللَّهِ مُلْكُهُ وَأَدَامَا

(١) صاحب النيل : أى أمير مصر ، وكان إذ ذاك عباسا الثانى .

(٢) تسقط الأخبار : تتبعها وأخذها شيئا بعد شيء .

(٣) منع "عباسا" من الصرف لضرورة الوزن .

تهنئة له أيضا للانعام عليه بالوسام السابق ذكره

[نشرت في أول أبريل سنة ١٩١٣ م]

وَسِعَ الْفَضْلَ كُلَّهُ صَدْرُكَ الرَّحْبُ فَمَنْ شَاءَ فَلْيَهْنِئْ وَسَلَامَهُ (١)
لَمْ يَزِدْكَ الرِّسَامُ قَدْرًا وَلَكِنْ زَادَ قَدْرَ الْعِلْمِ وَقَدْرَ الْكِرَامَةِ
كَمْ وَسَامٍ كَمْ حَلِيَّةٍ كَمْ شِعَارٍ فِيكَ كَمْ شَارَةٍ وَكَمْ مِنْ عَلَامَةٍ
لِلْإِبَاءِ وَحِكْمَةٍ وَإِخَاءٍ وَصَفَاءٍ وَهَمَّةٍ وَشَهَامَةٍ

تحية الى واصف غالى بك (باشا)

أُنشدها في فندق شبرد سنة ١٩١٤ م عند ما نشر كتابه المعروف "بجديفة الأزهار"
الذى ترجم فيه بعض الشعر العربى القديم إلى اللغة الفرنسية ، وكان يلقى محاضرات وخطبا
في فرنسا يتوهم فيها بالعرب ومصر والشرق

يَا صَاحِبَ الرُّوضَةِ الْغَنَاءِ هَجَّتْ بِنَا
نَشَرْتَ فَضْلَ كِرَامٍ فِي مَضَاجِعِهِمْ
إِنِّى أَحْيَيْكَ عَنْهُمْ فِي جَزِيرَتِهِمْ
جَلَوْتَ لِلْغَرْبِ حُسْنَ الشَّرْقِ فِي حُلِّ
ذِكْرِى الْأَوَائِلِ مِنْ أَهْلِ وَجِيرَانِ (٢)
جَرَّ الزَّمَانُ عَلَيْهِمْ ذَيْلَ نِسْيَانِ
وَفِي الْعِرَاقِ وَفِي مِصْرٍ وَلُبْنَانِ
لَا يُسْتَهَانُ بِهَا ، نَسَاجَ (هَرْنَانِي) (٣)

(١) الضمير في "رسامه" للصدر .

(٢) الروضة الغناء : هى التمر الريح فيها غير صافية الصوت لكثافة نبتها والتفافه .

(٣) نساج هرنانى : يريد تشبيه واصف غالى بفكتور هوغو الشاعر الفرنسى المعروف مؤلف رواية هرنانى ، وهى رواية
تمثيلية معروفة تعد من عبون الأدب الفرنسى ، وقد ترجمت إلى العربية .

ظَنُّوكَ مِنْهُمْ وَقَدْ أُنْشَأَتْ مَحْطَبُهُمْ
مَا زِلْتَ تَبَهَّرْنَا طَوْرًا وَتَبَهَّرُهُمْ
لَوْلَا اسْمِرَارُكَ فَازُوا فِي أَدْعَائِهِمْ
غَرَسْتَ مِنْ زَهْرَاتِ الشَّرْقِ طَائِفَةً
حَدِيقَةً لَكَ لَمْ نَعْهَدْ لَهَا شَبْهًا
يُخَيِّ شَذَاهَا نَفُوسَ الْوَافِدِينَ وَمَا
لَكِنَّا مِنْ إِزَاهِيرِ النُّهَى جَمَعَتْ
بِالْأُمْسِ كَانَ لَهَا شَرْقٌ تَضُوعٌ بِهِ
أَسْمَعْتَهُمْ مِنْ نَسِيبِ الْقَوْمِ فَأَنْطَلَقَتْ
وَزِدْتَهُمْ مِنْ كَلَامِ (الْبُحْتَرِيِّ) قِطْعًا
سَلِّ (الْفَرِيدِ) وَ (لَا مَرَّتَيْنِ) هَلْ جَرِيًّا
بِمَا عَنَّا لَكَ مِنْ سِحْرِ وَتَيَّانٍ^(١)
حَتَّى أَدْعَاكَ وَحَيَّاكَ الْفَرِيقَانِ
(بِوَاصِفٍ) وَخَسِرْنَا أَيْ خُسْرَانٍ
فِي أَرْضِ (هَيْغُو) بِخَاءَتْ طُرْفَةَ الْجَانِي^(٢)
بَيْنَ الْحَدَائِقِ فِي زَهْرٍ وَأَقْنَانِ
مَرُّوا بِوَرْدٍ وَلَا طَافُوا بِرَيْحَانٍ^(٣)
مَالَا تُنَافِخُهُ أَزْهَارُ بُسْتَانٍ^(٤)
وَالْيَوْمَ صَارَ لَهَا بِالْغَرْبِ شَرْقَانٍ^(٥)
شُؤُونُ كُلِّ شَجِيٍّ الْقَلْبِ وَلَهْجَانٍ^(٦)
مِثْلَ الرِّيَاضِ كَسَتْهَا كَفٌّ (نَيْسَانَ)^(٧)
مَعَ (الْوَلِيدِ) أَوْ (الطَّائِي) بِمَيْدَانٍ^(٨)

(١) ظنوك منهم : أى ظنك الفرنسيون فرنسا . وعنا : خضع وذل .

(٢) يريد بالزهرات : المقطوعات الأدبية التى : جهها . وهينو : هو فكتور هوغو الشاعر المعروف . انظر التعريف
به فى الحاشية رقم ٢ من صفحة ٣٣ من هذا الجزء . والطرفة : الغريب المستحسن المعجب .

(٣) الشذا : فزة ذكاء الرائحة .

(٤) تنافخه : أى تباريه وتغالبه فى التفتح ، أى الرائحة الطيبة .

(٥) تضوع : تفوح وتنتشر .

(٦) النسيب : التشبيب بالنساء وذكر محاسنهن فى الشعر . ويريد بالقوم شعراء العرب . والشؤون : مجازى الدموع .

(٧) نيسان : شهر من شهور السنة المسيحية معروف ، وهو يقابل أبريل .

(٨) انظر التعريف بالفريد ديموسيه فى الحاشية صفحة ١١٧ من هذا الجزء . ولامارتين : هو الفونس دلامارتين
الشاعر الفرنسى ، ولد سنة ١٧٩٠ م ، وتوفى سنة ١٨٦٩ م ، وهو معروف بركة الغزل حتى قيل له : شاعر الحب
والجمال . والوليد : هو أبو عبادة البحتري . والطائي ، هو أبو تمام حبيب بن أوس ، وكلاهما شاعر معروف .

وَهَلْ هُمَا فِي سَمَاءِ الشَّعْرِ قَدْ بَلَّغَا شَاوُ (النَّوَاسِي) فِي صَوْنٍ وَإِتْقَانٍ ^(١)
 وَدَا وَقَدْ شَهِدَا بِالْحَقِّ أَنَّهَمَا فِي بَيْتِ (أَحْمَدَ) لَوْ يَرْضَى نَدِيمَانِ ^(٢)
 أَمْسَى كِتَابُكَ (كَالسِّيَا) يُعِيدُ لَهُمْ مَرَأَى الْحَوَادِثِ مَرَّتْ مِنْذُ أَرْمَانِ
 قَدْ شَاهَدَا فِيهِ تَحْتَ النَّقْعِ عَنَتَرَةٌ يُصَارِعُ الْمَوْتَ عَنْ عَبَسٍ وَذُبْيَانِ ^(٣)
 وَشَاهَدُوا أَسَدًا يَمْشِي إِلَى أَسَدٍ كِلَاهُمَا غَيْرُ هَيَّابٍ وَلَا وَانِي
 هَذَا مِنَ الْعَرَبِ لَا يُلَوِي بِهِ فَرْعٌ وَذَلِكَ أَرْوَعُ مِنْ آسَادِ خَفَّانِ ^(٤)
 لِلَّهِ دَرُّ يَرَاغِ أَنْتَ حَامِلُهُ لَوْ كَانَ فِي أُنْمُلِي يَوْمًا لِأَغْنَانِي
 وَقَفْتَ تَدْفَعُ عَنْ آدَابِنَا تَهُمَا كَادَتْ تُقَوِّضُ مِنْهَا كُلُّ بُنْيَانِ
 فَكُنْتَ أَوَّلَ مِضْرِيٍّ أَقَامَ لَهُمْ عَلَى نَبَالَةٍ مِضْرٍ أَلْفَ بُرْهَانِ
 مَا زِلْتَ تُلْقَى عَلَى أَسْمَاعِهِمْ جُجَجًا فِي كُلِّ نَادٍ وَتَأْتِيهِمْ بِسُلْطَانِ ^(٥)
 حَتَّى أَتَلْنَيْتَ وَمَا لِلرَّبِّ مُجْتَرِيٌّ عَلَى الْبِنَاءِ وَلَا زَارٍ عَلَى الْبَانِي ^(٦)

(١) وهل هما : أي ألفريد ولا مارتين . والنواصي : هو أبو نواس الحسن بن هاني الشاعر المعروف . والشاؤ : الغاية .

(٢) يريد أبا الطيب أحمد بن الحسين المتنبي الشاعر المعروف .

(٣) النقع : الغبار في الحرب . وعنتر : هو ابن شداد العبسي ، وهو من خول شعراء الجاهلية ومن فرسانهم المعروفين بالشجاعة والبأس ، وهو صاحب الحلقة التي أولها ٨ .

هل غادر الشعراء من متردم أم هل عرفت الدار بعد نوحهم

وعبس وذبيان : قيلتان من قبائل العرب معروفتان ، ويشير إلى أن المدوح قد ترجم بعد شعر عنتر في كتابه .

(٤) " لا يلوى به الفزع " أي لا يصرفه ولا يردّه خوف . والأروع : الشهم الشجاع . وخفان : موضع قرب الكوفة تأرى إليه الأسود . ويشير بهذا البيت والذي قبله إلى قصيدة البديع الحمداني التي قالها على لسان بشر بن عوانة ، وذكر فيها لقاءه للأسد ومواثيقه إياه حتى قتله ، وهي من القصائد التي ترجمها المدوح إلى اللغة الفرنسية في كتابه السابق ذكره ، ، وأولها :

أفاطم لو شهدت بطن نخب وقد لاقى الهزبر أخاك بشرا

(٦) الزاري : العائب .

(٥) السلطان : الحجة والبرهان .

مَحَوْتَ مَا كَتَبُوا عَنَّا بِقَاطِعَةٍ مِنْ الْبَرَاهِينِ فَلَتَ قَوْلَ (رِيَّانِ)^(١)
 أَنَحَى عَلَى الْأَدَبِ الشَّرْقِيِّ مُفْتَرِيًّا عَلَيْهِ مَا شَاءَ مِنْ زُورٍ وَبُهْتَانِ^(٢)
 ظَنَّ الْحَقِيقَةَ فِي الْأَشْعَارِ تَقْصُصًا وَاللَّفْظَ وَالْقَصْدَ وَالتَّصْوِيرَ فِي آنِ
 وَأَنَّا لَمْ نَصِلْ فِيهَا إِلَى مِئَةٍ عَدًّا وَذَاكَ لَعِيٍّ أَوْ لِنُقْصَانِ^(٣)
 وَلَوْ رَأَى (ابْنَ جَرِيحٍ) فِي قِصَائِدِهِ لَقَالَ آمَنْتُ فِي سِرِّي وَإِعْلَانِي^(٤)
 مَالِي أَفَاخِرُ بِالْمَوْتِ وَبَيْنَ يَدَي مِنْ شَعْرٍ أَحْيَانًا مَا لَيْسَ بِالْفَانِي
 فِي شَعْرِ (شَوْقِي) وَ(صَبْرِي) مَا تَأْتِيهِ بِهِ عَلَى نَوَابِغِهِمْ دَعِ شَعْرَ (مُطْرَانِ)
 بَوْرِكْتَ يَا بَنَ الْوَزِيرِ الْحَرِّ مِنْ رَجُلٍ لَمْ يَخْتَلِفْ فِيهِ أَوْ فِي فَضْلِهِ أَثْنَانِ^(٥)
 بَلَغَ إِذَا جِئْتَ (بَارِيْزًا) أَفْضَلَهَا عَنَّا التَّحِيَّاتِ وَأَشْفَعَهَا بِشُكْرَانِ
 وَخُصَّ كَاتِبُهُمْ (زُولَا) بِأَطْيَبِهَا كَيْمَا يُقَابِلُ إِحْسَانُ بِإِحْسَانِ^(٦)
 وَاجْعَلْ لِسَفْرِكَ ذِيلاً فِي شَوَاعِرِنَا وَقِفْ لَهْنٍ هُنَاكَ الْمَوْقِفَ الثَّانِي^(٧)

(١) ريان هو الفيلسوف الفرنسي المعروف الذي ردّ عليه الأستاذ الامام المرحوم الشيخ محمد عبده فيارمى الاسلام والمسلمين به من تهم ، وقد غمز الأدب الشرق بعدة مغامر سيد كرها الشاعر بعد .

(٢) يقال : أنحى عليه بالشم : إذا أقبل عليه به . والمفتري : الكاذب المختلق .

(٣) "وأنسا" الخ : أى ظن أن شعراء العرب لم يصلوا في القصيدة إلى مئة بيت ، ونسب ذلك إلى العجز في المنطق ونقصان اللغة العربية وقصورها عن تأدية ما يريده الشاعر .

(٤) يريد بـابن جرير أبا الحسن على ابن العباس بن جرير الرومي مولى بني العباس ، الشاعر المكثّر ، صاحب التوليد الغريب والمعاني المبتكرة ، ولد ببغداد سنة ٢٢١ هـ وتوفي سنة ٢٨٣ هـ وهو مشهور بالمطولات من القصائد .

(٥) الوزير : هو بطرس غالي باشا أبو المدوح .

(٦) هو أميل زولا الكاتب الفرنسي المعروف ، ولد في باريس سنة ١٨٤٠ م ، وتوفي سنة ١٩٠٢ م .

(٧) يرغب حافظ إلى المدوح أن يترجم إلى اللغة الفرنسية كتاباً آخر من شعر النساء العربيات يكون ذيلاً لكتابه الأزل .

وانثُرْ على الغربِ مِنْ تِلْكَ الحُلَى وَأَشْدْ بكلِّ حُسَانَةٍ فِيْنَا وَحُسَانٍ^(١)
 وَعُدْ إِلَى الشَّرْقِ عَوْدَ الْفَاتِحِينَ لَهُ وَخُذْ مَكَانَكَ فِيْهِ فَوْقَ (كِوَانِ)^(٢)
 وَأَشْكُرْ رِعَايَةَ عَبَّاسٍ وَمِنتَهُ وَأَشْرَحْ وَلَاءَكَ يَا (غَالِي) (لُعْثَانِ)^(٣)
 وَأَضْرَعْ إِلَى اللَّهِ أَنْ يَرْعَى أَرِيكَتَنَا مَرْفُوعَةَ الشَّانِ مَا مَرَّ الْجَدِيدَانِ^(٤)

تهنئة المغفور له السلطان حسين كامل^(٥) بالسلطنة

[نشرت في أزل يناير سنة ١٩١٥ م]

هَنِيئًا أَيُّهَا الْمَلِكُ الْأَجَلُّ لَكَ الْعَرْشُ الْجَدِيدُ وَمَا يُظَلُّ
 تَسْمُ عَرْشَ (اسْمَاعِيلَ) رَحْبًا فَأَنْتَ لَصُوبِلْحَانَ الْمُلِكِ أَهْلُ^(٦)
 وَحَصْنُهُ بِإِحْسَانٍ وَعَدْلٍ فَخَصْنُ الْمُلِكِ إِحْسَانٌ وَعَدْلٌ
 وَجَدُّ سِيرَةِ الْعُمَرَاءِ فِيْنَا فَإِنَّكَ بَيْنَنَا لِلَّهِ ظِلُّ^(٧)
 لَقَدْ عَزَّ السَّرِيرُ وَتَاهَ لَمَّا تَبَوَّاهُ الْمَلِكُ الْمُسْتَقِلُّ^(٨)

(١) أشاد بذكره : أي رفعه بالثناء عليه . وبكل حسانة وحسان : أي بكل مجيدة محسنة في الشعر ومجيد محسن . ويجوز أن يقرأ هذان اللفظان بفتح الحاء ، على معنى شاعرة وشاعريشهان حسان بن ثابت .

(٢) كيوان : اسم كوكب زحل بالفارسية .

(٣) يرغب إلى ممدوحه أن يشرح لعثمان مرتضى باشا إخلاصه للثديو ليبلغه إياه ، وكان عثمان باشا في قصر الخديو عباس الثاني في منزلة كبير الأمناء الآن .

(٤) الأريكة : سرير الملك . والجديدان : الليل والنهار .

(٥) ولد السلطان حسين كامل في يوم ١٩ صفر سنة ١٢٧٠ هـ (٢١ نوفمبر سنة ١٨٥٣ م) ، وفي يوم ١٩

ديسمبر سنة ١٩١٤ تولى عرش مصر ، وتوفي رحمه الله في ٩ أكتوبر سنة ١٩١٧ م .

(٦) تسم العرش : علاه . والصوبلحان : العصا الموجهة من الطرف ، وهو لفظ فارسي معرب وكانت الملوك تتخذ شعارا لللك

(٧) العمران : أبو بكر وعمر رضي الله عنهما . (٨) تاه : اختال . وتبواه : جلس عليه .

وهشَّ التاجُ حينَ علا جَيناً عليه مَهَابَةٌ وَعَلَيْهِ نُبُلٌ^(١)
 تَمَنَّى لو يَقَرُّ عَلَى إِيٍّ تَدِلُّ لَهُ الخُطُوبُ وَلَا يَدِلُّ^(٢)
 وَقَدْ نَالَ المَرَامَ وطَابَ نَفْساً فَهِيَ هُوَ ذَا بِلَابِيسِهِ يَدِلُّ^(٣)
 وَمَا كُنْتَ الغَرِيبَ عَنِ المَعَالِي وَلَا التَّاجُ الَّذِي بَكَ بَاتَ يَعْلُو^(٤)
 وَإِنَّكَ مِنْذُ كُنْتَ وَلَا أُغَالِي حُسَامٌ لِلأَرِيكَةِ لَا يُفَلُّ^(٥)
 فَكَمْ نَهْنَهَتْ مِنْ غَرْبِ العَوَادِي وَكَمْ لَكَ فِي رُبُوعِ النُّيْلِ فَضْلُ^(٦)
 وَمَا مِنْ مَجْمَعٍ لِلخَيْرِ إِلَّا وَمِنْ كَفَيْكَ سَخَّ عَلَيْهِ وَبَلُّ^(٧)
 فَقَدْ عَرَفَ الفَقِيرُ نَدَاكَ قَدَمًا وَقَدْ عَرَفَ الكَبِيرُ عِلَاكَ قَبْلُ^(٨)
 لَكَ العَرِشَانِ : هَذَا عَرْشُ مِصْرٍ وَهَذَا فِي القُلُوبِ لَهُ مَحَلُّ^(٩)
 فَأَلَّفَ ذَاتَ بَيْنِهِمَا بَرَاءِي وَعَزَمَ لَا يَكُلُّ وَلَا يَمَلُّ^(١٠)
 فَعَرْشُ لَا تَحْفُ بِهِ قُلُوبٌ تَحْفُ بِهِ الخُطُوبُ وَيَضُمَحِلُّ^(١١)
 (أَبَا الفَّلَاحِ) كَمْ لَكَ مِنْ أَيَادٍ عَلَى مَا فِيكَ مِنْ كَرَمٍ تَدِلُّ^(١٢)
 وَآلَاءٍ وَإِنْ أَطْنَبْتُ فِيهَا وَفِي أَوْصَافِهَا فَأَنَا المَقْلُّ^(١٣)

(١) هش للأمر : ارتاح إليه .

(٢) يدل : أى يفرط في اليه والاختيال .

(٣) قوله " وَلَا التَّاجُ الَّذِي بَكَ بَاتَ يَعْلُو " أى ليس التاج الذى علا بعلاك غريباً عن المعالى أيضاً .

(٤) لا أغالى : أى لا أبالغ . ولا يفل : أى لا يثلم حده .

(٥) " نهنت من غرب العوادي " ، أى كفت من التواهب وصرقتها عن مصر . وغرب السيف ونحوه : حده .

(٦) الويل : المطر الكثير . (٧) يضمحل : يخل ويذهب .

(٨) كان المقفوله السلطان حسين كامل يدنى كل العناية بتجديد الفلاح ووخائه ، وكان رئيساً للجمعية الزراعية مدة

(٩) الآلاء : النعم . والمقل : الموجد في الكلام .

من الزمن .

عُنَيْتَ بِحَالَةِ الْفَلَّاحِ حَتَّى
وَكَيْفَ يَزُورُ أَرْضًا سِرْتُ فِيهَا
وَكَمْ أَحْيَيْتَ مِنْ أَرْضٍ مَوَاتٍ
وَأَخْصَبَ أَهْلَهَا مِنْ بَعْدِ جَذْبٍ
وَكَمْ أَسْعَفْتَ فِي مِصْرِ جَرِيحًا
وَكُنْتَ لِكُلِّ مَسْكِينٍ وَقَاءً
وَكُنْتَ فَتَى بَعْدَ أَبِيكَ نَذْبًا
لِكُلِّ عَظِيمَةٍ تُدْعَى فُتْبَلَى
تَوَلَّيْتَ الْأُمُورَ فَتَى وَكُهْلًا
وَجَرَّبْتَ الْحَوَادِثَ مِنْ قَدِيمٍ
وَكُنْتَ لِمَجْلِسِ الشُّورَى حَيَاةً
فَلَمْ يُلْهِمْ بِسَاحَتِهِ جُحُودٌ
وَمَا غَادَرَتْهُ حَتَّى أَفَاقُوا

تَهَيَّبَ أَنْ يَزُورَ الْأَرْضَ مُحَلًّا^(١)
وَأَنْتَ الْغَيْثُ لَمْ يُمْسِكْهُ بُحْلٌ
فَأَصْحَتْ تُسْتَرَادُ وَتُسْتَغْلُ^(٢)
وَفَاضَ عَلَيْهِمْ رَغَدٌ وَنَقْلٌ^(٣)
عَلَيْهِ الْمَوْتُ مِنْ كَثْبٍ يُطْلُ^(٤)
وَأَهْلًا حِينَ لَمْ تَنْفَعْهُ أَهْلٌ^(٥)
لَهُ رَأَى يُسَدِّدُهُ وَفِعْلٌ^(٦)
بِلَاءٌ مُجَرَّبٌ يَحْدُوهُ عَقْلٌ
فَلَمْ يَبْلُغْ مَدَاكَ فَتَى وَكُهْلٌ^(٧)
وَمِثْلُكَ مَنْ يُجَرِّبُهَا وَيَبْلُو^(٨)
وَنِبْرَاسًا إِذَا مَا الْقَوْمُ ضَلُّوا^(٩)
وَلَمْ يَجْلِسْ بِهِ عُضْوٌ أَشَلُّ^(١٠)
وَمِنْ أَمْرَاضٍ عَيْشِهِمْ أَبْلُو^(١١)

(١) المحل : الجذب .

(٢) النقل : زيادة الخير .

(٣) الوقاء : الحفظ .

(٤) النذب : هو من إذا نذب لحاجة أسرع في قضائها ، والسريع إلى الفضائل .

(٥) يشير بقوله : " توليت الأمور فتى وكهلا " ، إلى المتأصب التي تولاهما في عهد أبيه إسماعيل وأخيه توفيق وابن

أخيه عباس الثاني .

(٦) يبلو : يختبر .

(٧) النبراس : المصباح .

(٨) ألم بالمكان : زاره زيارة غير طويلة .

(٩) أبل المريض : شفى .

فِعِشْ لِلنَّيْلِ سُلْطَانًا أَيْيًّا لَهُ فِي مَلِكِهِ عَقْدٌ وَحَلٌّ
وَوَالِ الْقَوْمَ إِنَّهُمْ كِرَامٌ مَيَامِينُ النَّقِيبَةِ أَيُّنَ حَلُّوا^(١)
لَهُمْ مُلْكٌ عَلَى التَّامِيزِ أَضَحَّتْ ذُرَاهُ عَلَى الْمَعَالِي تَسْتَهِّلُ^(٢)
وَلَيْسَ كَقَوْمِهِمْ فِي الْغَرْبِ قَوْمٌ مِنَ الْأَخْلَاقِ قَدْ نَهَلُوا وَعَلُّوا^(٣)
فَإِنْ صَادَقْتَهُمْ صَدَقُوكَ وَدَا وَلَيْسَ لَهُمْ إِذَا فَتَشَّتْ مِثْلُ
وَإِنْ شَاوَرْتَهُمْ وَالْأَمْرُ جِدٌّ ظَفِرَتْ لَهُمْ بَرَأِي لَا يَزِلُّ^(٤)
وَإِنْ نَادَيْتَهُمْ لَبَّاكَ مِنْهُمْ أَسَاطِيلُ وَأَسْيَافٌ تُسَلُّ
فَادْدَهُمْ حِبَالُ الْوُدِّ وَأَنْهَضْ بِنَا فَقِيَادُنَا لِلْخَيْرِ سَهْلُ^(٥)
وَخَفِّفْ مِنْ مُصَابِ الشَّرْقِ فِينَا فَنَحْنُ عَلَى رِجَالِ الْغَرْبِ ثِقُلُ^(٦)
إِذَا تَزَلَّتْ هُنَاكَ بِهِمْ خُطُوبُ أَلَمْ بِنَا هُنَا قَلَقٌ وَشُغْلُ
حَيَارَى لَا يَقَرُّ لَنَا قَرَارُ تُتَازَلُّنَا الْخُطُوبُ وَنَحْنُ عَزْلُ^(٧)
فَأَهْلًا بِالذَّلِيلِ إِلَى الْمَعَالِي أَلَا سُرِيَا (حُسَيْنُ) وَنَحْنُ نَتَلُو
وَأَسْعِدْنَا بِعَهْدِكَ خَيْرَ عَهْدٍ بِهِ أَيَّامُنَا تَصْفُو وَتَحْلُو
فَأَمْرُكَ طَاعَةٌ وَرِضَاكَ غَنَمٌ وَسَيْفُكَ قَاطِعٌ وَنَدَاكَ جَزْلُ^(٨)

(١) يريد بالقوم : الانجليز . وميمون النقيب : محمود الخنبر .

(٢) التاميز : نهر بانجلترا معروف . والذرا : المرتفعات . الواحدة ذروة . وتسهل : تظهر .

(٣) النهل (بالتحريك) : الشرب . الزل : والعلل (بالتحريك أيضا) : الشرب الثاني . يريد أنه ليس في أم

(٤) يزل : يخطئ .

أوربة أمة مثل الانجليز قد ارتوت منهل الأخلاق .

(٥) يقال : تماذا حبال الود : إذا تواذا .

(٦) يريد بالشرط الثاني من هذا البيت أن تأخرنا عن الغربيين جعلنا حملا ثقيلا على كواهلهم .

(٨) الجزل : الكثير .

(٧) العزل : الذين لا صلاح لهم ، أعزل .

إلى الطليبة (لونا)

قال هدين البيتين فيها بمناسبة طفلة رزقها صديقهُ محمد بك بدر

وكانت (لونا) هي المولدة

[نشرت في ١٥ فبراير سنة ١٩١٦ م]

(لُونا) شُهْرَةٌ فِي الطَّبِّ تَاهَتْ بِهَا مِضْرٌ وَتَاهَ بِهَا مَدِيحِي
وَمَنْ عَجَبٌ تَدِينُ بِدِينِ (مُوسَى) وَتَأْتِينَا بِمُعْجَزَةِ الْمَسِيحِ^(١)

ذكرى شكسبير^(٢)

قالها تلبية لدعوة المجمع العلمي بانجلترا الذي أقام احتفالا

بذكرى شكسبير لمرور ثلثمائة عام على وفاته

[نشرت في ١ مارس سنة ١٩١٦ م]

يُحْيِيكَ مَنْ أَرْضِ الْكِئَانَةِ شَاعِرٌ (شُغُوفٌ) بِقَوْلِ الْعَبَقَرِيِّينَ مُغْرَمٌ
وَيُطْرِبُهُ فِي يَوْمِ ذِكْرِكَ أَنْ مَشَتْ إِلَيْكَ مُلُوكُ الْقَوْلِ عُرْبٌ وَأَعْجَمٌ^(٣)
نَظَرْتَ بَعَيْنِ الْغَيْبِ فِي كُلِّ أُمَّةٍ وَفِي كُلِّ عَصْرِ ثُمَّ أَنْشَأْتَ تَحْكُمُ

(١) يريد تشبيه هذه الطليبة في طبها بنبي الله عيسى عليه السلام ، إذ كانت معجزته إحياء الموتى .

(٢) وليام شكسبير ، هو الشاعر الانجليزي المعروف ؛ ولد سنة ١٥٦٤ م ، وكانت وفاته سنة ١٦١٦ م .

(٣) الأعم : وصف يطلق على الجمع كما هنا ، وعلى المفرد ؛ يقال : رجل أعمى ، وقوم أعمى .

فَلَمْ تُخْطِ الْمَرْمَى وَلَا غَرَوْ أَنْ دَنْتَ لَكَ الْغَايَةُ الْقُصَوَى فَإِنَّكَ مُلَهُمْ^(١)
 أَفَقُ سَاعَةً وَانْظُرْ إِلَى الْخَلْقِ نَظْرَةً تَجِدُهُمْ - وَإِنْ رَاقَ الطَّلَاءُ - هُمُ هُمْ^(٢)
 عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ شَرِّ أَطْمَاعِهِمْ دَمٌ وَفَوْقَ عُبَابِ الْبَحْرِ مِنْ صُنْعِهِمْ دَمٌ^(٣)
 تَفَانُوا عَلَى دُنْيَا تَغُرُّو بِاطِلٍ يَزُولُ إِلَى أَنْ ضَبَّتِ الْأَرْضُ مِنْهُمْ
 فَلَيْتَكَ تَحْيَا يَا أَبَا الشَّعْرِ سَاعَةً لَتَنْظُرَ مَا يُصِمِّي وَيُدْمِي وَيُؤْلِمُ^(٤)
 وَقَائِعَ حَرْبٍ أَجَّجَ الْعِلْمُ نَارَهَا فَكَادَ بِهَا عَهْدُ الْحَضَارَةِ يُخْتَمُ^(٥)
 وَتَعْلَمُ أَنَّ الطَّبْعَ لَا زَالَ غَالِبًا سَوَاءَ جَهُولِ الْقَوْمِ وَالْمُتَعَلِّمِ
 فَمَا بَلَغْتَ مِنْهُ الْحَضَارَةُ مَأْرَبًا وَلَا نَالَ مِنْهُ الْعِلْمُ مَا كَانَ يَزْعُمُ^(٦)
 أَهْبَتَ بِهَذَا مِنْ قُرُونٍ ثَلَاثَةً وَكُنْتَ عَلَى تِلْكَ الطَّبَائِعِ تَنْقُمُ^(٧)
 وَمَا هَدَمَ التَّجْرِبُ رَأْيًا بَنَيْتَهُ وَلَا زَالَتِ الْآرَاءُ تُبْنَى وَتُهْدَمُ
 أَلَا إِنَّ ذِكْرِي شَكْسِيرٌ بَدَتْ لَنَا بِشِيرِ السَّلَامِ ثَغْرُهُ يَتَبَسَّمُ
 فَلَوْ أَنْصَفُوا أَبْطَاهُمْ لَتَهَادَنُوا قَلِيلًا وَحَيَّوْا شِعْرَهُ وَتَرَمَّمُوا^(٨)
 وَلَمْ يُطْلَقُوا فِي يَوْمٍ ذِكْرَاهُ مِدْفَعًا وَلَمْ يُزْهَقُوا نَفْسًا وَلَمْ يَتَقَحَّمُوا^(٩)
 لَهُ قَلَمٌ مَاضِي الشَّبَابِ كَأَتَمَّا أَقَامَ بِشَقِيهِ الْقَضَاءُ الْمُحْتَمُ^(١٠)

(١) القصوى : البعيدة . (٢) راقى طلائه : أعجبنى ظاهره . (٣) ظهرها : أى ظهر الأرض .

(٤) أصماه المهم : قتله . (٥) أجج العلم نارها : أى أشعلها العلم بمخترعاته المهلكة .

(٦) منه : أى من الطبع . (٧) أهبت : دعوت .

(٨) تهادنوا قليلا : أى كفوا عن الحرب . يشير إلى ما كان إذ ذاك من توقد نار الحرب العظمى .

(٩) تقحم الحرب واقحمها : دخل فيها وخالطها . (١٠) شباة القلم : سنه .

طَهُورٌ إِذَا مَادُّنَتْ كَفٌّ كَاتِبٍ وَثُوبٌ إِذَا مَا قَرَّ فِي الطَّرْسِ مِرْقَمٌ^(١)
 وَلَوْعٌ بِتَصْوِيرِ الطَّبَاعِ فَلَمْ يَجْزُ بِعَاطِفَةٍ إِلَّا حَسْبَنَاهُ يَرْسُمُ
 رَأْنِي فِي (مَا كَيْتَ) لِلْقَدِّ صُورَةٌ تَكَادُ بِهَا أَحْشَاؤُهُ تَتَضَرَّمُ^(٢)
 وَمَثَلٌ فِي (شَيْلُوكَ) لِلْبُخْلِ سَخَنَةٌ عَلَيْهَا غُبَارُ الْهُونِ وَالْوَجْهُ أَقْتَمُ^(٣)
 وَأَقْعَدَنِي عَنْ وَصْفِ (هَمَلِيَّتِ) حُسْنُهَا وَفِي مِثْلِهَا تَعْيَا الْبِرَاعَةُ وَالْقَمُ
 دَعِ السَّحَرَفِي (رُمِيُو) وَ (جُولِيَّتِ) إِنَّمَا يُحْسِ بِمَا فِيهَا الْأَدِيبُ الْمُتَمِّمُ
 أَنَاهُمْ بِشِعْرِ عَبْقَرِيٍّ كَأَنَّهُ سَطُورٌ مِنَ الْإِنْجِيلِ تُتْلَى وَتُكْرَمُ
 نَدِيٌّ عَلَى الْأَيَّامِ يَزْدَادُ نَضْرَةً وَيَزْدَادُ فِيهَا جِدَّةٌ وَهُوَ يَقْدُمُ^(٤)
 يُؤْتِي إِلَى قُرَائِهِ أَنَّ نَسَجَهُ لَيَوْمٍ وَأَنَّ الْحَائِكِ الْيَوْمَ فِيهِمْ^(٥)
 كَتَلِكَ النُّقُوشِ الزَّاهِيَاتِ بِمَعْبَدٍ نَفِرْعَوْنَ لَا زَالَتْ عَلَى الدَّهْرِ تَسْلَمُ
 فَلَمْ يَدْنُ مِنْ إِحْسَانِهِ مُتَأَخِّرٌ وَلَمْ يَجْرِ فِي مَيْدَانِهِ مُتَقَدِّمُ
 أَطَّلَ عَلَيْهِمْ مِنْ سَمَاءِ خَيَالِهِ وَحَلَّقَ حَيْثُ الْوَهْمُ لَا يَجْشَمُ^(٦)
 وَجَاءَ بِمَا فَوْقَ الطَّبِيعَةِ وَقَعَهُ فَأَكْبَرَ قَوْمٌ مَا آتَاهُ وَأَعْظَمُوا

(١) المرقم : القلم .

(٢) يشير بهذا البيت إلى قصيدة شكسبير في خنجر ما كيث التي ترجمها حافظ ونشرت في هذا الديوان .

(٣) الهون : الدل . والأقتم : العابس المنجهم .

(٤) يريد « بالندي » تشبيه شعره بالزهر المبتل بالندي ؛ والذي وجدناه في كتب اللغة بهذا المعنى (الندي) بخفيف

الياء مع كسر الدال لا بتشديدها .

(٥) يقول إن شعره بلادة معانيه ومسايرتها لكل عصر يخيل لقراءه أنه قد قيل في هذا العهد الذي قرأه فيه ، وأن

قائله لا يزال حيا بينهم .

(٦) لا يجشم : أى لا يتكلف .

وقالوا تحَدَّانا بما يُعْجِزُ النَّهْيَ فَلَسْنَا إِذْ أَنْثَرَهُ نَتَرَسَّمُ^(١)
وَلَمْ يَخْجَدْ النَّاسَ لَكِنَّهُ أَمْرُهُ بِمَا كَانَ فِي مَقْدُورِهِ يَتَكَلَّمُ
لَقَدْ جَهَلُوهُ حَقَبَةً ثُمَّ رَدَّهُمْ إِلَيْهِ الْهَدَى فَاسْتَغْفَرُوا وَتَرَحَّمُوا^(٢)
كَذَاكَ رِجَالُ الشَّرِقِ لَوْ يُنْصَفُونَهُمْ لَقَامَ لَهُمْ فِي الشَّرِقِ وَالْغَرْبِ مَوْسِمُ
أَضَاءَ بِهِمْ بَطْنُ الثَّرَى بَعْدَ مَوْتِهِمْ وَأَعْقَابُهُمْ عَنْ نُورِ آيَاتِهِمْ عُمُومُ
فَقُلْ لِبَنِي التَّامِيزِ وَالْجَمْعِ حَافِلُ بِهِ يُنْثَرُ الدُّرُّ الثَّمِينُ وَيُنْظَمُ
لَنْ كَانَ فِي ضَخْمِ الْأَسَاطِيلِ نَحْرُهُمْ لَفَخْرُهُمْ بِالشَّاعِرِ الْفَرْدِ أَعْظَمُ

إلى عظمة السلطان حسين كامل^(٣)

ألقاها بين يديه في أثناء زيارته لمدينة طنطا في السراوق الذي أقيم له هناك

[نشرت في ٦ مايو سنة ١٩١٦ م]

فِي سَاحَةِ (الْبَدَوِيِّ) حَلَّتْ سَاحَةٌ عِزُّ الْبِلَادِ بِعِزِّهَا مَوْصُولُ^(٤)
وَأَتَى (الْحُسَيْنُ) يَزُورُ قُطْبَ زَمَانِهِ يَرَعَى وَيَحْرُسُ رَكْبَهُ (جَبْرِيلُ)
زَادَتْ مَوَاسِمُنَا (بَطْنَطَا) مَوْسِمًا لِمَلِكِهِ التَّقْدِيسُ وَالتَّبَجِيلُ

(١) تحَدَّانا : بارانا ونازعنا الغلبة . وترسم آثاره : اقتدى بها وسار عليها .

(٢) الحَقَبَةُ : المدة من الدهر .

(٣) أنظر التعريف بالمنفور له السلطان حسين كامل في الحاشية رقم ٥ ص ٦٢ من هذا الجزء .

(٤) يريد « بالبدوي » : السيد أحمد البدوي المعروف ضريحه ومسجده بطنطا . ويريد بالساحة الثانية : ساحة السلطان

بالساحتين لكل راجح مؤثِّل (١) ولكل عافٍ مربعٌ ومَقِيلٌ (١)
 قُلْ للفقير إذا سألتَ فلا تَحَفْ ردًّا فما في السَّاحَتَيْنِ بِخَيْلٍ
 بَرَكَاتُ هَذِي لَا يَغِيضُ مَعِينَهَا نَفَحَاتُ تِلْكَ يَكْثِيرُهَا مَأْمُولٌ (٢)
 قد أَخْصَبَ الإقْلِيمُ حِينَ حَالَتَهُ والغَيْثُ لَا يَبْقَى عَلَيْهِ مُحْوِلٌ (٣)
 وبدا يَمُوجُ بِسَاكِنِيهِ وَعُظْفُهُ قد كَادَ مِنْ طَرَبِ اللَّقَاءِ يَمِيلُ (٤)
 ذَكَّرُوا بِمَقْدَمِكَ الْمُبَارَكِ مَوْفَاً فدَ قَامَ فِيهِ أَبُوكَ (إِسْمَاعِيلُ)
 فِي مِثْلِ هَذَا الْيَوْمِ خَلَّدَ ذِكْرَهُ أَثَرُ لَهُ بَيْنَ الْعِبَادِ جَلِيلُ
 نَشَرَ السُّعُودَ عَلَى الْوُفُودِ وَحَوْلَهُ يَجَابُوبُ التَّكْثِيرِ وَالتَّهْلِيلُ
 دَامَتْ مَاثِرُهُ وَمَنْ يَكُ صُنْعُهُ كَأَيْسِكَ إِسْمَاعِيلَ كَيْفَ يَزُولُ ؟
 فَاهْنًا بِمُلْكِكَ يَا (حُسَيْنُ) فَعَهْدُهُ عَهْدٌ بِخَقِيقِ الرَّجَاءِ كَفِيلُ
 وَانْهَضَ بِشَعْبِكَ فِي الشُّعُوبِ فَإِنَّمَا لَكَ بَعْدَ رَبِّكَ أَمْرُهُ مَوْكُولُ
 وَلِيَهْنِي الْبَدَوِيَّ أَنْ صَدِيقَهُ عَنْ وَدِّهِ الْمَعْمُودِ لَيْسَ يُحْوِلُ
 قد جَاءَهُ يَسْعَى إِلَيْهِ وَحَوْلَهُ أَعْلَى وَأَكْرَمُ مَنْ سَقَاهُ النَّيْلُ (٥)

(١) المعافى : طالب المعرفة . والمربع : المكان يقام فيه وقت الربيع . والمقيل : موضع الراحة نصف النهار .

(٢) « هذى » : إضارة إلى ساحة البدوى . ولا يغيبض معيها : أى لا يقل ولا ينقص . ووردها . والمعين في الأصل : الماء الجاري . « وتلك » : إشارة إلى ساحة السلطان .

(٣) المحول : الجذب .

(٤) يموج : يضطرب . والعطف : الجانب .

(٥) يريد « بالأعلى » و « الأكرم » : من كان في ركن السلطان .

عمر بن الخطاب^(١)

أنشدها في الحفل الذي أقيم لسماع هذه القصيدة بمدرج وزارة المعارف بدرب الجمايز

مساء الجمعة ٨ فبراير سنة ١٩١٨ م

حَسْبُ الْقَوَائِي وَحَسْبِي حِينَ أُقِيهَا أَنَّى إِلَى سَاحَةِ (الْفَارُوقِ) أَهْدِيهَا^(٢)
لَا هَمَّ ! هَبْ لِي بَيَانًا أَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى قَضَاءِ حُقُوقٍ نَامَ قَاضِيهَا^(٣)
قَدْ نَارَعَتْنِي نَفْسِي أَنَّ أَوْفِيهَا وَلَيْسَ فِي طَوْقٍ مِثْلِي أَنَّ يُوفِّيَهَا^(٤)
فُرْ سِرِّي الْمَعَانِي أَنَّ يُوَاتِنِي فِيهَا فَإِنِّي ضَعِيفُ الْحَالِ وَاهِيهَا^(٥)

(مقتل عمر)

مَوْلَى الْمَغِيرَةِ ! لَا جَادَتَكَ غَادِيَةً مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ مَا جَادَتْ غَوَادِيهَا^(٦)
مَرَّقَتْ مِنْهُ أَدِيمًا حَشْوُهُ هَمَمٌ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ عَلَيْهَا وَمَاضِيهَا^(٧)

(١) ولد أبو حفص عمر بن الخطاب بمكة سنة ٣٧ قبل الهجرة، وكان قبل إسلامه من أشد الناس عداوة للإسلام وأهله، ثم أسلم رضى الله عنه بعد ست سنين من مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم مشاهد كلها؛ ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت له اليد الطولى في حسم الخلاف بين المسلمين على الخلافة؛ ولما أحس أبو بكر بدتو أجله استخلف عمر. وتاريخ عمر حافل بالأمور الجسام؛ وقتل رضى الله عنه يوم الأربعاء لأربع ليالى بقيت من ذى الحجة سنة ٢٣ هـ

(٢) الفاروق : اسم لعمر بن الخطاب ، سماه به رسوم الله صلى الله عليه وسلم ، لأنه فُزق بين الحق والباطل .

(٣) لا هم : أى اللهم . (٤) الطوق : الجهد والطاقة .

(٥) سرى المعانى : شريفها ورفيعها . ويواتينى : يطبعنى ويمدنى .

(٦) مولى المغيرة : هو أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة وهو فارسى الأصل ، وكان قد شكك إلى عمر لارتفاع الخراج الذى ضربه عليه مولاه المغيرة ، ورجاه فى تخفيفه ، فلم يجبه إلى ما طلب ، فأسرها فى نفسه ، وتحين به الفرص حتى طعنه بخنجره وهو قائم يصلى . ويقال : إن قتل عمر لم يكن نتيجة حقد أبى لؤلؤة عليه ، ولكنه كان نتيجة مؤامرة سياسية كان أكبر العاملين فيها الهرمزان الفارسى ، واختير أبو لؤلؤة لتنفيذ هذا الغرض . والنادية السحابة تنشأ غدوة والجمع الغداوى . وجادتك : أمطرتك ؛ يدعو عليه باقطاع الخير والرحمة عنه .

(٧) الأديم : الجلد . وقوله : « عاليها وماضيها » يصف همة عمر بالرفعة والمضاء .

طَعَنْتَ خَاصِرَةَ (الْفَارُوقِ) مُنْتَقِمًا مِنْ الْحَنِيفَةِ فِي أَعْلَى مَجَالِيهَا ^(١)
 فَأَصْبَحَتْ دَوْلَةُ الْإِسْلَامِ حَائِرَةً تَشْكُو الْوَجِيعَةَ لِمَا مَاتَ آسِيهَا ^(٢)
 مَضَى وَخَلَفَهَا كَالطُّودِ رَاسِخَةً وَزَانَ بِالْعَدْلِ وَالتَّقْوَى مَغَانِيهَا ^(٣)
 تَبْنُو الْمَعَاوِلَ عَنْهَا وَهِيَ قَائِمَةٌ وَالْهَادِمُونَ كَثِيرٌ فِي نَوَاحِيهَا ^(٤)
 حَتَّى إِذَا مَا تَوَلَّاهَا مُهْدِمُهَا صَاحَ الزَّوَالُ بِهَا فَانْدَكَ عَلَيْهَا
 وَاهًا عَلَى دَوْلَةٍ ! بِالْأَمْسِ قَدْ مَلَأَتْ جَوَانِبَ الشَّرْقِ رَغْدًا مِنْ أَيْدِيهَا ^(٥)
 كَمْ ظَلَّاتِهَا وَحَاطَتْهَا بِأَجْنَحَةٍ عَنْ أَعْيُنِ الدَّهْرِ قَدْ كَانَتْ تُوَارِيهَا ^(٦)
 مِنَ الْعَنَاءِ قَدْ رِيشَتْ قَوَادِمَهَا وَمِنْ صَمِيمِ التَّقَى رِيشَتْ خَوَافِيهَا ^(٧)
 وَاللَّهِ مَا غَالَهَا قَدَمًا وَكَادَ لَهَا وَاجَتْتَ دَوْحَتَهَا إِلَّا مَوَالِيهَا ^(٨)
 لَوْ أَنَّهَا فِي صَمِيمِ الْعُرْبِ قَدْ بَقِيَتْ لِمَا نَعَاهَا عَلَى الْأَيَّامِ نَاعِيهَا
 يَالَيْتَهُمْ سَمِعُوا مَا قَالَهُ (عُمَرُ) وَالرُّوحُ قَدْ بَلَغَتْ مِنْهُ تَرَاقِيهَا ^(٩)
 لَا تَكْثُرُوا مِنْ مَوَالِيكُمْ فَإِنَّ لَهُمْ مَطَامِعًا بِسَمَاتِ الضَّعْفِ تُخْفِيهَا

(١) الخاصرة الخصر . وفي أعلى مجاليها : أى فى أرفع مظاهرها .

(٢) الآسى : الطيب .

(٣) الطود : الجبل العظيم . والمغانى : المنازل ، الواحد مغنى

(٥) الأبادى : النعم .

(٤) تبنو : تكل وتربد .

(٦) كم ظلاتها ، أى هذه الدولة طللت جوانب الشرق .

(٧) القوادم : عشر ريشات فى مقدم الجناح ، وهى كبار الريش . الواحدة قادمة . والخوافى : صفار

الريش ، وهى تحت القوادم .

(٨) غالها : اغناها وأهلكها . واجتت : استأصل . والدوحة : الشجرة العظيمة المتسعة الظل ، واجمع دوح .

ويد « بالموالى » : غير العرب . ويشير هذا البيت إلى نكبة الدول الإسلامية على أيديهم ، فهم الذين قتلوا عمر ، وكانوا سببا فى إسقاط الدولة الدموية وإضعاف الدولة العباسية حتى سقطت .

(٩) يقال بلغت روحه التراقى ، إذا شارف الموت . والتراقى : أعلى الصدر حيث يترقى النفس .

(إسلام عمر)

رَأَيْتَ فِي الدِّينِ آرَاءَ مُوقَفَةً فَأَنْزَلَ اللَّهُ قُرْآنًا يُزَكِّيهَا (١)
وَكُنْتَ أَوَّلَ مَنْ قَرَّتْ بِصُحْبَتِهِ عَيْنُ الْحَنِيفَةِ وَاجْتَازَتْ أَمَانِيهَا
قَدْ كُنْتَ أَعْدَى أَعَادِيهَا فَصُرْتَ لَهَا بِنِعْمَةِ اللَّهِ حِصْنًا مِنْ أَعَادِيهَا (٢)
نَحَرَجْتَ تَبْنِي أَذَاهَا فِي (مُجْدَاهَا) وَلِلْحَنِيفَةِ جَبَّارٌ يُوَالِيهَا (٣)
فَلَمْ تَكُ تَسْمَعُ الْآيَاتِ بِاللِّغَةِ حَتَّى أَنْكَفَأَتْ تُنَاوِي مَنْ يُنَاوِيهَا (٤)
سَمِعْتَ (سُورَةَ طه) مِنْ مُرَتَّلِيهَا فَزَلَزْتَ نِيَّةً قَدْ كُنْتَ تُنَوِّيهَا (٥)
وَقُلْتَ فِيهَا مَقَالًا لَا يُطَاوِلُهُ قَوْلُ الْمُحِبِّ الَّذِي قَدْ بَاتَ يُطْرِيهَا (٦)
وَيَوْمَ أَسَلَمْتَ عَزَّ الْحَقُّ وَارْتَفَعَتْ عَنْ كَاهِلِ الدِّينِ أَثْقَالُ يُعَانِيهَا (٧)

(١) يزكيا : يعزها ويؤيدها . ويشير بهذا البيت إلى ما كان من عمر — رضى الله تعالى عنه — حين كان يرى الرأى فيزل به القرآن ، حتى بلغت موافقاته نيفا وعشرين آية ، منها آية التحريم في الخمر قال : « اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا » . ومنها آية الاستئذان في الدخول ، وذلك أنه دخل عليه غلامه ، وكان نائما ، فقال : « اللهم حرم الدخول فزلت آية الاستئذان الخ » .

(٢) يشير الشاعر بهذا البيت إلى ما عرف عن عمر من شدة على النبي والمسلمين قبل إسلامه ثم ما كان منه بعد ذلك من إعزاز الإسلام بدخوله فيه .

(٣) يواليا : يناصرها ، وهو الله تعالى . ويشير الشاعر بهذا البيت والأبيات بعده إلى السبب في إسلام عمر ، وذلك أنه خرج في يوم من الأيام ليواصل أذاه للنبي صلى الله عليه وسلم فلقبه نعيم بن عبد الله وأخبره بإسلام أخيه وزوجها سعيد ابن زيد ، وعيره ذلك ذلك ، فرجع عمر إليهما غاضبا ، وكان عندهما خباب بن الأرت ومعه صحيفة فيها سورة طه يقرئها لهما ، فلما دنا عمر من البيت سمعهم ، وأحسوا هم به ، فاخفى خباب ، ودخل عمر ، فعثر على الصحيفة وقرأ ما فيها ، فأعجب به وأطراه ، ومال قلبه إلى الإسلام ، فقصد إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأسلم على يديه .

(٤) انكفأ : رجع . وتناوى : تناوى ، تعادى .

(٥) يريد « بالنية » : النية التي كان ينويها عمر قبل إسلامه من إيذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٦) لا يطاوله : لا يغالبه . وإطراه بطريه : أحسن الثناء عليه وبالغ في مدحه .

(٧) الكاهل : مقدم أعلى الظهر مما يلي العنق .

وَصَاحَ فِيهِ (بِلَالٍ) صَيِّحَةً خَشَعَتْ لها الْقُلُوبُ وَلَبَّتْ أَمْرَ بَارِيهَا ^(١)
فَأَنْتَ فِي زَمَنِ (الْمُخْتَارِ) مُنْجِدُهَا وَأَنْتَ فِي زَمَنِ (الصَّدِيقِ) مُنْجِيهَا ^(٢)
كَمْ أَسْتَرَاكَ رَسُولُ اللَّهِ مُغْتَبِطاً بِحِكْمَةٍ لَكَ عِنْدَ الرَّأْيِ يُلْفِيهَا ^(٣)

(عمر وبيعة أبي بكر)

وَمَوْقِفٍ لَكَ بَعْدَ (المُصْطَفَى) أَفْتَرَقْتَ فِيهِ الصَّحَابَةُ لَمَّا غَابَ هَادِيهَا ^(٤)
بَايَعْتَ فِيهِ (أَبَا بَكْرٍ) فَبَايَعَهُ عَلَى الْخِلَافَةِ قَاصِمِهَا وَدَانِيهَا
وَأُطْفِئَتْ فَتْنَةُ لَوْلَاكَ لَاسْتَعَرْتُ بَيْنَ الْقَبَائِلِ وَأَنْسَابَتِ أَفَاعِيهَا ^(٥)
بَاتَ النَّبِيُّ مُسَجًى فِي حَظِيرَتِهِ وَأَنْتَ مُسْتَعِرُّ الْأَحْشَاءِ دَامِيهَا ^(٦)
تَهَيَّمُ بَيْنَ تَجَمُّعِ النَّاسِ فِي دَهْشِ مَنْ نَبَأَةٍ قَدْ سَرَى فِي الْأَرْضِ سَارِيهَا ^(٧)
تَصِيحُ مَنْ قَالَ نَفْسُ الْمُصْطَفَى قُبِضَتْ عُلُوتُ هَامَتِهِ بِالسَّيْفِ أَبْرِيهَا ^(٨)

(١) بلال : هو ابن رباح ، وكان مولى لأبي بكر الصديق رضى الله عنه ، اشتراه ثم اعتقه ، وكان له خازنا ،
ورسول الله صلى الله عليه وسلم مؤذنا ، ومات رحمه الله بدمشق سنة عشرين هجرية . ويشير الشاعر بهذا البيت إلى إظهار
المسلمين أمر دينهم بسبب إسلام عمر بعد ما كانوا يخفونه خوفا من المشركين ، وجهر بلال بالأذان .

(٢) يريد بالصديق : أبا بكر أزل الخلفاء الراشدين . ويشير بالشرط الثاني من هذا البيت إلى الخلاف الذى سبق مبايعة
أبي بكر ، وحسمه عمر يوم السقيفة ، ومناصرته لأبي بكر مدة خلافته ، ويشير الشاعر إلى ذلك بعد .

(٣) استراك : أجهلها استراءك ، أى طلب رأيك .

(٤) يشير إلى اختلاف المسلمين فى يوم السقيفة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم ، وما كاد يلاحظهم من انقسام الكلمة
فى اختيار خليفة لهم ، وإلى فضل عمر يومها بله شعهم وإسراعه إلى مبايعة أبي بكر بالخلافة .

(٥) استعرت : انتقدت . سجي الميت : مدّ عليه ثوبه وغطاه به .

(٧) هام بهم : ذهب على وجهه لا يدرى أين يذهب . والعجيج : الصياح ورفع الصوت . والنباة : الصوت الخفى ،
ويريد نبأ وفاة النبي صلى الله عليه وسلم . ويشير بهذا البيت والأبيات الخمسة بعده إلى ما تولى الناس وعمر معهم من الدهش
بوفاة النبي صلى الله عليه وسلم حتى إن عمر وقف بينهم يهددهم بقطع رأس كل من يقول : "مات مجد" حتى جاءهم أبو بكر ،
فخطبهم خطبة ذكرهم فيها بقوله تعالى : (وما مجد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل) الآية ، فنادوا إلى صوابهم .

(٨) الهامة : الرأس

أَنْسَاكَ حُبَّكَ طَهَّ أَنَّهُ بَشَرٌ يُجْرَى عَلَيْهِ شُؤُونَ الْكَوْنِ مُجْرِيهَا
وَأَنَّهُ وَارِدٌ لَا بَدَّ مَوْرَدَهُ مِنَ الْمَنِيَّةِ لَا يُعْفِيهِ سَاقِيهَا
نَسِيتَ فِي حَقِّ طَهَّ آيَةً نَزَلَتْ وَقَدْ يُذَكَّرُ بِالآيَاتِ نَاسِيهَا
ذَهَلْتَ يَوْمًا فَكَانَتْ فِتْنَةً عَمَمٌ وَثَابَ رُشْدُكَ فَانْجَابَتْ دِيَاجِيهَا^(١)
فَالْمُسْقِيفَةُ يَوْمٌ أَنْتَ صَاحِبُهُ فِيهِ الْخِلَافَةُ قَدْ شِيدَتْ أَوَاسِيهَا^(٢)
مَدَدْتَ لَهَا (الْأَوْسُ) كَمَا كَى تَنَاوَلَهَا فَدَدْتَ (الْخَزَرْجُ) الْأَيْدَى تُبَارِيهَا^(٣)
وَضَنَّ كُلَّ فَرِيقٍ أَنَّ صَاحِبَهُمْ أَوْلَى بِهَا وَأَنَّى الشَّحْنَاءُ آتِيهَا^(٤)
حَتَّى أَنْبَرَيْتَ لَهُمْ فَارْتَدَّ طَامِعُهُمْ عَنْهَا وَأَخَى (أَبُوبَكْرٍ) أَوَاحِيهَا^(٥)

عمر وعليّ

وَقَوْلُهُ (لِعَلِيٍّ) قَالَهَا (عُمَرُ) أَكْرِمَ بِسَامِعِهَا أَعْظَمَ بِمُلْقِيهَا^(٦)
حَرَقْتُ دَارَكَ لَا أَبْقَى عَلَيْكَ بِهَا إِنْ لَمْ تُبَايِعْ وَبُنْتُ الْمُصْطَفَى فِيهَا
مَا كَانَ غَيْرُ (أَبِي خَفِصٍ) يَفُوهُ بِهَا أَمَامَ فَارِسٍ (عَدْنَانٍ) وَحَامِيهَا
كَلَاهُمَا فِي سَبِيلِ الْحَقِّ عَزَمْتُهُ لَا تَنْتَنِي أَوْ يَكُونِ الْحَقُّ ثَانِيهَا
فَازْكُرْهُمَا وَتَرَحَّمْ كُلَّمَا ذَكَرُوا أَعَظَمًا أَهْوَا فِي الْكَوْنِ تَأْلِيهَا

(١) عمم : عامة . وانجابت : انقضت وزالت . والدياجي : الظلمات .

(٢) الأواسي : جمع آسية ، وهي العمود .

(٣) الضمير في "لها" و"تناولها" للخلافة . والأوس ، والخزرج : قبيلتا الأنصار . وتباريها : تنازعها الغلبة على الخلافة .

(٤) صاحبهم : أي الذي نصبوه للخلافة منهم .

(٥) أخى أو أخياها : أي مكن لها ووثق صلاتها وقواها . والأواخي : العرا . الواحدة : آخية .

(٦) يشير بهذه الأبيات إلى امتناع علي عن البيعة لأبي بكر يوم السقيفة ، وتهديد عمر إياه بتجريق بيته إذا استمر على امتناعه وكان فيه زوجة على فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم .

عمر وسجيلة بن الأيهم

كَمْ خَفَّتْ فِي اللَّهِ مَضْعُوفًا دَعَاكَ بِهِ وَكَمْ أَخَفَّتْ قَوِيًّا يَنْشَنِي تَيْهَا^(١)
 وَفِي حَدِيثٍ قَتَى غَسَّانَ مَوْعِظَةً لِكُلِّ ذِي نَعْرَةٍ يَا بَنِي تَنَاسِيهَا^(٢)
 فَمَا الْقَبْوَى قَوِيًّا رَغَمَ عِزَّتِهِ عِنْدَ الْخُصُومَةِ (وَالْفَارُوقُ) قَاضِيهَا
 وَمَا الضَّعِيفُ ضَعِيفًا بَعْدَ حُجَّتِهِ وَإِنْ تَخَاصَمَ وَإِلَيْهَا وَرَاعِيهَا

(عمر وأبو سفيان)

وَمَا أَقَلَّتْ (أَبَا سُفْيَانَ) حِينَ طَوَى عَنْكَ الْهَدِيَّةَ مُعْتَزًّا بِمُجْهَدِيهَا^(٣)
 لَمْ يُغْنِ عَنْهُ وَقَدْ حَاسَبَتْهُ حَسَبٌ وَلَا (مُعَاوِيَةَ) بِالشَّامِ يَجْزِيهَا
 قَيَّدَتْ مِنْهُ جَلِيلًا شَابَ مَفْرِقُهُ فِي عِزَّةٍ لَيْسَ مِنْ عِزِّ يَدَانِيهَا^(٤)

(١) المضعوف : أى الضعيف . والقياس مضعف ، كقولهم : أسعده الله فهو مسعود ، والقياس مسعد (بفتح العين) . وبه ، أى بالله . وتيها : كبرا .

(٢) قَتَى غَسَّانَ : وهو سجيلة بن الأيهم أحد أبناء الضاسنة ملوك الشام ، كان قد اعتنق الاسلام ، وبينما هو يوما بطوف إذ وطىء أعرابى ثوبه ، فلفطمه سجيلة لطمة هشت هشت أنه ، فشكاه الأعرابى إلى عمر ، فأمر أن يقتص منه ، وأبى سجيلة ذلك ، وهرب ، والتجأ إلى القسطنطينية ، وتنصر . والنقرة (لمحرك العين) — وسكنت هنا للضرورة : الخيلاء والكبر .

(٣) وما أقلت أبا سفيان : أى ما تركته ولا تفاضيت عنه . وبمجهديها ، أى معاوية ، ويشير الشاعر بهذه الأبيات إلى ما يروى من أن معاوية — وهو على الشام — بعث مرة إلى عمر بن الخطاب بمال وأدهم وكتب إلى أبيه أبي سفيان أن يدفع ذلك إلى عمر ، ففرج الرسول حتى قدم على أبي سفيان بالمال والأدهم ، فذهب أبو سفيان بالأدهم ، والكتاب إلى عمر ، واحتبس المال لنفسه ، فلما قرأ عمر الكتاب قال : فأين المال يا أبا سفيان ؟ قال : كان علينا دين ومعونة ، ولنا فى بيت المال حق ، فإذا أخرجت لنا شيئاً قاضيتنا به ، فقال عمر : أطرحوه فى الأدهم (أى القيد) حتى يأتى المال فأرسل أبو سفيان من أتاه بالمال ، فأمر عمر بإطلاقه من الأدهم ، فلما قدم الرسول على معاوية قال : أرايت أمير المؤمنين أعجب بالأدهم ؟ قال : نعم ، وطرح فيه أباك ، قال : ولم ؟ قال : جاءه بالأدهم وحبس المال ، قال : أى والله ، والخطاب لو كان لطرحه فيه .

(٤) يريد بقوله : "جليلاً" وما بعده من الأوصاف : أبا سفيان . والمفرق : وسط الرأس .

قد نوهسو باسمه في جاهليته وزاده سيد الكونين تنويهاً^(١)
 في فتح مكة كانت داره حرماً قد آمن الله بعد البيت غاشيها^(٢)
 وكل ذلك لم يشفع لدى (عمر) في هفوة (لأبي سفيان) يأتيها
 تالله لو فعل (الخطاب) فعلته لما ترخص فيها أو يجازيها^(٣)
 فلا الحسابة في حق مجاملها ولا القسراة في بطل مجاملها^(٤)
 وتلك قسوة نفس لو أراد بها ثم الجبال لما قوت روايها^(٥)

عمر وخالد بن الوليد^(٦)

سل قاهر الفرس والرومان هل شفعت له الفتوح وهل أغنى توأليها^(٧)
 غزاً فأبلى وخيل الله قد عقدت باليمن والنصر والبشرى نواصيها^(٨)

(١) نوه به : رفع ذكره ومدحه وعظمه .

(٢) يشير بهذا البيت والذي قبله إلى ما اختص به رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان يوم فتح مكة من جعل بيته آمناً لمن دخله واعتصم به من المشركين . وقوله : " بعد البيت " أي بعد الكعبة .

(٣) ترخص في الأمر : تساهل . يقول : لو فعل الخطاب ، وهو أبو عمر ، مثل هذا ، ما تساهل في عقابه حتى يجازيه .

(٤) الحسابة : الحساب . والبطل : الباطل . (٥) الشم : المرتفعة . والرواسي : الثابتة .

(٦) بينما كان خالد بن الوليد يقود جيوش المسلمين في فتح الشام إزاء البريد من المدينة ينحى أبا بكر ويخبر باستخلاف عمر بن الخطاب ، ومعه أمر بعزل خالد بن الوليد ، وإسناد إمارة الجيش العامة إلى أبي عبيدة بن الجراح ، فكتم أبو عبيدة الأمر عن خالد ريثما تم النصر للمسلمين ، وكان وصول البريد على أصح الروايات والمسلمون على حصار دمشق . ويقال : أن سبب عزل خالد أمران : أولهما ما كان في نفس عمر بن الخطاب على خالد بن الوليد منذ قتل خالد مالك بن نويرة ، وتزوج امرأته في حرب الردة ، وثانيهما إقبال جند المسلمين على خالد بن الوليد وحجهم له واستماتتهم بين يديه في جميع حروبه في العراق والشام ، وذلك لين طالعه في الحروب وشجاعته . وقد علم عمر بذلك ، ناشى من افتتان الناس به ، لهذا بادر بعزله قبل أن يصل خبر توليه الخلافة إلى المسلمين ، وخالد أمير على جيش عظيم منهم . ولم يكتف عمر عن خالد ما في نفسه من جهته ، بل أظهره له ، فقال له بعد عزله : " وما عزلتك لرية فيك ، ولكن افتتن الناس بك ، نفقت أن تفتن الناس " . وبقى خالد إلى آخر حياته مطيعاً لعمر ، وقبل موته أوصى عمر بأولاده ، وقد أشار الشاعر إلى ذلك .

(٧) قاهر الفرس والرومان : خالد بن الوليد .

(٨) النواصي : جمع ناصية وهي مقدم الرأس . والمسدوع في مثل هذه العبارة إدخال الباء على " النواصي " لا على " النين " كما هنا ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : " الخيل معقود بنواصيها الخير " ، فدخولها على النين على سبيل القلب والقلب في اللغة سماعي .

يَرَى الْأَعَادَى بَارَأَ مُسَدَّدَةً وبالفوارس قد سألت ماذا كُيها^(١)
 مَا وَقَعَ الرُّومَ إِلَّا فَرَّ قَارِحُهَا وَلَا رَمَى الْفُرسَ إِلَّا طَاشَ رَامِيهَا^(٢)
 وَلَمْ يَجْزْ بَلَدَةً إِلَّا سَمِعَتْ بِهَا اللَّهُ أَكْبَرُ تَدَوَّى فِي نَوَاحِيهَا^(٣)
 عِشْرُونَ مَوْقِعَةً مَرَّتْ مُحَجَّلَةً مِنْ بَعْدِ عَشْرِ بَنَانِ الْفَتْحِ تُحْصِيهَا^(٤)
 وَ(خَالِدٌ) فِي سَبِيلِ اللَّهِ مُوقِدُهَا وَ(خَالِدٌ) فِي سَبِيلِ اللَّهِ صَالِيهَا^(٥)
 أَتَاهُ أَمْرُ (أَبِي حَفْصٍ) فَقَبَّلَهُ كَمَا يَقْبَلُ آيَ اللَّهِ تَالِيهَا^(٦)
 وَأَسْتَقْبَلَ الْعَزَلَ فِي إِبَانِ سَطْوَتِهِ وَمَجْدِهِ مُسْتَرِيحَ النَّفْسِ هَادِيهَا
 فَاجْتَبَى لَسِيدَ مَخْزُومٍ وَفَارِسَهَا يَوْمَ النَّزَالِ إِذَا نَادَى مُنَادِيهَا^(٧)
 يَقُودُهُ حَبَشِيٌّ فِي عِمَامَتِهِ وَلَا تُحَرِّكُ مَخْزُومٌ عَوَالِيهَا^(٨)
 أَلْقَى الْقِيَادَ إِلَى الْجَرَاحِ مُمْتَثِلًا وَعِزَّةُ النَّفْسِ لَمْ تُجْرَحْ حَوَاشِيهَا^(٩)
 وَأَنْضَمَّ لِلْجُنْدِ يَمْشِي تَحْتَ رَايَتِهِ وَبِالْحَيَاةِ إِذَا مَالَتْ يُفْدِيهَا
 وَمَا عَرَفَتْهُ شُكُوكٌ فِي خَلِيفَتِهِ وَلَا ارْتَضَى إِمْرَةً الْجَرَاحِ تَمُوِيهَا^(١٠)

(١) المذاكي : الخيل التي تم سنّها وكلت قوتها . وانسيال المذاكي : كناية عن انتشارها وكثرتها تشبهاً بانسيال الماء .

(٢) قارحها : أى القوى المكتمل منهم . (٣) المسموع تدوى (بتشديد الواو) ، أى يرتفع الصوت بها .

(٤) محجلة : أى واضحة مشرقة بالانتصار فيها . ومعنى البيت أن خالدًا ظفر في ثلاثين موقعة تسجلها له يد الفتح .

(٥) صالها : أى يقامى حرها وشدةها . (٦) أمرأى حفص : أى أمر عمر بعزله .

(٧) مخزوم : قبيلة خالد .

(٨) يريد " بالحبشي " بلال بن رباح ، وهو الذى نفذ أمر عمر فى خالد بأن يجره بعمامته حين استجيا أبو عبيدة

من تنفيذة ، فهد بلال عمامة خالد ووضعها فى رقبته ، ثم رجعها إلى رأسه ثانية ، وقال : نطعم أمراءنا ونكرم ساداتنا .
 والعوالى : الرماح . وتحريكها : كناية عن الثورة على عمرو الانتصاف لخالد .

(٩) الضمير فى " ألقى " يعود إلى فارس مخزوم خالد بن الوليد . والجراح : هو أبو عبيدة بن الجراح .

(١٠) التمويه : إظهار ما يخالف الباطن .

نَخَالِدُكَ كَأَن يَدْرِي أَنَّ صَاحِبَهُ قَدْ وَجَّهَ النَّفْسَ نَحْوَ اللَّهِ تَوَجُّيَهَا^(١)
فَمَا يُعَالِجُ مِنْ قَوْلٍ وَلَا عَمَلٍ إِلَّا أَرَادَ بِهِ لِلنَّاسِ تَرْفِيَهَا^(٢)
لِذَاكَ أَوْصَى بِأَوْلَادِهِ لَهُ (عُمَرَاً) لَمَّا دَعَاهُ إِلَى الْفِرْدَوْسِ دَاعِيَهَا
وَمَا نَهَى (عُمَرَاً) فِي يَوْمٍ مَضَرَعِهِ نِسَاءً مَخْزُومَ أَنْ تَبْكِيَ بَوَاكِيَهَا^(٣)
وَقِيلَ : خَالَفْتَ يَا (فَارُوقُ) صَاحِبَنَا فِيهِ وَقَدْ كَانَ أُعْطِيَ الْقَوْسَ بَارِيَهَا^(٤)
فَقَالَ : خَفْتُ أَفْتِتَانَ الْمُسْلِمِينَ بِهِ وَفِتْنَةَ النَّفْسِ أَعَيْتَ مَنْ يُدَاوِيَهَا
هَبْوهُ أَخْطَأَ فِي تَأْوِيلِ مَقْصِدِهِ وَأَنْهَا سَسْفَةً فِي عَيْنِ نَاعِيَهَا^(٥)
فَلَنْ تَعِيبَ حَصِيفَ الرَّأْيِ زَلَّتْهُ حَتَّى يَعِيبَ سُيُوفَ الْهِنْدِ نَائِيَهَا^(٦)
تَاللَّهِ لَمْ يَتَّبِعْ فِي (ابْنِ الْوَلِيدِ) هَوَى وَلَا شَفَى غُلَّةً فِي الصَّدْرِ يَطْوِيَهَا
لَسِكَنَّهْ قَدْ رَأَى رَأْيًا فَأَتَّبَعَهُ عَزِيمَةً مِنْهُ لَمْ تُشْلَمْ مَوَاضِيَهَا^(٧)
لَمْ يَرْعَ فِي طَاعَةِ الْمَوْلَى خُؤُولَتَهُ وَلَا رَعَى غَيْرَهَا فِيمَا يُنَافِيَهَا^(٨)

(٢) الترفيه : الرغد والنعيم .

(١) صاحبه : أي عمر بن الخطاب .

(٣) يشير إلى ما يروى من أن عمر بلغه أن نسوة من نساء بني المغيرة اجتمعن في دار يبيكين على خالد ابن الوليد ، فقال : وما عليهن أن يبيكين أبا سليمان ما لم يكن نفع أو قلق .

(٤) صاحبنا : يريد أبا بكر ، " وفيه " : أي في خالد . وأعطى القوس باريها : أي استعان في الحرب بمن له معرفة وحذق ، وهو مثل يضرب في تفويض الأمر إلى من يحسنه ويحبده .

(٥) هبوه : أي هبوا عمر ، وهو خطاب من الشاعر إلى الناس . وفي عين ناعيها : أي في عين من يعدد سقطات عمر وزلاته .

(٦) حصيف الرأي : جديده ومحكمه . و " نايها " أي ما ينبو من سيوف الهند وكل ويرتد . يقول : من عرف بالحكمة في الرأي لا تعيبه زلة ، كما لا يحط من قدر سيوف أن الهند تنبو مرة .

(٧) المواضي : السيوف الماضية . و " لم تنلم " أي لم تكسر أشفارها .

(٨) خؤولته : أي خؤولة قبيلة خالد لعمر : فأم عمر حنيفة بنت داثم بن المازيرة بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم . وفيها ينافيها : أي في معصية المولى .

وما أصابَ ابنه والسَّوطُ يأخذه لَئِيْهِ مِنْ رَأْفَةٍ فِي الْحَدِّ يُبْدِيهَا ^(١)
 إِنْ الَّذِي بَرَأَ (الْفَارُوقَ) نَزَّهَهُ عَنْ النَّقَائِصِ وَالْأَغْرَاضِ تَنْزِيهَا ^(٢)
 فَذَلِكَ خُلِقَ مِنَ الصُّرْدُوسِ طِينَتُهُ اللَّهُ أَوْدَعَ فِيهَا مَا يُنْقِيهَا
 لَا الْكِبَرُ يَسْكُنُهَا ، لَا الظُّلُمُ يَصْحَبُهَا ، لَا الْحَقْدُ يَعْرِفُهَا ، لَا الْحِرْصُ يُغْوِيهَا

(عمر وعمر بن العاص ^(٣))

شَاطَرَتْ دَاهِيَةَ السَّوَّاسِ ثَرَوَتَهُ وَلَمْ تَخَفْهُ بِمَضِرٍّ وَهُوَ وَالِيهَا ^(٤)
 وَأَنْتَ تَعْرِفُ (عَمْرًا) فِي حَوَاضِرِهَا وَلَسْتَ تَجْهَلُ (عَمْرًا) فِي بَوَادِيهَا
 لَمْ تُنَبِّتِ الْأَرْضُ كَابْنَ الْعَاصِ دَاهِيَةً يَرَى الْخُطُوبَ بِرَأْيٍ لَيْسَ يُحْطِيهَا
 فَلَمْ يُرْغِ حِيلَةً فِيمَا أَمَرَتْ بِهِ وَقَامَ (عَمْرُو) إِلَى الْأَجْمَالِ يُزْجِيهَا ^(٥)
 وَلَمْ تُقَلِّ عَامِلًا مِنْهَا وَقَدْ كَثُرَتْ أَمْوَالُهُ وَفَشَا فِي الْأَرْضِ فَاشِيهَا ^(٦)

(١) يقول : إن ابنه لم ينل منه رأفة وهو يمتد في ثرب الخمر ، والسياط تأخذ من جسمه . ويشير بذلك إلى حدّه ولده عبد الرحمن في الخمر وقد مرض بعد ذلك ومات .

(٢) برأ الفاروق : خلقه

(٣) كان شأن عمرو بن العاص مع عماله أن يصادروهم في أنصاف أموالهم ، لأنه كان يرى أن ما يجمعونه من المال إنما هو حق للسلطين ، فيتنبى أن يؤخذ منهم ويرد ثلث المال ، فعل هذا عمر مع من رأى لديهم ثروة لم يعلم مصدرها . وقد كتب إلى عمرو بن العاص : إنه قد فشت لك فاشية من متاع ورفيق وآنية وحيوان لم تكن حين وليت مصر فكتب إليه عمرو : إن أرضنا أرض مزدرة ومتجرة ، فنحن نصيب فضلاً عما نحتاج إليه لثقتنا . فكتب إليه : إنني قد خبرت من عمال السوء ما كفى ، وكتابك إلى كتاب من أفلقه الأخذ بالحق ، وقد سؤرت بك فلنا ، وقد وجهت إليك عهد بن مسleme ليقياسمك مالك ، فأطلعه عليه وأخرج إليه ما يطالبك به ، وأعفنه من الغلظة عليك . فلم يسع عمرو بن العاص على دهائه وعلو مكانته وبعده عن أمير المؤمنين إلا الخضوع لما أمره به ، ومقاسمة ابن مسleme ماله . وإلى هذه القصة يشير الشاعر .

(٤) داهية السواس : عمرو بن العاص .

(٥) أراغ : طلب . ويزججها : يسوقها .

(٦) ولم تقل عاملاً منها : أى لم تعف أحداً من عمالك من مشاطرة ماله . وفشا : اى انتشر وكثر .

(عرو ولده عبد الله^(١))

وما وَفَى أَبْنُكَ (عَبْدُ اللَّهِ) أَيْنَقَهُ لِمَا أَطَاعْتَ عَلَيْهَا فِي مَرَاغِبِهَا^(٢)
 رَأَيْتَهَا فِي حِمَاهُ وَهِيَ سَارِحَةٌ مِثْلَ الْقُصُورِ قَدْ أَهْتَزَتْ أَعَالِيهَا
 فَقُلْتُ : مَا كَانَ (عَبْدُ اللَّهِ) يُشْبِعُهَا لَوْ لَمْ يَكُنْ وَلَدِي أَوْ كَانَ يُرْوِيهَا
 قَدْ اسْتَعَانَ بِجَاهِي فِي تِجَارَتِهِ وَبَاتَ بِاسْمِ (أَبِي حَفْصٍ) يُنَمِّيهَا^(٣)
 رُدُّوا النَّيَاقَ لَبَيْتِ الْمَالِ إِنَّ لَهُ حَقَّ الزِّيَادَةِ فِيهَا قَبْلَ شَارِيهَا
 وَهَذِهِ خُطَّةٌ لِلَّهِ وَاضِعُهَا رَدَّتْ حُقُوقًا فَأَغْنَتْ مُسْتَمِيعِيهَا^(٤)
 مَا الْأَشْتِرَاكِيَّةُ الْمَنْشُودُ جَانِبُهَا بَيْنَ الْوَرَى غَيْرَ مَبْنَى مِنْ مَبَانِيهَا^(٥)
 فَإِنْ نَكُنْ نَحْنُ أَهْلِيهَا وَمَنْبَتُهَا فَإِنَّهُمْ عَرَفُوهَا قَبْلَ أَهْلِيهَا^(٦)

(١) يشير الشاعر بهذه الأبيات إلى ما يروى من أن عمر مر بنوق قد بدت عليها آثار النعمة فسأل عن صاحبها ، فقيل له : عبد الله ، فساقها إلى بيت المال فلما منه أن ثروة ابنه لا تنفي لها ، وأنه لولا جاهه بين الناس ما قدر على إطلاعها .

(٢) الأيتق : النياق .

(٣) ينميا : يزيدها .

(٤) أغنت مستمعيها : أي أغنت أصحاب الحقوق عن استجدائها والتماسها بمذلة السؤال .

(٥) المنشود المطلوب . يريد أن المذهب الاشتراكي المعروف ما هو إلا فرع من هذه الخطة التي سار عليها عمر .

(٦) فإن نكن نحن : أي العرب ، أهل هذه الخطة وفيها نبئت ، فإن الغربيين قد عرفوها وعملوا بها قبلنا ونحن أحق بها وأهلها .

(عمر ونصر بن حجاج)

جَنَى الْجَمَالَ عَلَى (نَصْرِ) فَعَرَبَهُ عَنِ الْمَدِينَةِ تَبْكِيهِ وَيَبْكِيهَا
وَكَمْ رَمَتْ قَسَمَاتُ الْحُسْنِ صَاحِبَهَا وَأَتَعَبَتْ قَصَبَاتُ السَّبْقِ حَاوِيَهَا^(١)
وَزَهْرَةُ الرَّوْصِ لَوْلَا حُسْنُ رَوْثِهَا لَمَا اسْتَطَالَتْ عَلَيْهَا كَفٌّ جَانِيهَا
كَانَتْ لَهُ لِمَّةٌ فَيُنَانَةٌ عَجَبٌ عَلَى جَبِينِ خَالِقٍ أَنْ يُحْلِيَهَا^(٢)
وَكَانَ أَنِّي مَشَى مَالَتْ عَقَائِلُهَا شَوْقًا إِلَيْهِ وَكَادَ الْحُسْنُ يَسْنِيَهَا^(٣)
هَتَفَنَ تَحْتَ اللَّيَالِي بِأَسْمِهِ شَغَفًا وَلِلْحَسَنِ تَمَنُّ فِي لَيَالِيهَا
جَزَزَتْ لِمَتَهُ لَمَا أُتِيَتْ بِهِ فَفَاقَ عَاطِلُهَا فِي الْحُسْنِ حَالِيَهَا^(٤)
فَصِخَتْ فِيهِ : تَحَوَّلَ عَنْ مَدِينَتِهِمْ فَإِنَّهَا فِتْنَةٌ أَخْشَى تَمَادِيَهَا
وَفِتْنَةُ الْحُسْنِ إِنْ هَبَّتْ نَوَاحِيهَا كَفِتْنَةُ الْحَرْبِ إِنْ هَبَّتْ سَوَافِيهَا^(٥)

(١) قسَمَاتُ الْحُسْنِ : مجاليه . وقصبة السبق : ما ينصب في ميدان السباق ، فمن سبق اقتطعها وأخذها ليعلم أنه السابق .

(٢) اللمة (بالكسر) : الشعر المجاور لثمة الأذن ، والجمع لم . وفيناثة طويلة حسنة .

(٣) عَقَائِلُهَا : أى عقائل المدينة . وعقائل النساء : كرائمهن ، الواحدة : عقيلة . ويسببها : يأسرها .

(٤) عَاطِلُ اللمة : المجرد منها . وحاليها : المتزين بها .

(٥) نَوَاحِيهَا : أى روائعها الطيبة ، جمع ناختة . وسوا في الحرب : أى عواصفها . والأصل في السواقي : الريح تحمل الغبار . يقول : إن الحسن يفعل في النفوس بلفظه ورقته ما تفعله الحرب بقسوتها وشدةها .

ويرويه بعض الأدباء نقلاً عن حافظ "لواحيها" باللام مكان "نواحيها" بالنون ، والواخي : الريح الحارة المحرقة ، جمع لاختة ؛ والمعنى عليه يستقيم أيضاً كما هو ظاهر .

(عمر ورسول كسرى^(١))

وَرَاعَ صَاحِبَ (كَسْرَى) أَنْ رَأَى عُمَرَاً
وَعَهْدُهُ بِمُلُوكِ الْفُرْسِ أَنَّ لَهَا
رَأَاهُ مُسْتَعْرِقًا فِي نَوْمِهِ فَرَأَى
فَوْقَ الثَّرَى تَحْتَ ظِلِّ الدَّوْحِ مُشْتَمَلًا
فَهَانَ فِي عَيْنِهِ مَا كَانَ يُكْبِرُهُ
وَقَالَ قَوْلَهُ حَقٌّ أَصْبَحَتْ مَثَلًا
أَمَنْتَ لِمَا أَقْسَتَ الْعَدْلَ بَيْنَهُمْ
يَنْ الرِّعْيَةَ عُطْلًا وَهُوَ رَاعِيهَا^(٢)
سُورًا مِنَ الْجُنْدِ وَالْأَحْرَاسِ يَحْمِيهَا
فِيهِ الْجَلَالَةُ فِي أَسْمَى مَعَانِيهَا
بِرْدَةٍ كَادَ طُولُ الْعَهْدِ يُبْلِيهَا^(٣)
مِنَ الْأَكَاسِرِ وَالْدُّنْيَا بِأَيْدِيهَا
وَأَصْبَحَ الْجَحِيلُ بَعْدَ الْجَحِيلِ يَرْوِيهَا:
فَنِمْتَ نَوْمَ قَرِيرِ الْعَيْنِ هَانِيهَا

(عمر والشورى^(٤))

يَا رَافِعًا رَايَةَ الشُّورَى وَحَارِسَهَا
لَمْ يُلْهِكَ النَّزْعُ عَنْ تَأْيِيدِ دَوْلَتِهَا
وَلِلْمَنِينِ آلَامٌ تُعَانِيهَا^(٥)
جَزَاكَ رَبُّكَ خَيْرًا عَنْ مُحْيِيهَا

(١) يشير بهذه الأبيات إلى ما يروى من أنه لما وصل رسول كسرى إلى المدينة يريد مقابلة الخليفة جعل يستهدى إلى قصره ، فعلم أنه لا يسكن قصرًا ، وانتهى به الأمر إلى أن وصل إلى بيت كبيوت أفقر العرب وهناك كان الخليفة العظيم راقدا على الرمل أمام البيت ، جاعلا منه وسادة أسند إليها رأسه ، ولم يكن حوله من مظاهر هذه الحياة ما يميزه من أصغر فرد في رعيته ؛ فلما رأى الرسول ذلك دهش ، ووقف أمامه خاشعا وقال عبارته المعروفة : عدلت يا عمروأمنت فنمت .

(٢) عطلا (بالضم) : أى متجردا من مظاهر الأبهة .

(٣) الدوح جمع دوحة ، وهى الشجرة العظيمة المتسعة الظل . واشتمل الرجل بثوبه : تلفف به وأداره على جسده .

(٤) كان عمر ممن يأخذون بالشورى فى أمورهم ، وكان يقول : لا خير فى أمر أبرم من غير شورى . وهو أول من قرر قاعدة الشورى فى انتخاب الخليفة ، فقد سئل عند ما طعن عمن يوصى به بعده ، فقال للقداد بن الأسود : إذا وضعتمونى فى حفرتى فأدخل عليا وعثمان والزبير وسعدا وعبد الرحمن بن عوف وطلحة أن قدم ، وأحضر عبد الله بن عمر ، ولا شئ له من الأمر ، وقم على رؤسهم ، فإن اجتمع خمسة ورضوا رجلا وأبى واحد فاضرب رأسه بالسيف ، وإن اتفق أربعة فريضوا رجلا منهم وأبى اثنان فاضرب رأسيهما ، فإن رضى ثلاثة رجلا وثلاثة رجلا منهم ، فحكوا عبد الله بن عمر ، فأبى الفريقين حكم له فليختاروا رجلا منهم ، فإن لم يرضوا بحكم عبد الله فليكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف ، واقتلوا الباقيين إن رغبوا عما اجتمع عليه الناس . وإلى هذه القصة يشير الشاعر . (٥) دولتها : أى دولة الشورى .

لَمْ أَسْأَلْ أَمْرًاكَ لِلْقَدَادِ يَحْمِلُهُ إِلَى الْجَمَاعَةِ انْذَارًا وَتَنْبِيْهَا
 إِنْ ظَلَّ بَعْدَ ثَلَاثِ رَأْيَا شُعْبًا بِفَرْدِ السَّيْفِ وَأَضْرِبُ فِي هَوَادِيهَا^(١)
 فَاعْجَبْ لِقَسْوَةِ نَفْسٍ لَيْسَ يَصْرِفُهَا طَعْمُ الْمَنِيَّةِ مُرًّا عَنْ مَرَامِيهَا
 دَرَى عَمِيدُ بَنِي الشُّورَى بِمَوْضِعِهَا فَعَاشَ مَا عَاشَ يَنْبِيْهَا وَيُعْلِيهَا
 وَمَا اسْتَبَدَّ بِرَأْيٍ فِي حُكُومَتِهِ إِنْ الْحُكُومَةُ تُغْرِى مُسْتَبِدِّيَهَا
 رَأَى الْجَمَاعَةَ لَا تَشْقِي الْبِلَادُ بِهِ رَغَمَ الْخِلَافِ وَرَأَى الْفَرْدَ يُشْقِيهَا

(مَثَالٌ مِنْ زُهْدِهِ)

يَا مَنْ صَدَفْتَ عَنِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا فَلَمْ يَغُرَّكَ مِنْ دُنْيَاكَ مُغْرِيهَا^(٢)
 مَاذَا رَأَيْتَ بَبَابَ الشَّامِ حِينَ رَأَوُا أَنْ يُلْسُوكَ مِنَ الْأَثْوَابِ زَاهِيهَا
 وَيُرِيكَ بُوكَ عَلَى الْبِرْدُونِ تَقْدُمُهُ خَيْلٌ مُطَهَّمَةٌ تَحْلُو مَرَائِيهَا^(٣)
 مَشَى فَهَمَلَجَ مُخْتَالًا بِرَاكِبِهِ وَفِي الْبِرَادِينَ مَا تُرْهِى بِعَالِيهَا^(٤)
 فَصَحْتُ: يَا قَوْمُ، كَادَ الزَّهْوُ يَقْتُلُنِي وَدَاخَلْتَنِي حَالٌ لَسْتُ أَذْرِيهَا
 وَكَادَ يَصْبُو إِلَى دُنْيَاكُمْ (عُمَرُ) وَيَرْضَى بَيْعَ بَاقِيهِ بِفَانِيهَا^(٥)
 رُدُّوا رِكَابِي فَلَا أَنْبَغِي بِهِ بَدَلًا رُدُّوا ثِيَابِي فَحَسْبِيَ الْيَوْمَ بَالِيهَا

(١) بعد ثلاث : أى بعد ثلاث ليال . والهوادي : الأعناق .

(٢) صدف : أعرض وصد . (٣) البردون : ضرب من الدواب دون الخيل وأقوى من الحمير . ويشير بهذا البيت وما بعده إلى أن عمر لما شخص إلى بيت المقدس رأى فرسه يتوجى ، فنزل عنه وأتى ببردون فركبه ، فبهزه ، فنزل فضرِبَ وجهه بردائه ثم قال : قبح الله من عليك ، هذا من الخيلاء ، ثم دعا بفرسه بعد ما أجهه أيا ما فركبه ، ثم سار حتى انتهى إلى بيت المقدس ، ولم يركب قبله ولا بعده بردونا . (٤) الهملجة : حسن السير في تبخر . وأزهى (بالبناء للبهول) : اختال . وعاليها : راكبها . (٥) يصبو : يميل .

(مِثَالٌ مِنْ رَحْمَتِهِ^(١))

وَمَنْ رَأَهُ أَمَامَ الْقَدْرِ مُنْبَطِحًا وَالنَّارُ تَأْخُذُ مِنْهُ وَهُوَ يُذَكِّرُهَا^(٢)
 وَقَدْ تَحَلَّلَ فِي أَثْنَاءِ لَحِيَّتِهِ مِنْهَا الدُّخَانُ وَقُوهُ غَابَ فِي فِيهَا^(٣)
 رَأَى هُنَاكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى حَالٍ تَرُوعُ - لَعَمْرُ اللَّهِ - رَائِيهَا
 يَسْتَقْبِلُ النَّارَ خَوْفَ النَّارِ فِي غَدِهِ وَالْعَيْنُ مِنْ خَشْيَةٍ سَالَتْ مَا قِيَهَا^(٤)

(مِثَالٌ مِنْ تَقَشُّفِهِ وَوَرَعِهِ^(٥))

أَنْ جَاعَ فِي شِدَّةِ قَوْمٍ شَرِكْتُهُمْ فِي الْجُوعِ أَوْ تَنَجَّلِي عَنْهُمْ غَوَاشِيَهَا^(٦)
 جُوعَ الْخَلِيفَةِ - وَالْدُّنْيَا بِقَبْضَتِهِ - فِي الزُّهْدِ مَنَزِلَةً سُبْحَانَ مُوَلِّيَهَا
 فَنَنْ يُبَارَى (أَبَا حَفْصٍ) وَسِيرَتَهُ أَوْ مَنْ يُجَاوِلُ (لِلْفَارُوقِ) تَشْبِيَهَا
 يَوْمَ اشْتَهَتْ زَوْجَهُ الْحَلَوَى فَقَالَ لَهَا: مَنْ أَيْنَ لِي ثَمَنُ الْحَلَوَى فَأَشْرِيَهَا؟

(١) يشير بالأبيات الآتية إلى ما روى من أن عمر رضى الله تعالى عنه كان يتعسس بالليل ، فرأى امرأة توقد النار على حصي وماء ، تشغل بذلك أولادها عن طلب الطعام حتى يناموا ، فحمل إليها عمر من بيت المال شيئاً من الدقيق ، وجلس هو يشعل النار وينضج الطعام ، ولم ينصرف حتى أكل الأطفال وناموا .

(٢) انبطح : نام على وجهه منتدلاً على الأرض . وأذكى النار : أوقدها .

(٣) فوه غاب في فيها : أى فوه غاب في فم النار وهو ينفخها .

(٤) المآقى : جمع ماق ومؤق ، وهو طرف العين ما يلي الأنف ، وهو مجرى الدمع .

(٥) يشير الشاعر بهذه الأبيات الآتية إلى حادثتين من تقشف عمر : (الأولى) ما يحكى عنه من أنه كان إذا نزلت بالقوم مجاعة لا يأكل داخل بيته ، ويأخذ طعامه ويشارك مع القوم إلى أن تنتهى المجاعة ، حتى يعلموا أن الخليفة لا يأكل من غير ما يأكلون . (الثانية) ما حكى عنه من أن امرأته اشتت الحلواء ، فادخرت لذلك من نفقة بيتها حتى جمعت ما يكفي لصنعها ، فلما نمت هذا إلى عمر رد ما ادخرته إلى بيت المال وقص من نفقتها بقدر ما ادخرت .

(٦) "أو تنجلي" الخ ، أى حتى تنكشف عنهم غواشيا أى ما يغشاهم ويشملهم من الشدة والقحط . الواحدة : غاشية .

لَا تَمْتَطِي شَهَوَاتِ النَّفْسِ جَاحِجَةً
 وَهَلْ يَبْنِي بَيْتُ مَالِ الْمُسْلِمِينَ بِمَا
 قَالَتْ : لَكَ اللَّهُ إِنِّي لَسْتُ أَرْزُوهُ
 لَكِنْ أَجَنَّبُ شَيْئًا مِنْ وَظِيفَتِنَا
 حَتَّى إِذَا مَا مَلَكْنَا مَا يُكَافِئُهَا
 قَالَ : اذْهَبِي وَأَعْلِي إِنْ كُنْتِ جَاهِلَةً
 وَأَقْبَلْتِ بَعْدَ نَحْمَسٍ وَهِيَ حَامِلَةٌ
 فَقَالَ : نَبَّهْتُ مِنِّي غَافِلًا فَلَدَعِي
 وَيَلِي عَلَى عُمَرٍ يَرْضَى بِمُوفِيَةٍ
 مَا زَادَ (عَنْ) قُوتِنَا فَالْمُسْلِمُونَ بِهِ
 كَذَلِكَ أَخْلَاقُهُ كَانَتْ وَمَا عُهُدَتْ
 فَكِسْرَةُ الْخُبْرِ عَنْ حَلْوَاكِ تَجْزِيهَا (١)
 تُوحِي إِلَيْكَ إِذَا طَاوَعْتَ مُوَحِّهَا
 مَا لَا لِحَاجَةَ نَفْسٍ كُنْتَ ابْغِيهَا (٢)
 فِي كُلِّ يَوْمٍ عَلَى حَالٍ أُسْوِيهَا (٣)
 شَرَيْتَهَا ثُمَّ إِنِّي لَا أَثْنِيهَا (٤)
 أَنَّ الْقَنَاعَةَ تُغْنِي نَفْسَ كَاسِيهَا (٥)
 دُرَاهِمَاتٍ لِتَقْضَى مِنْ تَشْتِيهَا
 هَذِي الدَّرَاهِمَ إِذْ لَا حَقَّ لِي فِيهَا
 عَلَى الْكَفَافِ وَيَنْهَى مُسْتَزِيدِيهَا (٦)
 أَوَّلَى فَقُومِي لِبَيْتِ الْمَالِ رُدِّيهَا
 بَعْدَ النُّبُوَّةِ أَخْلَاقُ تُحَاكِهَا

(مِثَالٌ مِنْ هَيْبَتِهِ)

فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ هَيْبَتُهُ
 فِي طَيِّ شِدَّتِهِ أَسْرَارُ مَرَحْمَةٍ
 تَنِي الْخُطُوبَ فَلَا تَعْدُو عَوَادِيهَا
 لِلْعَالَمِينَ وَلَكِنْ لَيْسَ يُفْشِيهَا

(١) تجزيها : أى تغني عنها .

(٢) لست أرزوه مالا : أى لست أصيب من بيت المال شيئا .

(٣) وظيفتنا : أى ما يجرى علينا من بيت المال .

(٤) لا أثنيها : أى لا أعود إلى طلب ذلك مرة ثانية .

(٥) كاسيها : أى المتجمل بها .

(٦) بموفية على الكفاف : أى بما يزيد عن الحاجة من الرزق .

وَبَيْنَ جَنَبَيْهِ فِي أَوْفَى صَرَامَتِهِ	فُسُودُ وَالِدَةٍ تَرَعَى ذُرَارِهَا ^(١)
أَغْنَتْ عَنِ الصَّارِمِ الْمَصْقُولِ دِرَّتَهُ	فَكَمْ أَخَافَتْ غَوَى النَّفْسِ عَاتِيَهَا ^(٢)
كَانَتْ لَهُ كَعَصَا (مُوسَى) لِصَاحِبِهَا	لَا يَنْزِلُ الْبُطْلُ مُجْتَازًا بِوَادِيهَا ^(٣)
أَخَافَ حَتَّى الذَّرَارِي فِي مَلَاعِيهَا	وَرَاعَ حَتَّى الْغَوَانِي فِي مَلَاهِيهَا ^(٤)
أَرَيْتَ تِلْكَ الَّتِي لِلَّهِ قَدْ نَذَرْتُ	أَلَسُّودَةً لِرَسُولِ اللَّهِ تُهْدِيهَا؟ ^(٥)
قَالَتْ : نَذَرْتُ لئن عادَ النَّبِيُّ لَنَا	مِنْ غَزْوَةٍ لَعَلَى دُفِّيْ أُغْنِيَهَا
وَيَمَمْتَ حَضْرَةَ الْهَادِي وَقَدْ مَلَأْتُ	أَنْوَارُ طَلَعَتِهِ أَرْجَاءَ نَادِيهَا
وَأَسْتَأْذَنْتُ وَمَشْتِ بِالْذَّفِّ وَانْدَفَعْتُ	تُسْجِي بِالْحَانِهَا مَا شَاءَ مُشْجِيهَا ^(٦)
(والمصطفى) (وأبو بكرٍ) بِجَانِبِهِ	لَا يُنْكَرَانِ عَلَيْهَا مِنْ أُغْنِيَهَا
حَتَّى إِذَا لَاحَ مِنْ بَعْدِهَا (عُمَرُ)	خَارَتْ قَوَاهَا وَكَادَ الْخَوْفُ يُرْدِيهَا ^(٧)
وَحَبَّاتُ دُفِّهَا فِي ثَوْبِهَا فَرَقًا	مِنْهُ وَودَّتْ لو أَنَّ الْأَرْضَ تَطْوِيهَا ^(٨)
قَدْ كَانَ حَلْمُ رَسُولِ اللَّهِ يُؤَسِّسُهَا	بِفَاءِ بَطْشِ (أَبِي حَفْصٍ) يُخَشِّسُهَا ^(٩)

(١) أوفى صرامته : أى فى أقصى شدته .

(٢) الصارم المصقول : السيف المجلو . والدة : العصا يضرب بها ، ودره عمر معروفه . والغوى : الضال .

(٣) البطل (بالضم) : الباطل . ويريد بالشرط الثانى أنه لا يضرب بها إلا فى حق .

(٤) الغوانى : النساء غنن بحسين وجاهلن عن الزينة . الواحدة : غانية .

(٥) أريت : أى أرايت ، ويشير الشاعر بهذا البيت وما بعده إلى ما يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سافر سفرا فنذرت جارية من قريش لئن رده الله تعالى أن تضرب بالدف ، وتنفى بين يديه ، فلما عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءت الجارية لتنفى بئذها ، وضربت على الدف وكان أبو بكر إلى جانب الرسول لا ينكران عليها ذلك ، فلما طلع عليها عمر أسقط فى يدها واضطربت فرتج عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال متبسما : " لقد فر شيطانها " حين رأى عمر .

(٦) تسجى : تطرب .

(٧) خارت قواها : ضعفت . وأرداه : أهلكه .

(٩) يخشها : يخوفها .

(٨) الفرق : الخوف .

فَقَالَ مَهَبِطٌ وَحَى اللّٰهُ مُبْتَسِمًا وَفِي ابْتِسَامَتِهِ مَعْنَى يُوَسِّسُهَا
قَدْ فَرَّ شَيْطَانُهَا ، لَمَّا رَأَى عُمَرَا إِنَّ الشَّيَاطِينَ تَخْشَى بَأْسَ مُحْزِيهَا

(مَثَالٌ مِنْ رُجُوعِهِ إِلَى الْحَقِّ^(١))

وَفِتْيَةٍ وَلِعُوا بِالرَّاحِ فَانْتَبَذُوا لَمْ مَكَانًا وَجَدُوا فِي تَعَاطِيهَا^(٢)
ظَهَرَتْ حَائِطُهُمْ لَمَّا عَلِمَتْ بِهِمْ وَاللَّيْلُ مُعْتَكِرُ الْأَرْجَاءِ سَاجِيهَا^(٣)
حَتَّى تَبَيَّنَتْهُمْ وَالْخَمْرُ قَدْ أَخَذَتْ تَعْلُو ذُؤَابَةَ سَاقِيهَا وَحَاسِيهَا^(٤)
سَفَهَتْ آرَاءَهُمْ فِيهَا فَمَا لَبِثُوا أَنْ أَوْسَعَوْكَ عَلَى مَا جِئْتَ تَسْفِيهَا^(٥)
وَرُمْتَ تَفْقِيهِهِمْ فِي دِينِهِمْ فَذَا بِالشَّرْبِ قَدْ بَرَعُوا (الْفَارُوقُ) تَفْقِيهَا^(٦)
قَالُوا : مَكَانَكَ قَدْ جِئْنَا بِوَاحِدَةٍ وَجِئْنَا بِثَلَاثٍ لَا تَبَالِيهَا
فَأَتِ الْبُيُوتَ مِنَ الْأَبْوَابِ (يَا عُمَرُ) فَقَدْ يَزِنُ مِنَ الْحَيِطَانِ آتِيهَا^(٧)
وَاسْتَأْذَنَ النَّاسَ أَنْ تَغْشَى بَيْوتَهُمْ^{وَوَوَو} وَلَا تُلِمَ بِدَارٍ أَوْ تُحْيِيهَا^(٨)

(١) يشير بهذا البيت وما بعده إلى ما روى من أن عمر تسور الحائط على جماعة يشربون الخمر يريد أن يباغتهم ، فأنكروا عليه أمورا ثلاثة أتاها ، وهي دخوله عليهم من غير الباب ، وعدم استئذانه ، وتجسسه عليهم ، وكل هذه نهى عنها الله ، فأنقضى عنهم بعد أن لزمته حجته .

(٢) ظهر الحائط : علاه . واعتكر الليل اختلط ظلامه : الساجى : الساكن الراكد الظلمة .

(٣) يريد بالذؤابة أعلى الرأس . والذؤابة في الأصل : الضفيرة من الشعر . وحاسيها : شاربها .

(٤) فيها : أى فى الخمر . (٦) الشرب : الشاربون . وبرعوا : فاقوا .

(٧) وزن "عمر" هنا لضرورة الوزن . وفى كتب النحو أن المنادى المبني على الضم إذا اضطر الشاعر إلى تنوينه فله فيه وجهان : الضم والنصب ، فن الأول :

* سلام الله يا مطر عليها *

ومن الثانى :

* يا عديا لقد وقتك الأواق *

(٨) أى لا تدخل الدار حتى تستأذن وتسلم على أهلها .

• ويزن : يهتم •

ولا تجسس فهدي الآي قد نزلت بالنهي عنه فلم تذكر نواهيها
فعدت عنهم وقد اكبرت حجهم لما رأيت كتاب الله يملأها
وما أنفت وإن كانوا على حرج من أن يحجك بالآيات عاصيها^(١)

(عمر وشجرة الرضوان^(٢))

وسرحة في سماء السرج قد رفعت ببيعة المصطفى من رأسها تيهها^(٣)
أزلتها حين غالوا في الطواف بها وكان تطوافهم للدين تشويها^(٤)

(الخاتمة)

هذي مناقبه في عهد دولته للشاهدين وللأعقاب أحكيها
في كل واحدة منهم نائلة من الطبائع تغذو نفس واعيهها^(٥)
لعل في أمة الإسلام نابتة تجلوا لحاضرها مرآة ماضيهها^(٦)
حتى ترى بعض ما شادت أوائلها من الصروح وما عاناه بانيتها
وحسبها أن ترى ما كان من (عمر) حتى ينبئه منها عين غافيهها^(٧)

(١) الحرج : الائم . وجه يحجه : غلبه الحجة .

(٢) شجرة الرضوان : هي الشجرة التي بايع النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه تحتها يوم الحديبية ، وقد رأى عمر أن الناس يصلون عندها ويطوفون بها ، فخاف أن ينصرف تكريمهم لها إلى معنى من معاني الوثنية ، فأمر بقطعها ، فقطعت ، وإلى هذا يشير الشاعر بالأبيات الآتية .

(٣) السرحة : الشجرة الطويلة ، أو هي من الشجر ما لا شوك فيه . يقول : إن هذه الشجرة قد تعالت تيهها وافتخارا

على مثيلاتها من أعالي الأشجار بهذه البيعة .

(٥) نائلة : أي سبيحة شريفة من سجايا النبيل .

(٤) غالوا : بالنوا وأكثروا .

(٧) الغافي : النائم .

(٦) النابتة الناشئون .

تحية محمد عسران عبد الكريم

أنشدها في الحفل الذي أقيم لتكريمه في فندق شبرد في ٧ يولييه سنة ١٩١٩ م حين استقال من الحكومة
أزل مرة ٠ وهي على لسان تجار الغلال

لقد عاشرتنا فليئت فينا مثلاً للنزاهة والكآل
بحلم كان محمود المزايا وعدل كان ممدود الظلال
فإن كنت اعتزلت إباء ضميم فمثلك بالوظائف لا يبالي
فجأت القلوب تسوق شكراً إليك بقدر حبات الغلال^(١)

تحية أحمد شوقي بك

وكان حافظ قد أعادها ليستقبله بها عند قدومه الى مصر من منفاه بالأندلس ، ولكنه عجل بنشرها
قبل قدومه مخافه أن يلحقه القدر المحتوم ، كما قال في رسالته الى الأهرام

[نشرت في ١٤ أغسطس سنة ١٩١٩ م]

ورد الكآنة عبقرى زمانه فنظري يامضر سخر بيانه^(٢)
وأتى الحسان فهنتوا ملك النهى بقيام دولته وعود حسانه^(٣)
النيل قد ألقى إليه بسمعه والماء أمسك فيه عن جريانه
والزهر مضجج والخمائل خشع والطير مستمع على أفنانه^(٤)

(١) حبات القلوب : سويداواتها .

(٢) تنظري : انتظري .

(٣) الحسان من الرجال (بضم الحاء) والحسن (بالتحريك) : كلاهما بمعنى واحد .

(٤) الخمائل : المواضع تكثف فيها الأشجار الواحدة : نخيلة .

والقطر في شوقي لأندلسية شوقية تشفيه من أشجانه^(١)
 يصغي لأحمد إن شدا مترنماً إصغاء أمة أحمد لأذانه^(٢)
 فاصدح وغن النيل وأهززعطفه يكفيه ما عناه من أجزانه^(٣)
 وأذكر لنا الحمراء كيف رأيتها والقصر ماذا كان من بئانه^(٤)
 ما ذا تحطم من ذراه وما الذي أبقت صروف الدهر من أركانه^(٥)
 وأها عليه وأهله وبنايته أيام كان النجم من سكانه^(٦)
 إذ ملك أندلس عريض جاهه وشبابه المبكى في ريعانه^(٧)
 الفتح والعمران آية عهده وتكائب الأقدار من أعوانه^(٨)
 لبست به الدنيا لباس حضارة قد كان يخلعه على جيرانه^(٩)
 زالت بشاشته وزال واقفرت من أنسه الدنيا ومن إنسانه^(١٠)
 وطوى الثرى سر الزوال فيأترى هل ضاق صدر الأرض عن كتمانته؟^(١١)
 فتكلمت تلك الطلول وأفصححت لما وقفت مسائلاً عن شأنه

- (١) أندلسية شوقية : أى قصيدة من شعر شوقي في وصف الأندلس .
 (٢) يريد "بأحمد" الثانى رسول الله صلى الله عليه وسلم .
 (٣) صدح : رفع صوته بالغناء . والعطف : الجانب .
 (٤) الحمراء : هى ذلك البناء الذى لا يزال على طول عهده فى غرناطة أجل ما يرى فى البلاد الأسبانية ، وكان قلعة تضم بين جدرانها القصر السلطاني ، وفى هذا القصر كان يعيش سلاطين بنى الأحمر .
 (٥) تحطم : تهدم . وذراه : أعاليه . وصروف الزمان : حوادثه وتغيراته .
 (٦) ريعان كل شئ : أوله .
 (٧) جيرانه : أى ممالك الغرب المجاورة للأندلس .
 (٨) إنسانه : أى أهله .
 (٩) سر الزوال : أى السبب فى زوال ملك العرب عن الأندلس ، يستفسر الشاعر فى هذا البيت والذى بعده : هل ضاق صدر الأرض عن حفظ ذلك السرفاح به لشوقي لما وقف على أطلال الحمراء ؟

وَلَعَلَّ نَكْبَتَهُ هُنَاكَ تَفَرَّقُ وَتَعَدُّ قَدْ كَانَ فِي تَجْبَانِهِ
عَبْرَ رَأْيَانِهَا عَلَى أَيَّامِنَا قَدْ هَوَّنتَ مَا نَابَهُ فِي آتِهِ
وَحَوَادِثُ فِي الْكَوْنِ إِثْرَ حَوَادِثِ جَاءَتْ مُشْمَرَةً لِهَدِّ كَيْانِهِ
سُبْحَانَ جَبَّارِ السَّمَوَاتِ الْعُلَا وَمُقَلَّبِ الْأَكْوَانِ فِي أَكْوَانِهِ
أَهْلًا بِشَمْسِ الْمَشْرِقَيْنِ وَمَرْحَبًا بِالْأَبْلَجِ الْمَرْجُوِّ مِنْ إِخْوَانِهِ^(١)
أَشْكُو إِلَيْكَ مِنَ الزَّمَانِ وَزُمْرَةٍ بَرَحَتْ فُؤَادَ الشُّعْرِ فِي أَعْيَانِهِ^(٢)
كَمْ خَارِجٌ عَنْ أَفْقِهِ حَصَبُ الْوَرَى بِقَرِيضِهِ وَالْعُجْبُ مَلَأَ جَنَانِهِ^(٣)
يَحْتَالُ بَيْنَ النَّاسِ مُتَّئِدًا خُلُطًا رِيحُ الْغُرُورِ تَهْبُّ مِنْ أَرْدَانِهِ^(٤)
كَمْ صَكَكَ مَسْمَعُنَا بِجَنْدَلٍ لَفِظُهُ وَأَطَالَ مَحْنَتَنَا بِطُولِ لِسَانِهِ^(٥)
مَا زَالَ يُعْلِنُ بَيْنَنَا عَنْ نَفْسِهِ حَتَّى آسَتْغَاثَ الصَّمِّ مِنْ إِعْلَانِهِ
نَصَحَ الْهَدَاةَ لَهُمْ فَزَادَ غُرُورَهُمْ وَاشْتَدَّ ذَاكَ السَّيْلُ فِي طُغْيَانِهِ
أَوْ لَمْ تَرَ الْفُرْقَانَ وَهُوَ مُفَصَّلٌ لَمْ يَلْفَتْ الْبُودِيَّ عَنْ أَوْثَانِهِ
قُلْ لِلَّذِي قَدْ قَامَ يَسْأَوُا أَحَدًا خَلَّ الْقَرِيضَ فَلَسْتَ مِنْ فُرْسَانِهِ^(٦)

(١) الأبلج : الطلق الوجه .

(٢) أعيانه : أى رجال الشعر المبرزين فيه . "ويريد بالزمرة" ضعاف الشعراء ، وكان منهم فى رأى حافظ عبد الحليم المصرى الشاعر ، وهو المقصود بقوله بعد : "كَمْ خَارِجٌ" الخ ، وكانا قد تلاحيا قبل مقدم شوقى ثم احتكما اليه حين قدم .

(٣) أصلى الحصب : الرى بالحصى ، ثم استعمل فى كل رى .

(٤) متئد : متمهل . وأردانه ، أى أوثابه . والأردان : جمع ردن بضم الراء ، وهو أصل الكم .

(٥) الجندل : الصخر .

(٦) يشار أحدا : أى يبلغ غاية شوقى .

الشَّعْرُ فِي أَوْزَانِهِ لَوْ قَسَمْتَهُ لَطَلَمْتَهُ بِالْدَّرِّ فِي مِيزَانِهِ^(١)
 هَذَا أَمْرٌ قَدْ جَاءَ قَبْلَ أَوَانِهِ إِنْ لَمْ يَكُنْ قَدْ جَاءَ بَعْدَ أَوَانِهِ^(٢)
 إِنْ قَالَ شَعْرًا أَوْ تَسَمَّ مِنْبَرًا فَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ شَيْطَانِهِ^(٣)
 تَخِذْ اَلْخِيَالَ لَهُ بُرَاقًا فَاعْتَلَى فَوْقَ السُّهَى يَسْتَنُّ فِي طَيْرَانِهِ^(٤)
 مَا كَانَ يَأْمَنُ عَثْرَةً لَوْ لَمْ يَكُنْ رُوحُ الْحَقِيقَةِ مُمَسِّكًا بِعِنَانِهِ^(٥)
 فَاتَى بِمَا لَمْ يَأْتِهِ مُتَقَدِّمٌ أَوْ تَطْمَعُ الْأَذْهَانُ فِي إِتْيَانِهِ
 هَلْ لِلْخِيَالِ وَلِلْحَقِيقَةِ مَنَهْلٌ لَمْ يَبْغِهِ الرُّوَادُ فِي دِيْوَانِهِ^(٦)
 إِنَا لَنَلْهُوَ إِذْ نَجِدُ وَإِنَهُ لَيَجِدُ إِذْ يَلْهُو بِنَظْمِ جُمَانِهِ^(٧)
 أَقْلَامُهُ لَوْ شَاءَ شَكَّ قَصِيرُهَا هَامَ الثُّرَيَّا وَالسُّهَى بِسِنَانِهِ^(٨)
 يُمْلِي عَلَيْهَا عَقْلَهُ وَجَنَانَهُ مَا لَيْسَ يُنْكِرُهُ هَوَى وَجَدَانِهِ
 بَسَلْ عَلَى شُعْرَانَا أَنْ يَنْطِقُوا قَبْلَ الْمُثُولِ لَدَيْهِ وَأَسْتَيْئَذْنَاهُ^(٩)
 عَافَ الْقَدِيمَ وَقَدْ كَسَتْهُ يَدُ الْبَلَى خَلَقَ الْأَدِيمَ فَهَانَ فِي خُلُقَانِهِ^(١٠) ٤١

(١) في أوزانه: أى في الأوزان التي ينظم منها شوقي . و « الدر » متعلق بقوله : « قسّمه » .

(٢) يريد أن شوقيا قد جاء في غير زمانه ، وزمانه الجدير به إما أن يكون زمن السابقين من الفحول الأقدمين ، أو من سيجود بهم الزمن بعد اكتمال الفن .

(٣) تسّم الشيء : علاه . (٤) البراق : هي الدابة التي يروى أن النبي صلى الله عليه وسلم ركبها ليلة المعراج . والدمها : كوكب خفى من بنات نعش الصغرى . ويستن : يسرع .

(٥) العنان : سير الختام الذي تمسك به الدابة . يقول إن الذي حوى شعره من الزلل والخلط ، هو أنه جعل الحقيقة غرضه الذي يرمى إليه في قصائده ، ولولا ذلك لم يأمن الزلل .

(٦) المنهل : المورد ينهل منه الظالمون . والرواد : الطالبون . (٧) الجمان اللؤلؤ .

(٨) الهام : الرموس . الواحدة : هامة . (٩) بسل : حرام .

(١٠) عاف القديم : تجنب القديم من أغراض الشعر ومعانيه التي رثت وبليت .

وَأَبَى الْجَدِيدَ وَقَدْ تَأَنَّقَ أَهْلُهُ
بَحْدِيدُهُ بَعَثَ الْقَدِيمَ مِنَ الْإِلَى
وَرَمَى جَدِيدَهُمْ نَفَرًا بِنَاؤُهُ
شُعْرَاءُ نَفَحَ الطَّيِّبُ أَشْرَدَ كَرَهُهُمْ
وَدَّ (ابْنَ هَانِيٍّ) (وَابْنَ عَمَّارٍ) بِهَا
وَلَوْ أَسْتَطَاعَا فَوْقَ ذَلِكَ لِأَقْبَلَا
يَا كَرَمَةَ (الْمَطَرِيَّةِ) أَتَبَهَّجِي بِهِ
مُدَى الظُّلَالِ عَلَى الْوُفُودِ وَجَدَدِي
كَمْ مَجْلِسٍ لِلْهُوِّ فِيهِ شَهْدَتُهُ
غَنَى مُغْنِيهِ فَهَاجَ غِنَاؤُهُ
فِي الرَّقْشِ حَتَّى غَرَّ فِي أُلُوَانِهِ^(١)
وَأَعَادَ سُودَدَهُ إِلَى إِبَانِهِ^(٢)
بُرُوءَ زُخْرُفِهِ وَبَرَقَ دِهَانِهِ^(٣)
فِي أَرْضِ الْأَنْدَلُسِ أَدِيبُ زَمَانِهِ^(٤)
لَوْ يَظْفَرَانِ مَعًا بِلَثْمٍ بَنَانِهِ^(٥)
رَحِمَ الْبَلَى وَالْقَبْرِ يَسْتَبْقَانِهِ^(٦)
وَاسْتَقْبَلِي الظَّمَانَ مِنْ أَخْدَانِهِ^(٧)
عَهْدًا طَوَاهُ الدَّهْرِ فِي بُسْتَانِهِ
فَسَكِرْتُ مِنْ دِيْوَانِهِ وَدِنَانِهِ^(٨)
شَجَوَ الْحَمَامِ عَلَى ذَوَائِبِ بَانِهِ^(٩)

(٣) الرقش : النقش والتزيين .

(٤) السُّودد : السيادة والرفعة . وإبان الشيء : زمانه .

(٥) البروء : حسن المنظر .

(٦) نفح الطيب : هو كتاب نفح الطيب تأليف أبي العباس أحمد بن محمد بن يحيى المقرئ المغربي ، تزييل فارس ، ثم مصر ، المتوفى في شهر جمادى الآخرة سنة ١٠٤١ هـ . وصف في هذا الكتاب جزيرة الأندلس ورجالها من الكتاب والشعراء وغيرهم . ومعنى البيت أن شوقيا قد أحيا بحسن شعره ذكر الشعراء الذين ورد ذكرهم في هذا الكتاب .

(٧) بها : أى بالأندلس . وابن هانئ هو أبو القاسم محمد بن هانئ الأسدي الأندلسي الشاعر المعروف . ومنع « هانئا » من الصرف لضرورة الوزن . وابن عمار : هو ذو الوزارتين أبو بكر محمد بن عمار الأندلسي الشاعر المشهور ، وقد مات بأشبيلية سنة سبع وسبعين وأربعمائة ، وكانت ولادته سنة اثنين وعشرين وأربعمائة .

(٨) يستبقانه : أى يمشيان أمامه تجلّة واحتراما .

(٩) المطرية : ضاحية من ضواحي القاهرة معروفة ، وفيها كان بيت المرحوم شوقي بك المعروف بكريمة ابن هانئ .

(١) الدنان : جمع دن (بالفتح) ، وهو لماناء كبير للتمر .

(٢) شجو الحمام : بكأوه . والبان : شجر سبط القوام لين ، ورقه كورق الصفصاف ، الواحدة بانه . وذوائبه : أعاليه .

فَتَرَنَحْتُ أَشْجَارَهُ وَتَمَايَلْتُ أَعْوَادُهَا طَرَبًا عَلَى عِيدَانِهِ^(١)
 فَكَانَ مَجَالِسَنَا هُنَاكَ قَصِيدَةً مِنْ نَظْمِهِ طَلَعَتْ عَلَى عُبْدَانِهِ^(٢)
 فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَدْ رَدَّه — مِنْ بَعْدِ غُرْبَتِهِ — إِلَى أَوْطَانِهِ
 فَتَنْظَرُوا آيَاتِهِ وَتَسْمَعُوا قَدْ قَامَ بَلْبَلُكُمْ عَلَى أَغْصَانِهِ

في حفل عكاظ

أنشد هذه القصيدة في حفل من الأدباء والشعراء برئاسة أحمد شوقي بك بدار التمثيل العربي لتحية جريدة عكاظ يوم ٣ ديسمبر سنة ١٩٢٠ ، وقد سمي صاحب الجريدة هذا الحفل "سوق عكاظ". وهي تتضمن مدحا لشوقي بك رئيس الحفل ونعيا على المصريين امتنانهم لحث ملوكهم الأقدمين

أَتَيْتُ سُوقَ عُكَاظٍ أَسْعَى بِأَمْرِ الرَّئِيسِ
 أَزْجِي إِلَيْهِ قَوَافٍ مِنْكَكَاتِ الرُّءُوسِ^(٣)
 لَيْسَتْ بِذَاتِ رُؤَا تُزْهِى بِهِ فِي الطُّرُوسِ^(٤)
 وَلَا بِذَاتِ جَمَالٍ يَسْرِى فِيهَا فِي النُّفُوسِ
 لَمْ يَحْبِهَا فَضْلُ شَوْقٍ بَقِيَّةً مِنْ نَسِيسِ^(٥)
 فَهِنَّ قَفَرٌ خَوَالٍ مِنْ كُلِّ مَعْنَى نَفِيسِ

(١) يريد عيدان الغناء .

(٢) الضمير في "نظمه" لشوقي . وعبدانه (بضم العين وكسرها) ، أى عبيده من بقية الشعراء .

(٣) أزجى : أسوق .

(٤) الرؤاء : حسن المنظر . والطروس : الصحف يكتب فيها . الواحد : طرس .

(٥) النسييس : بقية الروح .

وَهَنَ جُهْدُ مُقِلٍّ حَلِيفٌ هَمٌّ وَبُوسٌ
 قَالَ الرَّئِيسُ وَمَنْ ذَا يَقُولُ بَعْدَ الرَّئِيسِ
 سَقَى الْخَضِرُ شَرَابًا يُنْسِي شَرَابَ الْقُسُوسِ^(١)
 مُعْتَقًا قَبْلَ عَادٍ فِي مُظْلِمَاتِ الْحُبُوسِ
 تُذَكِّي الدِّيَارَاتُ مِنْهُ نَارًا كَنَارِ الْحُبُوسِ^(٢)
 يُرِيكَ وَاللَّيْلُ دَاخٍ شُمُوسَهُ فِي الْكُؤُوسِ
 بَنَاتُ أَفْكَارٍ شَوْقِي فِي جَلْوَةٍ كَالْعُرُوسِ
 تُزْهِى بِمَعْنَى سَرَى أَلَى بِمَعْنَى شُمُوسِ^(٣)
 وَلَيْلَةٌ مِنْ "عُكَازٍ" ضَمَّتْ حُمَاةَ الْوَطَيْسِ^(٤)
 أَحْيَا بِهَا ذِكْرَ عَهْدٍ آثَارُهُ فِي الطُّرُوسِ^(٥)
 عَهْدٌ سَمَا الشَّعْرُ فِيهِ إِلَى مَجَالِي الشُّمُوسِ
 وَوَزَدُهُ كَانَ أَصْفَى مِنْ مَوْرِدِ الْقَامُوسِ^(٦)

(١) يريد "شراب القسوس" : الخمر ، وذلك لما اشتهر به القساوسة والرهبان من ادخار الخمر وتعتيقها في الأديار .

(٢) تذكي : تشعل . ونار الحبوس : النار التي يعبدونها ؛ ويضرب بها المثل في قوة الاشتغال ودوامه . وقد شبه بها الخمر في الحرارة ، حتى كأنها تلتهب .

(٣) السرى : الرفيع . والشُمُوس : النفور الصعب المنال .

(٤) الوطيس : الحرب . ويريد "بجاعة الوطيس" حملة الأفلام .

(٥) يريد عهد سوق عكاظ الأول في الجاهلية ، أيام كان يحضرها فحول الشعراء يتناشدون الأشعار .

(٦) القاموس : البحر أو بلخته .

فَحْتُمَا يَحْدِيثَ أَسْوَقهَ الْجُلُوسِ
 قَدْ زُرْتُ مُتَحَفٍ مِصْرٍ فِي ظُهُرِ يَوْمِ الْخَمِيسِ
 فِي زُمْرَةٍ مِنْ رِفَاقٍ غُرِّ الشَّمَائِلِ شُوسِ^(١)
 فَضُفْتُ ذُرْعًا بِأَمْرِ عَلَى النَّفُوسِ بَيْسِ^(٢)
 وَكَذْتُ أَضْرَعَ غَمًّا لِحَظِّهَا الْمَعْكُوسِ^(٣)
 وَصَرَعَةُ الْغَمِّ أَذْهَى مِنْ صَرَعَةِ الْخَنْدَرِيسِ^(٤)
 رَأَيْتُ جُثَّةَ (خُوفُو) بِقُرْبِ (سِيزِستَرِيسِ)^(٥)
 فَقُلْتُ يَا قَوْمُ هَذَا صُنْعُ الْعَقُوقِ الْخَسِيسِ
 أَجْسَادُ أَمْلَاكٍ مِصْرٍ وَشَائِدَى مَنَفِيسِ^(٦)
 مِنْ بَعْدِ خَمْسِينَ قَرْنًا لَمْ تَسْتَرِحْ فِي الرُّمُوسِ^(٧)
 أَرَى فَرَاعِينَ مِصْرٍ فِي ذَلَّةٍ وَنُحُوسِ
 مَعْرُوضَةً لِلْبَرَايَا أَجْسَادُهُمْ بِالْقُلُوسِ
 عَنْهُمْ نَبَشْنَا زَمَانًا فِي مُظْلِمَاتِ الدُّرُوسِ^(٨)

(١) شوس : أى من عليّة القوم وعظائهم ، الواحد أشوس وهو فى الأصل : الذى ينظر بمؤخر العين تكبرا وتبها .

(٢) بئيس : شديد .

(٣) حظها : أى حظ مصر .

(٤) الخندريس : الخمر المعتقة .

(٥) خوفو وسيزستريس : ملكان معروفان من ملوك مصر الأقدمين .

(٦) منفيس : مدينة مصرية قديمة كان لها شأن كبير معروف فى تاريخ مصر القديم ، وموضعها الآن البدرشين وميت رهينة .

(٧) الرموس : القبور ، الواحد رمس .

(٨) الدروس : العفاء والبلى . ويريد « بظلمات الدروس » : طبقات الأرض التى دفنوا فيها .

فَدَيْسَ ظُلْمًا جَاهُهُمْ وَكَانَ غَيْرَ مَدُوسٍ
لَعَلَّهُمْ حَصَّنُوهُمْ مِنْ هَادِمَاتِ الْفُؤُوسِ^(١)
عَلِمَا بَأَنْ سَوْفَ يُمْنَى بِيَوْمِ شَرِّ عَبَسُوسِ^(٢)
لَوْ أَنَّ أَمْثَالَ (مِينَا) فِي الْغَرْبِ أَوْ (رَمْسِيسِ)^(٣)
بَنَوْا عَلَيْهِمْ وَخَطُّوا حَظَائِرَ التَّقْدِيسِ

مدحمة للمنفور له (فؤاد الأول)^(٤)

أشدها بين يدي بإلأله حين زيارته مدرسة فؤاد الأول بقصر الزعفران (٥) في ديسمبر سنة ١٩٢٢ م

أَقْصَرَ الزَّعْفَرَانِ لِأَنْتَ قَصْرٌ خَلِيقٌ أَنْ يَتِيَهُ عَلَى النُّجُومِ
كَلَّا عَهْدِيكَ لِلْأَجْيَالِ نَفَرٌ وَزَهْوٌ لِلْحَدِيثِ وَلِلْقَدِيمِ^(٦)
ثَوَى بِالْأَمْسِ فَيْكَ عَلًّا وَمَجْدٌ وَأَنْتَ الْيَوْمَ مَثْوًى لِلْعُلُومِ^(٧)

(١) يشير إلى ما اشتهرت به مقابر قدماء المصريين من التحصين والامتناع على من يريد اقتحامها .

(٢) الضمير في « يمتنى » يعود على « حى » المتقدم ذكره . ويمنى : يتنلى ويصاب .

(٣) ميناورميسيس : ملكان معروفان من ملوك مصر الأقدمين .

(٤) ولد المنفور له الملك فؤاد الأول بقصر الجيزة في ٢ ذى الحجة سنة ١٢٨٤ هـ . وارتقى عرش المملكة المصرية في ٢٢ ذى الحجة سنة ١٣٣٥ هـ . وتوفى بعد ظهر يوم الثلاثاء ٧ صفر سنة ١٣٥٥ هـ .

(٥) قصر الزعفران بالعباسية : من القصور التي بناها المنفور له إسماعيل باشا الخديو ، سمي قصر الزعفران لأن الأرض التي بنى فيها كان يزرع بها الزعفران قديما ، وكانت هناك ترعة يقال لها : ترعة الزعفران ، وردمت هذه الترعة قريبا . وهذا الموضع الذى بنى فيه القصر يتبع الوايلي الصغرى ، وقد استبدل به المنفور له الملك فؤاد الأول قطعة أرض في مركز طلخا ، بمديرية الغربية من أملاك الحكومة .

(٦) يريد « بالعهدين » : عهد هذا القصر أيام إسماعيل ، وعهده أيام كان مدرسة ثانوية .

(٧) ثوى : أقام . والمثوى : المكان يقام فيه .

فمن نُبِّل ، إلى مجْدٍ أثِيْل ، إلى عِلْمٍ ، إلى نَفْعٍ عَمِيْمٍ
أَضَفْتَ إلى صُرُوجِ الْعِلْمِ صَرْحًا
فِيَا لَكَ مَنْزِلًا رَحْبًا سَرِيًّا
وَحَاطَتْهُ بِبُسْتَانٍ أُنِيقٍ
(أَبَا فَارُوقَ) أَنْتَ وَهَبْتَ هَذَا
وَلَا عَجَبٌ فَمَضْرُوعٌ عَلَى وِلَايَةٍ
يُطَالُعُهَا بِرٌّ كُلُّ يَوْمٍ
وَيُرْهِفُ مِنْ عَزَائِمِ آلِ مِضَرٍ
كَسَوَتْ الْأَزْهَرَ الْمُعْمُورَ ثَوْبًا
قَضَيْتَ بِهِ الصَّلَاةَ فَكَادَ يُزْهِى
رَأَى فِيكَ (الْمُعِزَّ) زَمَانَ أَعْلَى
فَهَشَّ وَهَزَّه طَرْبٌ وَشَوْقٌ
وَهَلَّلَ كُلُّ مَنْ فِيهِ وَدَوَّتْ
كَذَا فَلْيَحْمِلِ التَّاجِينَ مَلِكٌ
إِلَى عِلْمٍ ، إلى نَفْعٍ عَمِيْمٍ
بَزَوْرَةٍ ذَلِكَ الْمَلِكِ الْحَكِيمِ
بَنَتْهُ أُنَامِلُ الدَّقِيقِ السَّلِيمِ
يُرِيكَ جَمَالَهُ وَجْهَ النِّعَمِ^(١)
لِمَضْرُوعٍ وَهَكَذَا مَنْحُ الْكَرِيمِ
وَمَالِكُهَا عَلَى خُلُقٍ عَظِيمِ
وَيَرَعَاهَا بِعَيْنِ أَبِي رَحِيمِ
إِذَا خَارَتْ لَدَى الْخَطْبِ الْجَسِيمِ^(٢)
مِنْ الْإِجْلَالِ وَالْعِزِّ الْمُقِيمِ
بِزَائِرِهِ عَلَى رُكْنِ الْحَطِيمِ^(٣)
قَوَاعِدَهُ عَلَى ظَهْرِ الْأَدِيمِ^(٤)
كَأَمْ هَشَّ الْحَمِيمُ إِلَى الْحَمِيمِ^(٥)
بِهِ أَصْوَاتُ شَعْبِكَ كَالْهَزِيمِ^(٦)
يُعِزُّ شَعَائِرَ الدِّينِ الْقَوِيمِ^(٧)

(٢) الأنيق : الذي يعجبك بحسنه .

(٣) أرهف السيف والسكين ونحوهما : شحذه وحده . وخارت : ضعفت .

(٤) الخطيم : حجر الكعبة (بكسر الحاء وسكون الجيم) .

(٥) يريد المعز لدين الله الفاطمي ، الذي اختطت في أيامه القاهرة ، وبنى الأزهر ، وظهر الأديم : وجه الأرض .

(٦) الحميم : الصديق .
(٧) دوى : علا صوته فسمع . والهزيم : صوت الرعد .

(٧) يردد " بالتاجين " تاج الملك ، وتاج الدين .

وَيَحْشَى رَبَّهُ وَيُطِيعُ مَوْلَى هَدَاهُ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ
 أَيَاذُنُ لِي الْمَلِيكَ الْبَرُّ أَنِّي أَهْنَى مُضَرَ بِالْأَمْرِ الْكَرِيمِ
 فَيَا مُضَرَ أَسْجُدِي لِلَّهِ شُكْرًا وَتِيهِي وَأَقْعِدِي طَرَبًا وَقَوْمِي
 فَقَدْ تَمَّ الْبِنَاءُ وَعَنْ قَرِيبٍ تُزَفُّ لَكَ الْبَشَائِرُ مِنْ "نَسِيم"^(١)
 فَدَارُ (الْبَرْكَانِ) أَعَزُّ دَارٍ تُشَادُّ لَطَالِبِ الْمَجْدِ الْعَمِيمِ
 بِهَا يَجْمَلُ الْعَرْشُ الْمُفَدَّى وَتَحْيَا مُضَرَ فِي عَيْشِ رَحِيمِ
 فَشَرَفَهَا بِرَبِّكَ وَأَخْتَمَهَا وَأَسْعِدَهَا بِدُسْتُورِ تَمِيمِ^(٢)
 بَابِي (مُحَمَّدٍ) وَبَابِي (عِيسَى) فَعَوَّذُهُ وَآيَاتِ (الْكَلِيمِ)^(٣)
 (أَبَا فَارُوقَ) خُذْ بِيَدِ الْأَمَانِي وَحَقِّقْهَا عَلَى رَغَمِ الْخَصِيمِ
 أَفَقْنَا بَعْدَ نَوْمٍ فَوْقَ نَوْمٍ عَلَى نَوْمٍ كَأَصْحَابِ الرَّقِيمِ^(٤)
 وَأَصْبَحْنَا بَيْنَكَ فِي نُحُوضٍ يُكَافِي نَهْضَةَ النَّبْتِ الْجَمِيمِ^(٥)
 خُطْنَا بِالرَّعَايَةِ كُلَّ يَوْمٍ نَحْفُكُ بِالْوَلَاءِ الْمُسْتَنَدِيمِ

(١) يريد بالبناء : دار (البركان) . ويريد "نسيم" : مجد توفيق نسيم باشا ، وكان رئيسا للوزارة إذ ذاك .

(٢) التميم : التام .

(٣) الضمير في "عَوَّذَهُ" الدستور . والكليم : موسى عليه السلام .

(٤) يريد "بأصحاب الرقيم" أهل الكهف ، ويضرب المثل بطول نومهم ، قال تعالى : (ولبوا في كهفهم ثلاثا مائة سنين وازدادوا تسعا) الآية . والرقيم : لوح كتبت فيه أسماءهم ، أو هو كهفهم الذي لجأوا إليه .

(٥) اليمن : البركة . ويكافي : يماثل . والجيم من النبات : الناهض المنتشر .

تهنئة المغفور له سعد زغلول باشا بالنجاة^(١)

قالها على أثر الاعتداء عليه بإطلاق النار في محطة القاهرة إذ كان مسافرا إلى الاسكندرية (٢)

[نشرت في ١٣ يولييه سنة ١٩٢٤م]

أَحْمَدُ اللَّهِ إِذْ سَلِمْتَ لِمَصْرِ قَدْ رَمَاهَا فِي قَلْبِهَا مَنْ رَمَاكَ
أَحْمَدُ اللَّهِ إِذْ سَلِمْتَ لِمَصْرِ لَيْسَ فِيهَا لِيَوْمٍ جِدٌّ سِوَاكَ
أَحْمَدُ اللَّهِ إِذْ سَلِمْتَ لِمَصْرِ وَوَقَاهَا بِلُطْفِهِ مَنْ وَقَاكَ
قَدْ شُغِلْنَا يَا (سَعْدُ) عَنْ كُلِّ شَيْءٍ وَشُغِلْنَا بِأَنْ يَتِمَّ شِفَاكَ
فِي سَبِيلِ الْجِهَادِ وَالْوَطَنِ الْخَبُوبِ مَا سَالَ أَحْمَرًا مِنْ دِمَاكَ
قُلْ لِذَلِكَ الْأَثِيمِ وَالْفَاتِكِ الْمَفْسُوتُونَ : لَأَكُنْتَ ، كَيْفَ تَرْمِي السَّمَاءُ ؟^(٣)
أَمَّا قَدْ رَمَيْتَ فِي شَخْصٍ (سَعْدٍ) أُمَّةً حُرَّةً فَشَلَّتْ يَدَاكَ

(١) ولد المغفور له سعد زغلول باشا بباينا من أعمال مركز فوة سنة ١٨٦٠ م . وبعد أن قضى في الأزهر حيناً من الزمن تولى بعض أعمال التحرير في الوقائع ، وكتب فيها بعض المقالات في الاستبداد والشورى والأخلاق ، ثم ألحق ببعض الأعمال الإدارية في الحكومة ، وفصل لاتهامه بالاشتراك في الثورة العرابية ، فاشتغل بالمحاماة إلى أن اخير للقضاء بمحكمة الاستئناف الأهلية سنة ١٨٩٢ م . وهو أول محام ولى مناصب القضاء في مصر ، ثم ولى منصب وزارة المعارف ، وهو أول من قرر دراسة العلوم الرياضية باللغة العربية ، ثم تولى وزارة الحقانية ، ثم كان عضواً بالجمعية التشريعية ، وتولى زعامة النهضة الوطنية ورئاسة الوفد المصري ، وظل زعيماً لتلك النهضة من سنة ١٩١٩ م إلى أن توفي في أغسطس سنة ١٩٢٧ م رحمه الله .

(٢) في يوم ١٢ يوليو سنة ١٩٢٤ م بينما كان سعد زغلول باشا والوزراء في محطة القاهرة يريدون السفر إلى الإسكندرية تهنئة جلالة الملك بعيد الأضحى سنة ١٣٤٢ هـ ، ومن ثم يسافرون إلى إنجلترا للفاوضات ، تقدم من سعد باشا عبد الخالق عبد اللطيف الدلبشاني وأطلق عليه رصاصة مرت بالذراع اليمنى فنيا يلى الأبط ، ومست التدى الأيمن ، وكان الجرح غير شديد ، فشفى منه بعد أيام .

(٣) يريد بالأثيم الفاتك عبد الخالق الدلبشاني ، وهو الذى اعتدى على المغفور له سعد زغلول باشا .

وقال فيه أيضا :

أُنشدها في الحفل الذي أقامه أعضاء (البرلمان) يوم الخميس ٢٤ يولييه سنة ١٩٢٤م بكازينو سان استفانو بالإسكندرية تكريما لسعد وابتهاجا بخجائه من حادث الاعتداء عليه

الشَّعْبُ يَدْعُو اللَّهَ يَا زَغْلُولُ أَنْ يَسْتَقِلَّ عَلَى يَدَيْكَ النَّيْلُ
إِنَّ الذِي آندَسَ الْأَثِيمُ لِقَتْلِهِ قَدْ كَانَ يَحْرُسُهُ لَنَا جِبْرِيلُ
أَيُّمُوتُ (سَعْدُ) قَبْلَ أَنْ نَحْيَا بِهِ ؟ خَطْبُ عَلَى أَبْنَاءِ مِصْرَ جَلِيلُ
يَا (سَعْدُ) إِنَّكَ أَنْتَ أَعْظَمُ عُدَّةٍ ذُخِرَتْ لَنَا نَسْطُوبُهَا وَنَصُولُ
وَلَأَنْتَ أَمْضَى نَبْلَةٍ تَرْمِي بِهَا فَانْفُذْ وَأَقْصِدْ فَالْنَّبَالُ قَلِيلُ^(١)
الْأَنْسَرُ يَطْمَعُ أَنْ يَصِيدَ بِأَرْضِنَا سَنُرِيهِ كَيْفَ يَصِيدُهُ زَغْلُولُ^(٢)
إِنَّا رَمَيْنَاهُمْ بِنَدَبٍ حَوْلٍ عَنْ قَصْدِ وَادِي النَّيْلِ لَيْسَ يَحُولُ^(٣)
بِأَشَدِّنَا بِأَسَاً وَأَقْدَمِنَا عَلَى خَوْضِ الشَّدَائِدِ وَالْخُطُوبِ مَثُولُ^(٤)
بَفَتَى جَمِيعِ الْقَلْبِ غَيْرِ مُشْتَتٍ إِنْ مَالَتْ الْأَهْرَامُ لَيْسَ يَمِيلُ^(٥)
فَاوِضْ وَلَا تَخْفِضْ جَنَاحَكَ ذِلَّةً إِنْ الْعَدُوَّ سَلَّاحَهُ مَفْلُولُ^(٦)
فَاوِضْ وَأَنْتَ عَلَى الْحَجَرَةِ جَالِسٌ لِمَقَامِكَ الْإِعْظَامُ وَالتَّبَجِيلُ^(٧)
فَاوِضْ نَخْلَفَكَ أُمَّةٌ قَدْ أَقْسَمَتْ أَلَّا تَنَامَ فِي الْبِلَادِ دَخِيلُ

(١) أقصد الدهم : أصاب المقتل .

(٢) يريد بالأنسر : الإنجليز ، واستعمله هنا لإثارة العجب من أن يصيد الزغلول (فرخ الحمام) الأنسر .

(٣) الضمير في «رَمَيْنَاهُمْ» للإنجليز . والنذب : الماذى في الحاجة ، النافذ في قضائها . والحول : الشديد الاحتيال .

(٤) مَثُولُ أى ماثلات حاضرة . (٥) جميع القلب : لا يتفرق من الخوف .

(٦) مَفْلُولُ : منلوم مكسر الحد لا يصلح للضرب والطعان . (٧) يريد علو مكانته وارتفاع منزلته .

عَزَلٌ وَلَكِنْ فِي الْجِهَادِ ضَرَاغِمٌ لَا إِلَيْشُ يُفْزَعُهَا وَلَا الْأُسْطُولُ^(١)
 أُسْطُولُنَا الْحَقُّ الصَّرَاحُ وَجَيْشُنَا الْحَجَجُ الْفَصَاحُ وَحَرْبُنَا التَّدْلِيلُ
 مَا الْحَرْبُ تُذَكِّمُهَا قَنًا وَصَوَارِمٌ كَالْحَرْبِ تُذَكِّمُهَا نُهَى وَعُقُولُ^(٢)
 خُضُّهَا هُنَالِكَ بِالْيَقِينِ مُدَرَّعًا وَاللَّهُ بِالنَّصْرِ الْمُبِينِ كَفِيلُ
 أَرْعِيهِمْ شَاكِيَ السَّلَاحِ مُدَبِّجٌ وَزَعِيمُنَا فِي كَفِّهِ مَنْدِيلُ^(٣)
 وَكَذَلِكَ الْمَنْدِيلُ أَبْلَغُ ضَرْبَةٍ مِنْ صَارِمٍ فِي حَدِّهِ التَّضْلِيلُ
 لَكَ وَقْفَةٌ فِي الشَّرْقِ تَعْرِفُهَا الْعُلَا وَيُخَفِّفُهَا التَّكْيِيرُ وَالتَّهْلِيلُ
 زَلَزَلُهَا فِي الْغَرْبِ كُلُّ مُكَابِرٍ لِيَرَى وَيَعْلَمَ مَا حَوَاهُ الْغَيْلُ^(٤)
 لَا تَقْرَبِ (التَّامِيزُ) وَأَحْذَرُ وَرَدَهُ مَهْمَا بَدَا لَكَ أَنَّهُ مَعْسُولُ^(٥)
 الْكَيْدُ مَمْزُوجٌ بِأَصْفَى مَائِهِ وَانْخَمَلُ فِيهِ مَذُوبٌ مَصْقُولُ^(٦)
 كَمْ وَارِدٍ يَا (سَعْدُ) قَبْلَكَ مَاءَهُ قَدْ عَادَ عَنْهُ وَفِي الْفُؤَادِ غَلِيلُ^(٧)
 الْقَوْمُ قَدْ مَلَكُوا عِنَانَ زَمَانِهِمْ وَلَهُمْ رَوَايَاتٌ بِهِ وَفُصُولُ^(٨)
 وَلَهُمْ أَحَابِيلُ إِذَا أَلْقَوْا بِهَا قَنَصُوا النَّهْيَ فَاسِيرِهِمْ مَحْبُولُ^(٩)
 فَاحْذَرِ سِيَاسَتَهُمْ وَكُنْ فِي يَقْظَةٍ سَعْدِيَّةٍ إِنَّ السِّيَاسَةَ غُولُ

(١) العزل : الذين لا سلاح معهم ، الواحد أعزل . والضراغم : الأسود .

(٢) أذكى الحرب : أشعل نارها . والقنا : الرماح ، الواحدة قناة . والصوارم ، السيوف القواطع .

(٣) شاكي السلاح ، أى ذو شوكة واحدة فى سلاحه . والمدبج : اللابس السلاح .

(٤) الغيل : الأجمة وموضع الآساد .

(٥) معنى النهى عن قرب (التاميز) : التحذير من خداع أهله :

(٦) انخمل : الخداع والمكر .

(٧) الغليل : شدة العطش .

(٨) القوم : الإنجليز . والعنان : سير الجوام الذى يمسك به الفرس .

(٩) الأحابيل : أى المصايد .

إِنَّ مَثَلُوا فَدَعَ الْخِيَالَ فِائِمَا
 الشُّبْرُ فِي عُرْفِ السِّيَاسَةِ فَرَسَخَ
 وَلِكُلِّ لَفْظٍ فِي الْمَعَاجِمِ عِنْدَهُمْ
 نَصَلَتْ سِيَاسَتُهُمْ وَحَالَ صِبَاغُهَا
 جَمَعُوا عَقَائِيرَ الدَّهَاءِ وَرَكَّبُوا
 يَا (سَعْدُ) أَنْتَ زَعِيمُنَا وَوَكِيلُنَا
 فَادْفَعْ وَنَاضِلٌ عَنْ مَطَالِبِ أُمَّةِ
 النَّيْلِ مِنْبَعُهُ لَنَا وَمَصَبُّهُ
 وَثَقَتْ بِكَ الثَّقَّةُ الَّتِي لَمْ يَنْفَرَجْ
 جَعَلَتْ مَكَانَكَ فِي الْقُلُوبِ مَحَبَّةً
 كَادَتْ تُجَنُّ وَقَدْ جُرِحَتْ وَخَانَهَا
 لَمْ يَبْقَ فِيهَا نَاطِقٌ إِلَّا دَعَا
 يَا سَعْدُ كَادَ الْعِيدُ يُصْبِحُ مَا تَمَّا
 لَوْلَا دِفَاعُ اللَّهِ لَا نَطَوَتْ الْمُنَى
 شَلَّتْ أَنْامِلُ مَنْ رَمَى ، فَلِكَفِّهِ
 هَذَا وَسَامُكَ فَوْقَ صَدْرِكَ مَالَهُ
 حَالِيَتُهُ بِدَمٍ زَكَى طَاهِرٍ

عِنْدَ الْحَقِيقَةِ يَسْقُطُ التَّمْثِيلُ
 وَالْيَوْمُ فِي فَلَكِ السِّيَاسَةِ جَمِيلٌ
 مَعْنَى يُقَالُ بَأَنَّهُ مَعْقُولٌ
 وَلِكُلِّ كَاذِبَةٍ الْخَضَابِ نُصُولٌ^(١)
 مَا رَكَّبُوهُ وَعِنْدَكَ التَّحْلِيلُ
 وَعَلَيْكَ عِنْدَ مَلِيكِنَا التَّغْوِيلُ
 يَا (سَعْدُ) أَنْتَ أَمَامَهَا مَسْئُولٌ
 مَا إِنْ لَهُ عَنْ أَرْضِهَا تَحْوِيلُ
 لِلرَّيْبِ فِيهَا وَالشُّكُوكِ سَبِيلُ
 أَوْ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى الْوَلَاءِ دَلِيلُ؟
 صَبْرٌ عَلَى حَمْلِ الْخُطُوبِ جَمِيلُ
 لَكَ رَبِّهِ وَدُعَاؤُهُ مَقْبُولُ
 الدَّمْعُ فِيهِ أَسَى عَلَيْكَ يَسِيلُ^(٢)
 عِنْدَ أَنْطَوَائِكَ وَانْقَضَى التَّأْمِيلُ
 حَزُّ الْمُدَى ، وَلِكَفِّكَ التَّقْيِيلُ^(٣)
 مِنْ بَيْنِ أَوْسَمَةِ الْفَخَارِ مَثِيلُ^(٤)
 فِي حُبِّ مُضَرٍّ مَصُونُهُ مَبْذُولُ

(١) نصلت : انكشفت وخرجت من لونها الكاذب إلى لونها الصادق . وحال : تحوّل .

(٢) العيد : أى عيد الأضحى من سنة ١٣٤٢ هـ . وقد عطلت فيه التماثيل بسبب الاعتداء على سعد باشا .

(٣) المدى : جمع مديّة وهى السكين .

(٤) يريد « بالموسم » ما أصاب صدره من الدم .

فِي كُلِّ عَصْرِ الْجُنَاةِ جَرِيرَةٌ
 جَارُوا عَلَى (الْفَارُوقِ) أَعْدَلَ مَنْ قَضَى
 وَعَلَى (عَلِيٍّ) وَهُوَ أَطْهَرُنَا قُبَاً
 قَفْ يَا خَطِيبَ الشَّرْقِ جَدِّدْ عَهْدَنَا
 فَاوْضْ فَإِنْ أَوْجَسَتْ شَرًّا فَاغْتَرِمْ
 وَأَرْجِعْ إِلَيْنَا بِالْكَرَامَةِ كَاسِيَاً
 إِنَّا سَنَعْمَلُ لِلْخَالِصِ وَلَانِي
 كَمْ دَوْلَةٌ شَهِدَ الصَّبَاحُ جَلَالَهَا
 وَقُصُورٌ قَوْمِ زَاهِرَاتٍ فِي الدُّبْحِ
 يَأْتِيهَا النَّشْءُ الْكَرَامُ تَحِيَّةً
 يَازَهْرَ مَضْمَرٍ وَزَيْنَها وَحُمَاتِها
 جُدَّتْ لَهَا بِالنَّفْسِ فِي وَرْدِ الصَّبَا
 كَمْ مِنْ سَبِيحٍ دُونَهَا وَمُجَاهِدٍ
 سِيرُوا عَلَى سَنَنِ الرَّئِيسِ وَحَقِّقُوا
 أَنْتُمْ رَجَالٌ غَدٌ وَقَدْ أَوْفَى غَدٌ

لَيْسَتْ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ تَزُولُ^(١)
 فِينَا وَزَكَّى رَأْيَهُ التَّنْزِيلُ^(٢)
 وَيَدًا وَسَيْفٌ نَبِيْنَا الْمَسْأُولُ^(٣)
 قَبْلَ الرَّحِيلِ لِيُقْطَعَ التَّأْوِيلُ
 وَاقْطَعْ خُبْلَكَ بِالْهُدَى مَوْصُولُ
 وَعَايِكَ مِنْ زَهْرَاتِهَا إِكْلِيلُ
 وَاللَّهُ يَقْضِي بَيْنَنَا وَيُدِيلُ^(٤)
 وَأَنْتَى عَلَيْهَا اللَّيْلُ وَهِيَ قُلُولُ^(٥)
 طَلَعَتْ عَلَيْهَا الشَّمْسُ وَهِيَ طُلُولُ^(٦)
 كَالرَّوْضِ قَدْ خَطَرَتْ عَلَيْهِ قُبُولُ^(٧)
 مَدَحِي لَكُمْ بَعْدَ الرَّئِيسِ فَضُولُ
 وَالْوَرْدُ لَمْ يَنْظُرْ إِلَيْهِ دُبُولُ^(٨)
 دَمُهُ عَلَى عَرَصَاتِهَا مَطْلُولُ^(٩)
 أَمَلِ الْبِلَادِ فَكُلُّكُمْ مَأْمُولُ
 فَاسْتَقْبَلُوهُ وَجَّحُوا وَطُولُوا^(١٠)

(١) الجريرة : الجنابة .

(٢) الفاروق : هو عمر بن الخطاب . يشير إلى قتل أبي لؤلؤة إياه غيلة . وزك : عزز . يريد ما كان ينزل من الآيات تعزيزاً وموافقة لما كان يراه عمر .

(٣) يشير إلى قتل عبد الرحمن بن ملجم علياً رضي الله تعالى عنه غيلة أيضاً .

(٤) وفي يني : قصر . ويديل : يجعل الدولة لنا عليهم .

(٥) وهي قلول : أي متفرقة مهزومة .

(٦) الطلول : جمع طلل ، وهو الشاخص من آثار الديار .

(٧) القبول : ربح الصبا .

(٨) في ورد الصبا : أي في زهرة الشباب .

(٩) العرصات : جمع عرصة ، وهي كل بقعة ليس فيها بناء ، يريد ميادينها . ومطلول : لم يثأر به .

(١٠) أوفى : أتى . وجَّحوا : أي جعلوه يوماً أبيض . وطولوا : انغروا واعتزوا .

إلى الأستاذ أحمد لطفي السيد بك (باشا)

وجهها إليه حين ترجم كتاب الأخلاق لأرسطو سنة ١٩٢٤ م

يا كاسيَ الأخلاق في بلدٍ عن 'الأخلاق' عارى
 لم يَبَقْ فينا من يُجا دُل في مقامك أو يُماري^(١)
 بالأمس قد علمتُنا أدبَ الدَّابةِ والحوارِ^(٢)
 واليوم قد أطففتنا بالطَّيِّباتِ من الثُّمارِ^(٣)
 بكتاب رَسْطاليسَ تا ج. نوادرِ الفلكِ المُدارِ^(٤)
 جاهدتَ في تفصيله ووصَلتَ لَيْلَكَ بالنَّهارِ
 تَزُنُ الكلامَ كأنه ماسٌ بِمِيزَابِ التُّجارِ
 وتَصُونُ مَعْنَى رَبِّهِ صَوْنَ اللَّائِي في المِخَارِ^(٥)
 وتَضُنُّ دُهْقَانَ الكَلَا م كَضْنُ دُهْقَانِ النُّضَارِ^(٦)
 حَتَّى «سَبَبُكَ» في الأنا ة والاختبار والاختيارِ
 صَنَعًا يَصُورُ في الفُصُو ص لَدَى الفَرَاغَةِ الكَارِ^(٧)

(١) يمارى : يَنازع .

(٢) يشير بهذا البيت إلى عهد المدوح في رئاسة تحرير « الجريدة » وما كان يكتبه فيها من مقالات .

(٣) أطففه بكذا : أتحفه به .

(٤) تاج نوادر الفلك : أى أثنى نوادر الزمن وأقمها . (٥) ربه : أى مؤلفه أرسطوطاليس .

(٦) دهقان الكلام (بالنصب) ، على النداء . والدهقان (بكسر الدال وتضم) : التاجر . والنضار : الذهب .

(٧) الصنع (بالتحريك) : الخادق بالصنعة ؛ وشبهه بالمصور في القصص لما في ذلك من مراعاة الدقة .

إِنِّي قَرَأْتُ كِتَابَهُ بَيْنَ الْخُشُوعِ وَالْإِعْتِبَارِ
فَإِذَا الْمُتَرْجِمُ مَائِلٌ جَنْبَ الْمُؤَلِّفِ فِي إِطَارِ
وَعَلَيْهِمَا نُورٌ يَفِيءُ ضُ من المَهَابَةِ وَالْوَقَارِ
قَالُوا ، لَقَدْ هَجَرَ السِّيَا سَةِ وَأَنْزَوَى فِي عُقْرِ دَارِ
تَرَكَ الْحَجَالَ لَغَيْرِهِ وَرَأَى النَّجَاةَ مَعَ الْفِرَارِ
لَا تَنْظِلُوا رَبَّ النَّهْيِ وَحَذَارِ مَنْ خَطَلِ حَذَارِ^(١)
هَجَرَ السِّيَاسَةَ لِلْسِّيَا سَةِ لَا لِنَوْمٍ أَوْ قَرَارِ
لَوْ أَنَّهُمْ عَلِمُوا الَّذِي يَبْنِي لَهُمْ خَلْفَ السُّنَارِ
لَسَعَوْا إِلَى حَامِي الْفَضِيحِ لَمَّةَ وَالْحَقِيقَةِ وَالذُّمَارِ^(٢)
وَأَفَاهُمُ بَدَعَاتِمِ الْ أَخْلَاقِ وَالْحُكْمِ السَّوَارِ^(٣)
أُسَّ السِّيَاسَةِ وَالنَّجَا حِ وَحُضْنِ سَيِّدَةِ الْبَحَارِ^(٤)
كَكَلِفَتْ بِهَا وَتَمَسَّكَتْ قَبْلَ الْفَيَالِقِ وَالْجَوَارِ^(٥)
يَا عَاشِقَ الْخُلُقِ الصَّرِيحِ حِ وَشَانِيَّ الْخُلُقِ الْمَوَارِ^(٦)

(١) الخطل : الخطأ والزلل .

(٢) الذمار : كل ما يلزمك حفظه وحمايته .

(٣) الدعائم : العمدة ، الواحدة دعامة . والسواري : جمع سارية ، أى التى تسير فى الناس .

(٤) يريد « بسيدة البحار » : انجلترا .

(٥) الفياق : الجيوش العظيمة ، الواحد فيلق . والجواري : السفن ، الواحدة جارية .

(٦) الشانىء : المنبض .

إِنِّي اخْتَبَرْتُكَ فِي الْكُفُو لَكِ وَالصَّبَا حَقَّ اخْتِيَارِ
لَمْ يَجْرِ فِي نَادِيكَ جُحْدٌ رُ الْقَوْلُ أَوْ خَلَعُ الْعَذَارِ^(١)
حُلُوُ التَّوَاضُّعِ وَالتَّوَا ضِعُ آيَةُ الْقَوْمِ الْخِيَارِ
مُرُّ التَّكَبُّرِ حِينَ يَدُ عَوْكَ التَّوَاضُّعِ لِلصَّغَارِ^(٢)
سِرٌّ فِي طَرِيقِكَ وَادْعَاءٌ فَلَانَّتْ مَأْمُونُ الْعِشَارِ
وَأَجَعَلَ عَلَى لُقَمِ الطَّرِ بِي صَوَى تَلُوحٍ لِكُلِّ سَارِي^(٣)
إِنَّا إِلَى (كُتُبِ السِّيَا سَةِ) يَا حَاكِمٍ عَلَى أَوَارِ^(٤)
مَجَلَّ بِهَا قَبْلَ (الْفَسَا د) وَقَبْلَ عَادِيَةِ الْبَوَارِ^(٥)
إِنَّا نُنَاضِلُ أُمَّةً أَقْطَابُهَا أُسْدُ ضَوَارِي^(٦)
عَرَكُوا الزَّمَانَ وَأَهْلَهُ وَتَحَصَّنُوا مِنْ كُلِّ طَارِي^(٧)
أَمْسَتْ سِيَاسَتُهُمْ كَطَلَسِمِ يُحِيرُ كُلَّ قَارِي
إِنْ يُنْكَرُوا بَعْضَ الْغُمُو ضِ عَلَى أَدِيبٍ ذِي آقْتِدَارِ

(١) هجر القول : القبيح منه . وخلع العذار : كناية عن التهنك وعدم المبالاة .

(٢) الصغار : الذل .

(٣) لقمة الطريق (يفتح الالام وضمها) : وسطه . والصوى : العلامات التي تجعل على الطريق لينتدى بها ؛ الواحدة صوة (بضم الصاد وتشديد الواو) .

(٤) يريد بكتب السياسة : كتاب أرسطوفيا . والأوار : شدة العطش .

(٥) يشير إلى كتاب (الكون والفساد) الذي كان يترجمه الأستاذ أحمد لطفى السيد وقتئذ ، وكان يود حافظ لو أن الأستاذ ترجم كتاب أرسطو في السياسة ونشره قبل كتاب الكون والفساد .

(٦) يريد الأمة الإنجليزية . والضواري : المتعودة الصيد والافتراس .

(٧) عركوا الزمان : خبروه . والطارى : أى الطارىء ، أى ما يطرأ على الدول من أحداث .

فَلَا تَنْهَم لَمْ يَذْكُرُوا أَنْتَ الْمُتَرْجِمَ فِي إِسَارِ^(١)
لَمْ يَعْى أَحَدُ أَنْ يَجِي عَ بَايَ قَدِيسٍ أَوْ نِزَارِ^(٢)
وَهُوَ الْمُجَلَّى فِي أَسَا لَيْبِ النَّصَاحَةِ وَالْمُبَارَى^(٣)
لُغَةُ الْعُلُومِ حَقَائِقُ هِيَ عَنْ زَخَارِفِنَا عَوَارَى^(٤)
تَأْتِي الْغُلُوبُ وَتَحْسَبُ الـ إِغْرَاقَ كَالثُوبِ الْمُعَارِ^(٥)
وَالنَّقْلُ إِنَّ عَدَمَ الْأَمَّا نَةً كَانَ عُنْوَانُ الْخَسَارِ

إلى حَفْنَى بك محمود

قالها حين رشحه الوفد لعضوية (البرلمان) عن بندر الجيزة

[نشرت في ١١ مايو سنة ١٩٢٦ م]

يَا كَاسِيَ الْخُلُقِ الرَّضَى وَصَاحِبَ الـ أَدَبِ السَّرِيِّ وَيَا قَتَى الْفَتِيَانِ^(٦)
إِنْ رَشَّوْكَ فَأَنْتَ مِنْ بَيْتِ رَحَى بِسَهَامِهِ عَنْ حَوْزَةِ الْأَوْطَانِ^(٧)
زَكَكَ إِقْدَامُ وَرَأَى شَاهِدُ وَنَقِيَّ إِيْمَانٍ وَحُسْنُ بَيَانِ
لَوْ كُنْتَ بَيْنَ النَّاسِخِينَ لِأَذْرَكُوا مَا فِيكَ يَا (حَفْنَى) مِنْ رِضْوَانِ^(٨)

(١) « أن المترجم » الخ : أى أنه متقيد بأغراض المؤلف وعباراته لا يعدوها .

(٢) يريد بقوله : ” بَايَ قَدِيسٍ أَوْ نِزَارِ “ بيان العرب الأقدمين . وقيس ونزار : قبيلتان من العرب معروفتان .

(٣) المجلى : السابق الذى يجيئ أولاً .

(٤) زخارفنا : أى ما يزين به الأدباء أشعارهم ورسائلهم من تحلية وتجميل .

(٥) الغلو والإغراق فى الشيء : المبالغة فيه . (٦) السرى : الرفيع .

(٧) حوزة الأوطان : أى ما يجب الدفاع عنه وحمايته منها .

(٨) يشير بهذا البيت إلى أن المدوح من بلد آخر غير البلد الذى رشح للنيابة عنه ، ولو كان منه لأدرك أهله ما فيه من

إلى سعد زغلول باشا

أنشدها بين يديه على أثر قدومه من مسجد وصيف إلى العاصمة على الباخرة دندرة

[نشرت في ٧ نوفمبر سنة ١٩٢٦ م]

ما بال (دندرة) تَمِيسُ تَهَادِيًا مَيْسَ العُرُوسِ مَشَتْ عَلَى إِسْتَبْرَقٍ^(١)
والنَّيْلُ يَجْرِي تَحْتَهَا مَهْلًا والمَسُوجُ بَيْنَ مَهْلٍ وَمُصَفَّقٍ
الْعَلَمَا - وَالنَّيْهَ يَأْنِي عَطْفُهَا - حَمَلَتْ رِكَابَ زَيْمٍ قَلْبَ المَشْرِقِ^(٢)
إِنِّي أَرَى نُورًا يَفِيضُ وَطَلْعَةً قَدْ زَانَهَا وَضَحُ الجَحِينِ المَشْرِقِ
هَذَا زَعِيمُ النَّيْلِ حَلَّ عَرِينَهُ بَعْدَ الغِيَابِ فَيَا وَفُودُ تَدْفِقِ^(٣)
وَيَمِينِي بِقُدُومِهِ وَتَرْفِقِ عِنْدَ الزَّحَامِ فَسَلِّمِي وَتَفَرِّقِ^(٤)
وَتَنْظُرِي إِنَّ الخَلَاصَ مُحْتَمٌّ^(٥) فَاللَّهُ أَسْلَمَ أَمْرَنَا لِمُوقِقِ^(٥)
كَمْ أَزْمَةٌ مَرَّتْ بِنَا فَاجْتَا حَهَا (سَعْدُ) بِسَيْلِ بَيَانِهِ المُتَدَفِّقِ^(٦)
يَايَهَا السَّبَاقُ فِي طَلَبِ الْعَلَا هَا قَدْ أَتَيْتَ مُجَالِيَا كَمْ تُسَبِّقِ^(٧)
سَبَقَ البَشِيرَ رِكَابُ سَعْدٍ جَارِيَا وَرِكَابُ سَعْدٍ وَانِيَا لِمَ يُلْحَقِ^(٨)

(١) تميس : تتأيل وتتبحر . والإستبرق : الديباج النظيف ، وهو لفظ معرب .

(٢) العطف : الجانب ويريد « بقلب المشرق » : مصر ، لأنها منه بمنزلة القلب من الجسد .

(٣) العرين : مأوى الأسد .

(٤) يروى أن الرئيس انبسم عند ما أنشد هذا البيت ، وقال : " إلا أنت يا حافظ " .

(٥) تنظري : انتظري .

(٦) اجتاحتها : استأصلها وأودى بها . ويقال : إن حافظا لما أنشد هذا البيت خاطب الرئيس وقال :

" ألم يحصل ؟ " ، فضحك سعد وقال : « أنا لا أعرف » . (٧) المجلي : السابق الذي يجي . أولا .

(٨) يقول : إن سعدا قد أفاض من صفته - وهي السبق في سبل العلا - على البانعة ، فسبقت البشير وهو يجري ،

ولو كانت وانية لسبقته أيضا ، لأنها اكتسبت فضيلة السبق بمن حل بها .

تهنئة أحمد شوقي بك^(١)

أشدها في المهرجان الذي أقيم لتكريمه بالأوبرا في ٢٩ أبريل سنة ١٩٢٧ م
وقد اشترك فيه بعض شعراء الأفطار الشرقية

بَلَابِلُ وَادِي النَّيْلِ بِالْمَشْرِقِ أُسْجِي	بَشِيرِ أَمِيرِ الدَّوْلَتَيْنِ وَرَجِي ^(٢)
أَعْيَدِي عَلَى الْأَشْمَاعِ مَا غَرَّدَتْ بِهِ	يِرَاعَةُ شَوْقِي فِي أَبْتِدَاءٍ وَمَقْطَعِ ^(٣)
بَرَاهِلَهُ الْبَسَارَى فَلَمْ يَنْبُ سَنَهَا	إِذَا مَا نَبَا الْعَسَالُ فِي كَفِّ أَرْوَغِ ^(٤)
مَوَاقِعُهَا فِي الشَّرْقِ وَالشَّرْقُ مُجْدِبٌ	مَوَاقِعُ صَيْبِ الْغَيْثِ فِي كُلِّ بَلْقَعِ ^(٥)
لَدَيْهَا وَفُودُ اللَّفْظِ تَنْسَاقُ خَلْفَهَا	وُفُودُ الْمَعَانِي خُشَعًا عِنْدَ خُشَمِ ^(٦)
إِذَا رَضِيَتْ جَاءَتْ بِأَنْفَاسِ رَوْضَةٍ	وَأَنْحَنِي عَلَى الْمَوْلُودِ مِنْ تَذِي مُرْضِعِ ^(٧)
أَحْنُ عَلَى الْمَكْدُودِ مِنْ ظِلِّ دَوْحَةٍ	وَأَحْنِي عَلَى الْمَوْلُودِ مِنْ تَذِي مُرْضِعِ ^(٨)
عَلَى سَنَاهَا رَفَقَ يَسِيلُ وَرَحْمَةٌ	وَرَوْحَ لَمَنْ يَأْسَى وَذِكْرِي لِمَنْ يَعِي ^(٩)

(١) أنظر التعريف بالمرحوم (أحمد شوقي بك) في الحاشية رقم ١ من ص ٤٥

(٢) يريد « بالدولتين » : النظم والنثر . والترجيع : ترديد الصوت بالغناء .

(٣) في ابتداء ومقطع : أى في أول القصيدة وآخرها .

(٤) نبا ينبو : كل وارتد . والعسال : الرمح يهزئنا . والأروع : الشجاع النهم .

(٥) صيب (بسكين الياء) أصلها صيب (بشديدها) ، وهو المطر المنهمر المنصب . والبلقع : الأرض القفر لا نبات بها . يقول : إن آثار قلبه تفعل في نفوس الشرقيين الظائمة ما تفعل السحب في الأرض المجربة .

(٦) يقول : إن يراعة هذا الشاعر قد ملكت ناصيتي الألفاظ والمعاني لا يستعصى عليها منها شيء .

(٧) النكباء : الريح تخوف عن مهب الرياح ، وتقع بين ريحين . والزعرع : الشديدة العصف .

(٨) المكدود : من أضناه الكد والمشقة . والدوحة : الشجرة العظيمة المتسعة الظل .

(٩) الروح : الراحة والرحمة . وبأسى ، يحزن . ويعي : يحفظ .

تَسَابِقُ فَوْقَ الطَّرْسِ أَفْكَارُ رَبِّهَا سَبَاقُ جِيَادٍ فِي بَحَالٍ مُرَجِّعٍ^(١)
تَطِيرُ بُرُوقُ الْفِكْرِ خَلْفَ بُرُوقِهَا تَنَاشِدُهَا بِاللَّهِ لَا تَتَسَرَّعِي^(٢)
تُحَارِلُ فَوْتَ الْفُسْكَرِ لَوْ لَمْ تَكُفَّهَا أَنَا مِلَهُ كَفَّ الْجَمُوحِ الْمُرَوِّعِ^(٣)
أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَا بِذُنْحَرِي نَبَاغَةٌ نَفَاحُ أَهْلِ الشَّرْقِ فِي أَيِّ جَمْعٍ^(٤)
نُفَاحٍ مِنْ (شَوْقِيْنَا) بِيرَاعَةٍ وَتَزْدَادُ نَفْرًا مِنْ (عَلِيٍّ) بِمَبْضَعٍ^(٥)
فَذَاكَ شِفَاءُ الْجَنْسِمِ تَدْمِي جِرَاحَهُ وَتِلْكَ شِفَاءُ الْوَالِهِ الْمُتَوَجِّعِ^(٦)
كَمَتَكَ ظِلَالٌ وَارِفَاتٌ وَأَنْعَمُ وَلَيْنَ عَيْشٍ فِي مَصِيفٍ وَمَرَجٍ^(٧)
وَمَنْ كَانَ فِي بَيْتِ الْمُلُوكِ ثَوَاؤُهُ يَنْشَأُ عَلَى النُّعْمَى وَيَمْرَحُ وَيَرْتَعِ^(٨)
لَنْ يَعْجَبُوا أَنَّ شَابَ (شَوْقِي) وَلَمْ يَزَلْ قَتَّى الْهُوَى وَالْقَلْبَ جَمَّ التَّمَتُّعِ^(٩)
لَقَدْ شَابَ مِنْ هَوْلِ الْقَوَافِي وَوَقَعِهَا وَإِتْيَانِهِ بِالْمُعْجَزِ الْمُتَمَنِّعِ
كَمَا شَيَّبَتْ هُودٌ ذُوَابَةَ أَحْمَدٍ وَشَيَّبَتْ الْهَيْجَاءُ رَأْسَ الْمُدَّرَعِ^(١٠)

- (١) تسابق : أى تتسابق . والطرس : الصحيفة يكتب فيها . والجال : حيث تجول الجياد ، أى تجرى .
(٢) بروق الفكر : أى بروق فكر الشاعر . والضمير فى « بروقها » يعود على « البراعة » المتقدمة . شبه فكر الشاعر وبراعته فى سرعتيهما بالبروق ، وجعل برق براعته أسرع من برق فكره .
(٣) الجموح : الفرس الذى يركب رأسه لا يثنيه شئ . والمرَّوع : المفزع . يقول : إن براعته تسبق أفكاره لولا أن أنامله تردها وتكبحها .

- (٤) بذخرى : متعلق ، بقوله : « نفاحر » . والنباغة : النبوغ ، فعلها من باب زرم .
(٥) يريد « بعلى » : على إبراهيم باشا الجراح المعروف . والمبضع : المشرب .
(٦) ذاك : أى المبضع . وتلك : أى البراعة .
(٧) نمنك : أى تمهدتك بالتربية والنماء . والوارفات : المتسعة الممتدة . والمرج : المكان يقام به فى فصل الربيع .
(٨) الثواء : الإقامة . (٩) قتي الهوى : جديده . يريد أن عواطف قلبه لم يطفئها المشيب .
(١٠) يشير بالشرط الأول إلى قوله صلى الله عليه وسلم : « شيبني هود وأخواتها » أى سورة هود ، لما فيها من آيات الوعيد . والذوابة من الشعر : الضفيرة . والهيجاء : الحرب . ويشير بالشرط الثانى إلى قول الشاعر :
وما شاب رأيت من سنين تابعت على ولكن شيبني الوقائع

يَعِيبُونَ (شَوْقِي) أَنْ يُرَى غَيْرَ مُنْشِدٍ وما ذاكَ عَنْ عِيٍّ بِهِ أَوْ تَرْفَعُ^(١)
وما كانَ عَاباً أَنْ يَجِيءَ بِمُنْشِدٍ لآيَاتِهِ أَوْ أَنْ يَجِيءَ بِمُسْمَعٍ^(٢)
فهذا (كَلِيمُ اللَّهِ) قد جاءَ قَبْلَهُ (بهارون) ما يَأْمُرُهُ بِالْوَحْيِ يَصْدَعُ^(٣)
بَلَّغْتَ بَوَصفِ النَّبْلِ مِنْ وَصْفِكَ الْمَدَى وأيامَ (فِرْعَوْنَ) وَمَعْبُودِهِ (رَعٍ)^(٤)
وما سُقَّتْ مِنْ عَادِ الْبِلَادِ وَأَهْلِهَا وما نُقِلَتْ فِي أَهْرَامِ (خُوفُو) وَ(خَفْرَعٍ)^(٥)
فَأُطْلِعَتْهَا شَوْقِيَّةٌ لَوْ تَنَسَّقَتْ مع النَّيِّرَاتِ الزُّهْرِ خُصَّتْ بِمَطَالَعِ^(٦)
أ(منَ أَى عَهْدٍ فِي الْقَرْيِ) قَدْ تَفَجَّرَتْ يَنَابِيعُ هَذَا الْفِكْرِ أَمْ (أَخْتُ يَوْشَعَ)^(٧)؟

(١) التي : عدم القدرة على الكلام . والرفع : الكبر . ويشير إلى أن شوقيا كان في الحفلات لا ينشد قصائده بنفسه كما يفعل غيره من الشعراء ، بل كان ينيب عنه في كل مجتمع من نشد قصائده .

(٢) العاب والعيب : كلاهما بمعنى واحد .

(٣) كليم الله : نبيه موسى عليه السلام . وصدع بالأمر : جاهر به مصرحا . ويشير إلى ما ورد في القرآن حكاية عن موسى عليه السلام : (واجعل لي وزيرا من أهلي هارون أني اشدد به أزرى) الآيات .

(٤) المدي : الغاية . ويشير بهذا البيت إلى قصيدة لشوقي في النيل وتاريخ من ملكه من الفراعنة بعث بها إلى مرجليوث المستشرق المعروف في سنة ١٩١٤ م . وأولها :

من أَى عهد في القرى تنسقت وبأى كف في البرية تغدق

و"رع" : اسم للشمس عند قدماء المصريين ، وهو من معبوداتهم .

(٥) العاد : جمع عادة ؛ يريد عادات قدماء المصريين . وخوفو وخفراع : إيمان معروفان من ملوك مصر الفراعنة .

(٦) تنسقت : انتظمت . والنيرات الزهر : النجوم .

(٧) "من أَى عهد في القرى" : مطلع القصيدة السابق ذكرها في الحاشية رقم ٤ من هذه الصفحة . وأخت يوشع : الشمس ؛ وأطلق عليها ذلك لما روى من أنها تأخرت عن المغيب لأجل يوشع . ويشير إلى قصيدة لشوقي في توت عنخ آمون ، أولها :

فقي يا أخت يوشع خبرينا أحاديث القرون الغابرينا

وفي (توت) ما أعيا ابتكار موقِّع
وفي (ناشي في الورد) إلهام مبدع^(١)
أسألت (سلا قلبي) شئوني تذكرا
كما نثرت (ريم على القاع) أدمعي^(٢)
و (سل يلدزا) إني رأيت جماعها
على الدهر قد أنسى جمال (المقنع)^(٣)
أطلت علينا (أخت أندلس) بما
أطلت فكانت للثمن خير مشرع^(٤)
وفي نسج (صداح) أتيت بآية
من السهل لا تنقاد (لأبن المقنع)^(٥)

(١) يشير بقوله : " وفي توت " إلى قصيدة لشوقي في توت عنخ أمون ، أوطا :

درجت على الكثر القرون وأنت على الدن السنون

وبقوله : « ناشي في الورد » إلى قصيدة له في المنتصرين لروحهم في الامتحانات ، أوطا :

ناشي في الورد من أيامه حسب الله أبا لورد عثر

(٢) يشير بقوله : " سلا قلبي " إلى قصيدة لشوقي قاطبا في استقباله لمصر عند عودته من منفاه بالأندلس ، أوطا :

سلا قلبي غداة سلا وتابا لعل على الجبال له عتابا

وبقوله : " ريم على القاع " إلى قصيدة له في مدح النبي صلى الله عليه وسلم سماها : نهج البردة ، وأوطا :

ريم على القاع بين البان والعلم أحل سقك دمي في الأشهر الحرم

والشئون : الدموع .

(٣) يشير إلى قصيدة للدموح في خلع السلطان عبد الحميد سماها : (عبرة الدهر) ، أوطا :

سل يلدزا ذات القصور هل جاءها نيا البسودور

ويريد بالمقنع : المقنع الكندي ، وهو لقب غاب عليه لأنه كان أحسن الناس وبها وأمدهم قامة وأكلهم خلقه ، وبيرون أنه كان إذا سافر اللثام أصابته أعين الناس فيمرض ويأخذه عنه ، فكان لا يمشي إلا مقنعا ، واسمه محمد بن ظفر ابن عمير ، وهو شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية ، وكان ذا منزلة وشرف بين قومه .

(٤) أطلت علينا : أي ظهرت لنا من أعلى . ويشير إلى قصيدة لشوقي في رثاء مدينة أدرنة ، وهي من أمهات مدن

الدولة العثمانية ، وكانت قد سقطت في يد البلقار في الحرب البلقانية ، وأول القصيدة :

يا أخت أندلس عليك سلام هويت الخلافة عنك والإسلام

والمشرع : المورد الذي يسبق منه .

(٥) يشير إلى قصيدة لشوقي في تفضيل حجاب المرأة على سفورها ، يخاطب بها المرحومة باحثة البادية ، أوطا :

صداح يا ملك الكا رويا أمير البلسل

وابن المقنع : هو عبد الله بن المقنع الكاتب المعروف .

- ورائع وصف في (أبي الهول) سقته
 كُستَنان نور قبل رعيك ما رعى^(١)
 خرجت به عن طوق كل مصور
 يجيد دقيق الفن في جوف مصنع^(٢)
 وفي (انظر إلى الأقار) زفرة واجد
 واة مقروح الفؤاد موزع^(٣)
 بكت على سر السماء وطهرها
 وما أبدلوا من خذرها المترفع
 شياطين إنس تسرق السمع خلسة
 ولا تحذر الخبوء للتسمع^(٤)
 وسينية (البهترى) نسختها
 بسينية قد أحرست كل مدعى^(٥)
 أتى لك فيها طائعا كل ما عصى
 على كل جبار القريحة المعى^(٦)
 شجأ (البهترى) إيوان (كسرى) وهاجه
 وهاجت بك (الحمراء) أئيجان موجه^(٧)

(١) الرائع : ما أعجب الناس بحسنه . ويشير إلى قصيدة لشوقي في وصف أبي الهول ، أوطا :

أبا الهول طال عليك العصر
 وبلنت في الأرض أقصى العمر

والنور (بفتح النون) : زهر النبات .

(٢) الطوق : الجهد والطاقة .

(٣) يشير إلى قصيدة لشوقي في رثاء فتحى ونورى الطيارين العثمانيين ، وكأنا قد سقطت بهما طائرتها في أنشاء

رحلتها إلى مصر قبل نشوب الحرب العظمى ، وأوطا :

انظر إلى الأقار كيف تزول
 وإلى وجوه السعد كيف تحول

والواجد : ذو الوجد . والفؤاد الموزع : المفرق مما يختلف عليه من الشجون .

(٤) يريد بشياطين الإنس : الطيارين . ويريد « بالخبوء للتسمع » : الشهب التي يرمي بها من الشياطين من يسترق

السمع من السماء .

(٥) يشير بهذا البيت إلى قصيدة لأبي عبادة البهترى على قافية السين في وصف إيوان كسرى ، أوطا :

صنت نفسى عما يدنس نفسى
 وترفعت عن جدا كل جيس

وقصيدة لشوقي يعارضه بها ، يذكر فيها بعده عن بلاده في منفاه ، ويرى فيها الأندلس ، وأوطا :

اختلاف النهار والليل ينسى
 اذكرا لى الصبا وأيام أنسى

(٦) الألقى (بشديد الباء وخففت للشعر) : الذكر المتوقد .

(٧) البهترى : هو أبو عبادة الوليد بن عبيد الله الطائى ، الشاعر المعروف . والحمراء : قصر بفرناطة

بالأندلس ، بنى في عهد دولة بنى الأحمر ، ولا تزال آثاره ماثلة حتى اليوم .

وَقَفَّتْ بِهَا تَبَيُّ الرُّبُوعِ كَمَا بَكَى فَمَا لَكُمْ مِنْ وَاقِقَيْنِ بَارِئِ
فَنَسَجُكَ كَالْدِيْبِاجِ حَلَاهُ وَشَيْهِ وَفِي النَّسِيجِ مَا يَأْتِي بِشَوْبٍ مُرَقَّعٍ ^(١)
وَشِعْرُكَ مَاءُ النَّهْرِ يَجْرِي مُجَدِّدًا وَشِعْرُ سَوَادِ النَّاسِ مَاءٌ بِمَنْقَعٍ ^(٢)
أُ (أَفْضَى إِلَى خَتَمِ الزَّمَانِ فَفَضَّهِ) مِنْ الْوَحْيِ وَالْإِلْهَامِ أَمْ قَوْلُ لَوْذَعِي؟ ^(٣)
و (قَلْبِي أَذْكَرْتَ الْيَوْمَ غَيْرَ مُوَفِّقٍ) رُقَى السَّحْرِ أَمْ أَنَا تُ أَسْوَانَ مُوَلِّعٍ؟ ^(٤)
تَمَلَّكَتْ مِنْ مُلْكِ الْقَرِيضِ فَسِيحَهُ فَلَمْ تُبْقِ يَا (شَوْقِي) لَنَا قَيْدَ إَصْبَعٍ
فَبَالَتْ دَعًى لِلنَّائِرِينَ وَسَيْلَةً تُفِيءُ عَلَيْهِمْ وَأَتَقِ اللَّهَ وَاقْنَعٍ ^(٥)
عَمِلْتَ عَلَى نَيْلِ الْخُلُودِ فَنِلْتَهُ فُقُلْ فِي مَقَامِ الشُّكْرِ يَا رَبِّ أَوْزِعِ ^(٦)
جَلَا شِعْرُهُ لِلنَّاسِ مِرَآةَ عَصْرِهِ وَمِرَآةَ عَهْدِ الشُّعْرِ مِنْ عَهْدِ (تَبَعٍ) ^(٧)
يَجِيءُ لَنَا أَنَا (بِأَحْمَدٍ) مَائِلًا وَأَوْنَةً (بِالْبُخَيْرِيِّ) الْمُرَصَّعِ ^(٨)

(١) الوشى : النقش . وشبه في الشطر الثاني الشعر الذي لا تستوى أجزاؤه في الحسن وضده بالثوب المرقع .

(٢) سواد الناس : عامتهم . والمنقع : الموضع يستنقع فيه الماء .

(٣) يشير إلى قول شوقي في رثاء (اللورد) كارنارفون الذي كشف عن قبر توت عنخ أمون :

أَفْضَى إِلَى خَتَمِ الزَّمَانِ فَفَضَّهِ وَحَبَا إِلَى التَّارِيخِ فِي حَرَابِهِ

واللوزعي : الذكي الذهن .

(٤) الأسوان : الحزين . والرقى : جمع رقية ، وهي العوذة يتعوذ بها من العلل والآفات .

(٥) تفيء عليهم : أى تعود عليهم بالخير والرزق .

(٦) أوزعه الله الشكر : ألهمه إياه . ويشير إلى قوله تعالى حكاية عن سليمان بن داود عليهما السلام في سورة المل :
(فَتَقَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الْآيَةَ .

(٧) تبع : لقب للملك حمير . ويريد بهذا البيت أن شعر الممدوح قد صوّر القديم والجديد .

(٨) يريد « بأحمد » أبا الطيب أحمد بن الحسين المتنبي الكوفي الكندي الشاعر المعروف .

وَيَسْأُو رُقَى (هُوجُو) وَيَأْتِي نَسِيبُهُ لَنَا مِنْ لِيَالِي (الْفَرِيدِ) بَارَبَعٍ^(١)
وإن خَطَرْتُ ذَكَرِي الْفُحُولِ بِفَارِسٍ وما خَلَفُوا فِي الْقَوْلِ مِنْ كُلِّ مُشْبِعٍ^(٢)
أَتَانَا بِرَوْضِ مُزْهِرٍ مِنْ رِيَاضِهِمْ و (حَافِظُهُمْ) فِيهِ يَغْنَى وَيَرْتَعِي^(٣)
فَقُلْ لِلَّذِي يَبْنِي مَدَاهُ مُنَافِسًا طَمِعْتَ لَعَمْرُ اللَّهِ فِي غَيْرِ مَطْمَعٍ^(٤)
فَذَلِكَ سَيْفٌ سَأَلَهُ اللَّهُ قَاطِعٌ فَأَيَّانَ يَضْرِبُ يَفْرِ دِرْعًا وَيَقْطَعُ^(٥)
وَهَلْ تَدْفَعُ الدَّرْعُ الْمَنِيعَةَ صَارِمًا بِهِ يَضْرِبُ الْمِقْدَارُ فِي كَفِّ سَلْفَعٍ^(٦)
نُفَيْتَ فَلَمْ تَجْزَعْ وَلَمْ تَكْ ضَارِعًا وَمَنْ تَرَمَهُ الْأَيَّامُ يَجْزَعُ وَيَضْرَعُ^(٧)
وَأَخْصَبْتَ فِي الْمَنْفَى وَمَا كُنْتَ مُجْدِبًا وَفِي النَّفْيِ خَضِبُ الْعَبْقَرِيِّ السَّمِينِذِ^(٨)

(١) يسأو ، يسبق . رقى هوجو ، أى أشعاره التى تشبه رقى السحر . وفكتور هوجو ، هو شاعر فرنسا المعروف . انظر التعريف به فى الحاشية رقم ٢ من صفحة ٣٣ ، والنسب : التشيب بالنساء وذكر محاسنهن فى الشعر . والفريد : هو ألفريد دى موسيه من كبار شعراء فرنسا ، ولد بباريس سنة ١٨١٠ م ، وتوفى بها سنة ١٨٥٧ م ، وكان ممتازا فى شعره بالرفقة ولطف الصياغة ، وهو صاحب الليالى الأربع المشار إليها فى هذا البيت فى الحب والشك والسلوان ، وهى ليلة من (آيار) وليلة من (كانون أزل) ، ليلة من (آب) وليلة من (تشرين أزل) . وفى كل ليلة من هذه الليالى الأربع يشرح حالا من أحواله المتعلقة بالحب ، وهذه الليالى هى التى رفعت به إلى الطبقة الأولى بين شعراء فرنسا .

(٢) بفارس : يريد أمة الفرس ، وقد عرف شعراؤها بالإبداع فى المعانى ، وفى هذا يقول حافظ من فصيده له فى مدح البارودى :

ومر كل معنى فارسى بطاعتى وكل نور منه أن يتوددا

(٣) يريد « بحافظ » : شمس الدين محمد الشيرازى الشاعر الفنائى المعروف ، ولد بشيراز فى مستهل القرن الثامن الهجرى ، وتوفى سنة ٧٩٣ هـ . يقول فى هذا البيت والذى قبله : إنه إذا ذكر الفحول من شعراء الفرس وما أبدعوا فيه من المعانى وأجادوا ، نطق شوق من رياض أشعاره ما يحكى رياض أشعارهم حتى إن شاعرهم الكبير حافظا الشيرازى ليتغنى ويرتعى فى رياض ذلك الشاعر العربى (شوقى) .

(٤) المدى : الغاية . (٥) يفرى : يشق .

(٦) المقدار : القدر . والسلفع : الجرىء الشجاع . (٧) يضرع : يذل .

(٨) يريد بقوله : « أخصبت فى المنفى » : أن شعره جاد وحسن فى المنفى ، وما كان مجدبا من قبل . والسمينذ :

السيد الكريم .

لقد زاد (هوجو) فيه خصب قريحة
وأدرك (سامي) بالجزيرة غاية
تذكرت عذب النيل والفس صبة
وأرسلت تستسقي بني مصر شربة
أروى ولا تروى وأنت أحقنا
وإن شئت عنا يسماء فأقلعي
حرام علينا أن نلذ بنهله
أبي الله إلا أن يردك سالما
وعدت فقرت عين مصر وأصبحت
وأدركت ما تبغي وشئت آية
وآب إلى أوطنه جد ممرع^(١)
إليها ملوك القول لم تتطلع^(٢)
إلى نهلة من كؤوب ماء مشعشع^(٣)
فقطعت أحشائي وأضرمت أضلعي^(٤)
بري فيا قلب النبوغ تقطع
ويا ماءها فأكفف ويا أرض فأبلي^(٥)
وأنت تنادينا ونحن بمسمع
ومن يرعه يسلم ويغنم ويرجع
رياض القوافي في ربيع موشع^(٦)
على الشاطئ الغربي في خير موقع^(٧)

(١) « فيه » أى فى المبنى . والممرع : المخصب شبه شوقيا (بهوجو) كلاهما زاده النفى خصبا فى قريحته ونضجا فى شاعريته .

(٢) ملوك القول : بقول الشعراء . ويشير إلى نفى المرحوم محمود باشا سامى البارودى إلى جزيرة سيلان عقب الثورة العرابية ، وما قاله فى أثناء النفى من الشعر .

(٣) النهلة : السقية . والمشعشع : المزوج . يشير بهذا البيت وما بعده إلى الأبيات التى بعث بها شوق وهو فى منفاه إلى حافظ ، وهى :

يا ساكنى مصر إنا لا نزال على عهد الوفاء وإن غبنا مقيمينا

الأبيات . أنظر صفحة ٢٨٠ من هذا الجزء . وانظر رد حافظ عليها فى ص ١٧٩

(٤) أضرمت : ألهبت .

(٥) أقلعت السماء : كفت عن المطر . ويشير إلى قوله تعالى فى سورة هود : (وقيل يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء أقلعى) .

(٦) الربيع الموشع الموشى بألوان الزهر والذبات .

(٧) يشير إلى قصر شوقى الذى بناه على الشاطئ الغربى للنيل بالجزيرة .

يَحْفُ بِهَا رَوْضٌ يُحْيِي بِدَوْرَهَا بُكُوراً بِرِيّاً عَرَفَهُ الْمُتَضَوِّعُ^(١)
 حَتَّى يَتَهَادَى النَّيْلُ تَحْتَ ظِلَالِهِ تَهَادَى خَوْدٌ فِي رِداءٍ مُجَزَّعٍ^(٢)
 لَقَدْ كُنْتُ تَرْجُو مِنْهُ بِالْأَمْسِ قَطْرَةً فَدُونَكَ فَا بَرْدٌ غَالِيْلَكَ وَأَنْقَعُ^(٣)
 أَمِيرَ الْقَوَائِي قَدْ أَتَيْتُ مُبَايَعًا وَهَذَا وَفُودُ الشَّرْقِ قَدْ بَايَعَتْ مَعِيَ
 فَغَنَ رُبُوعَ النَّيْلِ وَاعْطَفَ بِنَظَرَةٍ عَلَى سَاكِنِي النَّهْرَيْنِ وَأَصْدَحَ وَأَبْدَعَ^(٤)
 وَلَا تَنْسَ (مَجْدًا) إِنَّهَا مَنَنْتُ الْهَوَى وَمَرَعَى الْمَهَا مِنْ سَارِحَاتٍ وَرُتَّعٍ^(٥)
 وَحَى ذُرَا (لُبْنَانَ) وَاجْعَلْ (لِتَوْئِسِ) نَصِيْبًا مِنَ السَّلَوى وَقَسْمٌ وَوَزْعُ
 فِي الشَّعْرِ حَتَّى الطَّائِعِينَ إِلَى الْعَلَا وَفِي الشَّعْرِ زَهْدُ النَّاسِكِ الْمُتَوَرِّعِ
 وَفِي الشَّعْرِ مَا يُغْنِي عَنْ السَّيْفِ وَقَعَهُ كَمَا رَوَّعَ الْأَعْدَاءَ بَيْتُ (لِأَشْجَعِ)^(٦)
 وَفِي الشَّعْرِ إِحْيَاءُ النَّفْسِ وَرِيَّهَا وَأَنْتَ لَرَى النَّفْسِ أَعْدَبُ مَنِيْعِ
 فَنَبْهَهُ عَقُولًا طَالَ عَهْدُ رُقَادِهَا وَأَفِيدَةً شُدَّتْ إِلَيْهَا بِأَنْسَعِ^(٧)

(١) الرِّيا والعرف : الرائحة الطيبة . وبكورا : أى فى بكرة الصباح . والمتضوِّع : المتشر الرائحة .

(٢) يتهادى : يمشى فى لين وخفة . والخود : الشابة الحسنة . والمجزع : المختطف . الألوان .

(٣) نفع ظمأه بالماء : أرواه .

(٤) يريد بساكينى النهريْن : أهل العراق . والنهرات : دجلة والفرات . واصدح : أى غن بالشعر .

(٥) المهام : بقر الوحش ، الواحدة مِزاة ؛ يريد النساء اللاتى يشبهن فى سعة البيوت وجاهلها : ويطلب إلى الشاعر أن ينفى نخبداً بشعره ، كما ينفى أهل مصر .

(٦) يشير إلى بيت لأشجع بن عمرو السلى الشاعر العباسى المعروف من قصيدة يمدح بها الرشيد :

وعلى عدرك يا بن عمم محمد رصدان ضوء الصبح والإفلام
 فإذا تبسه رعته وإذا غفا سلت عليه سيوفك الأحلام

والمقصود هنا البيت الثانى .

(٧) الأنسع : جمع نسع (بكسر النون) وهو سير من جلد تشد به الرحال . يريد وصف الأفئدة بالثقيد والأمر فى أغلال العادات القديمة .

فَقَدْ غَمَرَتْهَا مَحْنَةٌ فَوْقَ مَحْنَةٍ وَأَنْتَ لَهَا يَا شَاعِرَ الشَّرْقِ فَادْفَعْ
وَأَنْتَ بِحَمْدِ اللَّهِ مَا زِلْتَ قَادِرًا عَلَى النَّفْعِ فَاسْتَنْهَضْ بَيَانَكَ وَانْفَعْ
وَحُذْ بِزِمَامِ الْقَوْمِ وَأَنْزِعْ بِأَهْلِهِ إِلَى الْمَجْدِ وَالْعَلَاءِ أَكْرَمَ مَنْزِعٍ^(١)
وَقَفْنَا عَلَى النَّهْجِ الْقَوِيمِ فَإِنَّا سَاكِنًا طَرِيقًا لِلْهُدَى غَيْرَ مَهْيَعٍ^(٢)
مَلَأْنَا طَبَاقَ الْأَرْضِ وَجَدًا وَلَوْعَةً بِهَيْدٍ وَدَعْدٍ وَالرَّبَابِ وَبَوَزَعٍ
وَمَلَّتْ بَنَاتُ الشُّعْرِ مَنَا مَوَاقِفًا بِسَقَطِ اللَّوَى (وَالرَّقِصَتَيْنِ) (وَلَعَلَّجَ)^(٣)
وَأَقْوَامُنَا فِي الشَّرْقِ قَدْ طَالَ نَوْمُهُمْ وَمَا كَانَ نَوْمُ الشُّعْرِ بِالْمُتَوَقِّعِ
تَغَيَّرَتِ الدُّنْيَا وَقَدْ كَانَ أَهْلُهَا يَرُونَ مَتُونَ الْعَيْسِ أَلَيْنَ مَضْجَعٍ^(٤)
وَكَانَ بَرِيدُ الْعِلْمِ عِيرًا وَأَيْنُقًا مَتَى يُعِيهَا الْإِيحَافُ فِي الْبَيْدِ تَظْلَعُ^(٥)
فَأَصْبَحَ لَا يَرْضَى الْبُخَارَ مَطْيِئَةً وَلَا السَّلَكَ فِي تَيَّارِهِ الْمَتَدَفِّعِ
وَقَدْ كَانَ كُلُّ الْأَمْرِ تَصْوِيبُ نَبْلَةٍ فَأَصْبَحَ بَعْضُ الْأَمْرِ تَصْوِيبُ مَدْفَعٍ
وَنَحْنُ كَمَا غَنَى الْأَوَائِلُ لَمْ نَزَلْ نَغْنَى بِأَرْمَاحٍ وَبِيضٍ وَأَذْرُعٍ^(٦)
عَرَفْنَا مَدَى الشَّيْءِ الْقَدِيمِ فَهَلْ مَدَى لَشَيْءٍ جَدِيدٍ حَاضِرِ النَّفْعِ مُتَمِّعٍ^(٧)

(١) وانزع بأهله : أى قد أهل الشرق وسرهم .

(٢) قفنا على النهج القويم : أى أرشدنا إلى الطريق المستقيم فى أغراض الشعر . والمهيع : الطريق الواضح البين .

(٣) بنات الشعر : أى معانيه وأغراضه . و «سقط اللوى» الخ : أسماء مواضع فى بلاد العرب وودت فى شعر القدماء .

(٤) متون العيس : ظهور الإبل .

(٥) العير : القافلة . والإيحاف : الإمراع . والبيد : جمع بيداء . وتظلع : تعرج فى مشيتها . يقول : كانت وسائل العلم فى الماضى السفر على ظهور الإبل التى لا تسعف راحها .

(٦) يريد بالبيض : السيوف .

(٧) المدى : الغاية .

لَدَى كُلِّ شَعْبٍ فِي الْحَوَادِثِ عُدَّةٌ وَعُدَّتْ نَدْبُ الثَّرَاثِ الْمُضَيِّعِ^(١)
 فَيَا ضَيْعَةَ الْأَقْلَامِ إِنْ لَمْ نُقَسِّمْ بِهَا دِعَامَةَ رُكْنِ الْمَشْرِقِ الْمُتَزَعِّعِ^(٢)
 أَتَمَشَى بِهِ شَمُّ الْأُنُوفِ عُدَاتُهُ وَرَبُّ الْحِمَى يَمْشَى بِأَنْفٍ مُجَدِّعِ^(٣)
 عَزِيزٌ عَلَيْهِ يَا بَنِي الشَّرْقِ أَنْ تُرَى كَوَاكِبُهُ فِي أَفْقِهِ غَيْرَ طُلُعِ
 وَأَعْلَامُهُ مِنْ فَوْقِهِ غَيْرَ خَفَقِ وَأَقْلَامُهُ مِنْ تَحْتِهَا غَيْرَ شُرْعِ^(٤)
 وَكَيْفَ يُوقَى الشَّرُّ أَوْ يَبْلُغُ الْمُنَى عَلَى مَا نَرَى مِنْ شَمْلِهِ الْمُتَصَدِّعِ؟
 فَإِنْ كُنْتَ قَوَّالًا كَرِيمًا مَقَالُهُ فَقُلْ فِي سَبِيلِ النَّيْلِ وَالشَّرْقِ أَوْدَعِ

إلى المختلفين بتكريم حافظ

بينان قالها في المأدبة التي أقامها بعض أدباء الغرب في (جروبي) لتكريمه هو (وشوق) (ومطران)

[نُشِرَ فِي ٣١ يَنَابِرِ سَنَةِ ١٩٢٨ م.]

قَدْ قَرَأْنَاكُمْ فَهَشَّتْ نُهَانَا فَاقْتَبَسْنَا نُورًا يُضِيءُ السَّيْلَا^(٥)
 فَاقْرَءُونَا وَمَنْ لَنَا أَنْ تُصِيبُوا بَيْنَ أَفْكَارِنَا شُعَاعًا ضَمِيلَا؟

(١) نَدْبُ الثَّرَاثِ الْمُضَيِّعِ : أى البكاء على ما خلفه العرب الأقدمون من مآثر ومفاخر .

(٢) الدِعَامَةُ : عماد البيت . والمتَزَعِّعِ : المضطرب .

(٣) شَمُّ الْأُنُوفِ : وصف يقال للسادة الأعزاء . والمُجَدِّعِ : المقطوع . ويقال ذلك للدليل . بقول : إن أعداء الشرق والظالمين فيه قد عزوا به وسادوا ، وأهله ذلوا به واستكانوا . ويشير بذلك إلى ما جتته الامتيازات على الشرق .

(٤) الشَّرْعِ : المسددة المصوبة إلى الغرض .

(٥) قَرَأْنَاكُمْ : أى قرأنا ما أنشأتموه من نظم ونثر .

تحية لجمعية المرأة الجديدة

[نشرت في ١٢ أبريل سنة ١٩٢٨م]

إِلَيْكَ يَهْدِي النَّيْلُ أَلْفَ تَحِيَّةٍ مَعْطَرَةٍ فِي أَسْطُرٍ عَطَرَاتِ
وَيُثْنِي عَلَى أَعْمَالِكَ مُوَكَّلِي بِإِطْرَاءِ أَهْلِ الْبِرِّ وَالْحَسَنَاتِ^(١)
أَقْسُنَ بِالْأَمْسِ الْأَسَاسَ مُبَارَكًا وَجِئْتَنِي يَوْمَ الْفَتْحِ مُغْتَبِطَاتِ
صَنَعْتَنِي مَا يُعْجِبُ الرِّجَالَ صَنِيعُهُ فَرِذْتُ فِي الْخَيْرَاتِ وَالْبَرَكَاتِ
يَقُولُونَ: نِصْفُ النَّاسِ فِي الشَّرْقِ عَاطِلٌ نِسَاءً قَضَيْنَ الْعُمَرَ فِي الْحُجَرَاتِ
وَهَذِي بَنَاتُ النَّيْلِ يَعْمَلْنَ لِلنَّهْيِ وَيَغْرِسْنَ غَرْسًا دَانِي الثَّمَرَاتِ
وَفِي السَّنَةِ السَّوْدَاءِ كُنْتَن قُدُوءَ لَنَا حِينَ سَالَ الْمَوْتُ بِالْمُهْجَاتِ^(٢)
وَقَفْتَن فِي وَجْهِ الْخَمِيسِ مَدَجًّا وَكُنْتَن بِالْإِيمَانِ مُعْتَصِمَاتِ^(٣)
وَمَا هَالَكَنَّ الرَّحْمُ وَالسَّيْفُ مُضَلَّتَا وَلَا الْمَدْفَعُ الرَّشَاشُ فِي الطَّرْقَاتِ^(٤)
تَعَلَّمَ مِنْكَ الرِّجَالُ فَأَصْبَحُوا عَلَى غَمَرَاتِ الْمَوْتِ أَهْلَ ثَبَاتِ
(صَفِيَّةٌ) قَادَتُكَ لِلْمَجْدِ وَالْعَلَا كَمَا كَانَ (سَعْدٌ) قَائِدَ السَّرَوَاتِ^(٥)

(١) موكل: أي أن النيل قد أنابه عنه في إبلاغهن ثنائه عليهن وشكره لهن .

(٢) يريد بالسنة السوداء : سنة ١٩١٩ م التي احتدمت فيها نار الثورة الوطنية ، وقد أخذ السيدات المصربات من الجهاد فيها بتصيب وافر .

(٣) الخميس : الجيش . والمدجج : لابس السلاح . ويشير بهذا البيت وما بعده إلى مظاهرة السيدات التي تعرض لها الجنود أيام اشتعال الثورة الوطنية ، وثبت السيدات لهم ولم يتفرقن ؛ وقال حافظ في هذه الحادثة قصيدته المعروفة التي ألقاها :

خرج الغواني يحتججن — ورحلت أرقب جمعته

(٥) سرورات الناس : أشرفهم .

(٤) المصلت : المجرد من غمده .

عَرَفْنَا هَا فِي مَجْدٍ (سَعْدٍ) نَصِيْبَهَا مِنْ الْحَزْمِ وَالْإِقْدَامِ فِي الْأَزْمَاتِ
تَهَوَّنُ لِلشَّيْخِ الْجَلِيلِ هُجُومَهُ عَلَى الْهَوْلِ بِالتَّشْجِيعِ وَالْبَسَامَاتِ
وَتَدْفَعُهُ لِلنَّوْتِ وَالثَّغْرِ بِاسْمٍ وَفِي صَدْرِهَا نَوْءٌ مِنَ الزَّفَرَاتِ^(١)
كَذَا فَلَا يُكُنْ صُنْعُ الْكَرِيمِ وَصَبْرُهُ عَلَى دَهْرِهِ وَالْدَّهْرِ غَيْرُ مُوَاتِي^(٢)
لِتَخَى الْغَوْنِي فِي طِلَالِ مَلِيكَةٍ سَمَتْ فِي مَعَالِيهَا عَلَى الْمَلِكَاتِ
وِظَلِّ (فُؤَادٍ) مَفْخَرِ الشَّرْقِ كُلِّهِ كَثِيرِ الْأَيَادِي صَادِقِ الْعَزَمَاتِ

إلى "الدكتور" "صاحب المعالي" محمد حسين هيكل بك "باشا"
وخليل مطران بك

قالها في مناظرة كانت بين (هيكل) و(مطران) في مدرج كلية الآداب ، موضوعها :
"هل الأدب العربي — قديمه وحديثه — يكفي وحده لتكوين الأديب ؟"

[نشرت في ١٨ أبريل سنة ١٩٢٨ م]

سَمَا الْخَطِيبَانِ فِي الْمَعَالِي وَجَازَ شَأَوُهُمَا السَّمَاءَا^(٣)
جَالَا فَلَمْ يَتْرُكَا مَجَالًا وَاعْتَرَكَا بِالنَّهْيِ عِزْرَا^(٤)
فَلَسْتُ أَدْرِى عَلَى اخْتِبَارِي مَنْ مِنْهُمَا جَلَّ أَنْ يُحَاكِيَ ؟
فَوَحَى عَقْلِي يَقُولُ : هَذَا وَوَحَى قَلْبِي يَقُولُ : ذَاكَ
وَدِدْتُ لَوْ كُلُّ ذِي غَمْرٍ أَمْسَى لِنَعْلَيْهِمَا شِرَا^(٥)

(١) نوء من الزفرات : أى ثقل منها تنوء ، باحتماله .
(٢) المواتي : الموافق .
(٣) الشأو : الغاية . والسماك : أحد كوكبين نيرين يقال لأحدهما : السماك الراح ، وللاخر : السماك الأعزل .
(٤) النهي : العقول . الواحدة نهية .
(٥) شراك النعل : سيره الذى يكون على ظهر القدم ، وهو مثل فى القلة .

تحية الشام

أشدها في الحفل الذي أقيم لمناح هذه القصيدة بالجامعة الأميركية ببيروت

[نشرت في ٢ يونيو سنة ١٩٢٩ م]

حَيَّا بِكُورُ الْحَيَا أَرْبَاعَ لُبْنَانِ وَطَالَعَ الْيَمْنُ مَنْ بِالشَّامِ حَيَّانِي^(١)
 أَهْلَ الشَّامِ لَقَدْ طَوَّقْتُمْ عُنُقِي بِمَنَّةٍ نَخَرَجْتَ عَنْ طَوْقِ تَيْيَانِي^(٢)
 قُلْ لِلكَرِيمِ الَّذِي أَسَدَى إِلَى يَدَا أَنِّي نَزَحْتُ فَأَنْتَ النَّازِحُ الدَّانِي^(٣)
 مَا إِنْ تَقَاضَيْتُ نَفْسِي ذِكْرَ عَارِفَةٍ هَلْ يَحْدُثُ الذِّكْرُ إِلَّا بَعْدَ نِسْيَانٍ^(٤)
 وَلَا عَتَبْتُ عَلَى خَلٍّ يَضُنُّ بِهَا مَا دَامَ يَزْهَدُ فِي شُكْرِي وَعِرْفَانِي^(٥)
 أَقَرَّ عَيْنِي أَنِّي كُنْتُ أَنْشِدُكُمْ فِي مَعْهَدٍ بِحُلَى الْعِرْفَانِ مُرْدَانٍ
 وَشَاعَ فِي سُورٍ لَا يُعَادِلُهُ رَدُّ الشَّابَابِ إِلَى شَعْرِي وَجُثْمَانِي
 لِي مَوْطِنٌ فِي رُبُوعِ النَّيْلِ أَعْظَمُهُ وَلِي هُنَا فِي حِمَاكُمْ مَوْطِنٌ ثَانِي
 إِنِّي رَأَيْتُ عَلَى أَهْرَامِهَا حُلَلًا مِنْ الْجَلَالِ أَرَاهَا فَوْقَ (لُبْنَانِ)
 لَمْ يَمَحُ مِنْهَا وَلَا مِنْ حُسْنِ جَدَّتِهَا عَلَى التَّعَاقُبِ مَا يَمَحُو الْجَدِيدَانِ^(٦)

(١) بكور الحيا : المطر المبكر . والأرباع : المنازل الواحد ربيع . وطالعه : طلع عليه . واليمن : البركة والخير .

(٢) الطوق : الطاقة والجهد .

(٣) أسدى : بذل وأعطى . واليد : المعروف والجليل . ونزح : بعد ، أى أنت إذا بعدت عنا بجسمك ، قريب بتذكرنا لأياديك علينا .

(٤) تقاضى : طلب . والعارفة المعروف . يريد أنه ما طلب إلى نفسه يوما أن يتذكر جميلًا أسدى إليها ، فهي دائما تذكره ولا تنساه ، ولا يتذكر الإنسان شيئًا إلا بعد نسيانه .

(٥) يضمن بها : أى ينجل بالعارفة . وعرفانى : أى معرفتى .

(٦) الجدة : ضد القدم . والجديدان : الليل والنهار ، ولا يفردان ، فلا يقال الواحد منهما : الجديد .

حَسِبْتُ نَفْسِي نَزِيلًا بَيْنَكُمْ فَإِذَا
مَنْ كُلُّ أَلْبَجٍ سَامِيَ الطَّرْفِ مُضْطَلَعٍ
يَمْشِي إِلَى الْمَجْدِ مُحْتَالًا وَمُبْتَسِمًا
سَكَنَتْكُمْ جَنَّةٌ فَيَحَاءُ لَيْسَ بِهَا
إِذَا تَأَمَّلْتَ فِي صُنْعِ الْإِلَهِ بِهَا
فِي سَهْلِهَا وَأَعَالِيهَا وَسَلْسِلِهَا
وَفِي تَضَوُّعِ أَنْفَاسِ الرِّيَاضِ بِهَا
أَنِّي تَحَيَّرْتُ مِنْ (لُبْنَانٍ) مَنْزِلَةً
يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مِنْ دُنْيَايَ فِي دَعَةٍ
أَقْضِي الْمَصِيفَ بَلْبِنَانٍ عَلَى شَرَفٍ
يَا وَقْفَةً فِي جِبَالِ الْأَرْزِ أَنْشُدُهَا

أَهْلِي وَصَحْبِي وَأَحْبَابِي وَجِيرَانِي
بِالْخَطْبِ مُبْتَهَجٍ بِالضَّيْفِ جَذْلَانِ^(١)
كَأَنَّهُ - حِينَ يَبْدُو - عُوْدُ مُرَّانِ^(٢)
عَيْبٌ سِوَى أَنَّهَا فِي الْعَالَمِ الْفَانِي^(٣)
لَمْ تَلَقَ فِي وَشْيِهِ صُنْعًا لِلْإِنْسَانِ^(٤)
بُرٌّ الْعَلِيلِ وَسَلَوَى الْعَاشِقِ الْعَانِي^(٥)
رَوْحٌ لِكُلِّ حَزِينِ الْقَلْبِ أُسْوَانِ^(٦)
فِي كُلِّ مَنْزِلَةٍ رَوْضٌ وَعَيْنَانِ^(٧)
قَلْبِي بِجَمِيعِ وَأَمْرِي طَوْعٌ وَجَدَانِي^(٨)
وَلَا أَحُولُ عَنِ الْمَشْتَى (بِحُلُوانِ)^(٩)
بَيْنَ الصَّنَوْبَرِ وَالشَّرْبِينِ وَالْبَانِ^(١٠)

(١) الأبلج : الطلق الوجه . وسامى الطرف : مرتفعه ، أى طموح إلى المصالى . واضطلع بالأمر : نهض به . والجذلان : الفرح .

(٢) المران : الراح اللينة . الواحدة : مرانة . شبهه بالريح في استقامة القامة . (٣) الفيحاء : الواسعة .

(٤) الوشي : نعمة الثوب ونقشه وتحسينه ، شبه به اختلاف الألوان في الزهر والنبات .

(٥) السلسل : المساء العذب السلس المهيل . والعاني : المعذب .

(٦) التضوُّع : انتشار الرائحة . والروح : الراحة والرحمة . والأسوان : الحزين .

(٧) « في كل » جواب « أنى » الشرطية .

(٨) الدعة : السكون والراحة . وجميع : أى غير متفرق ولا مشتت الشئون .

(٩) الشرف : المرتفع من الأرض .

(١٠) جبال الأرز : مرتفعات لبنان . والأرز : شجر معروف بها ، وكذلك الصنوبر . والشربين : شجر كالسر إلا أنه

أشد حرة وأزكى رائحة وأعرض ورقاً وأصغر ثمراً . والبان : شجر سبط القوام لين ورقه كورق الصفصاف . الواحدة : بانة ، وله تشبه القدود .

تَسْتَهْرِطُ الْوَحْيَ نَفْسِي مِنْ سَمَاوَتِهَا وَيَنْتَنِي مَلَكًا فِي الشَّعْرِ شَيْطَانِي ^(١)
عَلَى أَجَاوِدُكُمْ فِي الْقَوْلِ مُقْتَدِيًا بِشَاعِرِ الْأَرْضِ فِي صُنْعٍ وَإِتْقَانٍ ^(٢)
لَا بَدَعَ إِنْ أَخْصَبَتْ فِيهَا قَرَاهِكُمْ فَأَعْجَزْتُ وَأَعَادَتْ عَهْدَ (حَسَّانٍ) ^(٣)
طَيْبُ الْهَوَاءِ وَطَيْبُ الرُّوضِ قَدَصَقَلَا لَوْحَ الْخَيَالِ فَأَغْرَاكُمْ وَأَغْرَانِي
مَنْ رَامَ أَنْ يَشْهَدَ الْفِرْدَوْسَ مِثْلَةً فَلْيَغْشَ أَحْيَاءَكُمْ فِي شَهْرِ نَيْسَانَ ^(٤)
تَاهَتْ بِقَبْرِ (صَلَاحِ الدِّينِ) تُرْبَتُهَا وَتَاهَ أَحْيَاؤُهَا تَيْهَا (بِمَطْرَانٍ) ^(٥)
يَبْنِي وَيَهْدِمُ فِي الشَّعْرِ الْقَدِيمِ وَفِي الشَّعْرِ الْحَدِيثِ فَنِعْمَ الْهَادِمُ الْبَانِي
إِذَا لَمَخْتُمْ بِشِعْرِي وَمَضَ بَارِقَةٌ فَبَعْضُ إِحْسَانِهِ فِي الْقَوْلِ إِحْسَانِي ^(٦)
رَعِيًا لَشَاعِرِكُمْ ، رَعِيًا لِكَاتِبِكُمْ جَزَاهُمَا اللَّهُ عَنِّي مَا يَقُولَانِ
أَرَى رِجَالًا مِنَ الدُّنْيَا الْجَدِيدَةِ فِي الدُّنْيَا الْقَدِيمَةِ تَبْنِي خَيْرَ بُنْيَانٍ ^(٧)
قَدْ شَيَّدُوا آيَةً بِالشَّامِ خَالِدَةً شَتَّى الْمَنَاهِلِ تَرَوِي كُلَّ زُلْمَانٍ
لَنْ هَدَوَكُمْ لَقَدْ كَانَتْ أَوَائِلُكُمْ تَهْدِي أَوَائِلُهُمْ أَزْمَانُ أَزْمَانٍ ^(٨)

(١) من سماوتها : أى من أعلى هذه الجبال .

(٢) جاورده ، فى القول : أى باراه فى جودته . ويريد « بشاعر الأرض » : خليل مطران بك .

(٣) يريد بحسان : حسان بن ثابت الأنصارى الشاعر المعروف .

(٤) نيسان (بالفتح) : شهر من شهور السنة المسيحية ، وهو يقابل أبريل .

(٥) يريد بصلاح الدين : الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب مؤسس الدولة الأيوبية بمصر ، ورجل الحروب

الصليبية المعروف ، وكانت وفاته بدمشق سنة ٥٨٩ هـ . ويريد بمطران : خليل مطران بك الشاعر المعاصر المشهور .

(٦) الومض : اللعان .

(٧) يريد « بالدنيا الجديدة » : أميركة . و « بالبنيان » : الجامعة الأميركية ببيروت التى أنشد فيها الشاعر

قصيدته هذه .

(٨) يشير إلى فضل الشرق قديما على العالم . ويريد بقوله : « أزمان أزمان » الإيمان فى القدم .

لا غرو وإن عمروا في الأرض وأبتكروا
فذلك دنياهم في الجوّ قد نزعَتْ
أبت أمية أن تغنى محامدها
فمن غطارفة في (جلقي) نجب
عافوا المذلة في الدنيا فعندهم
لا يصبرون على ضم يحاوله
شقت أسواق (بيروت) فما أخذت
فقلت في غبطة : لله درهم
تيمموا أرض كولب فما شعرت
سادوا وشادوا وأبلوا في مناكبها

فيها أفانين إصلاح وعمران^(١)
أعنة الريح من دني سليمان^(٢)
على المدى وأبي أبناء غسان^(٣)
ومن غطارفة في أرض (حوران)^(٤)
عز الحياة وعز الموت سيان^(٥)
باغ من الإنس أو طاغ من ألحان
عيناى في ساحها حانوت يوناني
ليس الفلاح لوان غير يقظان
منهم بوطء غريب الدار حيران^(٦)
بلاء مضطلع بالأمر مغوان^(٧)

(١) لا غرو : لا عجب . والأفانين : الضروب . الواحد : أفنون (بالضم) .

(٢) الأعنة : جمع عنان ، وهو سير اللجام الذى تمسك به الدابة . وسليمان : هو سليمان بن داود عليهما السلام . ويشير بهذا إلى تفوق الأميركيين في الطيران .

(٣) الغسانيون : أمراء تخوم الشام قديما من العرب ، وكانت لهم فيها حضارة ، ثم كان الشام ملك بنى أمية ، وكانت دمشق دار خلافتهم نحو تسعين عاما ، وإلى هاتين الدولتين يشير الشاعر .

(٤) الغطارفة : الأشراف والسادة ، الواحد غطريف (بالكسر . وجلقي (بكسرتين وتشديد اللام) اسم لكورة الغوطة كلها ؛ أدهى دمشق نفسها . وحوران (بالفتح) : كورة واسعة من أعمال دمشق ذات قرى كثيرة ومزارع .

(٥) عافوا : أبوا وكرهوا .

(٦) تيمموا : قصدوا . وأرض كولب : أميركة ، نسبة إلى كاشفها كريستوف كولب . يشير إلى هجرة الشاميين إليها واستيطانهم لها حتى أصبحوا كأنهم من أهلها .

(٧) أبلوا في مناكبها : جدوا واجتهدوا في نواحيها : ومضطلع بالأمر : ناهض به قوى عليه . والمغوان (بالكسر) الحسن المعونة الكثيرها .

إِنَّ ضَاقَ مَيْدَانُ سَبَقٍ مِنْ عَزَائِمِهِمْ صَاحَتْ بِهِمْ فَأَرَوْهَا أَلْفَ مَيْدَانٍ^(١)
 لَا يَسْتَشِيرُونَ إِنْ هُمَا سِوَى هَمِيمٍ تَأَبَّى الْمُقَامَ عَلَى ذُلٍّ وَإِذْعَانٍ
 وَلَا يُبَالُونَ إِنْ كَانَتْ قُبُورُهُمْ ذَرَا الشَّوَامِخِ أَوْ أَجْوَافَ حِيتَانٍ^(٢)
 فِي السَّكُونِ مَوْرِقُهُمْ فِي الشَّامِ مَغْرُسُهُمْ وَالْغَرْسُ يَزْكُو نَقْلًا بَيْنَ بُلْدَانٍ^(٣)
 إِنْ لَمْ يَفُوزُوا بِسُلْطَانٍ يَقْرَهُمْ فِي الْمُهَاجِرِ قَدْ عَزُّوا بِسُلْطَانٍ^(٤)
 أَوْضَاقَتِ الشَّامُ عَنْ بُرْهَانٍ قُدْرَتِهِمْ فِي الْمُهَاجِرِ قَدْ جَاءُوا بِبُرْهَانٍ
 إِنَّا رَأَيْنَا كِرَامًا مِنْ رِجَالِهِمْ كَانُوا عَلَيْهِمْ لَدَيْنَا خَيْرَ عُتُونٍ
 أَنَّى التَّقِينَا التَّقَى فِي كُلِّ مُجْتَمَعٍ أَهْلٌ بِأَهْلٍ وَإِخْوَانٌ بِإِخْوَانٍ
 كَمْ فِي نَوَاحِي رُبُوعِ النَّيْلِ مِنْ طُرْفٍ (لِلْيَازِجِيِّ) وَ (صَرْوِفٍ) وَ (زَيْدَانٍ)
 وَكَمْ لِأَحْيَائِهِمْ فِي الصُّنْحِ مِنْ أَثَرٍ لَهُ (الْمُقَطَّمُ) وَ (الْأَهْرَامُ) رُكْنَانٍ^(٥)
 مَتَى أَرَى الشَّرْقَ أَذْنَاهُ وَأَبْعَدَهُ عَنْ مَطْمَعِ الْغَرْبِ فِيهِ غَيْرَ وَسْنَانٍ^(٦)
 تَجْرَى الْمَوَدَّةُ فِي أَعْرَاقِهِ طُلُقًا بِحَرِيَةِ الْمَاءِ فِي أَثْنَاءِ أَفْنَانٍ^(٧)

(١) الضمير في « صاحت » يعود على عزائمهم .

(٢) ذرا الشوامخ : أعالي الجبال .

(٣) موركهم : أى حيث آثارهم النضرة وأعمالهم الناجحة ؛ وهو من ورق الشجر يرق (وزان وعد بعد) ، أى ظهر ورقه .
 يقول : إن آثارهم الباهرة وأعمالهم الموفقة في مختلف نواحي العالم ، وموطنهم الذي نشأوا فيه بلاد الشام . ويزكو : ينمو .
 شبههم بالفرس الذي يستفيد من تغير بيئته وترتبه قوة ونماء .

(٤) المهاجر (بضم الميم وفتح الجيم) : اسم المكان من هاجر .

(٥) المقطم والأهرام : صهيقتان مصريتان معروفتان أحماهما من إخواننا اللبنانيين .

(٦) الوسنان : النائم

(٧) طلقا : منطلقة . والأفنان : الأغصان ، الواحد فن بالتحريك . والذي في نسخة الديوان أفناء أفنان ؛ ولم نجد لقوله « أفناء » معنى يناسب سياق البيت . وقد أثبتناها بالناء مكان الفاء نقلا عن الشاعر نفسه .

لا فَرَقَ مَا بَيْنَ بُوْذَى يَعِيشُ بِهِ وَمُسْلِمٍ وَيَهُودَى وَنَصْرَانِي
 مَا بَالُ دُنْيَاهُ لَمَّا فَاءَ وَارْفُهَا عَلَيْهِ قَدْ أَدْبَرَتْ مِنْ غَيْرِ إِذَا ب^(١)
 عَهْدُ (الرَّشِيدِ) (بِبَغْدَادٍ) عَفَا وَمَضَى وَفِي دِمَشْقٍ انْطَوَى عَهْدُ (ابْنِ مَرْوَانَ)^(٢)
 وَلَا تَسَلْ بَعْدَهُ عَنْ عَهْدِ (قُرْطُبَةٍ) كَيْفَ انْمَحَى بَيْنَ أَسْيَافٍ وَنِيرانِ^(٣)
 فَعَلُّوْهُمَا كُلَّ حَيٍّ عِنْدَ مَوْلِدِهِ عَلَيْكَ لِلَّهِ وَالْأَوْطَانِ دَيْنَانِ
 حَتَمَ قَضَاؤُهُمَا ، حَتَمَ جَزَاؤُهُمَا فَأَرَبَأُ بِنَفْسِكَ أَنْ تُمْنَى بِخُسْرَانِ^(٤)
 (النَّيْلُ) وَهُوَ إِلَى (الْأُرْدُنِّ) فِي شَغَفٍ يُهْدَى إِلَى (بَرْدَى) أَشْوَاقَ وَلَهْجَانِ^(٥)
 وَفِي (الْعِرَاقِ) بِهِ وَجَدُ (بِدَجَلَتِهِ) وَ (بِالْفُرَاتِ) وَتَحَنَّنُ (لَسِيحَانِ)^(٦)
 إِنْ دَامَ مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ مَدَابِرَةٍ وَفِتْنَةٍ بَيْنَ أَجْنَاسٍ وَأَذْيَانِ^(٧)
 رَأَيْتُ رَأْيَ^(٨) (الْمَعْرَى) حِينَ أَرْهَقَهُ مَا حَلَّ بِالنَّاسِ مِنْ بَغْيٍ وَعُدْوَانِ^(٨)

(١) فاء وارفها : أقبل خيرها ونعيمها . والوارف : الظل المنتشر المتسع . والإيدان : الإعلام .

(٢) يشير إلى عهد بغداد الخافل أيام الرشيد من سنة ١٧٠ هـ (سنة ٧٨٩ م) إلى سنة ١٩٣ هـ (سنة ٨٠٩ م) وإلى عهد دمشق الزاهر أيام بنى أمية ؛ وقد بقيت فيها الخلافة ٩٠ عاما من سنة ٤١ هـ (سنة ٦٦١ م) إلى سنة ١٣٢ هـ سنة (٧٥٠ م) .

(٣) قرطبة : بلد معروف بالأندلس . ويريد بعهدها : دولة العرب بها .

(٤) يقال : إني أربأ بك عن هذا الأمر ، أى أرفعك عنه ولا أرضاه لك . وتمنى : تصاب .

(٥) الأردن : نهر معروف بالشام ، يصب في البحر الميت . وبردى (بالتحريك) : نهر عليه دمشق .

(٦) دجلة والفرات : نهرا معروفان في العراق يصبان في الخليج الفارسي . ويريد «لسيحان» : نهر سيحون في آسيا الوسطى الروسية الذي يصب في بحر آرال .

(٧) المدابرة : المقاطعة .

(٨) أرهقه : آذاه . والمعرى : هو أبو العلاء المعرى الشاعر المعروف .

لَا تَطْهَرُ الْأَرْضُ مِنْ رَجَسٍ وَمِنْ دَرَنِ^(١) حَتَّى يُعَاوِدَهَا (نُوحٌ) بِطُوفَانٍ^(٢)
وَلَى الشَّبَابُ وَجَازَتْنِي فَتُوَّتُهُ^(٣) وَهَدَمَ السَّقْمُ بَعْدَ السَّقْمِ أَرْكَائِي^(٤)
وَقَدَّ وَقَفْتُ عَلَى السِّتِّينِ أَسْأَلُ^(٥) أَسَوَفْتُ أَمْ أَعَدَّتْ حُرٌّ أَكْفَانِي^(٦)؟
شَاهَدْتُ مَضْرَعَ أَتْرَابِي فَبَشَّرَنِي^(٧) بِضَجْعَةٍ عِنْدَهَا رَوْحِي وَرَيْحَانِي^(٨)
كَمْ مِنْ قَرِيبٍ نَأَى عَنِّي فَأَوْجَعَنِي^(٩) وَلَمْ عَزِيزٍ مَضَى قَبْلِي فَأَبْكَانِي^(١٠)
مَنْ كَانَ يَسْأَلُ عَنْ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ^(١١) وَلَوْ سِرَاعًا وَخَلَّوْا ذَلِكَ الْوَاوِي^(١٢)
إِنِّي مَلَيْتُ وَقُوفِي كُلَّ آوِيَةٍ^(١٣) أَبْكِي وَأَنْظِمُ أَحْزَانًا بِأَحْزَابِ^(١٤)
إِذَا تَصَفَّحْتَ دِيْوَانِي لِتَقْرَأَنِي^(١٥) وَجَدْتَ شِعْرَ الْمَرَاثِي نِصْفَ دِيْوَانِي^(١٦)
أَتَيْتُ مُسْتَشْفِيًا وَالشُّوقُ يَدْفَعُ بِي^(١٧) إِلَى رَبَاكُمُ وَعُودِي غَيْرُ فَيْنَانٍ^(١٨)
فَأَنْزِلُونِي مَكَانًا أَسْتَجِمُ بِهِ^(١٩) وَيَنْجَلِي عَنْ قُوَادِي بَرْحِ أَحْزَانِي^(٢٠)
وَجَنَّبُونِي عَلَى شُكْرِ مَوَائِدِكُمْ^(٢١) بِمَا حَوَتْ مِنْ (أَفَاوِيهِ) وَالْوَانِ^(٢٢)
حَسْبِي وَحَسْبُ النَّهْيِ مَا نَلْتُ مِنْ كَرَمِ^(٢٣) قَدْ كَذْتُ أَنَسَمَ بِهِ أَهْلِي وَخُلَّانِي^(٢٤)

(١) الرجس : النجس . والدرن : الدنس . ونوح : هو نوح النبي عليه السلام ؛ وقصة الطوفان في عهده معروفة ، ورد ذكرها في القرآن . ويشير بهذا البيت إلى قول أبي العلاء :

إِلَى الْأَرْضِ لِلطُّوفَانِ مُشْتَاةٌ لَعَلَّهَا مِنْ دَرَنِ تَغْسِلُ

(٢) جازتني : خلفتني وتركنتني . (٣) حر كل شيء : خالسه .

(٤) الروح : الراحة . (٥) الواني : أي المتأخر عنهم .

(٦) غير فينان : يريد أن عوده ذابل ذار . والفينان من النبات : ما طال منه وحسن .

(٧) أستجم : أستريح . والبرح : الأذى والسقم .

(٨) يريد « بالأفاويه » : التوابل . وهي جمع الجمع ومفردها الأفواه ، وواحد الأفواه فوه كدوق .

تهنئة "صاحب المقام الرفيع" محمد محمود باشا

بلقب (دكتور) الشرف فى الحقوق الذى منحه إياه جامعة أكسفورد ، وكان رئيسا للوزارة إذ ذاك

[نشرت فى ٢٦ مايو سنة ١٩٢٩ م]

شَرَفُ الرَّاسَةِ يَا مُحَمَّدُ زَانَهُ شَرَفُ النَّهَى
بُرْدَانٍ مِنْ نَسِجِ الْجَلَا لِي إِلَيْهِمَا الْفَخْرُ أَتَمَّى
جَعَلَا مَقَرَّكَ يَا مُحَمَّدُ مَدْفُوقَ أَثْنِافِ السَّهَى ^(١)
زَانَتِكَ الْقَابُ الرَّجَا لِي الْعَامِلِينَ وَزَيْتَهَا
أُمْنِيَّةٌ قَدْ نَالَهَا أَمَلُ الْخُلُودِ وَنَلَّتَهَا
فَاسْلُكْ سَبِيلَكَ فِي الْجَهَا دِ مَوْفَقًا وَمُنَزَهًا
وَأَحْفَظْ لِمَصْرَ حُقُوقَ مَضَى رَفَائَتَ فِي الْجُلَى لَهَا ^(٢)

إلى (الدكتور) "السر" على إبراهيم بك (باشا)

قالها وقد عمل (الدكتور) عملية لصاحب (الدولة) المقام الرفيع محمد محمود باشا

[نشرت فى ٢٥ يولييه سنة ١٩٣٠ م]

أَيَا يَدًا قَدْ خَصَّهَا رَبُّهَا بآيَةِ الْإِعْجَازِ فِي الْخَلْقِ
وَمِشْرَطًا جَمَعَ مِنْ رَحْمَةٍ وَصِغَ مِنْ يَمِينٍ وَمِنْ رِفْقٍ
نَجِيئًا مِنْ مَرَضٍ قَاتِلٍ مَطْلَعِ آمَالِ بَنِي الشَّرْقِ

(١) الدهمى : كوكب خفى من بنات نعل الصغرى .

(٢) الجلى : ما جل من الشدائد .

لَوْلَا كَيْلَانَدَكَ صَرَحُ الْعَلَا وَأَنحَدَرَ الْبَذْرُ عَنِ الْأَفْقِ
وَبَاتَتِ الْأَخْلَاقُ فِي حَسْرَةٍ عَلَى نَبِيلِ النَّفْسِ وَالْخُلُقِ
صَانِكُنَا اللَّهُ لِبَرِّهِ الْوَرَى وَصَانَهُ لِلْعُرْفِ وَالْحَقِّ^(١)

وقال فيه أيضا :

(ارتجلها في حفل أقيم لتكريمه سنة ١٩٣٠ م)

قُلْ لِلطَّبِيبِ الَّذِي تَعْنُو الْجِرَاحُ لَهُ مَاذَا أَعْتَدَدْتَ لِلْجُرْحِ الْعَاشِقِ الْعَانِي^(٢)
قَدْ كَانَ مَبْضَعُهُ وَالْجُرْحُ يَرْمُقُهُ يَمْنَى الْحَبِيبِ تُوَاسِي صَدْرَ وَلَهَانِ^(٣)

إلى المستشار "صاحب المعالي" محمود غالب (بك) باشا^(٤)
والأستاذ أحمد لطفى السيد (بك) باشا مدير الجامعة المصرية

[نشرت في ٣١ مارس سنة ١٩٣٢ م]

قَدْ رَاعَ دَارَ الْعَدْلِ طُغْءَ يَمَانٍ وَرَاعَ الْجَامِعَةَ
حَقْمَيْتُمَا حَرَمَيْهِمَا رَغْمَ الْخُطُوبِ الْفَاجِعَةِ

(١) العرف : الخير والجلود . (٢) تعنو : تخضع وتذل . واعتددت أى أعددت . والعانى : الأسير .

(٣) المبضع : المشط .

(٤) يشير الشاعر بهذه القصيدة إلى حادثتين : إحداهما ، أن محمود بك غالب المستشار بمحكمة الاستئناف كان رئيسا لإحدى دوائر محكمة الجنائيات ، وقد عرضت على الدائرة التى يرأسها قضية القنابل المعروفة ، اتهم فيها جماعة بالقاء القنابل على بيوت بعض الكبراء ، واستمر غالب بك ينظر هذه القضية ثلاث جلسات ، فلما كانت الجلسة الرابعة يوم ٢٣ مارس سنة ١٩٣٢ م تنحى عن النظر فيها ، وقال إنه يرى من الحكمة أن يمسك عن ذكر الأسباب التى حملته على هذا التنحى . وإنه لم يخضع فى هذا إلا لسلطان ضميره . والثانية ، أن الأستاذ أحمد لطفى السيد بك مدير الجامعة كان قد استقال من منصبه فى ٩ مارس سنة ١٩٣٢ م لنقل (الدكتور) (طه حسين) عميد كلية الآداب إلى وزارة المعارف بدون رضا ، ودون رضا الجامعة .

وَقَهَرْتُمَا الْبَاغِيَّ عَلَى رَدِّ الْحُقُوقِ النَّاصِعَةِ^(١)
 لِلَّهِ دَرُّ الْمُسْتَشَا رٍ وَدَرُّ ذَاكَ الْبَاقِعَةِ^(٢)
 فَهُمَا اللَّذَانِ تَكْفَلَا عَنَّا بِصَدِّ الْقَارِعَةِ
 نَظَرَ الْحَيَادُ بَعِينِهِ فِي النَّاسِ هَوْلَ الْوَاقِعَةِ^(٣)
 أَمْنِيَّ الْمُحَايِدِ أَنْ يَرَى مَضَرَ الْعَزِيزَةِ ضَارِعَةً؟^(٤)
 كَذَبَ الْحَيَادُ فَلَنْ تَكُو نَ جُهُودُ مَضِرِّ ضَائِعَةٍ
 فَالْحَقُّ لَا تُلَوِي بِهِ تِلْكَ السُّيُوفُ اللَّامِعَةُ^(٥)
 أَصْبَحْتُ أَسْأَلُ خَاطِرِي وَالنَّفْسُ مِنِّي جَارِعَةٍ
 أَنْعِيشْ تَحْتَ اللَّيْلِ أَمْ تَحْتَ الشَّمْسِ السَّاطِعَةِ

الى (الدكتور) طه حسين

أنشدتهما في حفل أقامه (الدكتور) بفندق مينا هاوس طلبة الجامعة بعد فصله من منصبه

[نشرت في ٧ أبريل سنة ١٩٣٢ م]

قَدْ أَجْدَبَتْ دَارُ الْحِجَا وَالنَّهْيِ بَعْدَكَ مِنْ آرَائِكَ النَّافِعَةِ^(٦)
 وَأَخْصَبَتْ أَرْجَاءُ مَضِرِّ بَمْنٍ صَيْرَ مِصْرًا كُلَّهَا جَامِعَةً

(١) الناصعة : أى الظاهرة التى لا يسع أحدا نكرانها .

(٢) الباقعة : الذكى العارف ، الذى لا يفوته شئ ولا يدهى .

(٣) كنى "بالحياد" عن الإنجليز ، لأنهم كانوا فى هذا العهد يدعون أنهم على الحياد فى الشؤون الداخلية فى مصر ، وأن التبعية كلها على الوزراء المصريين .

(٥) ألوى بالشئ : ذهب به .

(٤) ضارعة : ذليلة .

(٦) يريد "بدار الحجا والنهى" : الجامعة المصرية .

تهنئة المغفور له جلالة الملك "فؤاد" الأول بعيد جلوسه

أَرَأَيْتَ رَبَّ السَّاجِ فِي عِيدِ الْجُلُوسِ وَقَدْ تَبَدَّى ^(١)
 وَشَهِدْتَ جَبْرِيلَ يُمْدُدُ عَلَيْهِ ظِلَّ اللَّهِ مَدًّا
 وَنَظَرْتَ تَطَوَّافَ الْقُلُوبِ بِسَاحَةِ الْعَرْشِ الْمُفَدَّى
 وَسَمِعْتَ نَسِيحَ الْوُفُوسِ دِ بَيْمُودِهِ وَقَدْ فَوْقَا
 هَذَا ابْنُ إِسْمَاعِيلَ رَبُّ النَّيْلِ مَنْ أَغْنَى وَأَسَدَى ^(٢)
 النَّيْلُ يَجْرِي تَحْتَهُ فَيَخُذُ وَجْهَ الْأَرْضِ خَدًّا ^(٣)
 يَهْبُ النَّضَارَ كَأَنَّهُ مِنْ فَيْضِ جَدَّوَاهِ أَسَمَدَا ^(٤)
 وَكَأَنَّمَا هُوَ عَالِمٌ بِالْكِيمِيَاءِ أَصَابَ جَدًّا ^(٥)
 يَدْعُ الثَّرَى تَبْرًا فَهَلْ شَهِدَ الْوَرَى لِلنَّيْلِ نَدَا ؟
 النَّاسُ يَوْمَ جُلُوسِهِ يَسْتَقْبِلُونَ الْعَيْشَ رَغْدَا
 أَنَّى سَأَكُنْتَ سَمِعْتَ أَذْ عِيَّةً لَهُ وَسَمِعْتَ حَمْدَا
 حَشْ يَا (أَبَا الْفَارُوقِ) وَالْ بَسْ مِنْ نَسِيحِ الْحَمْدِ بُرْدَا
 هَا صَوْلِحَانِ الْمُلْكِ مِنْ شَجَرِ الْجَنَانِ إِلَيْكَ يَهْدَى ^(٦)

(١) تبدى : بدا وظهر • (٢) أسدى : أعطى • (٣) يحد : يشق •

(٤) النضار : الذهب • والجدوى : العطية والمعروف • (٥) الحد : الحظ •

(٦) الصولحان : العصا المتعلقة بالرأس • والجمع صوالج • وهو لفظ فارسي معرب • ويقال : صولحان الملك • لأن الملوك قديما كانوا يتخذونه شعارا للملك •

حَدَّثَ عَجَلًا صَيْدَ الْمُلُوكِ كَ وَلَا أَرَى لُعْلَاكَ حَدًّا ^(١)
 فَابْنَ الرِّجَالِ بِنَايَةً يَشْقَى الْعَدُوَّ بِهَا وَيَرْدَى ^(٢)
 وَأَضْرِبْ بِسَوْطِ الْبَاسِ أَعْدَاءَ طَافَ الزَّمَانُ إِذَا أَسْتَبَدَّ ^(٣)
 أَيُّ الْمُلُوكِ أَجَلٌ مِنْ لَكَ مَكَانَةٌ وَأَعَزُّ جُنْدًا ؟
 مَنْ مِنْهُمْ كَفَّاهُ يَوْمَ مَ الْبَدْلِ مِنْ كَفَيْكَ أُنْدَى ؟ ^(٤)
 مَنْ مِنْهُمْ نَامَتْ رَعِيَّتُهُ سَهُ وَقَامَ اللَّيْلَ سُهْدًا ؟
 مَنْ مِنْهُمْ سَامَاكَ أَوْ سَامَى جَلَالِكَ أَوْ تَحَدَّى ؟ ^(٥)
 مَنْ مِنْهُمْ أَوْفَى حِجَابًا وَحَصَافَةً وَأَبْرَ وَعَدَا ؟ ^(٦)
 فِي الشَّرْقِ فَانْظُرْ هَلْ تَرَى حَسْبًا (كَإِسْمَاعِيلَ) عَدَا ؟
 هَذِي (الْجَزِيرَةُ) وَ (الْعَرَا قُ) وَ (فَارِسٌ) يَهْدُنْ هَذَا ^(٧)
 وَإِلَيْكَ (مَكَّةَ) هَلْ تَرَى أَحَدًا بِهَا وَإِلَيْكَ (نَجْدًا)
 وَإِلَيْكَ (تُونِسَ) وَ (الْجَزَا ئِرَ) قَدْ لَبَسْنَ الْعَيْشَ نَكْدًا
 لَمْ يَرْتَفِعْ فِي الشَّرْقِ تَا جٌ فَوْقَ تَلِجِ (النَّيْلِ) مَجْدًا
 جَدَّدَتْ عَهْدَ (الرَّاشِدِ نَ) تَقَى وَإِحْسَانًا وَزُهْدًا
 وَنَرَى عَلَيْكَ مُحَايِلَ ال خُلَفَاءِ إِنْصَافًا وَرُشْدًا

(١) الصيد : جمع أصيد ، وهو المتكبر المزهو .

(٢) يردى : يهلك .

(٣) الأعطاف : الجوانب الواحد عطف (بالكسر) .

(٤) أُنْدَى : أَسْنَى .

(٥) ساماك : أى غالبك فى السمو . وتحداك : نازعك الغلبة .

(٦) الحجا : العقل .

والحصافة : جودة الرأى .

(٧) يهدن هذا : أى أن أركان العمران تنداعى فيها

جَلَّتْ صِفَاتُكَ ، كَمْ مَحَوَّ تَ أَسَى وَكَمْ أَوْرَيْتَ زَنْدًا ^(١)
أَعْطَيْتَ لَا مُتَرَبِّجًا أَوْ مُخْفِيًا فِي الْجُودِ قَصْدًا ^(٢)
رَوَيْتَ أَفْئِدَةَ الرَّعِيَّةِ مِنْ هَوَاكَ فَكَيْفَ تَصْدَى ^(٣)
وَمَلَكْتَهُنَّ كَمَا مَلَكَ تَ زِمَامَ (مِصْرَ) أَبَا وَجَدًا ^(٤)
فَإِذَا نَهَيْتَ فَطَاعَةً وَإِذَا أَمَرْتَ فَلَا مَرَدًّا
أَعْطَوَكَ طَاعَةً مُخْلِصَ وَمَنْحَتَهُمْ عَطْفًا وَوُدًّا
أَوْضَحْتَ لِلْمِصْرِيِّ نَهْجَ صَاحِبِ صَلَاحِهِ فَسَعَى وَجَدًا ^(٥)
أَعْدَدْتَهُ وَكَفَلْتَهُ وَرَعِيَّتَهُ حَتَّى آسَتَعَدَّا
وَدَعَوْتَهُ أَنْ يَسْتَرِدَّ دَفْعَ نَحَارِ مِصْرٍ فَاسْتَرَدَّا
وَرَدَّ الْحَيَاةَ عَزِيزَةً فَنَجَا وَكَانَ الْمَوْتُ وَرَدًّا
وَحَمَى الْكُنَانَةَ بَعْدَ مَا حَفَرْتُ لَهَا الْأَطْمَاعُ لَحْدًا
فَتَحَتَّ أَعْيُنُنَا فَأَبَدَ صَرْنَ الضِّيَاءِ وَكُنَّ رُمْدًا ^(٦)
وَأَقَمْتَ جَامِعَةً بِمِصْرَ رَ تَشُدُّ أَزَرَ الْعِلْمِ شَدًّا ^(٧)
كَمْ سَيِّدٍ بِالْعِلْمِ كَمَا نَبْرَعْمُهُ لِلْجَهْلِ عَبْدًا ^(٨)

(١) الأسي : الحزن . وايراء الزند : كناية عن إغاثة الملهوف وإجابة السائل . والأصل في ايراء الزند ، استخراج ناره .

(٢) لا مترجحا ، أى غير مترقب من واره معروفك وإعطائك نفعا لك . (٣) تصدى : نظلما

(٤) الزمام (بالكسر) : ما تقاد به الدابة . (٥) النهج : الطريق . وجد : اجتهد .

(٦) الرمد : المصابة بالرمد ، الواحدة رمداء . وكنى بذلك عن الجهل . و"الضياء" عن العلوم والمعارف .

(٧) تشد أزَرَ العلم : أى تقويه وتنهضه .

(٨) يقول : كم من رجل سوده العلم وكان قبل ذلك على الرغم منه عبدا للجهل .

وَرَفَعَتْ فِي ثَغْرِ الثُّغُورِ رِ الْمُنْشَاتِ الْبَحْرِ بَنَدًا^(١)
 أَسَّسَتْ مَدْرَسَةً تُنْهِ بِدُنَا بِمَلِكِ الْبَحْرِ عَهْدًا
 فَهَتَّى أَرَى أَسْطُولَ مَضَى رِ يُشِيرُ فَوْقَ الْبَحْرِ رَعْدًا
 وَمَتَّى أَرَى جَيْشَ الْبِلَا دِ يَسُدُّ عَيْنَ الشَّمْسِ سَدًّا
 وَنَفَّزَتْ فِي الطَّيْرَانِ نَظْمَ رَةِ مُصْلِحٍ لَمْ يَأَلُ جُهْدًا^(٢)
 أَعَدَدَتْ عُدَّتَهُ وَلَمْ تَرَ مِنْهُ لِلْأَوْطَانِ بُدًّا
 أَعْظَمَ بِأَسْطُولِ الْهَوَا إِذْ أَنْبَرَى فِسْطًا وَشَدًّا
 مَنْ رَأَاهُ يَوْمَ الزَّلَا لِ رَأَى النُّسُورَ تَصِيدُ أَسَدًا^(٣)
 وَتَرَاهُ عِنْدَ السَّلَامِ سِرَ بَأَمِنْ طَوَاوِيسٍ تَبَسَّدَى^(٤)
 وَطَوَائِفَ الْعَمَالِ كَمِ أَوَّلِيَّتِهَا رِقْدًا فَرِفْدًا^(٥)
 مَنْ ذَا يُطِيقُ لِبَعْضِ مَا أَصْلَحَتْ أَوْ أَسَدَيْتَ عَدَا
 دُمُ يَا (فُؤَادُ) مُؤِيدَا بِبِمَالِ وَالْأَرْوَاحِ تَفْدَى
 وَأَعَدْنَا عَهْدَ الْمُعَا زِ النَّمَاطِمِيِّ فَأَنْتَ أَهْدَى^(٦)

(١) يريد "بئر النغور" الاسكتنبورية . والمنشآت : السفن . والبند : العلم الكبير ، فارسي . يشير إلى مدرسة بحرية أتت أنشأها المنفور له الملك فؤاد الأول .

(٢) لم يأل : لم يقصر . وفي عهد المنفور له الملك فؤاد الأول نظمتم بمصر الطيران ، وأنشأت أول أسطول بحري .
(٣) رآه : رآه . والزال : الحرب .

(٤) الدرب : جماعة الطير . والمعنى أن هذه الطائرات في أيام السلام تشبه الطواويس في الإعجاب بمجالها والاختيال بحسنها .

(٥) الرفد : العطاء والصلاة . يشير إلى ما ناله تقابلات العمال في عهد جلالته من تأييد ومساعدات .

(٦) كان " المعز " رابع خلفاء الدولة الفاطمية ، ولي الخلافة سنة ٣٤١ هـ . وتوفي سنة ٣٦٥ هـ . وفي أيامه دخل الفاطميون مصر ، وكان عهده من أزهى عصورها وأزهىها .

تهنئة لصاحب السعادة أحمد نجيب الهلالي بك

قال هذين البيتين مرتبلا عند ما تولى وكالة المعارف للتعليم الفني والفنون الجميلة سنة ١٩٢٩ م

أَعْجَى (نَجِيبٌ) وَكَيْلًا لَنَا وَنَعِمَ الْوَكِيلُ
فَلْيَنعَمْ الشَّعْرُ بِالْأُفَّ فَالشَّعْرُ فَنَ بَجَمِيلُ

التقریظات

تقریظ کتاب ”فحول البلاغة“ لمؤلفه السيد توفيق البكري^(١)

[نشرهذان البيتان في سنة ١٣١٣ هـ]

هَذَا كِتَابٌ مَدُّ بَدَا سِرُّهُ لِلنَّاسِ قَالُوا : مُعْجَزٌ ثَانِي
أَثَابَكَ اللَّهُ عَلَى جَمْعِهِ ثَوَابَ (عُمَانَ بْنِ عَفَّانَ)^(٢)

تقریظ جريدة ”مصباح الشرق“^(٣) ”لصاحبها إبراهيم المويلحي بك

أَهْلَ الصَّحَافَةِ لَا تَضَلُّوا بَعْدَهُ فَسَمَاؤُكُمْ قَدْ زَانَهَا (المِصْبَاحُ)
الْحَقُّ فِيهِ زَيْتُهُ ، وَفَتِيلُهُ صِدْقُ الْحَدِيثِ ، وَنُورُهُ الْإِصْلَاحُ^(٤)

(١) ولد السيد الشيخ توفيق البكري في سنة ١٨٧٠ م ، وقد كان نقيباً للأشراف ومشیخة الطرق الصوفية ، كما كان عضواً بمجلس شورى القوانين . وكان يجيد اللغتين الفرنسية والانجليزية فوق إجادته العربية التي عدّ فيها من أئمة الأدب والبيان . وقد أنعم عليه السلطان عبد الحميد ، وسمو الخديو عباس بكثير من الأوسمة . وله غير هذا الكتاب ، صهاريج اللؤلؤ ، وأراجيز العرب ، والمستقبل للإسلام ، وتوفي رحمه الله يوم السبت ١٣ أغسطس سنة ١٩٣٢ م .

(٢) خص ”عُمان بن عفان“ بالذكر لأنه هو الذي قال ثواب جمع القرآن .

(٣) مصباح الشرق : صحيفة سياسية أدبية ، وكانت تصدر في كل أسبوع في مصر ، أنشئت في سنة ١٣١٥ هـ (سنة ١٨٩٧ م) ، واحتجبت في سنة ١٣٣١ هـ (سنة ١٩٠٣ م) .

(٤) الفتيل : جمع فتيلة ، وهي ذبالة المصباح .

تقریظ دیوان الشاعر الکاتب مصطفى صادق الرافعی (سنة ١٣٢١ هـ - سنة ١٩٠٤ م)

أراك - وأنتَ نَبْتُ اليوم - تَمْشِي بِشَعْرِكَ فَوْقَ هَامِ الْأَوَّلِينَا^(١)
وَأَوْتَيْتَ النُّبُوَّةَ فِي الْمَعَانِي وَمَا دَانَيْتَ حَدَّ الْأَرْبَعِينَا^(٢)
فَزِنْ تَاجَ الرَّأْسَةِ بَعْدَ (سَامِي) كَمَا زَانَتْ فَرَائِدُهُ الْجَحِينَا^(٣)
وَهَذَا الصُّوْبُ لِحَانُ فُكْنٍ حَرِيصَا عَلَى مُلْكِ الْقَرِيضِ وَكُنْ أَمِينَا^(٤)
حَسْبُكَ أَنْ مُطْرِيكَ (أَبْنُ هَانِي) وَأَنْكَ قَدْ غَدَوْتَ لَهُ قَرِينَا^(٥)

تهنئة المؤيد بداره وبمظهره الجديدین

[نشرت في ٣ أكتوبر سنة ١٩٠٦ م]

أَحْيَيْتَ مَيِّتَ رَجَائِنَا بِصَحِيفَةٍ أَثْنَى عَلَيْهَا الشَّرْقُ وَالْإِسْلَامُ^(٦)
أَضْحَتْ مُعْهَلًى لِلْبَلَاغَةِ عِنْدَمَا سَجَدَتْ بِرَحْبٍ فَنَائِهَا الْأَقْلَامُ^(٧)
فَعَلَى مُؤَيِّدِكَ الْجَدِيدِ تَحِيَّةٌ وَعَلَى مُؤَيِّدِكَ الْقَدِيمِ سَلَامُ

(١) الهام : الرؤس . الواحدة : هامة .

(٢) يشير بهذا إلى ما أترعز النبي صلى الله عليه وسلم من قوله : بعثت على رأس الأربعين .

(٣) يريد "سامي" : المرحوم محمود سامي البارودي باشا . انظر التعريف به في الحاشية رقم ١ من صفحة ٧ ، وفرائد اللؤلؤ : يتألمه التي لا توانم لها .

(٤) الصوب لجان (في أصل معناه) : النصا المعوجة من طرفها ؛ وهو لفظ فارسي معرب ، ويقال : صوبجان الملك ، لأن الملوك كانوا في القديم يثذرنه علامة على توليهم الملك .

(٥) مطريك : مادحك . ويريد "ابن هاني" : المرحوم أحمد شوقي بك ، وكان يلقب بابن هاني ، وسعى داره بالمطرية : كرامة ابن هاني تشبها (بالحسن بن هاني) المعروف بابن نواس .

(٦) يخاطب بهذا البيت وما بعده صاحب المؤيد وهو الشيخ علي يوسف .

(٧) الفناء (بكسر الفاء) : الساحة أمام البيت .

تقريظ "حديث عيسى بن هشام"

لصاحبه محمد المويلحي بك^(١)

[شرفي أول مارس سنة ١٩٠٧ م]

قَلَمٌ إِذَا رَكِبَ الْأَنَامِلَ أَوْجَرَى سَجَدَتْ لَهُ الْأَقْلَامُ وَهِيَ جَوَارَى
 يَخْتَالُ مَا بَيْنَ السُّطُورِ كَضِيغِهِمْ يَخْتَالُ بَيْنَ عَوَامِلٍ وَشِفَارِ^(٢)
 تَأْوِي الظُّبَاءُ إِلَيْهِ وَهِيَ أَوَانِسُ وَتَحِيدُ عَنْهُ الْأَسَدُ وَهِيَ ضَوَارَى^(٣)
 مَا حَالَ خُلُقُ الْمَاءِ بَيْنَ سَطُورِهِ إِلَّا إِلَى خُلُقِ الزَّنَادِ الْوَارَى^(٤)
 فَإِذَا رَضِيَتْ فَأَحْرَفُ مِنْ رَحْمَةٍ وَإِذَا غَضِبَتْ فَأَحْرَفُ مِنْ نَارِ
 يَا بَنَ الَّذِي غَفَى الْيَرَّاحُ بِكَفِّهِ فَصَبَتْ إِلَيْهِ مَسَاهِجُ الْأَقْدَارِ^(٥)
 لَكَ فِي دَمِي حَقٌّ أَرَدْتُ وَفَاءَهُ يَوْمَ الْوَفَاءِ فَقَصَّصْتُ أَشْعَارِي^(٦)
 لَمْ يُنْسِنِي مَرُّ الزَّمَانِ وَلَمْ يَزَلْ حَفِظْتُ الْوِدَادَ سَجِيَّتِي وَشِعَارِي

(١) هو محمد بك ابن ابراهيم بك المويلحي ، ولد بالقاهرة سنة ١٨٥٨ م ، وبعد أن أخذ حظه من التعلم تولى عدة مناصب في الحكومة المصرية ، واشترك في تحرير عدة صحف ، وكان هو قزأبوه ابراهيم بك من أعلام الكتاب المشهورين في مصر إذ ذاك ، وهما صاحباً صحيفة مصباح الشرق . ومحمد بك المويلحي ، ذو مؤلف كتاب عيسى بن هشام ، وتوفي يوم السبت أول مارس سنة ١٩٣٠ م .

(٢) الضيغ : الأسد ، ويريد به هنا : الشجاع والعوامل : صدور الرياح : الواحد عامل . والشفار : جمع شفرة ، وهي حد السيف .

(٣) الضواري : المدربة على الصيد والافتراس . يريد أن هذا القلم إذا رق ولطف أنست إليه الظباء ، وإذا قسا : خافته الأسود .

(٤) ما حال : أي ما تحول . ويريد « بخلق الماء » : الرقة والعذوبة . و « بخلق الزناد » : نفا فيه من التوقد والالتهاب . والزناد الواري : الذي تخرجت ناره .

(٥) صبت : مالت . (٦) كان الممدوح كثير الإغداق على حافظ ، فهو إلى ذلك يشير بهذا البيت .

هَذَا كِتَابُكَ قَدْ حَكَّتْ آيَاتُهُ آيَاتِ مُوسَى التَّسْعَ فِي الْإِسْبَارِ^(١)
 تَسْجِجَ الْحَرِيرِ أَبْوَكُ تَسْجِجَ نِجَارِهِ وَتَسْجِجَتْ أَنْتَ خِرَائِرَ الْأَنْصَارِ^(٢)
 فَإِذَا نَثَرْتَ عَلَى الصَّحِيفَةِ خِلْمَهَا غَرَسًا أَلْحَ عَلَيْهِ صَوْبُ قِطَارِ^(٣)
 يَا صَاحِبَ الْمَصْبَاحِ مَا ذَنْبُ النَّهْيِ حَتَّى جَجَبْتَ مَطَالِيعَ الْأَنْوَارِ^(٤)
 قَدْ كُنْتَ تَهْدِيهَا السَّبِيلَ بِضَوْئِهِ فَتَرَكْتُمَا فِي ظُلْمَةٍ وَعِشَارِ^(٥)
 بَاتَتْ تُرَجِّى مِنْكَ عَوْدَةَ غَائِبٍ نُورُ الْبَصَائِرِ فِيهِ وَالْأَبْصَارِ
 وَشَمَّائِلَ الْفِكْرِ الَّتِي أَرْسَلْتَهَا حِكْمًا فَأَغْثَتَهَا عَنِ الْأَسْفَارِ^(٦)
 فَأَشْرَعَ يَرَاعَكَ يَا (مُحَمَّدُ) ، إِنَّهُ نَارُ اللَّئَامِ وَجَنَّةُ الْأَحْرَارِ^(٧)
 وَأَبْعَثْ لَنَا (عِيسَى) فَهَذَا وَقْتُهُ فَالنَّاسُ بَيْنَ مُخَادِعٍ وَمُوَارِي^(٨)

(١) آيات موسى التسع : أى معجزاته ، وهى مذكورة كلها فى القرآن ، قال الله تعالى فى سورة الإبراء : (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) الآية .

(٢) النجار : الأصل والمخند . ويشير بهذه العبارة إلى أن أبا الممدوح وهو إبراهيم بك المولى كان من كبار تجار الحرير بمصر ، وكان شريكاً فى هذه التجارة لأخيه عبد السلام المولى بائناً عم الممدوح وقد أخطأهما التوفيق فى تجارتها ، فأتى إليهما يد المساعدة المغفورة له إسماعيل بائناً الخديو ، واختصهما بجعلهما وحدهما المقدمين لجميع ما يلزم للبيت الخديو من أنواع الحرير ، واقتدى به فى ذلك سراة مصر وجهائزها ، فصلحت حالهما بعد ذلك .

(٣) الح للسحاب على التبات : دام مطره عليه . والقطار : الأمطار ، الواحد قطر (بفتح فسكون) . يريد تشبيه ما يكتب فى صحفه بأنواع الزهر الغض المترعرع مما توالى عليه من الأمطار . وفى الديوان المطبوع : « نثار » مكان « قطار » .

(٤) قد سبق التعريف بصحيفة « مصباح الشرق » فى الحاشية رقم ٣ من صفحة ١٣٨ من هذا الجزء .

(٥) تهديها : أى تهدي النهى .

(٦) الأسفار : الكتب ، الواحد سفر (بكسر السين وسكون الفاء) .

(٧) اشرع يراعك : أى سدّد قلبك وصوّبه نحو الأغراض السامية .

(٨) يريد كتاب عيسى ابن هشام . ويشير بذلك إلى ما ورد من أن نبى الله عيسى عليه السلام سيفود فى آخر الزمان لهداية الناس . والموارى : المدارى الذى يبطن خلاف ما يظهر .

وَمُطَاوِلٍ فِي الْكَاتِبِينَ وَمُسَدِّعٍ فِي الْعَالَمِينَ وَمُسَوِّلٍ بِفَخَّارٍ^(١)
 أَمِنُوا يَرَاكَ حِينَ طَالَ سُكُونُهُ فَتَطَّلَعُوا لِمَرَاتِبِ الْأَشَارِ^(٢)
 إِنِّي لَأَنْظِمُ مَا نَثَرْتُ وَإِنْ يَكُنْ نَثْرُ النَّظِيمِ مَطِيئَةَ النَّشَارِ^(٣)

تقريظ كتاب مرآة العروض

المطبوع سنة ١٣٣٥ هـ تأليف الشيخ أحمد عثمان المحرزي القاضي الشرعي

(عُثْمَانُ) إِنَّكَ قَدْ أَتَيْتَ مُوَفَّقًا شَرَوَى سَمِيكَ جَامِعَ التَّنْزِيلِ^(٤)
 جَمَعْتَ أَشْهَاتَ الْقَرِيبِ وَزِدْتَهُ حُسْنًا بِهَذَا الشَّرْحِ وَالتَّنْذِيلِ
 وَجَلَوْتَ (مِرْآةَ الْعُرُوضِ) صَقِيلَةً لِلنَّيْلِ فَاسْتَوْجَبْتَ شُكْرَ النَّيْلِ

تقريظ صحيفة كوكب الشرق

لصاحبها محمد حافظ عوض بك

[نشر هذان البيان في أول عدد صدر منها في ٢١ سبتمبر سنة ١٩٢٤ م]

يَا كَوْكَبَ الشَّرْقِ أَشْرِقْ فَالْحَادِثَاتُ تَجِدُ
 لَا تَحْشَ طَالِعَ سَوَاءٍ فَكَوْكَبُ الشَّرْقِ سَعِدُ

(١) المطاول : المفاخر . والعالمين : جمع عالم (بكسر اللام) فيهما .

(٢) يقول : إن هؤلاء المدعين قد آمنوا بطش قلبك بهم حين احتجبت صحتك فنتطلعوا إلى المراتب العالية التي لم يكونوا لينطلعوا إليها لو أنك دأبت على الكتابة .

(٣) يقول : إن شعري في الحقيقة ليس إلا نظما لما نثر ، فهو مقتبس من وحي قلبك ، وإن تكن عادة الكتابثر ما ينظم الشعراء .

(٤) شروى سميك : أى مثل سميك عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه جامع القرآن .

تهنئة المقتطف^(١) بعيدها الخمسيني

[نشرت في أزل يونيو سنة ١٩٢٦ م]

شَيْخَانٍ قَدْ خَبَرَا الْوُجُودَ وَأَدْرَكَا مَا فِيهِ مِنْ حِلَلٍ وَمِنْ أَسْبَابِ^(٢)
وَأَسْتَبْطَنَا الْأَشْيَاءَ حَتَّى طَالَعَا وَجْهَ الْحَقِيقَةِ مِنْ وَرَاءِ حِجَابِ^(٣)
نَحْسُونَ عَامَا فِي الْجِهَادِ كَلَاهُمَا شَاكِي الْيَرَاعَةِ طَاهِرُ الْجِلَابِ^(٤)
لَا تَعْجَبُوا أَنْ خَضَبَا قَلْبَيْهِمَا وَبَيَاضُ شَيْبِهِمَا بَغِيرُ خَضَابِ
فَلِكُلِّ حُسْنٍ حَايَةٍ يُزْهِى بِهَا وَأَرَى الْيَرَاعَةَ حَلِيَّةَ الْكُتَابِ
إِنِّي نَظَرْتُ إِلَى الْيَرَاعَةِ فِي يَدَي فَحَسِبْتُهَا فِي الْقَدَرِ عُدَّةَ ثِقَابِ
وَنَظَرْتُهَا تَنْقُضُ مِنْ كَفَيْهِمَا فَوْقَ الطُّرُوسِ خَفَاتُهَا كِشَابِ
يُزْهِى مَدَجِّجَنَا بِرُوحٍ وَاحِدٍ وَأَرَاهُمَا لَا يُزْهِيانِ بَغَابِ^(٥)
مُتَوَاضِعَانِ وَلَا أَرَى مُتَكَبِّرًا غَيْرَ الْجَهْلُولِ مُدَنِّسًا بِالْعَابِ^(٦)

(١) أنشئت هذه المجلة في سنة ١٨٧٦ م وكان مقرها أولاً سورية ، ثم انتقلت إدارتها إلى مصر في سنة ١٨٨٥ م
(٢) يريد « بالشينين » : (الدكتور) فارس نمر باشا و (الدكتور) يعقوب صروف ؛ أما الأول منهما فزود العالم السوري المعروف عضو مجمع اللغة العربية الملكى في مصر ، ومنشئ مجلة المقتطف وجريدة المقطم مشتركاً مع صاحبه السابق ذكره في كلتا الصحيفتين . أما الثانى وهو (الدكتور) يعقوب صروف ، فولد بلبسان في سنة ١٨٥٢ م وكان (الدكتور) منقطعاً إلى تحرير المقتطف ، وانقطع (الدكتور) نمر إلى تحرير المقطم ، وكانت وفاة (الدكتور) صروف في سنة ١٩٢٧ م .

(٣) استبطننا الأشياء : اخترنا بواطنها .

(٤) شاكي اليراعة : أى ذو شوكة وحدة في قلبه .

(٥) المدجج : لابس السلاح . والغاب : جمع غابة ، وهى الشجر الكثير . و يطلق أيضاً على القصب الفارسمى تتخذ منه الأقلام . والشاعر يرمى إلى المعنيين .
(٦) الغاب : العيب .

يَجْبِأُ ذُبُّ الْقُطْرَانِ مِنْ فَضْلَيْهِمَا ذَيْلُ الْفَخَّارِ وَلَيْسَ ذَا بَعْجَابٍ ^(١)
فُهُمَا هُنَا عَلَمَانِ مِنْ أَعْلَامِنَا وَهَذَا هُنَا ذَا نَجْبَةٍ الْأَنْجَابِ
جَازًا مَدَى السَّبْعِينَ لَمْ يَتَوَانِيَا عَنْ وَصْلِ حَمْدٍ وَأَجْتَنَابِ سَبَابٍ ^(٢)
نَسَبَاهُمَا قَلْبَاهُمَا فَلَيْسَ حَبَا ذَيْلًا عَلَى الْأَحْسَابِ وَالْأَنْسَابِ ^(٣)
قَلْبَانِ مَشْرُوعَانِ ، فِي شَقِيهِمَا وَحَى يُفِيضُ عَلَى أُولَى الْأَلْبَابِ ^(٤)
مُسَانِدَانِ إِذَا أَنْحَطُوبُ تَأَلَّبَتْ مُتَعَانِقَانِ تَعَانُقَ الْأَحْبَابِ ^(٥)
نَفَحَاتُ (آذَانِ) إِذَا لَمْ يَنْظَلِمَا فَإِذَا هُنَا ظِلِبَا فَلَفْحَةُ (آبِ) ^(٦)
مَا سَوْدَا بَيْضَاءُ إِلَّا بَيْضَاءُ بِالكَاتِبَيْنِ صَحِيفَةُ الْإِعْجَابِ ^(٧)
لِلْقَصْدِ الْأَشْمَى لَدَى حَرَمِ النَّهْيِ رَفَعَا قِبَابًا حُوجِرَتْ بِقَبَابٍ ^(٨)
خَطًّا بِمُقْتَطَفِ الْعُلُومِ بَدَائِعًا وَرَوَانِعًا بَقِيَتْ عَلَى الْأَحْقَابِ ^(٩)
جَاءَنَا مِنْ كُلِّ عِلْمٍ نَافِعٌ أَوْ كُلِّ فَنٍّ مُتَمِّعٌ بُلْبَابُ
فِي كُلِّ لَفْظٍ حِكْمَةٌ مَجْلُوءَةٌ وَبِكُلِّ سَطْرِ مَهْيَطٌ لَصَوَابُ
فَاللَّفْظُ فِيهِ مَقُومٌ بِصَحِيفَةٍ وَالسَّطْرُ فِيهِ مَقُومٌ بِكِتَابِ

(١) القطران : مصروسورية .

(٢) جازوا : جازوا . الغاية .

(٣) يقال : سحب الذيل على كذا ، أى أنه لم يحفل به ولم يأبه له .

(٤) مشروعان : أى مصرعان مسددان . (٥) تألبت : تجملت وتضافرت .

(٦) آذان وآب : شهران من شهور السنة المسيحية معروفان ، وتكثر الأذهار في الأول ، ويشته الخرف في الثاني : واللفحة من قولهم : لفتحته النار والسموم (بفتح السين) : أى أحرقته بجرها .

(٧) بالكاتبين : متعلق بقوله بعد « الإعجاب » . أى لم يكتبوا بالمداد الأسود صحيفة بيضاء إلا كتبوا عند قرائنها صحيفة أخرى ملوئة بالإعجاب بها . (٨) قبابا حوجرت بقباب : أى متصلة بعضها ببعض .

(٩) الروائع من الأشياء : ما أعجبك بحسنها . والأحقاب : الدهور .

دَانِي الْقُطُوفِ كَرِيمَةِ أَفْيَاؤِهِ (١)
 ذُلُّ مَسَالِكِهِ فَأَنَّى جِئْتَهُ
 عَذْبُ الْوُرُودِ مُفْتَحِ الْأَبْوَابِ (٢)
 أَلْقَيْتَ نَفْسَكَ فِي فَيْسِجِ رَحَابِ (٣)
 تَتَسَابَقُ الْأَقْلَامُ فِيهِ وَلَا تَرَى
 مَنْ عَاثِرٍ فِيهَا وَلَا مِنْ نَابِي (٤)
 كَمْ مِنْ يَرَاعَةِ كَاتِبٍ جَالَتْ بِهِ
 وَلُعَابُهَا فِي الطَّرْسِ حُلُو رُضَابِ (٥)
 كَمْ مِنْ سُؤَالٍ فِيهِ كَانَ جَوَابُهُ
 إِلْهَامَ نَابِغَةٍ وَفَضْلَ نِخَطَابِ
 كَمْ فِيهِ مِنْ نَهْرٍ جَرَى بِطَرِيقَةٍ
 تَرِدُ النَّهْيَ مِنْهُ أَلَدَّ شَرَابِ (٦)
 وَقَفَّتْ سُقَاةُ الْفَضْلِ فِي جَنَابِهِ
 تَرَوِي النَّفُوسَ بِمُتَرَجِّ الْأَكْوَابِ (٧)
 مَاذَا أَعْدَّ وَهَذِهِ آيَاتُهُ
 فِي الْعَهْدِ تَعَجَّزَ أَمْهَرُ الْحَسَابِ
 قَدْ نَسَقَتْ وَتَأَلَّفَتْ فَكُنَّهَا
 فِي الْحُسْنِ مِثْلُ تَأْلِيفِ الْأَحْزَابِ (٨)
 وَتَرَى تَهَافُتُنَا عَالِيَهُ وَحِرْصَنَا
 فَتَخَالُ فِيهِ مَقَاعِدَ النَّوَابِ
 يَأْثُرُوهَ الْقُرَاءُ مِنْ عِلْمٍ وَمِنْ
 فَضْلِ وَمِنْ حَكَمٍ وَمِنْ آدَابِ
 الشَّرْقُ اثْبَتَ يَوْمَ عِيدِكَ أَنَّهُ
 مَا زَالَ فِي رِيٍّ وَخَضْبِ جَنَابِ
 عَادَتْ سَمَاءُ الْفَضْلِ فِيهِ فَأَطَاعَتْ
 زُهْرًا مِنَ الْأَعْلَامِ وَالْأَقْطَابِ (٩)

(١) الأفياء : الظلال ويريد بقوله : « داني القُطُوف » قرب مأخذه وسهولة الاستفادة من بحوثه .

(٢) ذل مسالكه : سهلة ممهدة . (٣) نيا يذو : كل وارتد عن المقصد

(٤) اللعاب : الريق . ويريد به هنا : المداد . والرضاب : لعاب اللسان .

(٥) النهر : مجرى الماء المعروف . ويومئ به إلى العمود من الصحيفة ، وهو استعمال صحفي معروف في هذا العصر .

(٦) المترج : المملو .

(٧) نسقت : نظمت . ويشير الشاعر بالتشبيه الذي في هذا البيت إلى ما كان في هذا العهد الذي أنشئت فيه هذه

القصيدة من تألف الأحزاب المصرية واجتماعها بعد الاقتراف ، وتكوين وزارة و (برلمان) ائتلافيين .

(٨) الزهر : النجوم .

الْعِلْمُ شَرَقْتُ تَغَافَلَ أَهْلُهُ عَنْهُ فَعَاقَبَهُمْ بِطُولِ غِيَابِ
 وَتَنَبَّهُوا لِمُصَابِهِمْ فَتَضَرَّعُوا فَعَفَا وَعَاوَدَهُمْ بِغَيْرِ عِتَابِ
 فَتَذَوَّقُوا طَعْمَ الْحَيَاةِ وَأَذْرَكُوا مَا فِي الْجَهَالَةِ مِنْ أَدَى وَتَبَابِ^(١)
 الْعِلْمُ فِي الْبِئْسَاءِ مُزْنَةٌ رَحْمَةٌ وَالْجَهْلُ فِي النَّعْمَاءِ سَوَاطِ عَذَابِ^(٢)
 وَلَعَلَّ وَرَدَ الْعِلْمُ مَا لَمْ يَرَعَهُ سَاقٍ مِنَ الْأَخْلَاقِ وَرَدُ سَرَابِ
 إِنِّي قَرَأْتُكَ فِي الْكُفُولَةِ وَالصَّبَا وَمَلَأْتُ مِنْ ثَمَرِ الْعُقُولِ وَطَابِ^(٣)
 وَأَتَيْتُ أَقْصَى بَعْضِ مَا أَوْلَيْتَنِي وَأَقُولُ فِيكَ الْحَقَّ غَيْرَ مُحَابِي
 لَوْ كُنْتُ فِي عَهْدِ الْفُتُوَّةِ لَمْ أَزَلْ لَوْهَبْتُ لِلشَّيْخِينَ بُرْدَ شَبَابِي
 لَكُنْتُ أَبْلَيْتُهُ وَطَوَيْتُهُ وَتَخَذْتُ مِنْ نَسِجِ الْمَشِيبِ ثِيَابِي
 وَأَرَى رِكَابِي حِينَ شَابَتْ لِمَتِي يَحْتَمُّهَا سَفَرٌ بِغَيْرِ إِيَابِ^(٤)
 (يَعْقُوبُ) إِنَّكَ قَدْ كَبُرْتَ وَلَمْ تَزَلْ فِي الْعِلْمِ لَا تَزْدَادُ غَيْرَ تَصَابِي
 لَاحَتْ بِرَأْسِكَ هَزَّةٌ وَلَعَلَّهَا مِنْ وَقَعِ فِكْرِكَ لِأَمِنِ الْأَعْصَابِ
 فِكْرٌ سَرِيعٌ كَرِهَ مُتَدَفِّعٌ كَتَدَفَّعَ الْأَمْوَاجَ فَوْقَ عُبابِ^(٥)
 لَا يَسْتَقِرُّ وَلَا يُحَدِّثُ نَفْسَهُ أَنْ يَنْتَنِي عَنْ جَيْئَةٍ وَذَهَابِ
 أَوْ أَنَّهَا طَرَبٌ بِنَفْسِكَ كَلَّمَا وَفَقَّتْ فِي بَحْثٍ وَكَشَفِ نِقَابِ^(٦)

(١) التَّيَاب : النقص والخسران .

(٢) المِزْنَةُ : السحابة الممثلة بالماء .

(٣) الْوُطَاب : جمع وط ، وهو في الأصل سقاء اللبن ؛ والمراد هنا : أنه ملأ فكره ونفسه .

(٤) اللَّيْلَةُ : الشعر المجاور لشحمة الأذن . ويحتملها : يسرع بها . ويريد « بالسفر » : الموت .

(٥) أَوْ أَنَّهَا : أى هزة رأسه . والنقاب : اللثام .

(٦) الْعَبَاب : معظم السيل .

أَوْ أَنَّهَا أَسْتَنْكَارُ مَا شَاهَدَتْهُ فِي النَّاسِ مِنْ لَهْوٍ وَسُوءِ مَأْبٍ
لَمْ يُلْهِكَ الْإِثْرَاءُ عَنْ طَلَبِ الْعُلَا بِالْجِدِّ لَا بَتَصِيدِ الْأَنْقَابِ^(١)
لَكَ فِي سَبِيلِ الْعِلْمِ أَجْرٌ مُجَاهِدٍ وَالصَّبْرِ أَجْرٌ مُلَازِمِ الْخِرَابِ
وَإِلَيْكَ مِنْ جُهْدِ الْمُقَلِّ قَصِيدَةٌ يُغْنِيكَ مُوجِزُهَا عَنِ الْإِسْهَابِ^(٢)
لَوْلَا السَّقَامُ وَمَا أَكْبَدُ مِنْ أَسَى لَلْحَقِّتُ فِي هَذَا الْمَجَالِ صَحَابِي^(٣)

تقریظ کتاب "فی ظلال الدموع"

لصاحبه محمد شوكت التونی

[نشر فی ٧ نوفمبر سنة ١٩٢٩ م] .

قَدْ قَرَأْنَا ظِلَالَكُمْ فَاشْتَفَيْنَا بَارَكَ اللَّهُ فِي (ظِلَالِ الدُّمُوعِ)
عَظَمَتُنَا لَدَى الْأَسَى كَيْفَ تَشْفِي مُرْسَلَاتُ الدُّمُوعِ دَاءَ الضُّلُوعِ
وَأَرْتَنَا مِنْ الْجَدِيدِ بَيَانًا لَمْ يَكُنْ قَبْلَهَا كَثِيرَ الشُّيُوعِ^(٤)
فِي طِرَازٍ كَأَنَّما نَسَقْتَهُ مِنْ مَجَانِي الرُّبَا بَنَاتُ الرَّبِيعِ^(٥)
فَعَلَى كَاتِبِ الظَّلَالِ سَلَامٌ مِنْ حَزِينٍ وَبَائِسٍ وَصَرِيعٍ

(١) الإثراء : كثرة الأموال . والجد : الاجتهاد .

(٢) المقل : الفقير . والإسهاب : الإطالة .

(٣) صحابي : أى الذين تكلموا فى هذا الحفل وأنشأوا عليها .

(٤) الجديد : أى الأدب الجديد .

(٥) نسقته : نظمته ؛ شبه بيانه بأزهار الربا فى الربيع .

الأمساجي

قال في هجاء الجرائد

[نشر في أول ديسمبر سنة ١٩١٧ م]

جَرَانِدُ مَا خُطَّ حَرْفُهَا لَغَيْرِ تَفْرِيقٍ وَتَضْلِيلِ
يَحْلُوبُهَا الْكَذِبُ لَأَرْبَابِهَا كَأَنَّهَا أَوَّلُ إِبْرِيلِ^(١)

في عيَّاب كثير العيوب

[نشر في ٢ نوفمبر سنة ١٩٢١ م]

يَا سَاكِتَ الْبَيْتِ الزَّجَا جَ هَابَتْ ، لَا تَرِمُ الْحُصُونَا^(٢)
أَرَأَيْتَ قَبْلَكَ عَارِيًّا يَبْغِي نِزَالَ الدَّارِ عَيْنَا^(٣)

في ملك ضعيف الرأي

لَا تَعْجَبُوا فَلْيَكُكُمْ أَعْبَتْ بِهِ أَيْدِي الْبِطَانَةِ وَهُوَ فِي تَضْلِيلِ
إِنِّي أَرَاهُ كَأَنَّهُ فِي رُقْعَةٍ الشَّ طَرْنَجٍ أَوْ فِي قَاعَةِ التَّمْثِيلِ

(١) أول إبريل : يوم يتلج فيه بالكذب عند بعض الإفرنج ، وكذبة إبريل معروفة

(٢) كفى بيت الزجاج عن كثرة عيوب هذا المهجور ، وأنه من اليسير على الناس فضيحه والخط من شأنه ، كما كفى بالحصون عن عكس ذلك . « وهبت : بالبناء للفاعل » ، كما قاله بعض اللغويين « وقال ثعلب : القياس « هبت » للجهول ، أي تكلت أمك . (٣) الدار عون : لا تبسو الدروع .

في رجلٍ عظيمِ البطنِ ضمِ البدنِ

عَطَلَتْ فَنَ الْكَهْرِبَاءُ فَلَمْ نَجِدْ شَيْئًا يَعُوقُ مَسِيرَهَا إِلَّا كَمَا^(١)
تَسْرَى عَلَى وَجْهِ الْبَسِيطَةِ لِحْطَةً فَتَجَوُّبُهَا وَتَجَارُ فِي أَحْشَاءِ^(٢)

وقال على لسان بعض المتصوفة^(٣)

[في محبوب نافر]

أَنْحَرِقُ الدَّقَّ لَوْ رَأَيْتُ شَكِيبًا وَأَفُضُّ الْأَذْكَارَ حَتَّى يَغِيْبَا^(٤)
هُوَ ذِكْرِي وَقَبْلَتِي وَإِمَامِي وَطَبِيبِي إِذَا دَعَوْتُ الطَّبِيبَا
لَوْ تَرَانِي وَقَدْ تَعَمَّدَتْ قَتْلِي بِالنَّائِي رَأَيْتُ شَيْخًا حَرِيبَا^(٥)
كَانَ لَا يَنْخَنِي لَغَيْرِكَ إِجْلَا لَا وَلَا يَسْتَهِي سِوَاكَ حَبِيبَا
لَا تَهَيِّنْ يَا شَكِيبُ دَبِيبِي (إِنَّمَا الشَّيْخُ مَنْ يَدِبُّ دَبِيبَا)^(٦)

(١) الكهرباء : مقصور ويمد

(٢) تسرى ، أى الكهرباء والبسيطة : الأرض . وتجوبها : تقطعها . يقول : إن أحشاءه أوسع من الأرض مسالك .

(٣) يلاحظ أننا أثبتنا هذه القصيدة في باب الهجاء لما تفيده من وصف هذا الصوفي بصفة قبيحة ؛ وهو ما يقصد إليه حافظ وإن كانت القصيدة في الغزل .

(٤) شكيب : غلام تركي زعموا أنه كان يعشق هذا المتصوف . والدق (بالضم) أو (بالفتح) ، والأوّل أفصح : نوع من الطبل معروف ، يضربون عليه في اللهو وبعض حلقات الذكر .

(٥) تعمدت : قصدت . والنائي : التباعد . والحريب : المبلوب .

(٦) الدبيب : المشى على هيئة كمشى الشيوخ ؛ ويستعمل في الزحف إنزالا . والشرط الأخير من هذا البيت يحجز

بيت لشاعر قديم ، وصارده :

زعمنى شيخنا ولست بشيخ إنما الشيخ من يدب ديبا

كم شربت المدام في حضرة الشَّيْءِ بخِ جِهَاراً وكم سقيت الحليباً
 فسلوا سُبْحَتِي ، فهل كان تَسْبِيحُ يحى فيها إلا (شكياً شكياً) ؟
 وإذا أذنف الشُّيُوخَ غَرَامُ كنتُ في حلبة الشُّيُوخِ نَقِيباً^(١)
 عُدَّ إلينا فقد أطلت التجافى وأركب البرق إن أطقَّت الركوباً
 وإذا خفت ما يُخَاف من اليمِّ فرشنا لأنحصيك أَلْقُوباً^(٢)
 ودعونا بساط صاحب بلقيد سَ فلبى دُعَاؤنا مُسْتَجِيباً^(٣)
 وأمرنا الرياح تجرى بأمرٍ منك حتى نراك مِنَّا قَرِيباً^(٤)

في بائع كتب صفيق الوجه

أديم وجهك - يازنديق - لو جعلت منه الوقاية والتجليد للكتب^(٥)
 لم يعلها عنكبوت أينما تركت ولا تخاف عليها سَطْوَةُ اللَّهَبِ

فيمن كثرت مخازيه

هنا يستغيث الطرس والنفس والذي يحط ومن يتلو ومن يتسمع^(٦)
 مخازي وما أدري إذا ما ذكرتها إلى الحمد أدعى أو إلى اللوم أدفع

(١) أدققه المرض : أنقله وأضناه .

(٢) اليم : البحر . والأنحص : ما لا يمس الأرض من باطن القدم ؛ ويراد به القدم كلها كما هنا .

(٣) بلقيس : هي ملكة سبأ ، وصاحبها هو نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام ، وقصتها مع ذلك النبي الكريم مشهورة ؛ وقد ورد ذكرها في القرآن في سورة النمل .

(٤) يريد بهذا البيت والذي قبله أننا نمهد لك وسائل الاسراع في العودة .

(٥) أديم الوجه : جلده ؛ يصف في هذا البيت وما بعده جلدة وجهه بالصفافة .

(٦) الطرس (بالكسر) : الصحيفة يكتب فيها . والنفس بكسر النون : المداد .

الأخوانية

ذكرى وتشوق

كتب بها من السودان إلى صديقه محمد بك بيرم

[نشرت في سنة ١٩٠٠ م]

أثرت بنا من الشوق القديم وذكرى ذلك العيش الرخيم^(١)
 وأيام كسوناها جمالاً وأرقصنا لها فلك النعيم
 ملأناها بنا حسناً ، فكانت — بجيد الدهر — كالعقد النظيم^(٢)
 وفتيان مسامح عليهم جلايب من الذوق السليم^(٣)
 لهم شيم الد من الأمانى وأطرب من معاطاة النديم^(٤)
 كهملك فى الخلاعة والتصايب وإن كانوا على خلق عظيم^(٥)
 دعوتهم إلى أنس فوافوا موافاة الكريم إلى الكريم
 وجاءوا كالقطا وردت نمرًا على ظمإ وهبوا كالنسيم^(٦)

(٢) الجيد : العنق .

(١) أثرت : هيجت . والعيش الرخيم : اللين الناعم .

(٣) المسامح : جمع مساح ، وهو الجواد الكريم .

(٤) الشيم : السجايا والأخلاق . والمعاطاة : المناولة ؛ ويريد بها مناولة الخمر .

(٥) كهملك : أى كزملك وإرادتك ، أى هم كما شئت من خلاعة وطو .

(٦) القطا : الحمام ، الواحدة قطاة ، ويضرب بها المثل فى الاهتداء ، فيقال : « أدل من قطاة » لأنها لا تخطئ .

الطريق ليلا فى القلاة . والماء النمر الناجع فى الرى .

وكان الليل يَمْرَحُ في شَبَابٍ وَيَأْهُو (بِالْمَجَرَّةِ) وَالنَّجُومِ^(١)
فَوَاصِلًا كُؤُوسَ الرَّاحِ حَتَّى بَدَتْ لِلْعَيْنِ أَنْوَارُ الصَّعِيرِ^(٢)
وَأَعْمَلْنَا بِهَا رَأَى (أَبْنِ هَانِي) فَأُلْحِقْنَا بِأَصْحَابِ الرَّقِيمِ^(٣)
وَوَظَّيْ مِنْ بَنِي مِصْرٍ غَرِيرٍ شَهِيَّ اللَّفْظِ ذِي خَدٍّ مَشِيمٍ^(٤)
وَلَحَظِ بَابِلِيَّ ذِي أَرْكَسَارٍ كَأَنَّ بَطْرَفَهُ سَيْبُ الْيَتِيمِ^(٥)
سَقَانَا - فِي مُنَادِمَةٍ - حَدِيثًا نَسِينَا عَنْدَهُ بِنْتَ الْكُرُومِ^(٦)
سَلَامُ اللَّهِ يَا عَهْدَ التَّصَانِي عَلَيْكَ وَفَتِيَّةَ الْعَهْدِ الْقَدِيمِ
أَحْنُ لَهُمْ وَدُونَهُمْ فَلَاةٌ كَانَ فَسِيحَهَا صَدْرُ الْحَلِيمِ^(٧)
كَأَنَّ أَدِيمَهَا أَحْشَاءُ صَبَّ قَدْ أَلْتَهَبَتْ مِنْ الْوَجْدِ الْأَلِيمِ^(٨)

(١) مَرَحَ يَمْرَحُ (وَزَانَ فَرَحَ يَفْرَحُ) : تَجَوَّزَ وَاجْتَالَ . وشباب الليل : أَوَّلُهُ . والمجرة : مجموعة نجوم كثيرة ينتشر ضوءها فيرى كأنه بقعة بياض في السماء ، وتشبه بالنهر ، فيقال : نهر المجرة . (٢) الصعير (هنا) : الصغير .

(٣) يريد أبا علي الحسن بن دافى الحكيم ، المشهور بأبي نواس من أئمة شعراء الدولة العباسية ، ولد بالبصرة سنة خمس وأربعين ومائة ، وقيل سنة ست وثلاثين ومائة . وتوفي سنة خمس وتسعين ومائة ، وقيل ثمان وتسعين ومائة ، ودفن ببغداد ، وكان كثير الحجون ، دائم التشيب ، مدمنا للخمر . وأصحاب الرقيم : هم أصحاب الكهف المذكورون في القرآن الكريم في قوله تعالى : (أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ) الآية . ويشير الشاعر بهذا البيت إلى نومهم في كهفهم ، أي مغارتهم ، مدة طويلة ، قال تعالى : (وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِمَامًا) . والرقيم : قريتهم التي خرجوا منها ، أو جبلهم الذي كان فيه الكهف . وقيل : الرقيم لوح رصاص نقش فيه نسبهم وأسمائهم وقصصهم ودينهم ، ومهربوا . يريد أنهم جروا على مذهب أبي نواس في الشرب حتى ناموا نومة أهل الكهف .

(٤) الغرير : الحديث السن القافل ، الذي لم يجرب الأمور لحداثتها . والمشييم : الذي فيه شامة ، أي خال في خده .

(٥) البابلي : نسبة إلى بابل ، وهي ناحية بالعراق ، منها الكوفة والحلة ، ينسب إليها الخمر والسحر . ويريد «باللَّحْظِ البابلي» أنه يعمل في العقول والنفوس عمل الخمر والسحر . وادكنار اللفظ : فتوره . وسجاء اليتيم : ضعفه ومذله ، لأنهما أظهر ما يكونان في اليتيم . والسجاء والسجاء : العلامة والهيئة .

(٦) بنت الكروم : الخمر ، لأنها تعصر منها . (٧) الفلاة : الصحراء الواسعة .

(٨) أديم الفلاة : وجهها وظاهرها .

كَأَنَّ سَرَابَهَا إِذْ لَاحَ فِيهَا خَدَاعٌ لَاحَ فِي وَجْهِهِ اللَّثِيمِ^(١)
 تَضَلُّ بَلِيلِهَا (لُحْبٌ) فَتَحْكِي (بِوَادِي آلِثِيهِ) أَقْوَامَ الْكَلِيمِ^(٢)
 وَتَمْشِي السَّافِيَاتُ بِهَا حَيَارَى إِذَا نُقِلَ الْهَجِيرُ عَنِ الْجَحِيمِ^(٣)
 فَمَنْ لِي أَنْ أَرَى تِلْكَ الْمَغَانِي وَمَا فِيهَا مِنَ الْحُسْنِ الْقَدِيمِ^(٤) ؟
 فَمَا حَظُّ (أَبْنِ دَاوُدَ) كَحَظِّي وَلَا أُوتِيتُ مِنْ سِلْمِ الْعَلِيمِ^(٥)
 وَلَا أَنَا مُطَلِّقٌ كَالْفِكْرِ أَسْرَى فَاسْتَبَقْتُ الضَّوْاحِكَ فِي الْغُيُومِ^(٦)
 وَلَكِنِّي مُقَيَّدَةٌ رِحَالِي بِقَيْدِ الْعُدْمِ فِي وَادِي الْهُمُومِ^(٧)
 نَزَحْتُ عَنِ الدِّيارِ أَرْوَمُ رِزْقِي وَأَضْرَبُ فِي الْمَهَامِهِ وَالْتِخُومِ^(٨)

(١) السراب : هو ما تراه نصف النهار على بعد عند اشتداد الحر (يحسبه الظمان ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا) . ويشبهون به من يطمعك ظاهره وتوأسك حقيقته .

(٢) لُحْب (بكسر اللام وسكون الهاء) : قبيلة من الأزد باليمن كانت على معرفة تامة بالنجوم تسرى على ضوئها وتعرف بها السبل ، كما كان يضرب بها المثل في العياقة والزحر . ووادى الثبي : هو القسم المنحصر بين خليج السويس وخليج العقبة من شبه جزيرة طور سيناء ، وسمى بالثبي لأن بنى إسرائيل قد تاهوا فيه أربعين سنة ، كما قص الله تعالى ذلك في القرآن الكريم . والكليم : نبى الله موسى عليه السلام . يقول : إنما بيننا من فياف لو سرت فيها لُحْب لما أفادتها خبرتها ولضلت كما ضل قوم موسى في الثبي .

(٣) السافيات الريح التي تسفى التراب ، أى تحمله وتذروه . والهجير : شدة الحر . أى أن الرياح تسير فيها حائرة لا تهتدى إلى وجهة من اتساع أقطارها ، وتبحث عن كنف من ذلك الحر الذى كأنه اقتطع من الجحيم .

(٤) المغانى : المنازل التى غنى بها أهلها : أى أقاموا ، الواحد مغنى (بفتح الميم وسكون الغين) .

(٥) ابن داود : هو نبى الله سليمان بن داود صلوات الله عليهما وسلامه . والمعنى أنه لم يؤت من الحظ ما أوتى سليمان بن داود من تسخير الرياح والجن لأمره ، فيحملانه إلى تلك المغانى والمنازل التى يتشوق إلى رؤيتها والإقامة فيها .

(٦) « أستبق الضواحك » الخ : أسبق البروق فى السحب ، أى أجاوزها وأخلفها ورائى .

(٧) العدم : الفقر .

(٨) نزحت : بعدت . وضرب فى الأرض : خرج فيها ساعيا ، والمهامه : جمع مهمه وبهممة . وهى المفازة البعيدة المتسعة . والتخوم : الحدود بين الأرضين .

وما غادرتُ في السودان قفراً ولم أَصْبَغْ بِتُرْبَتِهِ أَدِيمِي^(١)
 وهاناً بينَ أنيابِ المنايا وتحتَ برائنِ الخطبِ الجسيمِ^(٢)
 ولولا سورةٌ للمجدِ عندي قنيتُ بعيشتي قنعَ الظلِّيمِ^(٣)

*
* *

أيابنَ الأكرمينَ أباً وجداً ويابنَ عَصَادَةِ الدِّينِ الْقَوِيمِ^(٤)
 أقامَ لديننا أَهْلُوكَ رُكْنًا له نَسَبٌ إِلَى رُكْنِ الْحَطِيمِ^(٥)
 فما طافَ العُفَاةُ بهِ وعادوا بغيرِ العَسْجَدِيَّةِ وَاللَّطِيمِ^(٦)

(١) الأديم : الجلد . يريد أنه لم يترك قفراً في السودان إلا خلط جلده بترابه . فقونه : « لم أصبغ » الخ : صفة لقونه « قفراً » ، واقتران جملة الصفة بالوار كما هنا غير مقيس ، وزادتها لتأكيد نصوح الصفة بالموصوف ، ومنه قوله تعالى : (وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم) .

(٢) المعروف المشهور « هانذا » إلا أن مثل هذا ورد في الشعر ، ومنه قوله :

فهاناً نائب عن حب ليسلى فمالك كلما ذكرت تذوب

والبرائن : مخالب الأسد ، الواحد برئ (بضم الباء ، والياء وسكون ما بينهما) .

(٣) سورة المجد : أثره وأمارته . والظالم : ذكر النعام . وقد ضرب الشاعر قناعة النعام مثلاً في الاكتفاء بأقل القوت ولو كان مملاً يقتات به ، وذلك لأن النعام يقتات بما يجده في القلاة من الحصى والحجارة إذا أعوزته القوت وعز عليه الكلاء .

(٤) العصادة : الذي يعاضدك أي يعاونك .

(٥) الحطيم : حجر الكعبة ؛ أو هو ما بين الركن والمقام .

(٦) العفاة : طلاب الأرزاق والمعروف ، مفردة العافي . والعسجدية : الإبل التي تحمل العسجد أي الذهب . واللطيم : الإبل التي تحمل الطيب والبز ، واحده لطيمة . أي ما قصد أهلك قاصد لإلحاده منقلاً بالعطاء من ذهب وثياب .

أَتَيْتُكَ وَالْخُطُوبُ تُزِفُ رَحْلِي وَلِي حَالٌ أَرْقُ مِنَ السَّدِيمِ^(١)
 وَقَدْ أَصْبَحْتُ مِنْ سَعْيِي وَكَدْحِي عَلَى الْأَرْزَاقِ كَالثُّوبِ الرَّدِيمِ^(٢)
 فَلَا تُخْلُقْ - فُديتَ - أَدِيمَ وَجْهِهِ وَلَا تَقْطَعْ مُوَاصِلَةَ الْجَسِيمِ^(٣)

عتاب محمد البابلي بك^(٤)

[نشرت في سنة ١٩٠٠ م]

أُنْحِ وَاللَّهِ قَدْ مَلِئْتُ الْوِطَابُ وَدَاخَلَنِي بُصْحَبَتِكَ أَرْتِيَابُ^(٥)
 رَجَوْتُكَ مَرَّةً وَعَتَبْتُ أُخْرَى فَلَا أَجْدَى الرَّجَاءِ وَلَا الْعِتَابُ^(٦)
 نَبَذْتُ مَوَدَّتِي فَأَهْنَأُ بِبُعْدِي فَأَخِرُ عَهْدِنَا هَذَا الْعِتَابُ

(١) تزف رجلي : أى تحملني على الإصراع إليك ؛ يقال : أزفه : إذا حملاه على الزفيف ، وهو الإسراع . ويجوز أن يقرأ تزف (بفتح التاء وضم الزاي) على سبيل التشبيه بنفاف العريس ، وهو إهداؤها . السديم : الضباب الرقيق ، جمعه سدم (بضمين) .

(٢) الكدح : هو الدهوب في طلب الرزق وكسبه بمشقة . والرديم : الثوب الخلق البالي .

(٣) تخلق : من أخلق الثوب إذا أبلاه . وأديم الوجه : جلده . وإخلاق أديم الوجه : كناية عن إذلاله وابتذال حياته بالإلحاف في المسألة . والجم : الصديق . جمعه أحماء (بكسر الحاء وتشديد الميم) .

(٤) هو محمد البابلي بن عبده البابلي بك الذي كان من كبار تجار الجواهر في مصر ؛ وقد أدخل ولديه محمداً وأحمد في مدرسة الشرطة (البوليس) ، وبعد إتمامهما الدراسة بها ألحقا ببعض الأعمال في الحكومة المصرية ، ولكنهما لم يمكنا طويلا حتى تركا الحكومة وتفرغا لأعمالهما ؛ واشتهر محمد بفارقه وفكاهته الحلوة حتى إن بعض الأدباء قد جمع كتابا منعا في نكتته وطرائفه ؛ وكان من أصدقاء حافظ الملازمين له ؛ وكانت وفاته في سنة ١٩٢٤ م .

(٥) الوطاب : جمع وطب (بالفتح) ، وهو في الأصل سقاء اللبن ؛ والمراد أنه قد أكثر من فعل ما يريب حتى امتلأت نفسه بالشك في صدق مودته .

(٦) أجدى : تقع .

بين حافظ وداود عمون

بحث حافظ بهذه القصيدة إلى داود عمون بك الشاعر اللبناني والمحامي المعروف
فأجابه عليها بقصيدة تأتي بعد

[نشرت في ٢٦ مارس سنة ١٩٠٢ م]

شَجَنَّا مَطَالِيعَ أَقْصَارِهَا فَسَالَتْ نُفُوسٌ لَتَذْكَارِهَا^(١)
وَبَنَّا نَحْنُ لِمَسَلِكِ الْقُصُورِ وَأَهْلُ الْقُصُورِ وَزُؤَارِهَا
قُصُورٌ كَأَنَّ بُرُوجَ السَّمَاءِ خُدُورُ الْغَوَايِ بِأَدْوَارِهَا^(٢)
ذَكَرْنَا حِمَاهَا وَبَيْنَ الضُّلُوعِ قُلُوبٌ تَلْظِي عَلَى نَارِهَا^(٣)
فَمَرَّتْ بِأَرْوَاحِنَا هَزَّةٌ هِيَ الْكَهْرَبَاءُ بِتَيَّارِهَا
وَأَرْضٌ كَسَتْهَا كِرَامُ الشُّهُورِ حَرَائِرٌ مِنْ نَسِجِ (آذَارِهَا)^(٤)
إِذَا نَقَطَتْهَا أَكْغُفُ الْغَمَامِ أَرَتَكَ الدَّرَارِي بِأَزْهَارِهَا^(٥)
وَإِنْ طَالَعَتَا ذُكَاؤَ الصَّبَاحِ أَرَتَكَ الْجُحَيْنَ بِأَنْهَارِهَا^(٦)

(١) شَجَنَّا : أطر بقنا وشوقتنا : وسالت نفوس : أى ذابت من اللوعة والشوق . والضمير فى قوله : « أقارها »
و « تذكارها » : للقصور فى البيت التالى .

(٢) يشبه خدور الغوايى ، أى حيث يستترن بروج السماء فى الامتناع على من رامها . وأدوار القصور : طبقاتها ،
وهو استعمال عامى . (٣) تلظى : تتلظى ، أى تحترق .

(٤) وأرض (بالرفع) : عطف على قوله فى البيت الثالث : « قصور » وآذار : الشهر الثالث من السنة المسيحية ،
وهو شهر تكثرفه الأزهار .

(٥) الدرارى (بتشديد الباء ، وخففها الشاعر لضرورة الوزن) : الكواكب المتوقدة المتلائلة ، الواحد درى
(بتشديد الباء بعد الراء المشددة) . يقول إن هذه الأرض إذا أمطرها السحاب أنبتت من الأزهار ما يشبه الكواكب
فى إشراقها ولعانها .

(٦) ذكاء : الشمس . والجحين : الفضة . يقول : إذا طلعت الشمس على هذه الأرض بدت أنهارها تحت الشعاع
كلانها الفضة فى صفاتها وبريقها .

وإن هبَّ فيها نسيمُ الأصيل أتاكَ النَّسيمُ بأخبارِها^(١)
 وخلُّ أقامَ بأرضِ الشَّامِ فباتتَ تدلُّ على جارِها^(٢)
 وأصحتَ تتيهُ ربَّ القريض كتبه البوادي بأشعارِها
 ولنيلِ أولى بذاك الدَّلال ومضُّ أحقُّ (ببشارِها)
 فشمرَ وعجلَ إليها المآب وخلَّ الشَّامَ لأقدارِها^(٣)
 فكيفَ لعمري أطقَّ المَقام بأرضٍ تضيقُ بأحرارِها ؟
 وأنتَ المشمرُّ إثرَ المظالِ ثمَّ تسعى إلى محو آثارِها
 ثارتَ اللَّيالي وأقعدتها بمصقولِ عزيمك عن ثارِها^(٤)
 إذا ثرتَ ماجت هضابُ الشَّامِ وباتتَ تَراعى بُؤارِها^(٥)
 أَلستَ فتَاها ومُختارِها وشبلَ فَاها ومُختارِها ؟^(٦)
 وإن قلتَ أصغتَ ملوكُ الكلام ومالتَ إليك بأبصارِها

(١) الأصيل : وقت ما بعد العصر إلى المغرب . يقول : إن النسيم ذاهب على هذه الأرض حل من طيبها وروائحها العطرة ما يدل على ما فيها من الأزهار والرياحين .

(٢) يريد بالخل : داود بك المدوح . وتدل : من الدل وهو معروف . ويريد « بجارها » : وادي النيل .

(٣) المآب : الرجوع .

(٤) المصقول من السيوف : المجتزؤ . ومعنى البيت أنه جعل الليالى عنده ثأرا بانتصاره على أحداثها ونوائبها ، ثم أعجزها عن طلب ثأرها بمضاء عزيمه .

(٥) تراعى : تترامى .

(٦) الشبل : ولد الأسد .

أ (داود) حَسْبُكَ أَنَّ الْمَعَالِ سِىَ تَحْسَبُ دَارَكَ فِي دَارِهَا
وَأَنْتَ عَمَّا تَرَى هَذَا الْوُجُودَ تَبُوحُ إِلَيْكَ بِأَسْرَارِهَا
وَأَنْتَ إِذَا حَلَلْتَ الشَّامَ رَأَيْتَكَ جُذُوعَ أَفْكَارِهَا^(١)
وَأِنْ كُنْتَ فِي مِصْرَ نَعِمَ النَّصِيرِ إِذَا مَا أَهَابَتْ بِأَنْصَارِهَا^(٢)

أبيات داود (بك) التي أجاب بها حافظاً

أَمِنْ ذِكْرِ سَلَمَى وَتَذْكَارِهَا نَثَرَتِ الدُّمُوعَ عَلَى دَارِهَا^(٣)
وَعِثَّتِ الْقُصُورَ لِأَجْلِ الطُّلُولِ تُطَالِعُ طَامِسَ آثَارِهَا^(٤)
وَقَفَّتْ بِهَا لَيْلَتِي نَاشِداً عَسَاهَا تَبُوحُ بِأَسْرَارِهَا^(٥)
وَلَلدَّارِ أَنْطَقُ آيَاتِهَا مِنْ الرَّاوِيَاتِ وَأَخْبَارِهَا^(٦)
تُعِيدُ عَلَيْكَ لَيْلَى الْحُمَى بِأَنْجُمِهَا وَبِأَفْئَارِهَا
سَلَامَ عَلَيْكَ زَمَانَ الشَّبَابِ رَبِيعَ الْحَيَاةِ بِآذَارِهَا^(٧)
لَأَنْتَ مُخَفِّفُ أَحْزَانِهَا وَأَنْتَ مُسَوِّغُ أَكْذَارِهَا^(٨)

(١) الجذوة (بتثنية الجيم) : الجمرة الملتببة .

(٢) أهَابَ بِهِ : دَءَاهَ .

(٣) يلاحظ أن التذكار هو نفس الذكر ؛ فالجمع بينهما تكرر ظاهر .

(٤) عاف الشيء : رغب عنه وزهد فيه . وتطالع : تنظر . والطامس من آثار الديار وغيرها : ما اندثر منها واهى .

(٥) الناشد : السائل .

(٦) أنطق آياتها : أى آثارها أنطق ؛ وفي هذه العبارة نبؤ واضطراب ظاهران ؛ ومعنى البيت أن آثار الديار أوضح

بيناها عن أنباء من سكنوها من يحدث عنها ويروى أخبارها .

(٧) شبه زمن الشباب بالربيع ، وهو أنضف فصول السنة .

(٨) مسوغ أكذارها : أى مسهل وقع مصائبها وأحزانها .

وَلَوْلَا الشَّبَابُ وَذِكْرَى الشَّبَابِ لَعَاشَ الْفَتَى عُمَرَهُ كَارَهَا
 قَطَفْنَا الْحَيَاةَ بِهِ حُلْوَةً وَقَدْ جَاءَ إِبَّانٌ إِمْرَارَهَا ^(١)
 أَطَوَّفُ فِي الشَّرْقِ عَلَى أَرَى بِسَلَادًا تَطِيبُ لِأَحْرَارَهَا
 فَلَمْ أَرَ إِلَّا أُمُورًا تَسُوءُ وَتَصْدَعُ أَكْبَادَ نُظَارَهَا
 فَظُلْمٌ بِتِلْكَ وَذُلٌّ بِهَذِي وَجَهْلٌ مُغَشٌّ لِأَبْصَارَهَا ^(٢)
 تَعَقُّ مَرَاحِمَ رُغِيَانِهَا وَتَرْعَى الْوَلَاءَ بِحَزَارَهَا ^(٣)
 إِذَا شَاءَ (قَاسِمُ) رَفَعَ الْحِجَابَ تُسَمِّيهِ هَاتِكَ أَسْتَارَهَا ^(٤)
 فَلَا قَوْلَ إِلَّا لِحُمَاهَا وَلَا رَأَى إِلَّا لِأَغْرَارَهَا ^(٥)
 يَدِبُ التَّرَانِجِي عَلَى تَرْبِهَا وَيَجْرِي الْخَمُولُ بِأَنْهَارَهَا
 مَنَالُ التَّرْقِي بِإِرْغَامِهَا وَمَرْجَى الْفَلَاحِ بِإِجْبَارَهَا ^(٦)
 أَهَذَا الَّذِي أَوْرَثَتْ أَهْلَهَا بِسَلَادُ الْعُلُومِ وَأَنْوَارَهَا ؟

*
* *

عَدِمْتُ حَيَاتِي إِذَا لَمْ أَقِفْ حَيَاتِي عَلَى نَفْعِ أَمْصَارَهَا
 أ(حَافِظُ) هَذَا مَجَالُ الْعُلَا فَشَمَّرُ لَسَبْقِي بِمَضَارَهَا

- (١) إِبَّانُ الشَّيْءِ : وَفَتْهُ .
- (٢) مَغَشٌّ لِأَبْصَارِهَا : أَيْ يَحْجِبُهَا بِغِشَاوَةٍ .
- (٣) الْوَلَاءُ الْحُبُّ . يَرِيدُ أَنْ الْأُمَّ الشَّرْقِيَّةَ تَجْعِدَ الْجَبِيلَ لِأَنْصَارِهَا وَأَوْلِيَائِهَا ، وَتَسْدِيَ الْمَوَدَّةَ لِنُصُومِهَا وَأَعْدَائِهَا .
- (٤) يَرِيدُ الْمَرْحُومَ قَاسِمَ بَكْ أَمِينٍ . وَقَدْ مَنَعَهُ مِنَ الصَّرْفِ هُنَا لِمُضَرَّةِ الْوِزْنِ . وَيُشِيرُ بِهَذَا الْبَيْتِ إِلَى رَأْيِ قَاسِمِ أَمِينٍ فِي حُرِيَةِ الْمَرْأَةِ وَمَا لِقَبِهِ فِي سَبِيلِ ذَلِكَ مِنَ النِّقْدِ الشَّدِيدِ .
- (٥) الْأَغْرَارُ : الَّذِينَ لَا تَجْرِبَةُ لَهُمْ ، وَاحِدُهُ غَرٌّ (بِكْسْرِ الْغَيْنِ وَتَشْدِيدِ الرَّاءِ) .
- (٦) يَرِيدُ أَنْ الرِّقَّ وَالْفَلَاحَ لِنَسَائِنَا لَهَا فِي هَذِهِ الْأُمِّ الشَّرْقِيَّةِ مِنْ أَطَاعِ الْمُسْتَعْمَرِينَ فِي إِرْغَامِهَا عَلَى مَا تَكْرَهُ وَلِمَا كَرَاهِهَا عَلَى مَا لَا تَحِبُّ .

أَشَوْقِي (أ) حَافِظُ طَالَ السُّكُوتُ وَتَرَكُ الْأُمُورَ لَأَقْدَارِهَا
فَصُورَغَا الْقَوَافِي مَضْقُولَةً وَشُقَّهَا الْجُلُودَ بَبْتَارِهَا^(١)
عَسَاةَا تُحَرِّكُ أَوْطَانَنَا وَتَنْشُرُ مَيِّتَ أَحْيَائِهَا^(٢)
أَقُولُ وَأَعْلَمُ أَنِّي سَأُرْمَى بِأَنِّي مُحَرِّكُ ثُؤَارِهَا
وَأَنِّي الدَّخِيلُ وَأَنِّي الْغَرِيبُ وَأَنِّي النَّصِيرُ لِقَهَّارِهَا^(٣)
أُحِبُّ بِلَادِي عَلَى رَغْمِهَا وَإِنِّ لَمْ يَتَنَّنِي سِوَى عَارِهَا
وَلَسْتُ بِأَوَّلِ ذِي هِمَّةٍ تَصْدَى الزَّمَانُ لِإِنْكَارِهَا^(٤)

إلى إسماعيل صبري باشا^(٥)

عند استقالته من وكالة الحقانية (وزارة العدل)

[نشرت في ٩ فبراير سنة ١٩٠٧ م]

يَا صَارِمًا أَنْفَ الثَّوَاءِ بَغْمِهِ وَأَبَى الْقَرَارِ ، أَلَا تَزَالُ صَقِيلًا^(٦)
فَالْبَيْضُ تَصْدَأُ فِي الْجُفُونِ إِذَا ثَوَّتْ وَالْمَاءُ يَأْسِنُ إِنْ أَقَامَ طَوِيلًا^(٧)

(١) المصقولة : الصافية المحلوة . والبتار من السيوف والبار : القاطع منها .

(٢) نشر الميت وأشره : أحياه . ويلاحظ أن هنا غلطا في حرف الروي ، إذ عدل الشاعر في هذا البيت عن الراء إلى الهمز ، ولو قال أخبارها لاستقام البيت .

(٣) الدخيل في القوم : الداخل فيهم المنتسب إليهم وليس منهم . (٤) تصدى : تعرض .

(٥) ولد المرحوم إسماعيل صبري باشا في سنة ١٨٥٤ م وبعد أن أخذ حظه من التعلم في مصر ونال شهادة الحقوق سافر إلى أوربة فأتم علومه القانونية هناك ؛ ونال الشهادة من كلية لاكس ، وبعد عودته إلى مصر تولى عدة مناصب قضائية وإدارية ، وآخر منصب تولاه وكرّاه للحقانية ، واعتزله في سنة ١٩٠٧ م وكانت وفاته في مارس سنة ١٩٢٣ م وشعره معروف بالبرقة ولطف الصياغة وجودة النسيب ، كما اشتهر بالإجادة في المقطعات الصغيرة . وله ديوان قيم جمعه صاحب الغزة صهره حسن رفعت بك ، وصححه العالم الأديب الشيخ أحمد الزين ، ونشرته لجنة التأليف والترجمة والنشر سنة ١٩٣٨ م .

(٦) الصارم : السيف القاطع . والثواء : الإقامة . والصقيل : المحلول ؛ يقال : صقله يصقله (بضم القاف) صقلا وصقلا ، إذا جلده وكشف صدأه . شبه صبريا بالسيف القاطع المحلول ، ومنصبه الحكومي بالعمد الذي يستقر فيه السيف .

(٧) البيض : وصف يكنى به عن السيف . وجفون السيوف : أغمارها ، الواحد جفن . وثوت : أقامت . وأسْن الماء (من باب ضرب ونصر وعلم) فهو آسن : تغير فلم يشرب .

أَهْلًا بِمَوْلَايَ الرَّئِيسِ وَلَيْسَ مِنْ شَرَفِ الرَّأْسَةِ أَنَّ أُرَاكَ وَكَيْلًا^(١)
 فَاطْرَحْ مَعَاذِيرَ السُّكُوتِ وَقُلْ لَنَا هَلَّا وَجَدْتَ إِلَى السَّكَلَامِ سَبِيلًا؟
 وَأَضْرِبْ عَلَى الْوَتْرِ الَّذِي أَهْتَزَّتْ لَهُ أَعْطَافُنَا زَمَنًا ، وَغَنِّ النِّسْلَا^(٢)
 وَارْدُدْ عَلَى مُلْكِ الْقَرِيضِ جَمَالَهُ تَصْنَعُ بِصَاحِبِكَ الْقَدِيمِ جَمِيلًا^(٣)
 مَا زَالِ يَرْجُو أَنْ يُقَالَ عَثَارُهُ حَتَّى أَقَالَ اللَّهُ (إِسْمَاعِيلًا)^(٤)

ذكرى وتشوق

كتب بها إلى صديقه أحمد بك بدر وهو في كلية أدنبره بإنجلترا

[نشرت في ١٥ يولييه سنة ١٩٠٨ م]

مَلِكْتُ عَلَى مَذَاهِبِي وَعَصَانِي الطَّبْعُ السَّلِيمُ^(٥)
 وَجَفًا يَرَاعِي الصَّاحِبَا نِ فَلَا التَّثِيرُ وَلَا النَّظِيمُ
 أَشَقِي وَأَكْتُمُ شَقَوَتِي وَاللَّهُ بِي وَبِهَا عَلِيمُ
 حَلِمُ الْأَدِيمِ وَمَا الَّذِي أَرْجُو وَقَدْ حَلِمُ الْأَدِيمِ^(٦)

(١) وكَيْلًا : يريد وكالة ممدوحه لوزارة الحَقَانِيَّة ، وهي آخر المناصب التي تولّاها .

(٢) الأعطاف : الجوانب ، الواحد عطف .

(٣) يريد « بصاحبه القديم » : الشعر .

(٤) يقال : أقلت فلانا عثرته وأقلته منها ، أى عفوت عنه ودفعت عنه شر ما كان يتوقع بسببها . ويريد بالإفالة

الثانية : تخلى ممدوحه عن منصبه . وأصل الإفالة في البيع فسخه والتحلل مما يوجبه عقده .

(٥) ملكت عليه مذاهبه : أى سدت عليه سبل القول .

(٦) حلم الأديم : مثل بضرب في فساد الأمر حتى لا يرجى صلاحه . والأديم : الجلد ؛ يقال : حلم الأديم يحلم

(وزان علم يعلم) ، إذا وقع فيه الحلم (بالتحريك) ، وهو دود يقع فيه حتى يفسد ويتغيب .

لا مِصْرُ تَنْصِفُنِي ، ولا أنا عَنْ مَوَدَّتِهَا أَرِيمُ^(١)
 وإذا تَحَوَّلَ بَأْسُ عَنْ رَبِّعِهَا فَأَنَا الْمُقِيمُ
 فِيهَا صَحْبُكَ وَأَصْطَفِي تَكَ أَيُّهَا الْخَلُّ الْحَمِيمُ
 أَنَا مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ خَبَرَ تَ وَمَنْ مَوَدَّتَهُ تَدُومُ
 لِلَّهِ ذِيَاكَ الْجَوَا رُوذُكَ الْعَيْشُ الرَّخِيمُ^(٢)
 بِالْجَانِبِ الْغَرْبِيِّ فَوُ قَ النَّيْلِ وَالْدُّنْيَا نَعِيمُ
 أَيَّامَ يَعْرِفُنَا السُّرُ رَبِّهَا وَتُنْكُرُنَا الْهُمُومُ
 أَيَّامَ تَلَهُو بِالظُّبَا ءِ وَفِي مَسَارِحِهَا نَهِيمُ^(٣)
 لَا أَنْتَ تُصْنِي لِلْعَدُو لَ وَلَا أَبَالِي مَنْ يَلُومُ
 لِلَّهِ أُنْدِيَّةٌ لَنَا قَدْ زَانَهَا أَنْخَلَقُ الْكَرِيمُ
 لَمْ يَغْشَهَا وَغَدٌ وَلَمْ يَنْزِلْ بِسَاحَتِهَا لَيْمُ
 تَمْشِي الْخَلَاعَةُ فِي نَوَا حِيهَا تُرَاقِبُهَا الْحُلُومُ^(٤)
 لَهْوٌ كَمَا شَاءَ الصُّبَا وَجِئَا كَمَا شَاءَ الْحَكِيمُ^(٥)
 وَمُدَامَةٌ يَسْعَى بِهَا مُتَادِبٌ وَيَطُوفُ رِيمُ^(٦)
 يَجْرَى عَلَى كَاسَاتِهَا أُنْسٌ يَخْفُ لَهُ الْحَلِيمُ

(١) أريم : اللين الرغد .

(١) أريم : أتحوّل .

(٣) المسارح : المراعى ، الواحد مسرح .

(٤) الحلوم : العقول ، الواحد حلم . ويريد بقوله : «تراقبها الحلوم» : أن هذه الخلاعة لم يتجاوز فيها الحد .

(٦) الريم : الظبي الخالص البياض ، شبه به الساق .

(٥) الجوا : العقل .

لَا تَشْتَكِي مِنَّا ، وَلَا يَشْكُو عَوَاقِبَهَا النَّدِيمُ
 وَالنَّيْلُ مِرَاةٌ تَنْفَسُ فِي صَحِيفَتِهَا النَّسِيمُ
 سَلَبَ السَّمَاءَ نُجُومَهَا فَهَوَتْ بُلْجَتُهُ تَعُومُ^(١)
 نُشِرَتْ عَلَيْهِ غَلَالَةٌ بَيضاءُ حَاكَتْهَا الْغَيُومُ^(٢)
 شَفَّتْ لَأَعْيُنِنَا سِوَى مَا شَابَهُ مِنْهَا الْأَدِيمُ^(٣)
 وَكَانَتْ فَوْقَ السَّمَاءِ وَتَحْتَنَا ذَاكَ السَّدِيمُ^(٤)
 تَجْرَى الْحَوَادِثُ حَيْثُ تَجْرِي لَا نُضَامُ وَلَا نُضِيمُ
 لَا الصُّبْحُ يُزِجُّنَا بَاءً بَاءً الزَّمَانُ وَلَا الصَّرِيمُ^(٥)
 يَأْلَيْتَ شِعْرِي ! كَيْفَ أَزْ تَ وَكَيْفَ حَالُكَ يَا زَعِيمُ؟
 أَمَّا أَنَا فَكَمَا أَنَا أَيْلَى كَمَا يَيْلَى الرَّدِيمُ^(٦)
 لَا خِلَ بَعْدَكَ مُؤَنَسٌ نَفْسِي وَلَا قَلْبٌ رَحِيمُ
 كَادَ الزَّمَانُ لَنَا ، وَلَا عَجَبٌ إِذَا كَادَ الْغَرِيمُ^(٧)
 أَمْسَى أَحْتَوَاكَ الزَّمْهَرِيُّ رُوْظَلٌ يَصْهَرُنِي الْجَحِيمُ^(٨)

(١) يريد بهذا البيت أن نجوم السماء قد تمتلئت على صفحته لصفاء مائة .

(٢) الغلالة (بالكسر) : ثوب رقيق . وحاكها : نسجها .

(٣) شفت : رقت . وشابه : خالطه ومازجه . « ويريد بالأديم » أديم السماء ، أى ظاهرها يقول : إن هذه الغلالة تمتلئت على صفحة الماء كاللؤلؤ المنزق . وكانت الغيوم قطعاً في السماء ، فإذا صادف من وجه الماء انعكاس غيم كان شفافاً يبين ما تحته ، وما صادف منه أديم السماء بدا غير شفاف .

(٤) السديم : الضباب الرقيق ، شبه به البحر الذي يجري من تحتهم .

(٥) الصريم : الليل . (٦) الرديم : الثوب القديم .

(٧) الغريم : الخضم . (٨) الزمهرير : شدة البرد . ويريد بالزمهرير : شدة البرد في أسكندرية .

فَشْرَبُكَ الْمَاءُ الشَّنَا نَ ، وَشَرِبِي الْمَاءَ الْحَمِيمُ^(١)
 وَمُنَاكَ لَوْ طَلَعَتْ ذُكَا ءُ عَلَيْكَ فِي يَوْمٍ يَصُومُ^(٢)
 وَمُنَايَ لَوْ مُحِقَتْ ذُكَا ءُ وَغَالَمَا لَيْلٌ بِهِمُ^(٣)
 فَلَيْتِي الْحَرُّ الْآلِي مَ وَخَطْبُكَ الْقُرُّ الْآلِيمُ^(٤)
 فَكَاثَنِي فِرْعَوْنُ مِصْرَ رَ وَأَنْتَ شَيْطَانُ رَجِيمُ^(٥)
 فَأَبَعْتُ إِلَى بَنَفْحَةٍ بَرْدًا بِهَا يَحْدُو الْهَزِيمُ^(٦)
 أَبَعْتُ إِلَيْكَ بِلَفْحَةٍ حَرِّي بِهَا تَجْرِي السُّمُومُ^(٧)
 أَمَّا تَحْمِيْنَا إِلَيَّ لَكَ فَسَوْفَ يَشْرَحُهَا الرَّقِيمُ

شكر

أشيد هذه القصيدة في فندق الكونتنتال في الحفل الذي أقيم لتكريمه

في يوم الجمعة ٣١ مايو ١٩١٢ م

مَلَكْتُمْ عَلَى عَنَانِ الْخُطْبِ وَجَزَيْتُمْ بِقَدْرِي سَمَاءَ الرُّتَبِ
 قَنْ أَنَا بَيْنَ مُلُوكِ الْكَلَامِ ؟ وَمَنْ أَنَا بَيْنَ كِرَامِ الْحَسَبِ ؟

(١) الماء الشنان (بالضم) : البارد . والماء الحميم : الحار .

(٢) ذكاه (بالضم) : اسم الشمس ، غير منصرف للعلمية والتأنيث . ويقال : صام النهار : إذا قام قائم الظهيرة واعتدل ، ويقال : صامت الشمس (أيضا) إذا استوت .

(٣) ليل بهيم : مظلم . (٤) القر (بالضم) : البرد .

(٥) شبه الشاعر نفسه بفرعون مصر ، لأنه يعذب بالنار ، وصديقه بالشيطان الرجيم ، لأن الشيطان ناري الطبع يعذب بالزهرير .

(٦) البرد : إحب الغمام ، وهو مفعول « يحدو » . يقول : أهد إلى قهقهة من جؤ بلادكم بردا يسبقه رعد . ويحدو ، من الحداء ، « والهزيم : الرعد » . (٧) السموم : الريح الحارة . ولقحتها ، إحقاها .

أَسْعَى إِلَى حِمَاةِ الْقَرِيضِ ؟ وَتَمْشِي إِلَى سَرَاةِ الْعَرَبِ ؟^(١)
 وَتَنْظِمُ فِي عُقُودِ الْجُمَانِ وَتَنْثُرُ فَوْقَ نِشَارِ الذَّهَبِ ؟^(٢)
 وَأُكْرِمَ حَتَّى كَأَنِّي نَبَغْتُ وَقُتُّ لِمَصْرَ بِمَا قَدْ وَجَبْتُ ؟
 فَمَاذَا أَتَيْتُ مِنَ الْبَاقِيَاتِ ؟ ! وَهَذَا شَبَابِي ضَيَاعًا ذَهَبُ !
 عَمِلْتُ لِقَوْمِي جُهْدَ الْمُقِلِّ عَلَى أَنَّهُ عَمَلٌ مُقْتَضِبٌ^(٣)
 فَلَمْ يَغْنِ شَيْئًا وَلَمْ يُجِدِهِمْ وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا بِقَاءَ الْحَبِّ^(٤)
 وَهَلْ أَنَا إِلَّا أَمْرُؤُ شَاعِرٌ كَثِيرُ الْأَمَانِي قَلِيلُ النَّشْبِ^(٥)
 يَقُولُ وَيُطْرِبُ أَتْرَابَهُ وَيَقْنَعُ مِنْهُمْ بِذَاكَ الطَّرْبِ^(٦)
 تَعَلَّقْتُ حِينًا بِذَيْلِ الْبَيَانِ وَأَدْخَلْتُ نَفْسِي فِيمَنْ كَتَبَ
 فَلَا السَّيْقُ لِي فِي مَجَالِ النُّهَى وَلَا لِي يَوْمَ الْفَخَارِ الْغَلَبُ
 وَلَا أَنَا مِنْ عَلَيْهِ الْكَاتِبِينَ وَلَا أَنَا بِالشَّاعِرِ الْمُنْتَخَبِ
 وَلَكِنْ سَمَابِي عَظُفُ الْأَمِيرِ وَرَأْيُ الْوَزِيرِ وَفَضْلُ الْأَدَبِ^(٧)

(١) حماة القريض : رجال الشعر . والسراة : جمع سرى ، وهو الرفيع القدر من الناس .

(٢) الجمان : اللؤلؤ ، الواحدة جمانة . شبه به وبنثر الذهب ما قيل من الشعر والخطب في مدحه والثناء على أدبه .

(٣) مقتضب : المتقطع قبل التمام .

(٤) الحب : الفقايع التي تكون على سطح الماء ، ويشبه به زوال الشيء بسرعة .

(٥) النشب : المال .

(٦) أترابه : أمثاله في السن ، الواحد ترب (بكسر الناء وسكون الراء) .

(٧) يريد « بالوزير » : أحمد حشمت باشا وزير المعارف إذ ذاك . ولد في كفر المصيلحة من إقليم المنوفية في (سنة ١٢٧٥ هـ) (سنة ١٨٥٨ م) وبعد أن أتم علومه ونال شهادة الحقوق تولى عدة مناصب قضائية وإدارية في الحكومة المصرية ، وآخر المناصب التي تولها نظارته للمعارف العمومية ، وتوفي في سنة ١٩٢٦ م وكان له من الأبدى البيضاء على حافظ ما جعله يلهج بشكره في هذه القصيدة .

وما كنتُ أحلمُ - لولا الوزير - بهذا الهناء وهذا اللَّقَبُ^(١)
على أيادٍ له جمَّةٌ وفضلٌ قديمٌ شريفُ السَّبَبِ^(٢)
فأنا أقال به عثرتي وأورى زنادى ، وأنا وهب^(٣)
تفياثُ منه ظلالُ النِّعَمِ وأصبحتُ أعرفُ لبسَ القَصَبِ^(٤)
وأمشى آخيتالاً إلى عاسدين يطالغنى بذرها عن كَثَبِ^(٥)
والثَّم كَفَّ كَرِيمُ الجُودِ غياثُ العُفاةِ مزيلُ الكُربِ^(٦)
وأحتثُ بين وفودِ السَّراةِ مطايا الرجاءِ لذلك الرَّحَبِ^(٧)
أتوا خالصين لوجهِ الأميرِ فلا عن رياءٍ ولا عن رَهَبِ^(٨)
لهم ما يشاءون من ربِّهم رضاءُ الأميرِ ونيلُ الأربِ
وللكاشين نكالُ الزَّمانِ ونحسُ النُّجومِ ذواتِ الذَّنَبِ^(٩)
فعهدُ الأميرِ كعهدِ الرِّشيدِ يمتُّ إليه بجبلِ النَّسَبِ

(١) يريد لقب (البكوية) الذى أنعم عليه به فى السنة المشار إليها فى أوّل هذه القصيدة .

(٢) الأيادى : النعم .

(٣) الضمير فى « به » للفضل . يقال : أورى فلان زنادى ، إذا أجابنى إلى ما أطلب . والأصل فى إيراد الزند ، أن تستخرج ناره .

(٤) تفياً الظل : التجأ إليه واستظل به .

(٥) « يريد بالبدر » : الخديو عباس الثانى . والكثب (بالتحريك) : القرب .

(٦) العفاة : طلاب المعروف ، الواحد عاف (كفأض) .

(٧) أحتث مطايا الرجاء : أى أبعثها فى سرعة . والمرأة من الناس : الرفيعو المنزلة ، الواحد سرى (بفتح السين وكسر الراء) .

(٨) الرهب : الخوف .

(٩) الكاشون : الأعداء الذين يبطنون العدارة ، الواحد كاشح ، وذلك لأنه يتقاعد منك ويولىك كشحه .

إِلَيْكَ (أَبَا حَسَنِ) أَتَمَّى فَمَا زَلَّ مَوْلىً إِلَيْكَ أُنْتَسَبُ^(١)
 عَرَفْتَ مَكَانِي فَأَذْنَيْتَنِي وَشَرَّفْتَ قَدْرِي (بِدَارِ الْكُتُبِ)^(٢)
 وَعَرَفْتَ دَهْرِي مَكَانَ الْأَدِيبِ وَقَدْ كَانَ دَهْرِي شَدِيدَ الْكَلْبِ
 فَلَوْ أَنَّ لِي مُرَقَّصَاتِ (الْحَلِيلِ) وَإِعْجَازَ (شَوْقِي) إِذَا مَا رَغِبُ^(٣)
 لَقُمْتُ بِشُكْرِكَ حَقَّ الْقِيَامِ وَلَكِنْ طَلَبْتُ فَعَزَّ الطَّلَبُ
 فَشُكْرِي لَصُنْعِكَ شُكْرُ النَّبَاتِ بَبْطُنِ الْفَلَاةِ لِقَطْرِ السُّحْبِ
 وَشُكْرًا (لَشَوْقِي) رَسُولِ الْقَرِيضِ الـ كَرِيمِ الْإِخَاءِ الْمَيِّينِ السَّبَبِ
 وَشُكْرًا (لِدَاوُدَ) رَبِّ السِّيرَاعِ وَشُكْرًا (لِسَرْكَيْسَ) رَبِّ الْعَجَبِ^(٤)
 وَشُكْرًا لِكُلِّ كَرِيمٍ سَعَى إِلَى وَكُلِّ أَدِيبٍ خَطَبُ
 هُمْ يَجْعُونِي عَلَى أَنْ أَقُولَ وَمَا كَانَ لِي بَيْنَهُمْ مُضْطَرِبُ^(٥)
 هُمْ أَهْمُونِي فَصِيحَ الْكَلَامِ هُمْ عَلَّمُونِي طَرِيقَ النَّخَبِ^(٦)
 فَعَنْهُمْ أَخَذْتُ وَعَنْهُمْ صَدَرْتُ وَمِنْ عِنْدِهِمْ فَضْلِي الْمُسْتَكْتَسَبُ

(١) اتَمَّى : اتَّسَبَ . ويريد « بآبي حسن » : المرحوم أحمد حشمت باشا . وهو خير من عمل لإنهاض الأدب

العربي في العصر الحاضر .

(٢) يشير إلى أن حشمت باشا هو الذي عين حافظاً في منصبه المعروف بدار الكتب .

(٣) يريد « بالخليل » : خليل بك مطران الشاعر المعروف ؛ ومرقصاته : قصائده .

(٤) داود : هو داود بركات بك الكاتب اللبناني المعروف ، وكان رئيساً لتحرير جريدة الأهرام . ولد بقرية
 يحشوش من أعمال لبنان سنة ١٨٧٠ م ، وتوفي في ٤ نوفمبر سنة ١٩٣٣ م . وسركيس : وهو سليم سرركيس الكاتب ،
 اللبناني المعروف محرر جريدة المسير ومجلة سرركيس ، ولد في بيروت عاصمة لبنان سنة ١٨٦٩ م وكانت وفاته
 في سنة ١٩٢٥ م .

(٥) المضطرب : المذهب .

(٦) طريق النخب : أي طريق المنتخب من الكلام المختار منه ، وهو جمع نخبة (بضم النون وسكون الخاء أو بضمها)

فَيَسُوا عَزِيزَ الْبِلَادِ الَّذِي عَلَى السُّحْبِ ذَيْلَ الْمَعَالِي سَحَبُ
وَحَيُّوا (سَعِيداً) وَزِيرَ الْأُمِيرِ قَرِيبَ الصَّوَابِ بَعِيدَ الْغَضَبِ^(١)
تَسَوَّلَى الرَّأْسَةَ وَالْحَادِثَاتِ تَرُوعُ النَّفُوسَ يَوْقِعُ النُّوبُ
فَسَاسَ الْبِلَادِ وَأَرْضَى الْعِبَادِ وَأَرْضَى الْأَمِيرَ وَأَرْضَى الْأَدَبِ

إلى حفنى^(٢) ناصف بك

فالها في حفل أقامه أعضاء نادى طنطا لتكريم حفنى بك لانتقاله من القضاء إلى التفئيش (بنظارة) بوزارة المعارف
[نشرت في ٥ أكتوبر سنة ١٩١٢ م]

يَا يَوْمَ تَكْرِيمِ (حَفْنِي) أَرَهَفْتَ الْقَوْلِ ذِهْنِي^(٣)
فِيَا قَرِيبُضْ أَجْبِنِي وَيَا يَبِائُ أَعْنِي
عَلَى أَفَى بَعْضَ دَيْنِي إِنْ كَانَ ذَلِكَ يُغْنِي
يَا مَنْ ضَرَبْتَ بِسَهْمِ فِي كُلِّ عِلْمٍ وَفَنٍ
بَلَيْتَ لِلشَّعْرِ فِينَا وَالتَّرَّاعُظِ رُكْنِ

(١) يريد المرحوم محمد سعيد باشا وكان رئيساً للوزارة إذ ذلك .

(٢) محمد حفنى بك ناصف هو ابن الشيخ إسماعيل ناصف ؛ ولد عام ١٢٧٢ هـ في ضاحية من ضواحي القاهرة تدعى ركة الحاج ، ثم دخل كتاب القرية فالأزهر فدار العلوم ، ثم كان أستاذ اللغة العربية في مداوس الحكومة ، واختير للتدريس في مدرسة الحقوق ، فرأى أن يشارك طلبتها في دروسهم ، فتعلم القانون وترك التدريس وانتخب كاتب سر للنائب العمومي ، ثم عين قاضياً بالمحاكم الأهلية سنة ١٨٩٢ م فوكلاً لإحدى المحاكم ، وانتخب لتدريس الأدب العربى في الجامعة المصرية وهى أهلية ، ثم انتخب مفتشاً أول للغة العربية بوزارة المعارف ؛ بعد المغفور له الشيخ حمزة فتح الله . وتوفى حفنى سنة ١٣٣٧ هـ (سنة ١٩١٩ م) وكان رحمه الله فكه الحديث ، مليح النادرة ، مشاركاً في كل علم وفن من علوم اللغة وفنونها .

(٣) الإرهاف : الشجذ والتحديد .

وما خُلِقْتَ لَعَّسِي في الشَّرْقِ إِلَّا لَتَبْنِي
فَكُلُّ رَبِّ يَرَا في مَضْرَجٍ حَرِيحٍ (حَفْنِي)
إِنْ قَالَ شَعْرًا فَرَا تُدَارُ في يَوْمٍ دَجَنٍ^(١)
أَوْ قَالَ نَثْرًا فَرُوح يَجْتَازُنَا غَبَّ مُزِنٍ^(٢)
فَإِنْ بَدَأَتْ بِقَوْلٍ مِنْهُ فَبِالْكُأْسِ ثَنٍ
وَطَرَ إِلَى اللَّهِوِ وَأَرْغَبَ عَنْ حَكْمَةِ الْمُتَنَانِي
فَالْعَيْشُ فِي بِنْتِ فِكْرٍ تُجَلَى وَفِي بِنْتِ دَنْ^(٣)
وَإِنْ طَلَبْتَ مَزِيدًا فَنِي مُنَاجَاةٍ خَدَنٍ
لَوْلَا الْحَيَاءُ وَلَوْلَا دِينِي وَعَقْلِي وَسِنِي
لَقُمْتُ فِي يَوْمٍ (حَفْنِي) أَدْعُو لَسَكْرَةٍ (يَنِّي)^(٤)
وَلَا أَقُولُ (لَحَفْنِي) مَا قِيلَ قَدَمًا (لَمَحْنِ)^(٥)
لَا تَنْسَ عَيْشًا تَوَلَّى مَا بَيْنَ شَرْحٍ وَمَتْنٍ^(٦)

(١) الراح : الخمر . والدجن : ظل الغيم في اليوم المطير . وقديما مدح الشعراء الشرب واللغو فيه .

(٢) الروح : الريح . والمزن المطر ، وأننى ما يكون النسيم غب مطر .

(٣) بنت الفكر : نتاج القرائح والأفكار . وبنت الدن : وعاء كبير لها .

(٤) سكرة ينى : مثل بلدى مصرى يضرب في كثرة الشرب والإفراط في السكر .

(٥) يشير بهذا البيت إلى ما ورد من أن شاعرا أراد أن يجرب حلم معن بن زائدة الشيباني ويستثير حفيظته ، فهجاه بقصيدة ه منها :

أتذكر إذ لحافك جلد شاة وإذا نعلك من جلد البعير ؟

(٦) يريد بهذا البيت وما بعده من الأبيات تذكير حفى بعهد في الأزهر وما لاقاه من شغل العيش فيه أيام كان طالبا به مع زميله المرحوم سلطان مجد بك .

وَلَى شَبَابُكَ فِيهِ مَا بَيْنَ مَدٍّ وَغَنٍّ
 وَذُقْتَ مَنْ (جَاءَ زَيْدٌ) وَمَنْ شُرُوحِ (الشُّمْنِيِّ) ^(١)
 وَمِنْ حَوَاشِي الْحَوَاشِي عَلَى مُتُونِ (ابْنِ جُنِّي) ^(٢)
 — مَا لَمْ تُذِقْكَ اللَّيَالِي قَلْبِنَ ظَهَرَ الْمَجْنُ ^(٣)
 أَيَّامَ (سُلْطَانٍ) يَلْهُو (بِمَشْهٍ) وَيُغْنِي ^(٤)
 يَبِيتُ يَقْصَعُ مَا لَمْ أَسْمِّهِ أَوْ أَكْنِي
 يَشْكُو إِلَيْكَ وَتَشْكُو إِلَيْهِ عَيْشَةَ غَبْنٍ
 أَيَّامَ يَدْعُوكَ (حَفْنِي): مِنْ الْحَيَاةِ أَجْرَنِي
 هَاتِ الْمُسَدَّسَ إِنِّي سَبَّيْتُ (مَشْيًى) وَ (جُنْيًى)
 مَنْ لِي بِدَرْهَمٍ لَحْمٍ عَلَيْهِ حَبَّةُ سَمْنٍ ^(٥)
 قَرِمْتُ وَاللَّهِ حَتَّى صَاحَتْ عَصَافِيرُ بَطْنِي ^(٦)

(١) الشُّمْنِيُّ : هو أبو العباس تقي الدين أحمد بن محمد بن محمد بن حسن التميمي الداربي الحنفى من علماء القرن التاسع ولد بالإسكندرية سنة ٨٠١ هـ وتوفى في شهر ربيع الأول سنة ٨٧٢ هـ .

(٢) ابن جُنِّي : هو أبو الفتح عثمان بن جنى الموصلى ، إمام من أئمة النحو معروف ، ولد قبل سنة ٣٣٠ هـ وتوفى في صفر سنة ٣٩٢ هـ .

(٣) “ ما ” : مفعول به لقوله قبل : “ وذقت ” . والحجن : الترس . وقلبن له ظاهر المجن ، أى تديرن عليه وتنكرن له ، وهو مثل يضرب لمن كان مع صاحبه على مودة ثم تحوّل عنها .

(٤) يريد بسُلْطَانٍ : المرحوم سلطان محمد بك زميل حنفى بك ، وكان (مجاورا) معه فى الأزهر ، وتخرج فى دار العلوم ، ثم كان أستاذا بها وبالجامعة المصرية القديمة أيضا .

(٥) الحبة : جزء من ثمانية وأربعين جزءا من درهم .

(٦) قرم إلى اللحم قرما (بالتحريك) : اشتدت شهوته إليه . وصياح عصافير البطن : سخاية عن شدة الجوع .

أَيَّامَ عَيْدِكَ يَوْمَ تَفُوزُ فِيهِ بِدُهْنٍ
أَيَّامَ (مَهْيَا) أَشْهَى إِلَيْكَ مِنْ (سَنَ جُونِي) ^(١)

*
* *

أَقُولُ هَذَا وَإِنِّي لَمُحِبٌّ فَيْكَ ظَنِّي
فَإِنِ غَدَوْتَ وَزِيرًا يَوْمًا وَجِئْنَا نَهْنِي
فَلَا تَكُنْ ذَا جَبَابٍ وَلَا تُطِلْ فِي التَّجَنِّي
وَلَا تَقُلْ مِنْ غُرُورٍ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي ^(٢)

*
* *

أَخْشَى عَلَيْكَ الْمَنَايَا حَتَّى كَأَنَّكَ مِنِّي ^(٣)
إِذَا شَكَوْتَ صُدَاعًا أَطَلْتُ تَسْهِيدَ جَفْنِي
وَإِنِ عَرَاكَ هُزَالٌ هَيَّأْتُ لَحْدِي وَقُطْنِي
وَإِنِ دَعَوْتُ لِحَيٍّ يَوْمًا فَإِيَّاكَ أَعْنِي
عُمْرِي بِعُمْرِكَ رَهْنٌ فَعَشْ أَعَشْ أَلْفَ قَرْنٍ
نَبْتُي وَإِبْلِيسَ فِيهَا نُبْلِي اللَّيَالِي وَنُقْنِي
أَسْرَفْتُ فِي الْمَرْحِ فَاصْفَحْ يَا سَيِّدِي وَاعْفُ عَنِّي

(١) مهياً : اسم لبائع أطعمته أكثرها من الفول بجوار الأزر • (وسان جوني) : اسم لبائع حلوان في مدينة حلوان . أنشأ قصرًا في روضة ، على الشاطئ الشرقي للنيل ، عند حلوان ، لا يزال يعرف باسمه إلى اليوم مع تغيير الملكية

(٢) إني : أي إني كذا وكذا مما يحدث به عن نفسه في معرض الفخر •

(٣) يشير بهذا البيت والأبيات الخمسة الآتية بعده إلى حادثة معروفة بين حفي وحافظ ، وذلك أنه لما توفي المرحوم الشيخ محمد عبده وقف على قبره يوم تأييده سنة من الخطباء ، وهم : الشيخ أبو خطوة ، وحسن عاصم باشا ، وحسن عبد الرازق باشا ، وقاسم أمين بك ، وحفي ناصف بك ، وحافظ إبراهيم بك ، وقد مات الأربعة الأولون واحدا بعد واحد على حسب ترتيبهم في يوم التأبين وجاءت النبوة على حفي بك ، وكان قد بعث إلى حافظ بأبيات يذكر فيها بالموث ، ويدعوه إلى الاستعداد له إذا نزلت به المنية •

فَالذَّنْبُ ذَنْبٌ (شُدُودِي) فَالْعَنُ (شُدُودِي) وَدَعْنِي^(١)
 قَدَسَنَّ فِينَا مُزَاحًا عَلَى الْحَقِيقَةِ يَجْنِي
 دُقْتُ الْأَمْرَيْنِ مِنْهُ فَسَلْ (سَلِيًّا) وَسَلْنِي^(٢)
 وَاسْمَعْ مَدِيحَ حُبِّ يُطْرِي بِحَقِّ وَيُنْنِي
 لَقَدْ جَمَعْتَ خِلَالًا تَضَمَّنْتَ كُلَّ حُسْنِ
 مُفْتَشًّا وَفَقِيهًا وَقَاضِيًا وَابْنَ فَنٍّ^(٣)
 إِنِّ (الْمَعَارِفَ) فَازَتْ بِمُنِيَّةِ الْمُتَمَنِّي
 (بِحِشْمَتِ) وَ (عَلَى) أَبِي الْفُتُوحِ) وَ (حَفْنِي)^(٤)

اعتذار إلى أحمد شوقي بك

كتب به إليه حينما أقيم حفل زواج كريمته السيدة أمينة هانم بحامد العلالي بك
 في كرمه (ابن هانيء) ولم يحضره حافظ لمرض ألم به

[نشرت في ١٥ يناير سنة ١٩١٣ م]

يَا سَيِّدِي وَإِمَامِي وَيَا أَدِيبَ الزَّمَانِ
 قَدْ عَاقَبَنِي سُوءُ حَظِّي عَنْ حَفَلَةِ الْمَهْرَجَانِ

(١) هو (الدكتور) إبراهيم شذودي الرمدي الشاعر الأديب المعروف وكان قد نظم مقطوعة في تكريم حافظ
 نخا فيها هذا النحو من المزح ، وذكر حافظا عهده السابق في الجيش .

(٢) يريد سليم سركيس (انظر التعريف به في الحاشية رقم ٥ من صفحة ١٦٧ من هذا الجزء) .

(٣) ابن فن : كلمة شائعة الاستعمال بمصر يوصف بها الظرفاء وأصحاب النكت الطريفة والفكاهات الرقيقة .

(٤) يريد بحشمت : أحمد حشمت باشا وزير المعارف إذ ذاك . وعلى أبو الفتوح باشا : وكها .

وَكُنْتُ أَوَّلَ سَاعٍ إِلَى رِحَابِ (ابن هاني) ^(١)
لَكِنْ مَرَضْتُ لِنَحْسِي فِي يَوْمِ ذَاكَ الْقِرَانِ
وَقَدْ كَفَانِي عَقَابًا مَا كَانَ مِنْ حِرْمَانِي
حُرِمْتُ رُؤْيَا (شوقي) وَلَمْ تَكِ الْبَنَانِ
فَأَصْفَحْ فَأَنْتَ خَلِيقُ بِالصَّفْحِ عَنْ كُلِّ جَانِي
وَعِشْ لِعَرْشِ الْمَعَانِي وَدُمُ اسْتِجَابِ الْيَابِ
إِنْ فَاتَنِي أَنْ أَوْفَى بِالْأَمْسِ حَقَّ التَّهَانِي
فَأَقْبَلْهُ مِنِّي قَضَاءً وَكُنْ كَرِيمَ الْجَنَانِ ^(٢)
وَاللَّهُ يَقْبَلُ مِنَّا الصَّلَاةَ بَعْدَ الْأَوَانِ

دعابة

رزق الشيخ أمين تقي الدين الأديب السوري مولودا سماه حافظا

وقال فيه :

لِي وَلَدٌ سَمَّيْتَهُ حَافِظًا تَيْمَنًا بِحَافِظِ الشَّاعِرِ ^(٣)

[نشرت في ١٥ يولييه سنة ١٩١٣]

فقال حافظ :

حَافِظُ إِبْرَاهِيمَ لِكُنْ أَجْمَلُ خَلْقًا مِنْهُ فِي الظَّاهِرِ
فَلَعَنَةُ اللَّهِ عَلَى (حَافِظِ) إِنْ لَمْ يَكُنْ بِالشَّاعِرِ الْمَاهِرِ

(١) يريد ابن هاني : أحمد شوقي بك ، وكان يكنى بهذه الكنية تشبها بأبي نواس الحسن بن هاني الحكيم الشاعر العباسي المعروف ، لما بين الشاعرين من الشبه في الاتصال بالملك ومخالطتهم ، والاتحاد في بعض أغراض شعرهما .
(٢) الجنان : القلب .
(٣) لم ينون اسم حافظ لضرورة الوزن .

لَعَلَّ أَرْضَ الشَّامِ تُرْهِى بِهِ عَلَى بِلَادِ الْأَدَبِ الزَّاهِرِ^(١)
 عَلَى بِلَادِ النَّيْلِ تِلْكَ الَّتِي تَاهَتْ بِأَصْحَابِ الذِّكَا النَّادِرِ^(٢)
 (شَوْقِي) وَ (مَطْرَانِ) وَ (صَبْرِي) وَمَنْ سَمِيَتْهُ فِي مَطْلَعِي الْبَاهِرِ

فقال الشيخ أمين :

وَانْجَلَّتْ إِنْ لَمْ يَجِيئْ شَاعِرًا يَذِي أَبَاهُ حِكْمَةَ النَّائِرِ
 شَعْرٌ نَظَمْنَاهُ وَلَوْلَا الَّذِي رَزَقْتُهُ مَا مَرَّ بِالْخَاطِرِ

فقال حافظ :

فِيَا وَلِيدِي كُنْ غَدًا شَاعِرًا وَأَبْدَأْ بِهَجْوِ الْوَالِدِ الْأَمْرِ^(٣)
 فَالذَّنْبُ ذَنْبِي وَأَنَا الْمُعْتَدِي هَلْ يَسْكُمُ الشَّاعِرُ مِنْ شَاعِرٍ؟

بين شوقي وحافظ

[نشرت في سنة ١٩١٧ م]

كان (أحمد شوقي بك) قد بعث بأبيات ثلاثة وهو في منفاه بالأندلس إلى حافظ ، وهي :

يَا سَاكِنِي مَصْرَ إِنَّا لَا تَزَالُ عَلَى عَهْدِ الْوَفَاءِ - وَإِنْ غَبْنَا - مُقِيمِينَ
 هَلَّا بَعَثْتُمْ لَنَا مِنْ مَاءِ نَهْرٍ مُ شَيْئًا نُبْلُ بِهِ أَحْشَاءَ صَادِينَ^(٤)
 كُلِّ الْمَنَاهِلِ بَعْدَ النَّيْلِ آسِنَةً مَا أَبْعَدَ النَّيْلَ إِلَّا عَنْ أَمَانِينَا^(٥)

(١) يريد "بلاد الأدب" مصر . (٢) تاهت : انقضت . (٣) الأمر : أي الذي بأمره يصنع الشعر .

(٤) الضادى : الطمان . (٥) المناهل : الموارد . والماء الآسن : المنفهر .

فأجابه حافظ بهذه الأبيات

[نشرت في ٨ مايو سنة ١٩١٧]

عَجِبْتُ لِلنَّيْلِ يَدْرِي أَنَّ بُلْبُلَهُ صَادٍ وَيَسْقِي رُبًّا مِصْرِي وَيَسْقِينَا
 وَاللَّهِ مَا طَابَ لِلْأَصْحَابِ مَوْرَدُهُ وَلَا أَرْتَضُوا بَعْدَكُمْ مِنْ عَيْشِهِمْ لَيْنَا
 لَمْ تَنَأَ عَنْهُ وَإِنْ فَارَقْتَ شَاطِئَهُ وَقَدْ نَأَيْنَا وَإِنْ كُنَّا مُقِيمِينَا^(١)

بين حافظ والهرّاوى

احتجب المرحوم حافظ إبراهيم بك حين كان بدار الكتب المصرية بعض أيام
 فى بيته بالجيزة سنة ١٩١٨ م فذهب صديقه المرحوم محمد الهرّاوى الشاعر المعروف
 ليزوره ولما رآه على غير حالته المألوفة جالت بعض المعانى فى خاطره ، فارتجل
 الهرّاوى الأبيات الآتية :

يَا رَيْئِيسَ الشَّعْرِ قُلْ لِي مَا الَّذِي يَقْضِي الرَّئِيسُ^(٢)
 أَنْتَ فِي الْجِيزَةِ خَافٍ مِثْلًا تَخْفَى الشُّمُوسُ
 قَابِعٌ فِي كِسْرِ بَيْتٍ قَدْ أَظْلَمَتْهُ الْغُرُوسُ
 زَاهِدٌ فِي كُلِّ شَيْءٍ مُطَرِّقٌ سَاهٍ عَبُوسُ
 أَيْنَ شَعْرُ مَنْكَ نَضْرُ؟ قَلْنَا فِيهِ مَسِيسُ^(٣)
 وَحَدِيثُ مَنْكَ حُلُوٌ يَتَشَهَّاهُ الْجُلُوسُ؟

(١) ينأى : يبعد .

(٢) يقضى : يصنع ويعمل . قال تعالى : (فقضاهن سبع سموات فى يومين) .

(٣) مسيس : أى حاجة ماسة ، يقال : مست الحاجة إلى كذا ، أى ألحأت إليه .

وَفُكَاهَاتٍ عَذَابٌ تَتَمَنَّاها النَّفُوسُ
 قَدْ جَفَوْتَ الشَّعْرَ حَتَّى حَدَّثَتْ عَنْكَ الطُّرُوسُ
 وَجَبَرْتَ النَّاسَ حَتَّى سَاءَلُوا : أَيْنَ الْأَنْبَاسُ ؟

فأجاب حافظ على البديهة أيضا :

أَنَا فِي الْحَسِيرَةِ ثَاوٍ لَيْسَ لِي فِيهَا أَنْبَاسُ^(١)
 أَنْكَرَ الْأَنْسُ مَكَانِي وَنَأَى عَنِّي الْجَلِيسُ
 لَيْسَ يَدْرِي مَنْ رَأَى أَطْلِقَ أَمْ حَبِيسُ ؟

دعابة كتب بها إلى السيد محمد البيلالوي نقيب الأشراف

[لما ولي نقابة الأشراف سنة ١٩٢٠ م]

قُلْ لِلنَّقِيبِ لَقَدْ زُرْنَا فَضِيلَتَهُ فَذَاذَا عَنَّهُ حُرَّاسٌ وَجَّابٌ^(٢)
 قَدْ كَانَ بِأَبْكَ مَفْتُوحًا لِقَاصِدِهِ وَالْيَوْمَ أَوْصَدَ دُونَ الْقَاصِدِ الْبَابُ^(٣)
 هَلَّا ذَكَرْتَ (بِدَارِ الْكُتُبِ) صَحْبَتَنَا إِذْ نَحْنُ رَغَمَ صُرُوفِ الدَّهْرِ أَحْبَابُ^(٤)
 لَوْ أَنِّي جِئْتُ (لِلْبَابِ) لَا أَكْرَمَنِي وَكَانَ يُكْرِمُنِي لَوْ جِئْتُهُ (الْبَابُ)^(٥)
 لَا تَحْشُ جَائِزَةً قَدْ جِئْتُ أَطَابَهَا إِنِّي شَرِيفٌ وَلِلْأَشْرَافِ أَحْسَابُ^(٦)
 فَاهْنَأْ بِمَا نِلْتَ مِنْ فَضْلٍ وَإِنْ قُطِعَتْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْيَوْمِ أَسْبَابُ^(٧)

(١) الثاوي : المقيم . (٢) ذادنا : معنا . (٣) أوصد الباب : أغلقه .
 (٤) صروف الدهر : نوائبه ؛ يشير إلى أن السيد محمد البيلالوي كان هو والشاعر يعملان معا في دار الكتب المصرية .
 (٥) يريد بالباب كبير القصور برومة ، ويريد " بالباب " : رأس الطائفة المعروفة بالبابية ، وهم فرقة من غلاة الشيعة ، وسمي بابا ، لأنهم يعدونه باب المهدي ، أي نائبه .
 (٦) يشير بقوله "إني شريف" ، إلى الحكم الشرعي المعروف من أن الصدقة لا تجوز على الأشراف .
 (٧) يريد بالأسباب : روابط المودة .

استئذان الرئيس

بيتان أرتجلهما في الاستئذان على المغفور له سعد زغلول باشا

[نشر في ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٢٤ م]

قُلْ للرَّئِيسِ أَدَامَ اللَّهُ دَوْلَتَهُ بَأْتِ شَاعِرَهُ بِالْبَابِ مُتَظَرُّ
إِنْ شَاءَ حَدَّثَهُ أَوْ شَاءَ أَطْرَبَهُ بِكُلِّ نَادِرَةٍ تُجَلِّي بِهَا الْفَكْرُ

دعابة

قالها في (الدكتور) محبوب ثابت سنة ١٩٢٧ م ، وكان كلاهما في ضيافة
المرحوم سعد زغلول باشا في مسجد وصيف ، وكان (الدكتور) — فيما قالوا —
مشغولا بأمرين إذ ذاك : وزارة يتولاها ، وفتاة غنية من بيت عريق يتزوجها وإلى
هذا يشير الشاعر في القصيدة الآتية :

يُرْغَى وَيُزِيدُ بِالْقَافَاتِ تَحْسِبُهَا قَصَفَ الْمَدَافِعِ فِي أَفْقِ الْبَسَاتِينِ^(١)
مَنْ كُلَّ قَافٍ كَأَنَّ اللَّهَ صَوَّرَهَا مِنْ مَارِجِ النَّارِ تَصْوِيرَ الشَّيَاطِينِ^(٢)
قَدْ خَصَّهُ اللَّهُ بِالْقَافَاتِ يَعْكُهَا وَأَخْتَصَّ سُبْحَانَهُ بِالْكَافِ وَالنُّونِ^(٣)
يَغِيبُ عَنْهُ الْحِجَابُ حِينًا وَيَحْضُرُهُ حِينًا فَيَخْلِطُ مُحْتَلاً بِمَوْزُونِ^(٤)

(١) يشير بهذا البيت إلى كثرة ورود حرف القاف في حديث (الدكتور) محبوب ثابت وحرصه على النطق بها . ويزيد
بالشطر الثاني منه أن هذه القافات الثقيلة الوقع على الأذن في وسط كلماته الرقيقة أشبه بأصوات المدافع المرعدة
في البساتين الغناء .

(٢) المارج : النار التي لا دخان لها .

(٣) يعكها : يعضها . ويريد "بالكاف والنون" : قوله تعالى لما يريد خلقه : "كن فيكون" .

(٤) الحجا : العقل والفطنة .

لا يَأْمَنُ السَّامِعُ الْمُسْكِينَ وَثَبَّتَهُ
بَيْنَا تَرَاهُ يُنَادِي النَّاسَ فِي (حَلَبِ)
وَلَمْ يَكُنْ ذَاكَ عَنْ طَيْشٍ وَلَا خَبَلٍ
يَبْتَئِ يَنْسِجُ أَحْلَامًا مُدْهَبَةً
طَوْرًا وَزِيرًا مُشَاعًا فِي وَزَارَتِهِ
وَتَارَةً زَوْجَ عُطْبُولٍ خَدَّبَلَجَةٍ
يَعْنَى مِنَ الْمَهْرِ إِكْرَامًا لِلْمَحِيَةِ
مَنْ (كَرْدَفَانِ) إِلَى أَعْلَى (فِلَسْطِينَ)^(١)
إِذَا بِهِ يَخْجَدِي الْقَوْمَ فِي (الصِّينِ)^(٢)
لَكِنَّهَا عَبَقَرِيَّاتُ الْأَسَاطِينِ^(٣)
تُغْنِي تَفَاسِيرُهَا عَنْ (إِبْنِ سِيرِينَ)^(٤)
يُصَرِّفُ الْأَمْرَ فِي كُلِّ الدَّوَاوِينِ^(٥)
حَسَنَاءَ تَمْلِكُ آلَافَ الْفَدَايِينِ^(٦)
وَمَا أَظَلَّتْهُ مِنْ دُنْيَا وَمِنْ دِينِ^(٧)

دمع السرور

قال هذين البيتين عند زيارته للجمع العلمي بدمشق

شَكَرْتُ جَمِيلَ صُنْعِكُمْ بِدَمْعِي
وَدَمْعُ الْعَيْنِ مِقْيَاسُ الشُّعُورِ
لأَوَّلِ مَرَّةٍ قَدْ ذَاقَ جَفَنِي
— دَمْعُ الشُّعُورِ — دَمْعُ الشُّعُورِ

(١) كردفان : بلد بالسودان معروف . ويشير بهذا البيت وما بعده إلى كثرة ثقل (الدكتور) محجوب بين المجالس والأندية ، وتنقله في موضوعات الحديث ، وعدم استقراره في مكان واحد ولا موضوع واحد ، وبعد المسافات التي يقطعها في هذا التنقل .

(٢) تحذاه : باراه ونازعه الغلبة .
(٣) يريد "بالأساطين" : الألام المبرزين في مختلف العلوم والفنون ، يجمع أسطوانة ، وهي في الأصل العمود والسارية .

(٤) أظهر الحمز في "ابن سيرين" لضرورة الوزن . وابن سيرين : عالم بصرى معروف بتفسير الأحلام ، وينسب له كتاب مشهور في ذلك ، ومات في سنة ١١٠ هـ .

(٥) يشير بهذا البيت إلى أمانة (الدكتور) محجوب في أن يكون وزيراً في إحدى الوزارات ، وهو لا يستقر في أمنيته على وزارة واحدة .

(٦) العطول من النساء : الفتية الجميلة المتمثلة ، الطويلة العنق . والمثلة الذرايع والسافين . يشير إلى أمانة (الدكتور) محجوب في أن يترشح من تلك صفاتها .

(٧) يشير بهذا البيت إلى طول حياة (الدكتور) محجوب وما يتوهمه الناس فيه بسببها من الصلاح والظهور حتى إنهم ليعفونه من مهور نأتهم إكراماً لها إذا أراد التزوج من إحداهن .

دعابة كتب بها إلى صديق له

وكانت جواباً عن قصيدة دعابية أيضاً بعث بها إليه هذا الصديق

وَأَفَى كِتَابُكَ يَزْدَرَى بِالذَّرِّ أَوْ بِالْجَوْهَرِ
فَقَرَأْتُ فِيهِ رِسَالَةً مُرَجَّتْ بِذَوْبِ الشُّكْرِ
أَجَرَيْتَ فِي أَثْنَائِهَا نَهْرَ أَنْسِجَامِ الْكَوْثَرِ^(١)
وَفَرَطْتَ بَيْنَ سُطُورِهَا مَنْظُومَ تَاجِ الْقَيْصَرِ^(٢)
وَحَبَّأْتَ فِي أَلْفَافِهَا مِنْ كُلِّ مَعْنَى مُسَكِّرِ
فَتَرَى الْمَعَانِي الْفَارَسِيَّةَ فِي مَعَانِي الْأَسْطَرِ^(٣)
كَالْغَانِيَّاتِ تَقْنَعَتْ خَوْفَ الْمُرِيبِ الْمُجْتَرِي^(٤)
مَعْنَى أَلَدٍّ مِنَ الشَّمَا تَةٍ بِالْعَدُوِّ الْمُدْبِرِ^(٥)
أَوْ مِنْ عِتَابٍ بَيْنَ مَحْبُوبٍ وَحُبٍّ مُعْذِرِ^(٦)
أَوْ فَتْرَةٍ أَضَاعَهَا أَلْ قَامَرُ عِنْدَ الْمَيْسِرِ^(٧)

(١) الكوثر : نهر في الجنة . وأنسجامه : انسيابه واطراده ؛ وفي هاتين الكلمتين قلب ظاهر دعت إليه ضرورة الوزن والأصل : انسجام نهر .

(٢) منظوم تاج القيصر : جواهره .

(٣) المعاني الفارسية : أى البدعة ؛ وقد نسبها إلى فارس لأنهم كانوا أهل إبداع في الفنون . وشبه الأسطر المحتوية على المعاني بالمعاني ، وهى المنازل المسكونة .

(٤) الغانيات : جمع غانية ، وهى المرأة الفنية بحسبها وجمالها من الزينة . والمجترى : المجترى .

(٥) المدبر : الملهزم .

(٦) الحب (بالكسر) : المحبوب . والمعذر : المنصف العادل . ويجوز أن يراد به معنى المقصر لها يرضى محبوبه .

(٧) يشبه لذة معانيه بلحظة اللعب فى الميسر . والقامر : المقامر .

أَوْ مَجْلِسٍ لِلْخَمْرِ مَعْقُودٍ بِيَوْمٍ مُمَطَّرٍ
تَسْعُونَ بَيْتًا شِدَّتْهَا فَوْقَ سِنَانِ السَّمْهَرِيِّ ^(١)
وَالسَّمْهَرِيُّ قَلَمٌ فِي كَفِّ لَيْثٍ قَسُورٍ ^(٢)
أَفَتَى الْقَوَافِي ! كَيْفَ أَنْتَ ؟ فَقَدْ أَطْلَتَ تَحْشِيرِي !
أَتُرَى أَرَاكَ أَمْ اللَّقَا ؕ يَكُونُ يَوْمَ الْحَشِيرِ

(٣)

مَا كَانَ ظَنِّي أَنْ تَعِيشَ أَيَا لِثِمِ الْمَكْسِرِ ^(٤)
وَلَقَدْ قُدِفْتَ إِلَى الْجَحِيمِ وَبُئْسَ عُقْبَى الْمُنْكَرِ
تَاللَّهِ لَوْ أَصْبَحْتَ (أَفْلَاطُونَ) تِلْكَ الْأَعْصِرِ ^(٥)
وَعَدَا (أَبْقَرَاط) بِبَا بِكَ كَالْعَدِيمِ الْمُعْسِرِ
وَبَرَعْتَ (جَالِينُوسَ) أَوْ (لُقْمَانَ) بَيْنَ الْحُضِرِ ^(٦)
مَا كُنْتَ إِلَّا تَافِهَ الْآدَابِ عِنْدَ الْمُعْشِرِ
غُفْرَانِكَ اللَّهُمَّ إِنِّي مِنْ ظُلَامَتِهِ بَرَى ^(٧)

(١) السمهري : الرخ الصلب . أو هو نسبة إلى سمهر زوج ردينة الذين كانا يثقفان الرماح ؛ أو إلى قرية في الحبشة .
ومعنى (شاهدها فوق سنان السمهري) أنه أنشأها بقلبه الجبار .

(٢) القسور : اسم من أسماء الأسد ؛ سمى بذلك لغلظه وقهره .

(٣) هنا نضرب عن ذكر أبيات اقتضاها مقام المداعبة بين صديقين حميمين لا يصح نشرها .

(٤) اللثيم المكسر : الذي يظهر لؤمه بعد الاختبار . وأصله من العود الذي يظهر ضعفه حين يكسر .

(٥) أفلاطون : فيلسوف يوناني معروف ؛ ولد في سنة ٤٢٧ ق م ، وكانت وفاته في سنة ٣٤٧ ق م .

(٦) الحضر : جمع حاضر .

(٧) برى : برى .

سَوَيْتَهُ كَالْكُرْكَدَنْ وَجَاءَنَا كَالْأَخْدَرِي^(١)
 وَجْهٌ وَلَا وَجْهٌ الْخَطُوبُ بِ وَقَامَةً لَمْ تُشْبِرَ^(٢)
 وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنَّ مَثْلَ لِسَانِهِ لَمْ يُبْتَرِ^(٣)
 كَمْ بَاتَ يَلْتَحِمُ الْعُرُو ضَ وَجَاءَ بِالْأَمْرِ الْفَرَى^(٤)
 فَأَفْعَلَ بِهِ اللَّهُمَّ كَالنُّمْرُودِ فَهَوَّ بِهَا حَرَى^(٥)
 وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ السَّخْطَ إِنْ أَمْسَى وَلَمْ يَسْتَغْفِرِ^(٦)
 فَهُوَ الَّذِي أَبْتَدَعَ الرِّبَا وَأَقَامَ رُكْنَ الْفُجْرِ
 وَأَقَامَ دِينَ عِبَادَةِ الدِّينَارِ يَنْبِ الْأَظْهَرِ
 وَلَقَدْ عَجِبْتُ لِبُخْلِهِ وَلَكَفِّهِ الْمُتَحَجِّرِ
 لَا يَصْرِفُ السُّحُوتَ إِلَّا وَهُوَ غَيْرُ مُخَيَّرِ^(٧)

(١) سويته : خلقته . والكركدن : ويسمى الحمار الهندي ، حيوان في جنة الفيل خلقته تكلفته الدور إلا أنه أعظم منه ذوحافر ، وعلى رأسه قرن واحد ، وهو بتشديد الدال وتخفيف النون ، ومجيئه هنا مشدد النون تخفف الدال من لغة العامة ، وكذلك ورد في شعر المتنبي . والأخدرى : حمار الوحش .

(٢) لم تشبر : لم تقس بالشبر لشدة قصرها .

(٣) يتر : يقطع .

(٤) يلتحم العروض : أى ينال من أعراض الناس . والمعروف في هذا "لحم" و "الحم" ؛ يقال : لحم فلان فلانا من باب نصر ، إذا أضربه وناله بمكره ؛ وألحني عرض فلان ، إذا أمكنني منه أشتمه ، أى جعل عرضه لحمه للعائب . والفري (بتشديد الياء وخففت للشعر) : المصنوع المختلق (بفتح اللام) ، أو الأمر العظيم .

(٥) النمرود بالذال والدال لغتان : ملك جبار من القدماء كان في زمن نبي الله إبراهيم عليه السلام . وحرى (بتشديد الياء وخففت للشعر) : خليف وجدير .

(٦) وأنزل ؛ أصله " وأنزل " باثبات الهمزة ، ووصلها لضرورة الوزن ، ولو حذف الواو وهز الألف لصح الشعر والنحو ، واستقام الصرف .

(٧) السحوت : أصله السويق القليل الدسم ، ثم أطلق على الشيء القليل ؛ واستعمل في نوع من العملة قليل القيمة .

لو أن في إمكانه عيشاً بغبر تَضُور^(١)
لأختار سدَّ الفتحية ن وقال : يا جيبُ أحذر^(٢)

عتاب كتب به إلى محمد سليمان أباطة بك^(٣)

طال الحديث عليكم أيها السمر^(٤) ولاح للنوم في أجفانكم أثر^(٥)
وذلك الليل قد ضاعت راحله فليس يرجى له من بعدها سفر^(٦)
هذي مضاجعكم يا قوم فالتفتوا طيب الكرى بعيون شابها السهر^(٧)
هل ينكر النوم جفن - لو أتيح له - إلا أنا ونجوم الليل والقمر؟
أبيت أسأل نفسي كيف قاطعني هذا الصديق؟ وما لي عنه مضطرب^(٨)
فما مطوقة قد نالها شرك عند الغروب إليه ساقها القدر^(٩)
باتت تجاهد هماً وهي آيسة من النجاة وجنح الليل معتكر^(١٠)
وبات زغلولها في وكرها فزعاً مروءاً لرجوع الأم ينتظر^(١١)

(١) التضور : التألم من شدة الجوع .

(٢) يريد " بالفتحيتين " مدخل الطعام ومخرجه . وأحذر : أي أحذر الإقلاق .

(٣) ذكر في هامش ديوان حافظ المطبوع عند ذكر هذه القصيدة أنها كانت طويلة ففقد أكثر أبياتها ، وقد حاولنا العثور على بقيتها فلم نوفق .

(٤) السمر : المتسامرون .

(٥) الرواحل : الركائب . يشبه الليل في طوله بمسافر فقد راحله ، فهو لذلك مقيم متحول .

(٦) التفتوا طيب الكرى : أي تصيدوا لذيق النوم . وشابها : خالطها .

(٧) المطوقة : الحماة ذات الطوق ؛ وهو لون يخالف لون سائرهما يحيط بالعنق .

(٨) جنح الليل (بالكسر و يضم) : طائفة منه . واعتكر الظلام : اختلط .

(٩) زغلولها : (ضم الزاي) فرخها الصغير .

يَحْفَظُ الْخَوَافِ أَحْشَاهُ وَتُزَجُّهُ إِذَا سَرَتْ نَسْمَةٌ أَوْ وَسَّسَ الشَّجَرُ^(١)
 - مِنِّي بِأَسْوَأَ حَالًا حِينَ قَاطَعَنِي هَذَا الصَّدِيقُ فَهَلَّا كَانَ يَذْكُرُ^(٢)
 يَا بَنَ الْكَرَامِ أَتَنَسَى أَنِّي رَجُلٌ لِيْظِلَّ جَاهُكَ بَعْدَ اللَّهِ مُفْتَقِرٌ؟
 إِنِّي فَتَاكَ فَلَا تَقْطَعْ مُوَاصَلَتِي هَبْنِي جَنِّتُ فَقُلْ لِي كَيْفَ أَعْتَذِرُ؟

استعطاف

بعث به للأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده

لَقَدْ بَتُّ مَحْسُودًا عَلَيْكَ ، لِأَنَّنِي فَتَاكَ ، وَهَلْ غَيْرُ الْمُنْعَمِ يُحْسَدُ ؟
 فَلَا تُبْلِغِ الْحَسَادَ مِنِّي شِمَاتَةً فَفِعْلُكَ مُحَمَّدٌ وَأَنْتَ مُحَمَّدٌ

وداع محمد المويلحي بك^(٣)

حين سفره إلى معرض باريس

يَا كَاتِبَ الشَّرْقِ وَيَا خَيْرَ مَنْ تَتَلَّوْا بَنُو الشَّرْقِ مَقَامَاتِهِ^(٤)
 سَافِرٌ وَعُدُّ يَحْفَظُكَ رَبُّ الْوَرَى وَأَبْعَثْ لَنَا عَيْسَى بِآيَاتِهِ^(٥)

(١) يحفظ أحشاه : يفرعها ويدفعها إلى الاضطراب . ويريد "بوسواس الشجر" : حفيفه .

(٢) أسوأ : خبر "ما" في قوله السابق : "فا مطرقة" ... الخ . ويذكر : يتذكر .

(٣) انظر التعريف بالمويلحي في الحاشية رقم ١ من صفحة ١٤٠

(٤) يريد "بمقاماته" : كتاب عيسى بن هشام الذي أنشأه محمد بك المويلحي على نسق هذا النوع القديم من النثر المعروف بالمقامات .

(٥) يريد عيسى بن هشام ، الذي اقترضه محمد المويلحي بك صاحب حديثه ؛ ويشير بذلك إلى أن مؤلف هذا الكتاب كان قد وعد بعمل جزئ ثان خاص بأوربة ، فهو يستعجزه وعده بذلك .

وقال يستقبله عند هذا المؤتمر :

مَنْ لَمْ يَرَ الْمَعْرِضَ فِي اتِّسَاعِ وَفَاتَهُ مَا فِيهِ مِنْ إِبْدَاعِ
فَمَعْرِضُ الْقَوْمِ بِلَا نِزَاعِ فِي نَفْسِهِ مِنْ ذَلِكَ الْبَرِّاجِ^(١)

عتاب كتب به إلى جماعة من أصحابه

تَنَامَيْتُ عَنْكُمْ فُخِّلْتُ عَرَا وَضَاعَتْ عُهْدٌ عَلَى مَا أَرَى^(٢)
وَأَصْبَحَ حَبْلٌ أَتَّصِلُ بِكُمْ تَكْطِطُ الْغَزَالَةُ بَعْدَ النَّوَى^(٣)
وَقَدْ زَالَ مَا كَانَ مِنَ الْفَقَةِ وَوُدُّ زَوَالِ شَهَابِ الدُّجَى
كَأَنَّ بَقَاءَ الْوَفَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنِي بَقَاءُ حَبَابِ الْحَيَا^(٤)
سَكَنْتُ إِلَيْكُمْ وَلَمْ تَسْكُنُوا إِلَيَّ وَقَدْ كُنْتُ نِعَمَ الْفَقَى^(٥)
وَنَفْسِي فَرِيقَانِ : هَذَا بِهِ مَرَجْتُ الْوَفَاءَ ، وَذَلِكَ النَّدَى
أَصَبْتُمْ تَرَاتُّمًا وَأَهْلًا التَّكَاثُرُ عَنَّا فَسُرَّ الْعُدَا^(٦)
وَمَنْ كَانَ يُنْسِيهِ إِثْرَاهُ صَدِيقَ الْخَصَاصَةِ لَا يُصْطَفَى^(٧)

(١) البراج : القلم . ويريد بنفثته : ما يحطه من عبو وجودة وصف ، شبه ذلك بنفث السحر .

(٢) تناميت : بعدت . والعرا : جمع عروة ، وهي معروفة ؛ وقد كنى بها عن الهود والمواثيق ، أى أنه بعد عنهم فقطعوا الصلة به .

(٣) الغزالة : الشمس . ونحيطها : شعاعها . وقد شبه به حبل اتصاله بأصدقائه في الضعف والوهن .

(٤) حباب المساء (فتح الحاء) : فقايقه التي تكون على سطحه . والحيا : المطر .

(٥) سكن إليه : اطمأن إليه ووثق به .

(٦) الترات (بالضم) : ما يصاب من المال الموروث . ويريد "بالتكاثر" : التنافس في كثرة الأموال والمفاخرة بها .

(٧) الإثراء : كثرة الأموال . والخصاصة : الفقر والاحتياج .

ذكرى

كتب بها من السودان إلى طائفة من إخوانه

- * مَنْ وَاجِدٍ مُنْفِرٍ الْمَنَامِ ^(١) *
- * طَرِيدٍ دَهْرٍ جَائِرٍ الْأَحْكَامِ *
- * مُشَتَّتِ الشَّمْلِ عَلَى السَّوَامِ *
- * مُلَازِمٍ لِلْهَمِّ وَالسَّقَامِ *
- * إِلَيْكُمْ يَا نُزْهَةَ الْأَنَامِ *
- * وَفَتِيَّةَ الْإِنْسَانِ وَالْمُدَامِ *
- * مَنْ أَقْسَمُوا بِالزَّمِ الْأَقْسَامِ *
- * بَأَنْ يُقْضُوا دَوْلَةُ الظَّلَامِ *
- * مَا بَيْنَ بِنْتِ الْحَانِ وَالْأَنْغَامِ ^(٢) *
- * وَمُطَرِّبٍ مِنْ خَيْرِ الْأَقْوَامِ *
- * أَرَقَّ مِنْ شِعْرِ (أَبِي تَمَامٍ) ^(٣) *
- * وَمَجْلِسٍ فِي غَفْلَةِ الْأَيَّامِ *

(١) الواجد : ذو الوجد . ومنفر المنام : مطرود عنه النوم . وقوله : " من واجد " : خبر مقدم ، والمبتدأ قوله : " تحية " بعد أبيات طويلة .

(٢) بنت الحان : الخمر . والحان : موضع بيعها .

(٣) أبو تمام : هو حبيب بن أوس الطائي شاعر عباسي معروف .

* قَدْ مَلَّ فِيهِ كَاتِبُ الْآثَامِ ^(١) *

* نَحِيَّةٌ كَالْوَرْدِ فِي الْكَامِ ^(٢) *

* أَزْهَى مِنَ الصِّحَّةِ فِي الْأَجْسَامِ *

* يَسُوقُهَا شَوْقٌ إِلَيْكُمْ نَامِي ^(٣) *

* تَقْصُرُ عَنْهُ هِمَّةُ الْأَقْلَامِ *

* يَا لَيْتَ شِعْرِي بَعْدَ هَذَا الْعَامِ *

* إِلَيْكُمْ تَرْمِي بِي الْمَرَامِي *

* أَمْ يَنْتَوِينِي رَائِدُ الْحِمَامِ ^(٤) *

* فَأَنْطَوِي فِي هَذِهِ الْأَكَامِ ^(٥) *

* وَتُولِمُ الضَّبْعُ عَلَى عِظَامِي ^(٦) *

* وَلَا تَمَّا لِلْوَحْشِ فِي الْإِظْلَامِ *

* فَإِنْ أَتَى يَوْمِي وَأَوْدَى لَامِي ^(٧) *

* وَبَاتَ زَادَ الدُّودَ وَالرَّغَامِ ^(٨) *

(١) مل : تعب . وكاتب الآثام : الملك الذي يكتب سيئات المرء وذنوبه . يريد أن المجلس قد أتى من المعاصي ما يعي كاتب الذنوب فيمل الكتابة من كثرة ما يكتب ويحصى .

(٢) الكام (بكسر الكاف) : جمع كامة ، وهي غطاء الزهر .

(٣) نامي : زائد .

(٤) انتواه : قصده . والحمام الموت . ورائده : رسوله .

(٥) الأكام : جمع أكمة ، وهي الرابية والحجارة تجتمع في مكان واحد ، يريد آكام السودان .

(٦) تولم : تقيم الولائم .

(٨) الرغام : التراب .

(٧) أودى : هلك . ولام الإنسان ، شخصه .

- * بِاللَّهِ أَدْعُوكُمْ وَبِالْإِسْلَامِ *
- * أَنْ تَذْكُرُوا نَاطِمَ ذَا الْكَلَامِ *
- * إِذَا جَلَسْتُمْ تَجَلِسًا لِلْجَامِ ^(١) *
- * وَكَانَ سَاقِيكُمْ مِنَ الْآرَامِ ^(٢) *
- * فِي لَيْلَةٍ وَالْبَدْرُ فِي تَمَامِ *

وداع لصديقيه محمد بدر وأحمد بدر

عند سفرهما إلى بلاد الإنجليز للتعلم

سِيرَا أَيَا بَدْرِي سَمَاءَ الْعُلَا وَاسْتَقْبِلَا السَّمَّ وَلَا تَأْفُلَا ^(٣)

سِيرَا إِلَى مَهْدِ الْعُلُومِ الَّتِي كَانَتْ لَنَا ثُمَّ أَرْدَهَا هَا أَلِيلِي ^(٤)

سِيرَا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَنْبَتَتْ عِزًّا وَأَضَحَّتْ لِلْمَلَا مَوْئِلَا ^(٥)

يَمْشِي عَلَيْهَا الدَّهْرُ مُسْتَخْذِيَاً وَتَجَزَّعُ الْأَحْدَاثُ أَنْ تَنْزِلَا ^(٦)

شِعَارُ أَهْلِيهَا وَأَبْنَائِهَا أَنْ يَعْلَمَ الْمَرْءُ وَأَنْ يَعْمَلَا

(١) الجَام : الإناء من فضة ؛ ويريد به هنا : قودح الخمر ؛ وهو لفظ فارسي معرب .

(٢) الْآرَام : الغزلان ؛ الواحد رُثْم .

(٣) تَمَ الْبَدْر : تمامه وأكملته . وَأَفْلَ الْقَمَرُ وَالشَّمْسُ يَأْفُلُ (بكسر الفاء وضمة) : غابا .

(٤) أَرْدَهَا هَا أَلِيلِي : تهاون بها واستخف .

(٥) يريد "بالأرض" : بلاد الإنجليز . والمَوئِلُ : الملجأ .

(٦) اسْتَخْذَى اسْتَخْذَاهُ : خضع وذل .

فزينا المجّد بنور النهى وجملاً الجاه بأن تكملأ^(١)
 وأستبق العلياء وأستمسكاً بعروة الصبر ولا تعجلاً
 وخبراً الغرب وأبناءه بأننا نحن الرجال الألى^(٢)
 لئن غدا الدهر بنا مدبراً لا بدّ للذير أن يقبلاً
 لازئتما فرعين في دوحة تظلّ من ربحى ومن أملا^(٣)
 نمتكما مضر ورباكما أب كريم جدّ حتى علا
 مضى وقد أولاكم نعمة لا تبسطا فيها ولا تغلأ^(٤)
 فرحمة الله على والد كساكم الإغراز بين الملا

إلى أحمد شوقي بك^(٥)

يودّعه حين سفره إلى مؤتمر المستشرقين

يا شاعر الشرق ! أتتد ماذا تُحاول بعد ذاك؟^(٦)
 هذى النجوم نظمته درر القريض وما كفأك

(١) النهى العقول .

(٢) الألى : أى الذين كان لهم تاريخ حافل بالسبق فى ميادين الحضارة والعلوم ؛ لحذف الصلة للعلم بها .

(٣) الدوحة : الشجرة العظيمة المتسعة الظل .

(٤) لا تبسطا فيها : أى لا تتسعا فى الإنفاق . وغل يده يغناها (من باب نصر) : إذا قبضها عن الإنفاق . وأصله من وضع اليد فى الغل (بضم الغين وتشديد اللام) ، وهو طوق من حديد أو جلد يجعل فى العنق أو فى اليد .

(٥) انظر التعريف بشوقي فى الحاشية رقم ٥ من صفحة ٥٥ .

(٦) اتشد : مهمل .

نحن نَرْضَى بالقُوتِ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا وَإِنْ بَاتَ دُونَ قُوتِ النَّعَامِ^(١)
 وَإِذَا خَانَ قِسْمُنَا مَا شَكَّوْنَا لِسَوَى اللَّهِ أَعْدِلِ الْقَسَامِ^(٢)
 كَيْفَ تَنْسَى يَا (بَابِلُ) غَرِيبًا؟ بَاتَ بَيْنَ الظُّنُونِ وَالْأَوْهَامِ
 وَحَزِينًا إِذْ تَنْفَسَ عَادَتْ خَمَّةُ اللَّيْلِ جَمْرَةً مِنْ ضِرَامِ؟^(٣)
 وَإِذَا أَنْتَ كَادَ يَنْصَدِعُ الْأَفْقُ وَتَعَتَّلَ دَوْرَةُ الْأَجْرَامِ؟^(٤)
 بَاتَ تَحْتَ الْبَلَاءِ حَتَّى تَمْنَى لَوْ يَكُونُ الْمَيِّتُ تَحْتَ الرَّغَامِ^(٥)

وكتب إليه أيضا يعاتبه ويداعبه :

أَدْلَالٌ ذَاكَ أَمْ كَسَلٌ؟ أَمْ تَنَاسٍ مِنْكَ أَمْ مَلَلٌ؟
 أَمْ غَرِيقٌ أَنْتَ فِي جَدَلٍ أَمْ بَكَاسَاتِ الْهَنَا تُمَلُّ؟^(٦)
 أَمْ - وَقَاكَ اللَّهُ - فِي كَدَرٍ أَمْ عَلَى الْأَعْذَارِ مُتَّكِلٌ؟
 أَمْ مَشُوقٌ مُغْرَمٌ وَلَهُ شَفَهُ التَّشْيِيبِ وَالْفَزْلُ؟^(٧)
 أَمْ غَنِيٌّ بَاتَ يَشْغَلُهُ مَالُهُ وَالْكَسْبُ وَالْأَمَلُ؟

(١) ضرب الشاعر قوت النعام مثلا في التفاهة والقلّة، لأن النعمة تقتات بالخصى والحجارة إذا لم تجد ما تقتات به .

(٢) القسم (يكسر القاف) : النصيب والحظ من الخير والرزق .

(٣) يريد "بفحمة الليل" : سواده الشديد المشبه للفحم .

(٤) الأجرام : الأفلاك .

(٥) الرغام (فتح الراء) : التراب . وكنى بالميت تحت الرغام عن الموت .

(٦) الجذل (بالتحريك) : الفرج . والثل : الشوان .

(٧) الوله المتحير من شدة الوجد . وشفه : هزله وأوهنه . والتشييب بالنساء : وصفين وذكر محاسنهن .

أَمْ وَشَىٰ وَإِشْ إِلَيْكَ بِنَا ۖ فَاحْتَوَاكَ الشَّكُّ (يَابْطُلُ) ؟^(١)
 قَدْ مَضَىٰ شَهْرٌ وَأَعْقَبَهُ ضِعْفُهُ وَالْفِكْرُ مُشْتَغِلٌ
 لَا كِتَابٌ مِنْكَ يُطْفِئُ مَا فِي فُؤَادِي بَاتَ يَسْتَعِلُّ
 لَا وَلَا رَدٌّ يُعَالِلُنِي أَوْ عَلَى التَّسْلِيمِ يَسْتَمِلُ^(٢)
 يَا صَدِيقِي لَا مُوَاخَذَةً أَنْتَ يَا بَنَ الْبَابِلِيِّ ... هَوْنُ^(٣)

وكتب إليه أيضا يتشوق :

نَمَى يَا (بَابِلِي) إِلَيْكَ شَوْقِي وَعَيْنِي لَازِمَتْ سَكْبَ الدَّمُوعِ^(٤)
 وَلَوْ أَنِّي تَرَكْتُ سَرَّاحَ قَلْبِي لَطَارَ إِلَيْكَ مِنْ قَفْصِ الضُّلُوعِ

شُكْرُ وَزِير زَار حَافِظًا فِي مَنْزِلِهِ

لَا غَرَوْا إِنْ أَشْرَقَ فِي مَنْزِلِي فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ مُحْيَا الْوَزِيرِ
 فَالْبَدْرُ فِي أَعْلَى مَدَارَاتِهِ لِلْعَيْنِ يَبْدُو وَجْهَهُ فِي الْغَدِيرِ^(٥)

(١) احتواه : ملكه وغلب عليه .

(٢) علة : شغله وألهاه .

(٣) موضع هذه النقط كلمة يستحيا من ذكرها ، ولا تخفى على القارئ .

(٤) نَمَى : زاد .

(٥) يقول في هذين البيتين إن الوزير على سمو منزله قد أشرق نوره في منزلي على ضمته ، ولا عجب ، فالبدْر في السماء تظهر صورته في غدِير الماء .

دعابة^(١) كتب بها إلى الأستاذ حامد سرى (بك)

في يوم زفافه (٢ نوفمبر سنة ١٩١٧) يستهديه من طعام العرس وثيابا بلبسها • وكانا إذ ذاك منجاورين بالجيزة :

أَحْمَدُ كَيْفَ تَنْسَانِي ؟ وَبَيْنِي وَبَيْنَكَ يَا أَحْيَ صَلَّةُ الْجَوَارِ
سَأَشْكُو لِلْوَزِيرِ فَإِنْ تَوَانِي شَكَاؤُكَ بَعْدَهُ لِلْمُسْتَشَارِ^(٢)
أَيْشَبُعُ مُصْطَفَى الْخُلَى وَأَمْسَى أَعَالِجُ جَوْعَتِي فِي كَسْرِ دَارِي^(٣) ؟
وَبَيْتِي فَارِغٌ لَا شَيْءَ فِيهِ سِوَايَ وَإِنِّي فِي الْبَيْتِ عَارِي
وَمَالِي (جَزْمَةٌ) سَوْدَاءُ حَتَّى أُوَافِيكُمْ عَلَى قُرْبِ الْمَزَارِ
وَعِنْدِي مِنْ صَهَابِي الْآنَ رَهْطٌ إِذَا أَكَلُوا فَاسَادَ ضَوَارِي
فَإِنْ لَمْ تَبْعَثْ إِلَى حَالًا بِمَائِدَةٍ عَلَى مَتْنِ الْبُخَارِ
تَنْطِيبُهَا مِنَ الْخُلَى صُنُوفٌ وَمِنْ حَمَلٍ تَبَّلَ بِالْبَهَارِ
فَإِنِّي شَاعِرٌ يُخْشَى لِسَانِي وَسَوْفَ أُرِيكَ عَاقِبَةَ أَحْتِقَارِي

(١) وردت اليها هذه الأبيات بعد الانتهاء من طبع هذا الباب فأثبتناها في آخره • وكان مقتضى طريقتنا في ترتيب

القصائد ترتيبا تاريخيا أن توضع قبل ذلك • أي بعد الأبيات التي رد بها حافظ على شوقي في سنة ١٩١٧ م •

(٢) يريد وزير الزراعة • وكان حامد سرى بك من رجال هذه الوزارة ولا يزال بها إلى اليوم •

(٣) إنما خص الأستاذ مصطفى الخولي بك بالذكر لما بينه وبين الأستاذ حامد سرى من صلة المعاهرة •

الوصف

وصف كساء له

قالها أرتجالا في مجلس من إخوانه
[نشرت في سنة ١٩٠٠ م]

لِي كِسَاءٌ أَنْعَمَ بِهِ مِنْ كِسَاءٍ أَنَا فِيهِ أَتَيْهُ مِثْلَ الْكِسَائِي^(١)
حَاكُهُ الْعِزُّ مِنْ خُيُوطِ الْمَعَالِي وَسَقَاهُ النَّعِيمُ مَاءَ الصَّفَاءِ
وَتَبَدَّى فِي صَبْغَةٍ مِنْ أَدِيمِ اللَّيْلِ مَضْقُولَةً بِحُسْنِ الطَّلَاءِ^(٢)
خَاطَهُ رَبُّهُ بِإِبْرَةٍ يُمْنٍ أَوْجَرُوا سَمَّهَا خُيُوطَ الْهَنَاءِ^(٣)
فَكَأَنِّي - وَقَدْ أَحَاطَ بِجِسْمِي - فِي لِبَاسٍ مِنَ الْعُلَا وَالْبَهَاءِ!
تُكْبِرُ الْعَيْنُ رُؤْيَايَ وَتَرَانِي فِي صُفُوفِ الْوَلَاةِ وَالْأَمْرَاءِ
أَلْفَ النَّاسِ - حَيْثُ كُنْتُ - مَكَانِي أَلْفَةَ الْمُعْدِمِينَ شَمْسَ الشُّتَاءِ
يَا رِدَائِي وَأَنْتَ خَيْرُ رِدَاءٍ أَرْتَجِيهِ لَزِينَةٍ وَأَزْدِهَاءِ^(٤)

(١) الكسائي هو علي بن حمزة ، إمام الكوفيين في النحو واللغة ، وكان من الأولاد أمير المؤمنين هارون الرشيد ، وتوفي حوال سنة ١٨٩ هـ .

(٢) تبدى : ظهر . والأديم : الجلد . وأديم الليل : سواده ، لأنه كالجلد يغشى الشيء ، وينعليه .

(٣) الين : البركة . " وأجروا سمها " الخ أي أدخلوا الخيط في ثقبه ، والإيجار في الأصل : إدخال الوجور (وهو الدواء) في فم المريض ، أو هو الطعن بالرمح في الفم أو الصدر .

(٤) الأزدهاء : الزهر والاختيال .

لا أَحَالَتْ لَكَ الْحَوَادِثُ لَوْأً وَتَهَدَّتْكَ نَابِثَاتُ الْجَوَاءِ^(١)
 غَفَلَتْ عَنْكَ لَيْلِي نَظَرَاتُ وَتَخَطَّتْكَ إِبْرَةُ الرَّقَاءِ
 صَحِبْتَنِي قَبْلَ أَصِطْحَاكِ دَهْرًا بِذِلَّةٍ فِي تَلَوْنِ الْحَرْبَاءِ^(٢)
 نَسَبُوهَا لِطَيْلَسَانَ (ابْنِ حَرْبٍ) نِسْبَةً لَمْ تَكُنْ بِذَاتِ افْتِرَاءِ^(٣)
 كُنْتُ فِيهَا إِذَا طَرَقْتُ أَنَاسًا أَنْكُرُونِي كَطَارِقٍ مِنْ وَبَاءِ
 كَسَفَ الدَّهْرُ لَوْنَهَا وَأَسْتَعَارَتْ لَوْنَ وَجْهِهِ الْكَذُوبِ عِنْدَ اللَّقَاءِ
 يَا رِدَائِي جَعَلْتَنِي عِنْدَ قَوْمِي فَوْقَ مَا أَشْتَهَى وَفَوْقَ الرَّجَاءِ
 إِنِّ قَوْمِي تَرُوقُهُمْ جِدَّةُ الثَّوْبِ بٍ وَلَا يَعْشَقُونَ غَيْرَ الرُّوَاءِ^(٤)
 قِيمَةُ الْمَرْءِ عِنْدَهُمْ بَيْنَ ثَوْبٍ بَاهِرٍ لَوْنُهُ وَيَنْزَ حِذَاءِ
 قَعَدَ الْفَضْلُ بِي وَقُمْتُ بِعِزِّي بَيْنَ صَحْبِي ؛ جُرَيْتَ خَيْرِ الْجَزَاءِ^(٥)

(١) أحاله : حوله من حال إلى حال . ونابثات الجواء : الرياح التي تذهب في الأجواء طولا وعرضا كما يفعل النابح فيما ينسجه ، لأنه يعترض النسببة فيلجم ما أطال من السدى . والجواء جمع جوق بالمعنى المعروف ؛ أو بمعنى القلاة الواسعة .

(٢) الذلّة من الثياب : ما لا يصاب منها . والحرباء : دويبة نحر العظاية تستقبل الشمس برأسها وتدور معها كيف دارت ، وتتلون ألوانا بحد الشمس ؛ ويضرب بها المثل في التقلب .

(٣) الطيلسان (بالفتح وتثنية اللام) : كساء مقدور أخضر لا أسفل له ، لحته وقيل سداه من صوف ، يلبسه الخواص من العلماء ، وأصله من لباس العجم . وطيلسان بن حرب : مثل يضرب لكل ثوب قديم خاق ، وسبب ذلك أن بعض الشعراء كان قد مدح ابن حرب ، فخلع عليه طيلسانا باليا ، فقال في ذلك الطيلسان شعرا كثيرا حتى صير ذلك الطيلسان مثلا لكل ما يلي ورث من الثياب ؛ فن ذلك قوله :

يأين حرب كسوتني طيلسانا رق من صحبة الزمان وصداي

طال ترداده إلى الرفو حقي لو بشناه وجسده لتهدي

وغير ذلك من الشعر . والافتراء : اختلاق الكذب .

(٤) تروقهم : تعجبهم . والرواء : محسن المظهر .

(٥) قعد بي : عجز عن رفع شأنى ، إذ لم يقرمه قومي لجهلهم به .

الحاكي

[نشرت في سنة ١٩٠٠]

وَجَدُّوا السَّبِيلَ إِلَى التَّقَاطُعِ بَيْنَنَا وَالسَّمْعُ يَمْلِكُهُ الْكَذُوبُ الْحَاقِقُ
لَا تَجْعَلِ الْوَاشِينَ رُسُلَكَ فِي الْهَوَى فَلَا صَدَقَ الرُّسُلُ الْجَمَادُ النَّاطِقُ^(١)

الشمس

[نشرت في ١٥ نوفمبر سنة ١٩٠٠]

لَا حَ مِنْهَا حَاجِبٌ لِلنَّاطِرِينَ فَاسُوا بِاللَّيْلِ وَضَاحَ الْجَحِينِ^(٢)
وَمَحَتْ آيُنَهَا آيَتَهُ وَتَبَدَّتْ فِتْنَةً لِلْعَالَمِينَ
نَظَرَ أَبْرَاهَامَ فِيهَا نَظْرَةً فَارَى الشَّكَّ وَمَا ضَلَّ الْيَقِينَ^(٣)
قَالَ : ذَا رَبِّي ، فَلَمَّا أَفَلَتْ (قَالَ : إِنِّي لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ)^(٤)
وَدَعَا الْقَوْمَ إِلَى خَالِقِهَا وَأَتَى الْقَوْمَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ^(٥)

(١) يصف في البيت الأول الوشاة وأنهم أصابوا السبيل لامتلاك سمع من يحجبها بما يلقون إليها من أكاذيب ؛ وما أقدر الكذب على ذلك ، وبنهاها في البيت الثاني عن أن توسط الوشاة بينه وبينها ، فإن فعلت فليكن الرسول ذلك الحاكي ، فهو الجماد الناطق الصادق .

(٢) وضاح الجحيم : القمر .

(٣) أبراهام : لغة في إبراهيم ، وهو نبي الله إبراهيم الخليل عليه السلام . ويشير بذلك إلى ما قصه الله تعالى في القرآن في سورة الأنعام عن إبراهيم عليه السلام ؛ قال تعالى : (فلما رأى الشمس بازغة) الآية . وقوله " فارى الشك " ... الخ ، أي أظهر لقومه أنه شك في الإله لكي يهديهم إليه وهو متيقن وبجوده .

(٤) أفلت : غابت .

(٥) السلطان : الحجة .

رَبِّ إِنَّ النَّاسَ ضَلُّوا وَغَوَوْا وَرَأَوْا فِي الشَّمْسِ رَأْيَ الْخَاسِرِينَ
 خَشَعَتْ أَبْصَارُهُمْ لِمَا بَدَتْ وَإِلَى الْأَذْقَانِ نَحَرُوا سَاجِدِينَ
 نَظَرُوا آيَاتِهَا مُبْصِرَةً فَعَصَوْا فِيهَا كَلَامَ الْمُرْسَلِينَ
 نَظَرُوا بَذَرَ الدُّجَىٰ مَرَاتَهَا تَجَلَّىٰ فِيهِ حِينًا بَعْدَ حِينٍ
 ثُمَّ قَالُوا : كَيْفَ لَا نَعْبُدُهَا هَلْ لَهَا فِيمَا تَرَى الْعَيْنُ قَرِينَ
 هِيَ أُمُّ الْأَرْضِ فِي نِسْبَتِهَا هِيَ أُمُّ الْكَوْنِ وَالْكَوْنُ جَنِينٌ^(١)
 هِيَ أُمُّ النَّارِ وَالنُّورِ مَعًا هِيَ أُمُّ الرِّيحِ وَالْمَاءِ الْمَعِينُ^(٢)
 هِيَ طَلَعُ الرُّوضِ نَوْرًا وَجَنَى هِيَ نَشْرُ الْوَرْدِ ، طِيبُ الْيَاسَمِينِ^(٣)
 هِيَ مَوْتُ وَحَيَاةٌ لِلْوَرَى وَضَلَالٌ وَهُدًى لِلْغَابِرِينَ
 صَدَقُوا لَكَنَّهُمْ مَا عَلِمُوا أَنَّهَا خَلَقَ سَبِيلِي بِالسُّنِينِ
 أَيْلَهُ لَمْ يُنَزَّ ذَاتَهُ عَنْ كُسُوفٍ؟ بِأَسْ زَعْمُ الْجَاهِلِينَ!
 إِنَّمَا الشَّمْسُ وَمَا فِي آيَاتِهَا مِنْ مَعَانٍ لَمَعَتْ لِلْعَارِفِينَ
 حِكْمَةٌ بِالْغَيْةِ قَدْ مَثَلَتْ قُدْرَةَ اللَّهِ لِقَوْمٍ عَاقِلِينَ

(١) يشير بقوله : "هي أم الأرض" إلى المعروف من أن الأرض كانت جزءا من الشمس . ثم اقتصت وبرد
 ظاهرها بتماول الزمن .

(٢) المعين : التابع من العيون .

(٣) يريد "بالطلع" : ما يبدر من الثمرة في أول ظهورها . ونور النبات : زهره . والجنى : ما يجنى من الشجر .
 ونشر الورد رائحته المنتشرة منه .

دولة السيف ودولة المدفع

[نشرت في ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٠٠ م]

- * يا دَوْلَةَ القَوَاضِبِ الصَّقَالِ^(١) *
- * وَصَوْلَةَ الدَّوَابِلِ الطَّوَالِ^(٢) *
- * كَمْ شَدَّتْ بَيْنَ الْأَعْصُرِ الْخَوَالِ^(٣) *
- * مَمَالِكًا عَزِيزَةً الْمَنَالِ^(٤) *
- * قَامَتْ بِحَدِّ الْأَبْيَضِ الْقَصَالِ^(٥) *
- * وَسِنَّ ذَاكَ الْأَسْمَرِ الْعَسَالِ^(٦) *
- * رَاحَتْ بِهَا الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِ *
- * وَخَلَفَتْهَا دَوْلَةُ الْجَلَالِ *
- * مَمْلَكَةُ الْمَدْفَعِ ذَاتُ الْخَالِ^(٧) *
- * قَامَتْ بِحَوْلِ النَّارِ وَالزُّلْزَالِ^(٨) *

(١) القواضب : السيوف القواطع ، الواحد قاضب . والصقال : السيوف المجلوة ، الواحد صقيل .

(٢) الصولة : السطوة والقهر . والدوابل : الرماح الرقيقة اللاصقة بالليط ، وهو القشر ، وهي أجود الرماح ،

الواحد ذابل .

(٣) الخوال : الماضية .

(٤) عزيزة المنال : ممتعة على من يريدها .

(٥) يريد "بالأبيض" : السيف والقصال (بالقاف) : القطاع .

(٦) الأسمر : صفة للريح . والعسال : الشديد الاهتزاز والاضطراب للينة ، وهو من صفات الرماح الجيدة .

(٧) الخال : الكبر والخيلاء .

(٨) الحول : القوة .

* فَأَرْهَبَتْ أَفْئِدَةَ الْأَبْطَالِ *
 * أَرْهَبَهَا مُرْعَزُ الْجِبَالِ^(١) *
 * وَمُرْعَزُ اللَّيْثِ فِي الدُّحَالِ^(٢) *
 * وَقَاطِعُ الْأَجَالِ وَالْأَمَالِ *
 * وَخَاطِفُ الْأَرْوَاحِ مِنْ أُمِّيَالِ *
 * يَشُورُ (كَالْبِرْكَانِ) فِي السَّنَالِ^(٣) *
 * فَيُتْبِعُ الْأَهْوََالَ بِالْأَهْوََالَ *
 * وَيُرْسِلُ النَّارَ عَلَى التَّلَوَالِ *
 * فَيَحِطِّمُ الْهَامَ وَلَا يُبَالِي^(٤) *
 * مَا كَوَّكِبُ الرَّجَمِ - هَوَى مِنْ عَالِي *
 * فَمَرَّ كَالْفِكْرِ سَرَى بِالْبَالِ *
 * عَلَى عَنِيدٍ مَارِدٍ مُخْتَالِ *
 * مُسْتَرِيقٍ لِلسَّمْعِ فِي ضَلَالِ *

(١) يـ يد "بمززع الجبال" : المدفع .

(٢) الدُّحَال جمع دُحُل (بفتح الدال وسكون الحاء) وهو ثقب ضيق فيه ، ثم يتسع أسفله حتى يبدو فيه نبع أو ماء أو نبت السدر ، ويستتر فيه السباع .

(٣) (البركان) : جبل النار . والنزال : القتال .

(٤) يحطم : يكسر . والهام : الرموس ، الواحدة هامة .

(٥) العنيد : المخالف للفق الذي يرده وهو يعرفه ، والجمع عند (بضمهتين) . ويريد "بالعنيد المارد" : الشيطان .

(٦) استرق السمع : استمع مستخفياً . ويشير الشاعر إلى ما ورد من أن الجن كانت تسترق السمع من السماء قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما بعث عليه الصلاة والسلام أرادت الجن استراق السمع كما كانوا يفعلون قبل البعثة ، فرجوا بالشهب ، ذكر الله ذلك في القرآن في سورة الجن .

- * مِنْ عَالَمِ التَّسْبِيحِ وَالْإِهْلَالِ ^(١) *
- * — أَمْضَى وَأَنْكَى مِنْهُ فِي الْقِتَالِ ^(٢) *
- * إِذَا سَرَتْ (قُبْلَةُ) الْوَبَالِ ^(٣) *
- * مِنْ فَمِهِ الْحُشْوُ بِالنَّكَالِ ^(٤) *
- * يَنْذِرُهُمْ فِي سَاحَةِ الْمَجَالِ *
- * بِالْبَرْقِ وَالرَّعْدِ وَبِالْآجَالِ *
- * وَلَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ الْخِتَالِ ^(٥) *
- * يَحْزُ فِي آلِهَامٍ وَفِي الْأَوْصَالِ ^(٦) *
- * صَامِتَ قَوْلٍ نَاطِقِ الْفِعَالِ *
- * رَأَيْتُهُ كَالْقَوْمِ فِي الْمِثَالِ ^(٧) *
- * مَالُوا عَنِ الْقَوْلِ إِلَى الْأَعْمَالِ *
- * فَامْتَلَكُوا نَاصِيَةَ الْمَعَالِ ^(٨) *

(١) الإهلال : رفع الصوت بذكر الله . ويريد "بعالم التسبيح والإهلال" : عالم الملائكة .

(٢) قوله "أَمْضَى" ... الخ خبر "لما" في قوله قبل : "ما كوكب الرجم" . وأنكى : أبلغ نكاية ، أى قتلا وجرحا .

(٣) استعمال « القبلة » بمعنى ما يخرج من فم المدفع عند انطلاقه استعمال شائع في كلام عصرنا ، ولم ترد به لغة العرب ؛ وإنما ورد ذكر القبلة بمعان أخرى . والوبال : الهلاك .

(٤) النكال : العذاب .

(٥) الختال : الخداع ، ويريد به السيف ، والمعنى أن المدفع لا يأخذ الناس على غرة ، بل ينذرهم بشره المشبه للبرق ، ثم بصوته المشبه للرعد ؛ ولم يكن كالسيف الذى يفتك بهم على نفلة فلا يشعرون به إلا وهو يجزروهم وهم و يقطع في أوصالهم .

(٦) يحز : يقطع . وهى من الأفعال التى تتعدى بنفسها . وعديت هنا بالحرف على تضمينها معنى (يقرض) أو نحوها مما يتعدى بالحرف . والأوصال : المقاصل ، الواحد وصل (بالكسر والضم) .

(٧) يريد « بالقوم » : أُمم الغرب .

(٨) الناصية : مقدّم الرأس . وامتلكوا ناصية المعالى ، أى بلنوا ذروتها وأعلاها .

ليلة عيد جلوس الخديو عباس الثاني

يصف فيها الزينة الكبرى التي أقيمت بحديقة الأزبكية في مساء ٨ يناير سنة ١٩٠١ م

- يَالَيْلَةَ أَهْمَتْنِي مَا أَتَيْتُهُ بِهِ عَلَى حُجَاةِ الْقَوَافِي أَيْتَمًا تَاهُوا^(١)
 إِنِّي أَرَى عَجَبًا يَدْعُو إِلَى عَجَبٍ الدَّهْرُ أَصْمَرَهُ وَالْعِيدُ أَفْشَاهُ
 هَلْ ذَاكَ مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ صَفْوَتُهُ رَوْضٌ وَحُورٌ وَوِلْدَانٌ وَأَمْوَاهُ؟^(٢)
 أَمْ الْحَدِيقَةُ ذَاتُ الْوَشْيِ قَدْ حَلَّتْ فِي مَنْظَرٍ يَسْتَعِيدُ الطَّرْفَ مَرَّاهُ؟^(٣)
 أَرَى الْمَصَابِيحَ فِيهَا وَهِيَ مُشْرِقَةٌ كَأَنَّهَا النَّوْرُ وَالْوَسْمِيُّ حَيَّاهُ^(٤)
 أَوْ إِنَّمَا هِيَ أَلْفَاظٌ مُدَبَّجَةٌ وَكُلُّ لَفْظٍ تَجَلَّى فِيهِ مَعْنَاهُ^(٥)
 أَرَى عَلَيْهَا قُلُوبَ الْقَوْمِ حَائِمَةٌ كَالطَّيْرِ لَاحَ لَهُ وَرْدٌ فَوَافَاهُ^(٦)
 أَرَى بَنِي مَضْرَتِ تَحْتَ اللَّيْلِ قَدْ نَسَلُوا إِلَى سُعُودٍ بِهِ ضَاخٌ مُحْيَاهُ^(٧)
 أَرَى عَلَى الْأَرْضِ حَلِيًّا قَدْ نَسِيتُ بِهِ حَلَى السَّمَاءِ وَحُسْنًا لَسْتُ أَنْسَاهُ^(٨)

(١) حُجَاةِ الْقَوَافِي : غُولُ الشَّعْرَاءِ .

(٢) صَفْوَتُهُ : مِنْ أَصْلَفَاهُمْ . وَالْأَمْوَاهُ : جَمْعُ مَاءٍ .

(٣) يَرِيدُ « بِالْوَشْيِ » هُنَا : مَا اخْتَلَفَ مِنْ أَلْوَانِ النَّبَاتِ وَالزَّهْرِ ، تَشْبِيهَا بِالْوَشْيِ فِي الثَّوْبِ ، وَهُوَ النَّقْشُ . « وَيَسْتَعِيدُ الطَّرْفَ مَرَّاهُ » أَيْ أَنَّ جَمَالَ الْمَنْظَرِ يَغْنَى بِتَكَرُّارِ النَّظَرِ .

(٤) النَّوْرُ : زَهْرُ النَّبَاتِ . وَالْوَسْمِيُّ : الْمَطْرَءُ أَوَّلُ الرَّبِيعِ .

(٥) مُدَبَّجَةٌ : مُزَخْرَفَةٌ مُزِينَةٌ . وَتَجَلَّى : تَكْشَفُ .

(٦) حَائِمَةٌ : حَامٍ الطَّائِرُ عَلَى الْمَاءِ : دَارُ حَوْلِهِ . وَالْوَرْدُ (بِكْسْرِ الْوَاوِ) : الْمَاءُ الْمُرُورُ .

(٧) نَسَلُوا : أَسْرَعُوا . وَضَاخٌ : مُضَاهٍ . مُشْرِقُ الْوَجْهِ .

(٨) حَلَى : مَا يَتَرَنُّ بِهِ .

أَرَى أَرِيكَ (عَبَّاس) تَحْفُّ بِهَا وَقَايَةُ اللَّهِ وَالْإِقْبَالُ وَأَجَاهُ^(١)
 أَرَى سُمُو (خَدِيُونَا) وَقَدْ بُسِطَتْ بِالْعَدْلِ وَالْبَذْلِ يُمْنَاهُ وَيُسْرَاهُ
 قُلْ لِلأُلى جَعَلُوا لِلشُّعْرِ جَائِزَةً فِيمَ الْخِلَافِ؟! أَلَمْ يَرْشِدْكُمْ اللَّهُ؟!
 إِنِّي فَتَحْتُ لِي صَدْرًا تَلِيْقُ بِهِ إِنْ لَمْ تُحْلُوهُ فَالْرَّحْنُ حَلَاهُ^(٢)
 لَمْ أَخْشَ مِنْ أَحَدٍ فِي الشُّعْرِ يَسْبِقُنِي إِلَّا فَتَى مَالِهِ فِي السَّيْقِ إِلَّاهُ^(٣)
 ذَاكَ الَّذِي حَكَمْتُ فِيْنَا يَرَاعَتُهُ وَأَكْرَمَ اللَّهُ (وَالْعَبَّاسُ) مَنَوَاهُ^(٤)

سوق الأسعار (البورصة)

[نشرت في ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٠٤ م]

بِبَابِكَ النَّحْسُ وَالشُّعُودُ وَمَوْقِفُ الْيَاسِ وَالرَّجَاءِ
 وَفِيكَ قَدْ حَارَتِ الْيَهُودُ يَا مَطْلَعَ السَّعْدِ وَالشَّقَاءِ^(٥)

*
*

(١) الأريكة : سرير الملك .

(٢) يشير بهذا البيت والذي قبله إلى جماعة من كبار الأدباء والعلماء ، منهم أحمد زكي باشا ، وإسماعيل صبري باشا ، وحفني ناصف بك ، اجتمعوا على أن يجعلوا للشعر جوائز من أنواع مختلفة تمنح للشعراء بحسب درجاتهم في الشعر ، لحافظ يقول : لا تختلفوا في تفضيل بعض الشعراء على بعض ، فالأمر في تفضيلي بين لا جدال فيه ، وإنكم إن لم تحلوا صدري بأعلى هذه الأنواع وأفضلها ، فإن الله قد حلاه بما وهبني من شاعرية مبدعة ، وملكة فياضة .

(٣) يريد « بالفتى » : أحمد شوقي بك الشاعر الأمير .

(٤) اليراعة : القلم . والمتوى : المنزل .

(٥) إنما خص اليهود ؛ لأنهم أعلم من غيرهم بمسائل المال وطرق اكتسابه واستغلاله ، كما هو معروف .

وَوَجَّهْتُ الضَّاحِكُ الْعَبُوسُ قَدْ ضَمَّقَ عَنْ وَصْفِهِ الْبَيَانُ^(١)
 كَمْ سَطَّرْتُ عِنْدَهُ طُرُوسُ بِقِسْمَةِ الْعِزِّ وَالْهَوَانِ^(٢)
 وَطُوطُتْ دُونَهُ رَعُوسُ يَهْتَرِمْ مِنْ خَوْفِهَا الزَّمَانُ^(٣)

*
* *

وَكَمْ أَطَافَتْ بِهِ وَفُودُ وَأَكْثَرُوا حَوْلَهُ الدُّعَاءُ
 فَرَايَحُ نَجْمِهِ سَعِيدُ وَطَامِعُ بِالْخَسَارِ بَاءُ^(٤)

*
* *

لَمَّا عَلَتْ صَيْحَةُ الْمُنَادِي وَأَصْبَحَ الْقَوْمُ فِي عَنَاءُ
 وَشَمَّرَتْ ثَرْوَةُ الْبِلَادِ وَجَحَّتِ الْأَرْضُ وَالسَّمَاءُ^(٥)
 قَنَعْتُ بِالْقُطْنِ فِي الْوَسَادِ وَفِي الْحَشِيَّاتِ وَالْغِطَاءِ^(٦)
 وَإِنَّمَا الْعَاقِلُ الرَّشِيدُ مَنْ سَارَ فِي مَنَهِجِ النَّجَاءِ
 بِاللَّهِ يَا قَوْمُ لَا تَزِيدُوا فَإِنَّ آمَالَكُمْ هَبَاءُ^(٧)

*
* *

(١) سكنت هذه القافية دفعا لما يترتب على تحريكها من وجود إقواء في البيت الثاني ، وهو اختلاف في حركة الروى . ويلاحظ أن في هذه القصيدة أبياتا أخرى سكن رويها دفعا لهذا العيب المتقدم .

(٢) الطروس : الصحائف يكتب فيها ، الواحد طرس (بكسر فسكون) .

(٣) طوطت ، أى انخفضت وتطامنت .

(٤) باء بالخسارة : أى رجع به .

(٥) شمريت ثروة البلاد : أى استعدت للإسراع في الذهاب والضياع .

(٦) الحشيات : الفرش المحشوة ، الواحدة حشبة (بفتح الحاء وشديد الياء) ، وهى المعروفة بالمرتبة .

(٧) الهباء : الغبار ؛ أو هو الشيء المنبث في ضوء الشمس يشبه الدخان .

مُضَارَبَاتٌ هِيَ الْمَنَآيَا وَرُسُلُهَا أَحْرَفُ الْبُرُوقِ^(١)
صَبُوحُ أَصْحَابِهَا الرِّزَايَا وَمَا لَهُمْ دُونَهَا غَبُوقُ^(٢)
قَدْ أَتَلَفَتْ أَنْفُسُ الْبَرَآيَا بِأَسْمِهِمُ الْغَدْرِ وَالْعُقُوقُ

*
*

هَبُوطُهَا الْمَوْتُ ، وَالصُّعُودُ ضَرْبٌ مِنَ الْبُؤْسِ وَالْبَلَاءِ
وَمَا لَهَا عَنْدهُمْ عُهُودُ إِلَّا كَمَا تَعْهَدُ النِّسَاءُ

*
*

كَمْ "بَالَةً" سَبَّيْتُ وَبَالَا وَأَشْبَهْتُ لَامِعَ الدَّرَابِ^(٣)
وَبَدْرَةٍ أَنْبَتَتْ خَبَالَا وَأَتَمَّرْتُ عَاجِلَ الْخَرَابِ^(٤)
وَكَمْ غَنِيٌّ أَضَاعَ مَا لَا وَشَابَ فِي مَوْقِفِ الْحِسَابِ

*
*

فَلْيَتَّعِظْ مِنْكُمْ الْبَعِيدُ وَلِيَتَّقِ اللَّهَ ذُو الثَّرَاءِ^(٥)
فَذَلِكَ التَّاجِرُ الشَّهِيدُ قَدْ عَافَ مِنْ أَجْلِهَا الْبَقَاءُ^(٦)

(١) يريد « بأحرف البروق » ، الرسائل (التلغرافية) .

(٢) الصبوح : ما يشرب في الصباح . والغروق : ما يشرب في العشي .

(٣) (البالة) : مقدار وزن معروف .

(٤) الخبال : ذهاب العقل .

(٥) الثراء : الغنى .

(٦) يشير بقوله : « التاجر الشهيد » إلى أن بعض التجار كان قد انخرعين ذهبته ثروته كلها في تلك المضاربات . وعاف الشيء يعافه ويعفقه : كرهه وزهد فيه .

زلزال مِسِينَا^(١)

سنة ١٩٠٨ م

نَبِّئَانِي إِنِّ كُنْتُمْ تَعْلَمَانِ مَا دَهَى الْكَوْنِ أَيُّهَا الْفَرَقْدَانِ^(٢)
 غَضِبَ اللَّهُ أَمْ تَمَرَّدَتِ الْأَرْضُ ضُفْتُ فَأَتَمَحْتُ عَلَى بَنِي الْإِنْسَانِ^(٣)
 لَيْسَ هَذَا سُبْحَانَ رَبِّي وَلَا ذَا لَكِ وَلَكِنْ طَبِيعَةُ الْأَكْوَانِ
 غَلَبَانُ فِي الْأَرْضِ نَفْسَ عَنْهُ ثَوْرَانُ فِي الْبَحْرِ وَ (الْبُرْكَانِ)^(٤)
 رَبِّ، أَيْنَ الْمَفَرُّ وَالْبَحْرُ وَالْبَرُّ عَلَى الصَّكِيدِ لِلْوَرَى عَامِلَانِ ؟
 كُنْتُ أَخْشَى الْبَحَارَ وَالْمَوْتَ فِيهَا رَاصِدٌ غَفْلَةً مِنَ الرُّبَّانِ^(٥)
 سَابِجٌ تَحْتَنَا ، مُطْلٌ عَلَيْنَا حَائِمٌ حَوْلَنَا ، مُنَاءٌ مُدَانِي
 فَإِذَا الْأَرْضُ وَالْبَحَارُ سَوَاءٌ فِي خَلْقٍ كِلَاهُمَا غَادِرَانِ^(٦)
 مَا (لِمَسِينِ) ؟ عَوِجَلَتْ فِي عَمَاهَا وَدَعَاهَا مِنَ الرَّدَى دَاعِيَانِ

(١) مِسِينَا : بلد بجنوبي إيطاليا معروف وقع فيه هذا الزلزال .

(٢) الْفَرَقْدَانِ : نجان معروفان .

(٣) أَتَمَحْتُ عَلَى بَنِي الْإِنْسَانِ : أى أقبلت عليهم بالعذاب . ويرويه بعض الأدباء : « فَأَخَذْتُ » ، أى أهلكتهم وأنت عليهم .

(٤) نَفْسَ عَنْهُ : خفف .

(٥) الرُّبَّانِ : رؤيس السفينة .

(٦) الْخَلْقُ : الحظ والنصيب من الخير والصلاح . يقول في هذه الأبيات الثلاثة : إنه كان لا يخشى إلا غائلة البحر ، ويأمن جانب البر فإذا بهما في الغدر سواء .

وَمَحَتْ تَائِبُكُمْ الْحَاسِنَ مِنْهَا حِينَ تَمَّتْ آيَاتُهَا آيَاتُهَا^(١)
 خُسِفَتْ ، ثُمَّ أُغْرِقَتْ ، ثُمَّ بَادَتْ قُضِيَ الْأَمْرُ كُلُّهُ فِي ثَوَانِي
 وَأَلَى أَمْرُهَا فَأَضْحَتْ كَأَنَّ لَمْ تَكُ بِالْأَمْسِ زِينَةَ الْبُلْدَانِ
 لَيْتَهَا أُمِهَلَتْ فَتَقْضَى حُقُوقًا مِنْ وَدَاعِ اللَّادَاتِ وَالْجِيرَانِ!^(٢)
 لِحَاحَةٍ يَسْعِدُ الصَّدِيقَانِ فِيهَا بِاجْتِمَاعٍ وَيَلْتَقِي الْعَالِمَانِ
 بَغَتْ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ عَلَيْهَا وَطَغَى الْبَحْرُ أَيْمًا طُغْيَانِ^(٣)
 تِلْكَ تَغْلِي حَقْدًا عَلَيْهَا فَتَنْشَقُّ أَنْشِقَاقًا مِنْ كَثْرَةِ الْغَلِيَانِ^(٤)
 فَجُجِبُ الْجِبَالُ رَجْمًا وَقَدْفًا بِشَوَاطِئِ مِنْ مَارِجٍ وَدُخَانِ^(٥)
 وَتُسَوِّقُ الْبَحَارُ رَدًّا عَلَيْهَا جَيْشَ مَوْجٍ نَائِي الْجَنَاحَيْنِ دَانِي^(٦)
 فَهَذَا الْمَوْتُ أَسْوَدُ اللَّوْنِ جَوْنٌ وَهَذَا الْمَوْتُ أَحْمَرُ اللَّوْنِ قَانِي^(٧)
 جَنَدَ الْمَاءِ وَالثَّرَى لِهَلَاكِهِ خَلَقِي ثُمَّ اسْتَعَانَ بِالنَّيْرَانِ^(٨)
 وَدَعَا السُّحْبَ عَاتِيًا فَأَمَدَّتْ بِهِ بِجَيْشٍ مِنَ الصَّوَاعِقِ ثَانِي^(٩)

(١) يريد « بالآيتين » : زلزال الأرض ؛ وفيضان البحر .

(٢) اللدات : الأتراب ، الواحدة لدة (بكسر اللام وتخفيف الدال) . والمراد نظائرهما من البلاد .

(٣) بغى عليه : ظلمه .

(٤) تلك : أي الأرض .

(٥) الشواطئ : لهب لادخان فيه . والمارج : الشعلة الساطعة ذات اللهب الشديد .

(٦) نائي الجناحين : أي بعيد ما بين الجنابين . والداني : القريب . يريد أن الموج ينسع مرة ويضيق أخرى .

(٧) الجلون : الشديد السواد . والقاني والقاني : الشديد الحجرة . والعرب تطلق الموت الأسود على الموت خفقا ، والموت الأحمر على الموت قتلا لما يحدثه القتل من سيلان الدم .

(٨) الضمير في « جند » و « استعان » : الموت .

(٩) عاتيا : معتديا ظالما .

فَأَسْتَحَالَ النَّجَاءُ وَأَسْتَحْكَمَ الْيَأُ سُ وَخَارَتْ عَزَائِمُ الشَّجْعَانِ^(١)
وَشَنَى الْمَوْتُ غِلَّهُ مِنْ نُفُوسِ لَا تُبَالِيهِ فِي مَجَالِ الطُّعَانِ^(٢)
أَيْنَ (رِدْجُو)؟ وَأَيْنَ مَا كَانَ فِيهَا؟ مِنْ مَغَانٍ مَأْهُولَةٍ وَغَوَانِي^(٣)
عُوجِبَلَتْ مِثْلَ أُخْتِهَا وَدَهَاهَا مَا دَهَاهَا مِنْ ذَلِكَ الثَّوْرَانِ^(٤)
رَبُّ طِفْلٍ قَدْ سَاخَ فِي بَاطِنِ الْأَرِ ضٍ يُنَادِي: أُمِّي! أَيْ! أَدْرِكَانِي!^(٥)
وَقَتَاةٍ هَيِّفَاءَ تُشَوِي عَلَى الْجَمِّ رِ تُعَانِي مِنْ حَرِّ مَا تُعَانِي^(٦)
وَأَبٌ ذَاهِلٌ ، إِلَى النَّارِ يَمْشِي مُسْتَمِيتًا تَمْتَدُّ مِنْهُ أَلْيَدَانِ
بَاحِثًا عَنْ بَنَاتِهِ وَبَنِيهِ مُسْرِعَ الْخَطْوِ مُسْتَطِيرَ الْجَنَانِ^(٧)
تَأْكُلُ النَّارُ مِنْهُ لَا هُوَ نَاجٍ مِنْ لَظَاهَا وَلَا اللَّظَى عَنْهُ وَإِنِّي^(٨)
غَصَّتِ الْأَرْضُ أُتْخِمَ الْبَحْرُ مِمَّا طَوَيَاهُ مِنْ هَذِهِ الْأَبْدَانِ^(٩)
وَشَكَا الْحَوْتُ لِلنُّسُورِ شَكَاةً رَدَدَتْهَا النَّسُورُ لِلْحَيْتَانِ

(١) خارت : ضعفت .

(٢) الغل : الحقد والموجدة .

(٣) ريدجو كالبريا : ولاية في إيطاليا ، وهي القصوى من جهة الجنوب ، متاخمة للبحر الأيوني ومضيق مسينا ، وقد هدمها ما انتابها من الزلازل . وإلى هذا يشير الشاعر . والمعاني : المنازل التي غنى بها أهلها أى سكنوا وأقاموا ، الواحد معنى (يفتح الميم والنون وسكون الغين) . والنواني : النساء غنن ببجاهن وحسنهن عن الزينة .

(٤) أختها : مسينا .

(٥) ساخ : غاص .

(٦) الهيفاء : الضامرة البطن ، الرقيقة الخصر .

(٧) مستطير الجنان : أى ذاهب القلب جزعا وإشفاقا .

(٨) اللظى : حر النار واشتعالها .

(٩) غصت : أى امتلأت . وأتخيم : امتلأ جوفه ، من التخم ، وهى الامتلاء من الطعام .

أَسْرَفَا فِي الْجُسُومِ نَقْرًا وَنَهَشًا ثُمَّ بَاتَا مِنْ كِظَّةٍ يَشْكُوَانِ^(١)
 لَا رَعَى اللَّهُ سَاكِنَ الْقِمَمِ الشُّ ثُمَّ وَلَا حَاطَ سَاكِنَ الْقِيَعَانِ^(٢)
 قَدْ أَغَارَا عَلَى أَكُفِّ بَرَاهَا بَارِئُ الْكَائِنَاتِ لِلْإِتْقَانِ^(٣)
 كَيْفَ لَمْ يَرْحَمَا أَنَا مِلْهَا الْغُ رَوَّ وَلَمْ يَرْفُقَا بِتِلْكَ الْبَنَانِ^(٤)
 لَهْفَ نَفْسِي وَأَلْفَ لَهْفٍ عَلَيْهَا مِنْ أَكُفِّ كَانَتْ صَنَاعَ الزَّمَانِ^(٥)
 مُوَلَعَاتٍ بِصَيْدِ كُلِّ جَمِيلٍ نَاصِبَاتٍ حَبَائِلَ الْأَلْوَانِ^(٦)
 حَافِرَاتٍ فِي الصَّخْرِ أَوْ نَاقِشَاتٍ شَائِدَاتٍ رَوَائِعَ الْبُنْيَانِ
 مُنْطِقَاتٍ لِسَانَ كُلِّ جَمَادٍ مُفْجِحَاتٍ سَوَاجِعَ الْأَفْنَانِ^(٧)
 مُلْهِمَاتٍ مِنْ دِقَّةِ الصَّنْعِ مَا لَا يُلْهِمُ الشَّعْرُ مِنْ دَقِيقِ الْمَعَانِي
 مِنْ تَمَائِيلَ كَالنُّجُومِ الدَّرَارِي يَهْرُمُ الدَّهْرُ وَهِيَ فِي عُنْفُوانِ^(٨)

(١) الكظة : البطنة وما يعتري الإنسان من الامتلاء من الطعام .

(٢) ساكن القمم : يريد النمر لأنه يسكن أعالي الجبال . والشم : العالية المرتفعة ، الواحدة شماء . وحاط : حفظ ووقى . ويريد « ساكن القيعان » : ما يسكن قيعان البحر من الحيتان ، كما يدل على ذلك ما سبق .

(٣) براهها : خلقها . ويريد أكف أصحاب الفنون .

(٤) البنان : الأصابع ، الواحدة بنانه .

(٥) الصناعات : الحاذقة الماهرة في العمل .

(٦) الحبائل : الأشراك . ويريد بقوله : « ناصبات حبائل الألوان » أن هذه الصور تتصيد القلوب والأنظار بما فيها من دقة وإتقان . ويحكى أن رفائيل المصور المعروف صور مرة عتقودا من العنب على حائط نفدع به بعض الطيور ، قال إليه ينقر حبه .

(٧) سواجع الأفنان : اللغائم التي تسجع ، أي تغرد . والأفنان : الأغصان ، الواحد فنن (بالتحريك) . ويشير بالسطر الأول إلى ما تصنعه هذه الأيدي من التماثيل التي تقرب من الحقيقة حتى تكاد تغلق ؛ وبالسطر الثاني إلى أيدي الموسيقيين البارعين .

(٨) الداراري (بتشديد الاء ، وخفف للشعر) : جمع درى ، وهو الكوكب المتوقد المتلاشي الصافي الشعاع . وعنقوان الشباب : أوله وريعانه .

عَجِبْ صُنْعَهَا ! وَأَعْجِبْ مِنْهُ صُنْعُهُ ! تِلْكَ قُدْرَةُ الرَّحْمَنِ ^(١)
إِيَّاهُ «مُسِينٍ» آيِسِي الْيَوْمَ «بُنْمِيْسِي» فَقَدْ أَوْحَشَتْ بِذَلِكَ الْمَكَانِ ^(٢)
آيِسِي الدَّرَّةَ الَّتِي كَانَتْ الْحُلِيَّةَ فِي تَاجِ دَوْلَةِ (الرُّومَانِ)
غَالَهَا قَبْلَكَ الزَّمَانُ أَغْتِيَالًا وَهَى تَلْهُو فِي غِبْطَةٍ وَأَمَانٍ ^(٣)
جَاءَهَا الْأَمْرُ وَالسَّرَاةُ عُكُوفٌ فِي الْمَلَاهِي عَلَى غَايِ الْقِيَانِ ^(٤)
بَيْنَ صَبٍّ مُدَلِّهِ وَطَرُوبٍ وَخَلِيعٍ فِي اللَّهْوِ مَرْنَحَى الْعِنَانِ ^(٥)
فَانْطَوَوْا كَانْطَوَاءِ أَهْلِكَ بِالْأَمْسِ زَالَتْ بِشَاشَةِ الْعُمَرَانِ
أَنْتِ (مُسِينٍ) لَنْ تَزُولِي كَمَا زَا لَتَ وَلَكِنْ أَمْسَيْتِ رَهْنَ الْأَوَانِ ^(٦)
إِنَّ إِيْطَالِيَا بَنُوهَا بُنَاءً فَاطْمَنَتِي مَا دَامَ فِي الْحَيِّ بَانِي
فَسَلَامٌ عَلَيْكَ يَوْمَ تَوَلَّيْتِ بِمَا فِيكَ مِنْ مَغَانٍ حِسَانِ!
وَسَلَامٌ عَلَيْكَ يَوْمَ تَعُودِينَ كَمَا كُنْتَ جَنَّةَ الطُّيَّانِ!

(١) صنعه : أى صنع الله تعالى . يقول : إن هذه التماثيل -- مهما بولغ في إتقانها ودقتها -- لا تبلغ صنع الله الذى أتقن كل شئ .

(٢) بمي : مدينة قديمة من إيطالية الجنوبية تبعد اثني عشر ميلا عن نابلى إلى الجنوب الشرقى وموقعها بجوار جبل فيزوف ؛ وقد حدث فيها زلزلتان خربتا قسما منها فى سنة ٦٣ م وكان بين هاتين الزلزلتين فترة أشهر ، ثم خربت بالمواد المنقلبة فى ٢٤ آب سنة ٧٩ م ، وبقيت هذه المدينة مدة سبعة عشر قرنا بعد ذلك مطمورة ، طامسة الذكر ؛ حتى كشفت أخيرا .

(٣) غالها : أهلكها :

(٤) يريد «بالأمر» : الهلاك والفناء . والسراة : جمع سرى (بفتح السين وتشديد الباء) ، وهو الرفيع القدر من الناس . والقيان : المغنيات ، الواحدة قيئة .

(٥) المدله : الداهب العقل من عشق ونحوه . والخليع : المتهتك . ومرنحى العنان : المدودله فى حبل الشهوات .

(٦) يريد بقوله : «أمسيت رهن الأوان» : أنه الوقت الذى يجدد الشعب فيه عمارتك ، ويعيد ما هدمته الزلازل من مغانيك فتصيحين كما كنت ، كما يدل عليه البيت الذى بعده .

وَسَلَامٌ مِنْ كُلِّ حَيٍّ عَلَى الْأَرْضِ ضِ عَلَى كُلِّ هَالِكٍ فِيكَ فَايْ!
 وَسَلَامٌ عَلَى الْأَلَى أَكَلِ الدُّبِّ بُ وَنَاشَتْ جَوَارِحُ الْعِقْبَانِ! ^(١)
 وَسَلَامٌ عَلَى أَمْرِي جَادَ بِاللَّهْمَجِ وَتَنَّى بِالْأَصْفَرِ الرَّنَانِ! ^(٢)
 ذَاكَ حَقُّ الْإِنْسَانِ عِنْدَ بَنِي الْإِنْسَانِ لَمْ أَدْعُكُمْ إِلَى إِحْسَانِ
 فَأَكْتُبُوا فِي سَمَاءِ (رَدْجُو) وَ(مَسِيدِ) نَا) وَ(كَالْبَرِيَا) بِكُلِّ لِسَانِ
 هَاهُنَا مَضْرَعُ الصُّنَاعَةِ وَالتَّصْصِ وَيَرِ وَالْحَذَقِ وَالْحِجَا وَالْأَغَانِي ^(٣)

براعة غناء

قالها في جاك رومانو المغني الإسرائيلي المعروف ^(٤)

[نشرت في ١٠ نوفمبر سنة ١٩٠٨ م]

ارْحَمُونَا بَنِي الْيَهُودِ كَفَاكُمْ مَا جَمَعْتُمْ بِحِ ذُنُوبِكُمْ مِنْ نَقُودٍ
 وَأَصْفَحُوا عَنْ عُقُولِنَا وَدَعُوا الْخَلْقَ بِسِرِّ التَّوْرَةِ وَالتَّلَاهُودِ ^(٥)
 لَا تَزِيدُوا عَلَى الصُّكُوكِ فِخَاخًا مِنْ غِنَاءٍ مَا بَيْنَ دُفٍّ وَعُودٍ ^(٦)

(١) ناشت : نهشت .

(٢) الأصفر الرنان : الذهب ؛ يريد ما يتبرع به المتبرعون في عمارة هذا البلد

(٣) الحجا : العقل .

(٤) جاك رومانو : يهودي من أهالي الاسكندرية ، كان من رجال المال ، يعمل عملاً رئيسياً في أحد المصارف ، وكان حسن المنادمة والفناء ، ظريف الشائل ، وكان صديقاً حميماً للرحوم عبده الخامولي :

(٥) التلهود : سفر ديني لليهود نما في القرون الأربعة أو الستة من العهد المسيحي : وصار مع التوراة كتاب اليهود المقدس .

(٦) الصكوك : وثائق الديون التي اشترى بها اليهود .

وَيَحْكُمُ إِنَّ (جَاكَ) أُسْرَفَ حَتَّى زَادَ فِي قَوْمِهِ عَلَى (دَاوُدَ) ^(١)
 أَسْمُوهُ ، لَا أَسْكَتَ اللَّهُ ذَكَ الصَّوْتِ صَوْتِ الْمُتَيْمِ الْغَرِيدِ ^(٢)
 أَوْ دَعُوهُ ، فِدَاؤُهُ - إِنَّ تَغْنَى - كُلُّ نَفْسٍ وَكُلُّ مَا فِي الْوُجُودِ

وقال فيه ايضا :

[نشرت في ١٥ نوفمبر سنة ١٩٠٨ م]

يا (جَاكَ) إِنَّكَ فِي زَمَانِكَ وَاحِدٌ وَلِكُلِّ عَصْرٍِ وَاحِدٌ لَا يُلْحَقُ
 إِنَّ الْأَلَى قَدْ عَاصَرُوكَ وَفَاتَهُمْ أَنْ يَسْمَعُوكَ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَخْلُقُوا
 قَدْ جَاءَ (مُوسَى) بِالْعَصَا وَآتَيْنَا بِالْعُودِ يَشْدُو فِي يَدَيْكَ وَيَنْطِقُ ^(٣)
 فَإِذَا أَرْتَجَلْتَ لَنَا الْغِنَاءَ فَكُنَّا مَهْجَ تَسِيلٍ وَأَنْفُسٌ تَحْرِقُ
 فَمُطَالِبٌ بِإِعَادَةٍ ، وَمُطَالِبٌ بِزِيَادَةٍ ، وَمَهْلَلٌ وَمَصْفَقٌ
 تَتَسَابَقُ الْأَسْمَاعُ صَوْبَكَ كَلَمًا غَنِيَّتَهَا شَوْقًا إِلَيْكَ وَتُعْنِقُ ^(٤)
 وَتَوَدُّ أَفْتِدَةً هَتَكْتَ شَغَافَهَا لَوْ أَنَّهَا بِذُيُولِهَا تَتَعَلَّقُ ^(٥)
 خُلِقَ كَمَا شَاءَ الْجَلِيسُ وَشِيْمَةً يَذْكُوبُهَا صَدْرُ النَّدَى وَيَعْبِقُ ^(٦)
 وَمَرْوَةٌ لَوْ أَنَّهَا قَدْ قَسَمَتْ بَيْنَ الْيَهُودِ لِأَحْسَنُوا وَتَصَدَّقُوا

(١) خص داود عليه السلام لما اشتهر به من حسن الصوت ، ولما اشتهرت به مزاميره من التزم بها وترتيلها .

(٢) الغريد : المفرد .

(٣) موسى : هونى الله موسى بن عمران عليه السلام ؛ ومعجزته في عصاه مشهورة ورد ذكرها في القرآن .

(٤) صوبك جهتك . وتعنى : تسرع . (٥) بذيلها : أى الأسماع . وشغاف القلب : غلافه .

(٦) الندى مجلس القوم . ويذكرو ويعبق : أى يطيب وينعطر .

نادى الألعاب الرياضية

أنشدها في ليلة أحياها نادى الألعاب الرياضية (بالأوبرا الملكية)

[ليلة السبت ٨ أبريل سنة ١٩١٦م]

بنادى الجزيرة قف ساعة وشاهد برّك ما قد حوى
 ترى جنة من جنان الربيع تبدت مع الخلد في مستوى^(١)
 جمال الطبيعة في أفقها تجلى على عرشه وأستوى^(٢)
 فقل للجزين وقل للعليل وقل للملوك : هناك الدوا
 وقل للأديب : ابتدر ساحها إذا ما اليان عاك التوى^(٣)
 وقل للمكب على درسه إذا نهك الدرس منه القوى^(٤)
 تنسم صباها تجدد قواك فأرض الجزيرة لا تجوى^(٥)
 ففيها شفاء أرضي الموم ومأهى كريم لمرضى الهوى
 وفيها وفي نياها سلوة لكل غريب رمته النوى^(٦)
 وفيها غذاء لأهل العقول إذا الرأس إثر كلال خوى^(٧)

(١) تبدت : ظهرت .

(٢) تجلى : ظهر . واستوى أى استقر .

(٣) السّاح : جمع ساحة . والتوى : صعب واستعصى .

(٤) المكب على درسه : المقل عليه المجتهد فيه .

(٥) لا تجوى : أى لا تتركه الإقامة بها .

(٦) النوى : البعد .

(٧) الكلال الإعياء والتعب . وخوى : خلا .

وَيَارُبَّ يَوْمٍ شَدِيدِ اللَّظَى رَوَى عَنْ جَهَنَّمَ مَا قَدْ رَوَى ^(١)
 بِهِ الرِّيحُ لَفَاحَةً لِلْوُجُوهِ بِهِ الشَّمْسُ نَزَاعَةً لِلشَّوَى ^(٢)
 قَصَدْتُ الْجَزِيرَةَ أَبْغَى النَّجَاةِ وَجِسْمِي شَوَاهُ اللَّظَى فَاشْتَوَى
 فَالْفَيْتُ نَادِيَهَا زَاهِرًا وَالْفَيْتُ ثُمَّ نَعِيمًا ثَوَى ^(٣)
 فَأَنْزَلَنِي مُنْزَلًا طَيِّبًا وَرَوَى فَوَادِي حَتَّى أَرْتَوَى
 وَأَطْفَاءً وَارِفُ تِلْكَ الظُّلَالِ سَعِيرَ الْهَجِيرِ وَحَرَّ الْجَلَوَى ^(٤)
 وَحَلَّ الْأَصِيلُ دِقَالَ الشَّامِ فَهَبَّتْ بَنَشْرَ إِلَيْهَا أَنْضَوَى ^(٥)
 فَأُحِيتَ بِنَفْسِي ذِكْرَى الشَّبَابِ وَمَا كَانَ مِنْهَا وَمِنْهُ أَنْطَوَى ^(٦)
 وَعَاوَدَ قَلْبِي ذَاكَ الْخُفُوقِ وَقَدْ كَانَ بَعْدَ الْمَشِيبِ أُرْعَوَى ^(٧)
 فَمَا بَالُ قَوْمِي لَا يَأْخُذُونَ لَتِلْكَ الْجِنَانِ طَرِيقًا سَوَا؟ ^(٨)
 وَمَا بَالُ قَوْمِي لَا يَنْزِلُونَ بَغَيْرَ (جُرُوبِي) وَ (بَارِ الْأَوَا)؟ ^(٩)

(١) اللَّظَى : شدة الحر .

(٢) لفاحة الوجوه : محركة لها مغيرة لألوانها . والشوى : البدان والرجلان وتحف الرأس . وكفى بقوله : « نزاعة للشوى » : عن شدة الحر . يشير إلى قوله تعالى في وصف جهنم : (كلا إنها لظى نزاعة للشوى) .

(٣) ثوى بالمكان : أقام به .

(٤) الوارف من الظلال : ما اتسع وامتد منها . والهجير : شدة الحر . والجلوى : الحزن والحركة وشدة الوجد .

(٥) الأصيل وقت العشي . يقول : إن ربح الشمال انطلقت في هذا الوقت . والنشر : الرائحة الطيبة . وانضوى انضم إليها وامتزج بها .

(٦) الضمير في « منها » للذكرى ؛ وفي « منه » للشباب .

(٧) ارعوى عن الأمر : رجع عنه وكف .

(٨) طريقا سوا (بفتح السين والقصر) ، أى سوا (بالمدة) بمعنى المستوى الذى لا عوج فيه .

(٩) جربى ، وبار الوا : مقهيان معروفان في القاهرة يقصد إليهما خاصة الناس .

تَراهُمُ على نَودِهِمُ عَكْفًا يُبادِرُ كُلُّ إلى ما غَوَى^(١)
ولو أنصَفُوا الجِسمَ لَأَسْتَظْهَروا له (بالمران) وطِيبَ الهَوا^(٢)

*
* *

فيا نادياً ضمَّ أنسَ النَّدِيمِ وَلَهُوَ الكَرِيمِ وَقِيتَ إِلَيَّ
لِيَا لَيْكَ أنْسُ جَلَاها الصَّفا فَأَسْرَتْ إِلَيْكَ وَفُودُ الْمَلَا^(٣)
فَكَمَ لَيْلَةٍ طابَ فيكَ الحَدِيثُ فَكانَ الكُثُوسَ وكانَ الطَّلَا^(٤)
فَمِنْ مُشْجِياتٍ إلى مُطَرِّباتٍ إلى مُضْحِكَاتٍ تُسَلِّي ، إلى ...^(٥)
وقد زانَ لهُوَكُ ثوبُ الوَقارِ فَلهُوَكُ في كُلِّ ذَوِّ حَلا
تَخَفُ إِلَيْهِ رِزانُ الحِجَا وَتَمَشَّى إِلَيْهِ السَّراةُ الأُلَى^(٦)
فَقُلْ لِلَّذِي باتَ تَحْتَ العُقودِ بِحَرْبٍ على نَفْسِهِ مُبْتَلَى^(٧)
أَتَلَّكَ الأَماكِنُ لا تُسْتَرادُ ؟ أَتَلَّكَ المَنائِظُ لا تُجْتَلَى ؟^(٨)

(١) الزد : هو اللعبة المعروفة (بالطاولة) .

(٢) استظهروا : اى استعانوا . و « له » أى لأجله . والذي وجدناه فى كتب اللغة مرن الجسم مرونا ومرانة لا مرانا كما استعمله الشاعر متابعاً لما شاع فى كلام أهل العصر .

(٣) الإسماء والسرى : السير بالليل .

(٤) الطلا . (بالما ، وقصر للضرورة) : الخمر ؛ شبه به طيب الحديث .

(٥) إلى : أى إلى غير ذلك من أنواع اللهاو .

(٦) الرزان : جمع رزين . يريد العقول الراجحة . وتخف له : أى إلى ما فى هذا النادى من لهُو ومتاع . وسراة القوم : ذور الأقدار الرفيعة ، الواحد سرى (بفتح السين وشديد الياء) والألى : أى الذين بلغوا من الرفعة وعلو المنزلة مبالغاً عظيماً ؛ فحذف الشاعر الصلة للعلم بها .

(٧) العقود : نوع من الأبنية معروف فى مصر ؛ ومنه ما يسمى (بالبواكى) ؛ وكان بعض أصحاب المقاهى يتخذون تحتها مقاعد للناس .

(٨) تستراد : تبغى وتطلب .

اتَّخَذَ السَّمَاءَ وَبَدَرَ السَّمَاءَ وَيَيْنَ الرِّيَاضِ وَيَيْنَ الْخَلَا
 يَمَلُّ الْجُلُوسُ وَيَفْنَى الْحَدِيثُ ؟ فَهَذَا النِّعَمُ وَإِلَّا فَلَا !
 سَأَلْتُ الْأَلَى يَقْدِرُونَ الْحَيَاةَ أَلَمْ تَفْتَنَنِيكُمْ ؟ فَقَالُوا : بَلَى
 مَكَانٌ لَعْمَرُكَ مَا حَلَّ فِي نَوَاحِيهِ ذُو الْحُزْنِ إِلَّا سَلَا
 فَمَا أَنْتَ فِي مِصْرٍ إِنْ لَمْ تَطْرُ إِلَيْهِ فَتَشْهَدَ تِلْكَ الْحُلَى
 لَهُ مَلْعَبٌ فِيهِ مَا يَشْتَهَى مُحِبُّ الرِّيَاضَةِ مَهْمَا غَلَا
 لِكُلِّ فَرِيقٍ بِهِ لُغْبَةٌ ثَلَاثُمُ مِنْ سِنِّهِ مَا خَلَا^(١)

* *

وَلِغَبٌ هُوَ الْخِدُّ لَوْ أَنَّنا نَظَرْنَا إِلَيْهِ بَعَيْنِ النَّهَى
 لَدَى غَيْرِ (مِصْرٍ) لَهُ حُظُوءَةٌ فَكَمْ رَاحَ يَلْهُو بِهِ مَنْ لَهَا
 وَفِي أَرْضِ (يُونَانَ) شَاهِدَتُهُ فَأَيُّ جَمَالٍ إِلَيْهِ أَتَهَى
 وَشَاهَدَتْ مُوسِمَهُ قَدْ حَوَتْ نَوَاحِيهِ غَايَةَ مَا يُشْتَهَى
 وَمَا جَ بَزْوَارِهِ الْمُؤَلَعِينَ وَأُضْحَى بَعْرِشِ الْمُلُوكِ أَزْدَهَى^(٢)
 وَقَدْ زَادَ الْعَابَةَ بِهِجَةً مَكَانٌ فَسِيحٌ مُعَدُّ لَهَا
 صِرَاعٌ وَعَدُوٌّ بَعِيدُ الْمَدَى وَوَيْبٌ يَكَادُ يَنَالُ السَّهَا^(٣)

(١) ما خلا : أى ما مضى من عمره .

(٢) ازدهى : افتخر واختال .

(٣) العدو : الجرى . والها : كوكب خفى لشدة بعده .

وشاهدتُ عداءَهُمُ قد عدا^(١) ثلاثينَ ميلاً وما إن وهى^(٢)
 وقامتُ ملاكَةً اللاعين^(٣) فأنستَ تَناطَحَ وَحِشَ الْمَهَا^(٤)
 بأوحى من اللّمعج كانَ النّزال^(٥) فيا ويلَ منَ مِنْهُمَا قد سَهَا^(٦)
 ولو رُحْتُ أنعتُ تلكَ الضُّروب^(٧) لَضاقَ القَريضُ وأَعْيَا بِهَا^(٨)
 على أن في أفقنا نَهْضَةً سَتَبْلُغُ رَغَمَ القُعودِ المَدَى^(٩)
 وإن لم تَكُنْ بلغت أَوْجَهَا^(١٠) وكذا كلُّ شَيْءٍ إذا ما أَبْتَدَا^(١١)
 ونادى الرِّياضَةَ أُولَى بَأْنِ يَكُونُ عَلَيْهَا مَنَارَ الهُدَى^(١٢)
 أَظَلَّتْ جَلالَ أَعْمَالِهِ ظِلالُ (حُسَيْنٍ) حَلِيفِ النَّدَى^(١٣)
 مَلِكُ رَعاهِ بِإِقْبَالِهِ وَحُسْنِ عِنايَتِهِ وَالْجَدَا^(١٤)
 ففِي عَهْدِهِ فَليُجَدِّ الحُجْدُ فَإِنَّ السُّعودَ بِهِ قد بَدَا^(١٥)

(١) عدا : جرى . وهى : ضعف .

(٢) المهّا : بقر الوحش ، الواحدة مهّاة .

(٣) أوحى من اللّح : أى أسرع منه . والوحى (بالألف المقصورة ، والواو بالمد) السرعة . ومنهما ، أى من المتلاكين .

(٤) الضروب : أنواع اللعب .

(٥) أوجها : أى غاية ما تسمو إليه .

(٦) عليها : أى تلك النهضة السابق ذكرها .

(٧) يريد المنفور له السلطان حسين كامل . والندى : الحود .

(٨) الجدا : العطاء .

رحلة حافظ إلى إيطاليا

[نشرت في نوفمبر سنة ١٩٢٢ م]

عاصِفٌ يَرْتَمِي وَبَحْرٌ يَغِيرُ أَنَا بِاللَّهِ مِنْهُمَا مُسْتَجِيرٌ^(١)
وَكَاَنَّ الْأَمْوَاجَ - وَهِيَ تَوَالِي مُحَقَّقَاتٌ - أَشْجَانُ نَفْسٍ تَتَوَرُّ^(٢)
أَزِيدَتْ، ثُمَّ جَرَجَتْ، ثُمَّ نَارَتْ ثُمَّ فَارَدَتْ كَمَا تَفُورُ الْقُدُورُ^(٣)
ثُمَّ أَوْفَتْ مِثْلَ الْجِبَالِ عَلَى الْفَلَا بِكَ وَلِلْقُلُوبِ عَزْمَةٌ لَا تَخُورُ^(٤)
تَتَرَامَى بِجُجُجٍ لَا يُبَالِي أَمِإَاهُ تَحُوطُهُ أَمْ صُخُورُ؟^(٥)
أَزْجَجَ الْبَحْرُ جَانِبَيْهَا مِنَ الشَّدِّ بَحْنَبٌ يَعْلُو وَجَنْبٌ يَغُورُ
وَهُوَ أَنَا يَنْخَطُ مِنْ عُلُوِّ كَالَسِيَّةِ لِي وَأَنَا يَحُوطُهَا مِنْهُ سُورُ^(٦)
وَهِيَ تَرَوَّرُ كَالْجَلُودِ إِذَا مَا سَاقَهُ لِلطَّعْنِ نَذْبُ جَسُورُ^(٧)
وَعَلَيْهَا نَفُوسُنَا خَائِرَاتٌ جَارِعَاتٌ كَادَتْ شَعَاعًا تَطِيرُ^(٨)

(١) يرتمي : يشته في هبوبه .

(٢) توالي : أى توالى ومحققات : غاضبات . وتور : تهيج .

(٣) أزيدت : تذاقت بالزبد (بالتحريك) ، وهو الرغوة التى تعلو الماء عند فورانه . وجرجرت : صوتت .

(٤) أوفت عليه : أشرف . وتخور : تضحف .

(٥) تترامى : أى الفلك ، وهو يذكر ويؤنث . وجرجر السفينة : صدرها .

(٦) ضمير وهو ، والهاء فى قوله : « منه » للبحر . ومن علم (ثلاث الوار) ، أى من أعلى .

(٧) ترور : تحرف وتميل . والنذب : المادى الخفيف فى الحاجة .

(٨) طارت نفسه شعاعا : أى ذهبت متفرقة من خوف أو نحوه .

فِي ثَنَايَا الْأَمْوَاجِ وَالزَّبَدِ الْمَسْدُوفِ لَاحَتْ أَكْفَانُنَا وَالْقُبُورُ^(١)
 مَرَّ يَوْمٌ وَبَعْضُ يَوْمٍ عَلَيْنَا وَالْمَنَايَا إِلَى النُّفُوسِ تَشِيرُ^(٢)
 ثُمَّ طَافَتْ عَنَايَةُ اللَّهِ بِالْفُلْكِ فَزَالَتْ عَمَّنْ تَقِلُّ الشُّرُورُ^(٣)
 مَلَكَتْ دَفَّةُ النِّجَاحِ يَدُ اللَّهِ فَسُبْحَانَ مَنْ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ^(٤)
 أَمَرَ الْبَحْرَ فَاسْتَكَانَ وَأَمْسَى مِنْهُ ذَاكَ الْعُبَابُ وَهُوَ حَصِيرُ^(٥)
 أَيُّهَا الْبَحْرُ لَا يَغْرُنَكَ حَوْلُ وَأَتَّسَاعُ وَأَنْتَ خَلَقْتَ كَبِيرُ^(٦)
 إِنَّمَا أَنْتَ ذَرَّةٌ قَبْدَ حَوْتِهَا ذَرَّةٌ فِي فَضَاءٍ رَبِّي تَدُورُ^(٧)
 إِنَّمَا أَنْتَ قَطْرَةٌ فِي إِنَاءٍ لَيْسَ يَدْرِي مَدَاهُ إِلَّا الْقَدِيرُ^(٨)
 إِلَيْهِ (إِسْبِيرِيَا) فَدَتِكَ الْجَوَارِي مُنْشَاتٍ كَأَنَّهُنَّ الْقُصُورُ^(٩)
 يَا عَرُوسَ الْبَحَارِ إِنَّكَ أَهْلٌ أَنْ تُحَلِّيكِ بِالْجَمَانِ الْبُحُورُ^(١٠)
 فَالْبَسِي الْيَوْمَ مِنْ ثَنَائِي عِقْدًا تَشْتِيهِ مِنْ آلْحَسَانِ النُّحُورُ

*
* *

(١) يقال : ندف القطن يندفه ، وذلك إذا ضربه بالمدنف ليرق . وشبه الشاعر زبد البحر بالقطن المندوف .

(٣) تقل : تحمل .

(٣) استكان : سكن وخضع . والعباب : الموج . وهو حصير : أى مستوى السطح كالحصير .

(٤) الحول : القوّة .

(٥) أى أن البحر ذرة من الكرة الأرضية التى هى ذرة فى الفضاء .

(٦) مداه : أى مدى الإناء . ويريد « بالإناء » الكون .

(٧) إسبيريا : اسم الباخرة التى أقلت الشاعر إلى إيطاليا . والجوارى : السفن ، الواحدة جارية .

(٨) الجمّان : اللؤلؤ ، الواحدة جمّانة ، وخص الجمّان لأنه مما تحويه البحار فى أجوافها .

إِيَّاهُ إِيطَالِيَا عَدَّتْكَ الْعَوَادِي وَتَخَى عَنْ سَاكِنِيكَ الشُّبُورُ^(١)
 فِيكَ يَامَهْبِطَ الْجَمَالِ فُنُوتٌ لَيْسَ فِيهَا عَنِ الْكَمَالِ قُصُورُ
 وَدُمِّي جَمَعَ الْحَاسِنَ فِيهَا صَنَعَ الْكَفِّ عَبَقْرِي شَهِيرُ^(٢)
 قَدْ أُقِيمَتْ مِنَ الْجَمَادِ وَلَكِنْ مِنْ مَعَانِي الْحَيَاةِ فِيهَا سَطُورُ
 فَهِيَ تَبْدُو مِنَ الْمَلَائِكِ يَكْسُو هَا جَمَالَ عَلَى حِفَافِيهِ نُورُ^(٣)
 أُمِرْتُ بِالسُّكُوتِ مِنْ جَانِبِ الْحَقِّ بَدُنِيَا فِيهَا الْأَحَادِيثُ زُورُ
 أَرْضُهُمْ جَنَّةٌ وَحُورٌ وَوِلْدَا نَ كَمَا تَشْتَهِي وَمُلْكٌ كَبِيرُ
 تَحْتَهَا - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - نَارُ وَعَذَابٌ وَمُنْكَرٌ وَنَكِيرُ^(٤)
 إِنَّ يَوْمًا كَيَوْمِ (رَدْجُو) وَ (مَسِي) نَا) وَ (كَالْبَرِيَا) لَيَوْمٌ عَسِيرُ^(٥)
 سَاعَةٌ مِنْهُ تُهْلِكُ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ لَ وَتَمْحُو مَاسَطَرَتَهُ الدُّهُورُ^(٦)
 ذَاكَ (فِي زُوف) قَائِمًا يَتَلَطَّى قَدْ تَعَالَى شَهِيْقُهُ وَالزَّفِيرُ^(٧)
 يُنْذِرُ الْقَوْمَ بِالرَّحِيلِ وَلَكِنْ لَيْسَ يُغْنِي مَعَ الْقَضَاءِ النَّذِيرُ^(٨)

(١) عدتكَ العوادي : جاوزتكَ النوايب وتخطتكَ . والنور : الهلاك .

(٢) يريد بالدمي : التنايل ، الواحدة دمية . وصنع الكف (بالتحريك) : حاذق بصنعه . ويشير بهذا البيت وما بعده إلى ما اشتهر به الإيطاليون من صنع التنايل التي تنطق بمهارة صناعها وحذقهم .

(٣) على حفافيه : على جانبيه .

(٤) منكرو نكير : ملكان يمتحنان ويفتنان الميت في قبره ، وهما مثلان في الفزع والرعب . ويشير بهذا البيت إلى ما خصت به طبيعة بلادهم من وجود (البراكين) وكثرة الزلازل بها .

(٥) يريد بيوم رددجو (Reggio) و (Calabria) . ومسينا : يوم الزلزال الذي وقع في هذه المناطق . أنظر القصيدة السابقة في زلزال مسينا . ورددجو مدينة في جنوبي إيطاليا على مضيق مسينا ، وكالبريا مقاطعة .

(٦) الحرث : الزرع . (٧) فيزوف : (بركان) بإيطاليا معروف .

(٨) أي أن فيزوف بما يتصعد منه من دخان دائم كأنه نذير للقوم بالرحيل عن جواره واختيار مكان آخر يقيمون به ، ولكن إذا حم القضاء فلا تغني النذر .

وكذلك الأوطانُ مَهْمَا تَجَنَّتْ ليسَ للحرِّ عن حماها مَسِيرُ
شَمْسُهُمْ غَادَةٌ عَلَيْهَا حِجَابُ فَهِيَ شَرْقِيَّةٌ حَوَّتْهَا الْخُدُورُ^(١)
شَمْسُنَا غَادَةٌ أَبَتْ أَنْ تَوَارَى فَهِيَ غَرْبِيَّةٌ جَلَاها السُّفُورُ^(٢)
جَوْهُهُمْ فِي تَقَلُّبٍ وَأَخْتِلَافٍ غَيْرَ أَنَّ الثَّباتَ فِيهِمْ وَفِيرُ
جَوْنًا أَثَبَتْ الْجَوَاءَ وَلَكِنْ لَيْسَ فِينَا عَلَى الثَّباتِ صَبُورُ^(٣)
وَلَدَيْهِمْ مِنَ الْفُنُونِ لُبَابُ وَلَدَيْنَا مِنَ الْفُنُونِ قُشُورُ
أَنْزَكَرَ الْوَقْفَ شَرْعُهُمْ فَلِهَذَا كُلُّ رَبِيعٍ بَارِضِهِمْ مَعْمُورُ^(٤)
لَيْسَ فِيهَا مُسْتَقَرٌّ أَوْ جِدَارُ قَدْ تَدَاعَى أَوْ مَسْكَنٌ مَهْجُورُ^(٥)
كُلُّ شَيْءٍ فِيهَا عَلَيْهِ بِنَاءُ مُشْمَخَرٌّ أَوْ رَوْضَةٌ أَوْ غَدِيرُ^(٦)
قَسَمُوا الْوَقْتَ بَيْنَ لَهْوٍ وَجِدٍّ فِي مَدَى الْيَوْمِ قِسْمَةٌ لَا تَجُورُ
كُلُّهُمْ كَادِحٌ بِكُورٍ إِلَى الرِّزِّ قِ وَلَاهٍ إِذَا دَعَاهُ السُّرُورُ^(٧)
لَا تَرَى فِي الصَّبَاحِ لَاعِبَ نَزْدٍ حَوْلَهُ لَارْهَاتٍ جَسْمٌ غَفِيرُ

(١) الغادة : المرأة الناعمة اللينة . وشرقية : أى امرأة شرقية ؛ ويشير إلى ما يحجب الشمس في بلادهم من الضباب والغيم .

(٢) غربية : أى امرأة غربية . ويشير إلى صحو الجو وصفائه من الغيم في بلاد الشرق .

(٣) الجواء : جمع جو .

(٤) يشير إلى ما يلحق منازل الأوقاف في مصر من التخريب والدمار لقلة العناية بها . وكان للشاعر كلمة مأثورة في هذا وهي : « بيوت الوقف كالجلدوى في وجه المدينة » .

(٥) تداعى : تهدم .

(٦) مشمخر : مرتفع .

(٧) الكادح : الساعى المحت في طلب الرزق . والبكور (بفتح الباء) : المبكر .

لَا وَلَا بَاهِلًا سَلِيمَ النَّوَاحِي لِقَهَاوِي رَوَاحِهِ وَالْبُكُورِ^(١)
لَمْ يَحُلْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمَلَاهِي أَوْ شُؤُونِ الْحَيَاةِ جَوْ مَطِيرِ^(٢)
لَا يُبَالُونَ بِالطَّيِّعَةِ حَنْتَ أَمْ تَجَنَّتْ أَمْ احْتَوَاهَا النَّعُورُ؟^(٣)
عَصَفَتْ فَوْقَهُمْ رِيَّاحُ عَوَاتٍ أَمْ أَجَازَتْ بِهِمْ صَبَاً أَمْ دُبُورُ؟^(٤)
قَدْ أَعْدُوا لِحَادِثَاتِ اللَّيَالِي عُدَّةً لَا يَحُوزُهَا التَّقْدِيرُ
نَضَرُوا الصَّخْرَ فِي رُءُوسِ الرِّوَاسِي وَلَدَيْنَا فِي مَوْطِنِ الْخَضْبِ بُورُ^(٥)
قَدْ وَقَفْنَا عِنْدَ الْقَدِيمِ وَسَارُوا حَيْثُ تَسْرَى إِلَى الْكَمَالِ الْبُدُورُ
وَالْجَوَارِي فِي النَّيْلِ مِنْ عَهْدِ (نُوحِ) لَمْ يَقْدَرْ لَصُنْعِهَا تَغْيِيرُ
وَلِجَمْعِ الْقَوْمِ بِالنِّظَافَةِ حَتَّى جُنَّ فِيهَا غَنِيَّتُهُمُ وَالْفَقِيرُ
فَإِذَا سِرْتُ فِي الطَّرِيقِ نَهَارًا خَلْتُ أَنِّي عَلَى الْمَرَايَا أُسِيرُ
أَفَرَطَ الْقَوْمِ فِي النِّظَامِ وَعِنْدِي أَنْ فَرَطَ النِّظَامِ أَسْرٌ وَنِيرُ^(٦)

(١) الباهل : المتردد بلا عمل . وسليم النواحي ، أى صحيح الجسم ليس به عاهة تمنعه العمل . وإطلاق « القهوة » على المكان الذى يشرب فيه : مجاز ، كإطلاق النار على جهنم .

(٢) يريد بهذا البيت أن الأمطار فى تلك البلاد معها غزرت فلن تعوق السائرين عن مقاصدهم لما لديهم من الوسائل التى تجعل ذلك من الأمور المألوفة . ويشير الشاعر إلى المفاضلة بين ما لديهم من تلك الوسائل وما لدينا .

(٣) النعور : الريح التى تفاجئك بحروا أنت فى برد ، أو يبرد وأنت فى حر .

(٤) العواتق من الرياح : الشديدة العصف ، التى جاوزت حد هبوبها . وأجازت بهم : أى مرت بهم . وفى كتب اللغة أن أجاز رجلاً ، كلاهما بمعنى جاوز . ومنه حديث المسعى : « لا تجوزوا البطحاء إلا شدة » أى لا تجوزوا . والصبا : ريح الشمال ، وتقابلها الدبور ، وهى ريح الجنوب .

(٥) يشير بهذا البيت إلى ما امتازت به أم الغرب من دُور على العمل وعلم جم حتى لمنهم جعلوا الصخور فى رؤوس الجبال التى لا تنبت شيئاً نضرة بما غرسوا فيها من ألوان النبات ، وهذا على عكس ما لدينا من كسل وتواكل جعلنا أرضنا الخصب مقفرة من الزرع .

(٦) النير : الخشبة المعرضة فى عنق الثورين بأدائها .

وَلَدَيْدُ الْحَيَاةِ مَا كَانَ فَوْضَى لَيْسَ فِيهَا مُسَيِّطَرٌ أَوْ أَمِيرٌ
 فَإِذَا مَا سَأَلْتَنِي قُلْتُ عَنْهُمْ أُمَّةٌ حُرَّةٌ وَفَرْدٌ إِسِيرٌ^(١)
 ذَاكَ رَأْيِي وَهَلْ أَشَارُكَ فِيهِ إِنَّهُ قَوْلُ شَاعِرٍ لَا يَضِيرُ
 فِي جِبَالِ (التَّيْرُولِ) إِنْ أَقْبَلَ الصَّيْفُ نَعِيمٌ وَإِنْ مَضَى زَمَهْرِيرٌ^(٢)
 أَذْكَرْتَنِي مَا قَالَهُ عَرَبِيٌّ طَارِقٌ أَمْسَى آحْتَوَاهُ (شُلَيْرٌ)^(٣)
 حَلَّ تَرَكُ الصَّلَاةِ فِي هَذِهِ الْأَرْ ضٍ وَحَلَّتْ لَنَا عَلَيْهَا الْخُمُورُ
 إِنْ صَدَرَ السَّعِيرُ أَخْنَى عَلَيْنَا مِنْ (شُلَيْرٍ) وَأَيْنَ مِنَّا السَّعِيرُ
 قَدْ بَلَوْتُ الْحَيَاةَ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْ بِ فَمَا فِي الْحَيَاةِ أَمْرٌ يَسِيرُ
 مِنْ ثَوَاءٍ فِيهِ الْمَلَالُ زَامٌ أَوْ رَحِيلٍ فِيهِ الْعَنَاءُ كَثِيرٌ^(٤)

(١) يشير بقوله : وفرد أسير ، إلى كثرة ما سئوا من قوانين ونظم تقيد الأفراد في نواحي الحياة ولا تجعلهم مطلق الحرية .

(٢) التيرول : إقليم جبلي من جبال الألب يقع في الشمال الشرقي من إيطاليا .

(٣) طارق ، نسبة إلى طارق بن زياد فاتح الأندلس . وشلير (بلفظ التصغير) : جبل بالأندلس من أعمال البيرة ، لا يفارقه الثلج شتاء ولا صيفا . وفي هذا البيت سناد حذو ، وهو اختلاف حركة الحرف الذي قبل الرفع ، والردف : حرف مد قبل الرفع . ويشير الشاعر بهذا البيت إلى قول بعض المغاربة وقد مر بشلير فرجد ألم البرد :

يحل لنا ترك الصلاة بأرضكم وشرب الخمر وهو شيء محرم
 فرارا إلى نار الجحيم فإنها أخف علينا من شلير وأرحم
 إذا هبت الريح الشمال بأرضكم فطوبى لعبد في لظى يتنعم
 أقول ولا أنحى على ما أقوله كما قال قبلي شاعر متقدم
 فإن كان يوما في جهنم مدخل ففي مثل هذا اليوم طابت جهنم

وقد ضمن حافظ معنى هذه الأبيات في البيتين الآتين .

(٤) الثواء : الإقامة .

حريق

قال هذه الأبيات في حريق رأى بمنزل عبد الله أبائاه بك

عَجَبَ النَّاسُ مِنْكَ يَا بَنَ سُلَيْمًا نَ وَقَدْ أَبْصَرُوا لَدَيْكَ عَجِيبًا
أَبْصَرُوا فِي حِمَاكَ غَيْثًا وَنَارًا ذَاكَ يَهْمِي وَتِلْكَ تَذْكُو لَهْمِيًا^(١)
وَنَسُوا أَنَّ جُودَ كَفِّكَ غَيْثٌ ظَلَّ الْمُرْتَجَى الْوُرُودَ قَرِيبًا
وَهِيَ ضَيْفٌ أَصَابَهُ عَنَتُ اللَّذَى سِرِّ وَأَلْفَى هَذَا الْفَنَاءَ رَحِيمًا^(٢)
فَأَنَّى يُبْرَدُ الْغَلِيلُ بِقَطْرِ مِنْ نَدَى سَيِّدِ يُوَاسَى الْغَرِيبَا^(٣)

خنجر مكبث

نصيدة مترجمة عن الشاعر الإنجليزي شكسبير ، قالها على لسان مكبث يخاطب خنجرًا تخيله حينما هم باغتيال ابن عمه دانكان الملك ليخلفه في ملكه ، ويصف تردده أولاً ثم تصميمه بعد ذلك على تنفيذ ما أراد :

كَأَنِّي أَرَى فِي اللَّيْلِ نَصْلًا مَجْرَدًا يَطِيرُ بِكَلْتَا صَفْحَتَيْهِ شَرَارًا^(٤)
تَقْلِبُهُ لِلْعَيْنِ كَفٌّ خَفِيَّةٌ فَفِيهِ خُفُوقٌ تَارَةٌ وَقَرَارًا^(٥)

(١) يهمني : ينصب ويريد « بالغيث » : كرم المدوح . وتذكو : تضطرم وتشتعل .

(٢) هي : أى النار . والعنت : الشدة والمشقة . والفناء (بكسر الفاء) : ساحة البيت .

(٣) الغليل : شدة العطش .

(٤) نصل السيف : حده . والمجرد من السيوف : المسلول من غمده .

(٥) الخفوق : الاضطراب . والقرار : الاستقرار .

يُمَاثِلُ نَضْلِي فِي صَفَاءِ فِرْنَدِهِ وَيُحْكِيهِ مِنْهُ رَوْتَقٌ وَغِرَارُ^(١)
 أَرَاهُ فَتُدْنِيَنِي إِلَيْهِ شَرَّاسَتِي فَيُنْأَى فِي نَفْسِي إِلَيْهِ أَوَارُ^(٢)
 وَأَهْوَى بَزَنْدِي طَامِعًا فِي التَّقَاطِهِ فَيُدْرِكُهُ عِنْدَ الدُّنُوِّ نِفَارُ^(٣)
 تَحْبَبَطِي مَسٌّ مِنْ الْجَنِّ أَمْ سَرَتْ بِأَجْزَاءِ نَفْسِي نَشْوَةٌ وَنَحَارُ^(٤)
 أَرَانِي فِي لَيْلٍ مِنَ الشَّكِّ مُظْلِمِ فَيَالَيْتَ شِعْرِي هَلْ يَلِيهِ نَهَارُ؟
 سَأَقْتُلُ ضَيْفِي وَابْنَ عَمِّي وَمَالِكِي وَلَوْ أَنَّ عُقْبَى الْقَاتِلِينَ خَسَارُ
 وَأَرْضِي هَوَى نَفْسِي وَإِنْ صَحَّ قَوْلُهُمْ هَوَى النَّفْسِ أَذَلُّ ، وَالْحِيَانَةُ عَارُ
 فَيَأْتِيهَا النَّصْلُ الَّذِي لَاحَ فِي الدُّجَى وَفِي طَيِّ نَفْسِي لِلشُّرُورِ مَسَارُ^(٥)
 تَرَى خَدَعَتْنِي الْعَيْنُ أَمْ كُنْتُ مُبْصِرًا وَهَذَا دَمٌ ، أَمْ فِي شَبَاتِكَ نَارُ^(٦)؟
 وَهَلْ أَنْتَ تَمَثَّلُ لِكَيْدِ نَوَيْتِهِ وَذَلِكَ الدَّمُ الْجَارِي عَلَيْكَ شِعَارُ^(٧)؟
 فَإِنْ لَمْ تَكُنْ وَهَمًّا فَكُنْ خَيْرَ مُسْعِدٍ فَإِنِّي وَحِيدٌ وَالْخَطُوبُ كُثَارُ^(٨)
 وَكُنْ لِي دَلِيلًا فِي الظَّلَامِ وَهَادِيًا فَلَيْلِي بِهِمْ وَالطَّرِيقُ عِشَارُ^(٩)

(١) فرند السيف : جوهره وماؤه الذي يترقق في صفحته ؛ وهو فارسي معرب . وغرار السيف (بالكسر) : حده . والمعنى أن هذا الخنجر يشبه خنجرى في لمعانه وبريقه ومضاء حده .

(٢) الشراسة : الحدة وسوء الخلق . وينأى : يبعد . والأوار : شدة العطش .

(٣) الزند من الذراع : ما فوق المرفق . والنفار (بكسر النون) والنفور (بضمها) كلاهما بمعنى واحد .

(٤) يقال : تحببط الشيطان : أى مسه بأذى أو جنون . والنشوة : السكر . ونحار النحر : ما خالطك من سكرها .

(٥) منار : أى مكان لثوران الشر ، ويجوز أن يراد به المصدر ، أى ثورة الشر واهتياجه .

(٦) شبة السيف : حده .

(٧) الشعار : العلامة .

(٨) الكُثَار (بضم الكاف) : الكثير . يقول : إن كنت أيها الخنجر خنجرًا حقيقياً فأغنى على ما هممت به من

قتل ابن عمى : فإنى وحيد لا أقوى على احتمال هذه المصائب المحيطة بى .

(٩) العثار : الشر .

على الفتنك يا (دُنْكَان) صَحَّتْ عَزِيمَتِي
 فَإِنْ يَكُ حُبُّ التَّاجِ أَغْمَى بَصِيرَتِي
 أَعِرْنِي فُؤَادًا مِنْكَ يَا دَهْرُ قَاسِيَا
 وَيَا حِلْمُ قَاطِعِي وَيَا رُشْدُ لَا تَتَّبِ
 وَيَا لَيْلُ أَنْزِلِي بِجَوْفِكَ مَنْزِلًا
 وَإِنْ كُنْتَ لَيْلُ (الْمَانَوِيَّة) فَلْيَكُنْ
 وَيَا قَدَمِي سِيرِي حَذَارًا وَخَافَتِي
 وَقَفْتُ بِجَوْفِ اللَّيْلِ وَقَفَّةَ سَاحِرٍ
 إِذَا اشْتَمَلَ اللَّيْلُ الْبَهِيمُ عَلَى الْوَرَى
 فَمَا لِي؟ كَأَنِّي فَاتِكُ ذُو عَشِيرَةٍ
 إِذَا مَا عَوَى ذَيْبُ الْفَلَا هَبَّ جَمْعُهُمْ
 وَإِنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ثَارُ
 فَمَا لِي عَلَى هَذَا الْقَضَاءِ خِيَارُ
 لَوْ أَنَّ الْقُلُوبَ الْقَاسِيَاتِ تَعَارُ
 وَيَا شَرُّ مَالِي مِنْ يَدَيْكَ فِرَارُ^(١)
 يَضِلُّ بِهِ سَرْبُ الْقَطَا وَيَحَارُ^(٢)
 عَلَى سِرِّ أَهْلِ الشَّرِّ مِنْكَ سِتَارُ^(٣)
 مِنَ الْمَشْيِ لَوْ يُنْجِي الْأَثِيمَ حَذَارُ^(٤)
 لَهُ الْجَنُّ أَهْلُ الْمَكَائِدِ دَارُ
 تَجَرَّدَ لِلْإِيذَاءِ حَيْثُ يُشَارُ^(٥)
 خِيَارُهُمْ تَحْتَ الظَّلَامِ شَرَارُ^(٦)
 إِلَى الشَّرِّ وَاسْتَلَّتْ ظُبًّا وَشَفَارُ^(٧)

(١) لا تَتَّبِ : أى لا ترجع .

(٢) سرب القطا : جماعة الحمام . وخص القطا بالذكر لأنها يضرب بها المثل في الهداية . يطلب إلى الليل أن يستره بظلامه حتى لا يبتدى أحد إلى خيائنه وغدره .

(٣) أضاف الليل إلى المانوية ، وهى الطائفة المنسوبة إلى مانى لأنهم كانوا يعتقدون أن الليل إله الشر ، والنهار إله الخير ، قال أبو الطيب المتنبي .

وكم لظلام الليل عندك من يد تخبر أن المانوية تكذب

يقول : إن كنت أيها الليل إله الشر كما تزعم المانوية ، فاستر على أهل الشر شرورهم ولا تدل أحدا عليهم .

(٤) خافى من المشى : أى خففه وخفضى من صوته حتى لا يسمعه أحد .

(٥) البهيم : الشديد الظلمة . وتجرد للإيذاء : انبعث إليه وأسرع نحوه . ويشار : يهاج ، أى أسرع إلى الإيذاء حيث يكون الإيذاء .

(٦) يريد بهذه العشيرة : جماعة اللصوص وقطاع الطرق وسفاحى الدماء .

(٧) عوى : صَوَّت . والفلا : الصحارى ، الواحدة فلاة . واستلت : أخرجت من أغمارها . والظبا : جمع ظبة (بضم ففتح) ، وهى حد السيف . والشفار : السكاكين والواحدة شفرة .

طول الليل

يا سَاهِدَ النَّجْمِ هَلْ لِلصُّبْحِ مِنْ خَبَرٍ إِنِّي أَرَاكَ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الضَّجَرِ^(١)
أَظُنُّ لَيْلَكَ مُذْ طَالَ الْمُقَامُ بِهِ كَالْقَوْمِ فِي مِصْرَ ، لَا يَنْوِي عَلَى سَفَرِ^(٢)

وقال في هذا المعنى أيضا^(٣) :

أَقْضِيهِ فِي الْأَشْوَاقِ إِلَّا أَقْلَهُ بَطْنِي سُرَى أَبْدَى إِلَى اللَّبْثِ مَيْلَهُ^(٤)
وَلَيْسَ اشْتِيَاقِي عَنْ غَرَامٍ بِشَادِنٍ وَلَكِنَّهُ شَوْقُ امْرِئٍ فَاتَ أَهْلَهُ^(٥)
فِيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ أَعْرَتْ نَجُومَهُ تَوَقَّدَ أَنْفَاسِي وَعَانَيْتُ مِثْلَهُ^(٦)
وَمَلَّ كَلَانًا مِنْ أَخِيهِ وَهَكَذَا إِذَا طَالَ عَهْدُ الْمَرْءِ بِالشَّيْءِ مَلَّهُ

الشعر

ضَعْتَ بَيْنَ النَّهْيِ وَبَيْنَ الْخِيَالِ يَا حَكِيمَ النَّفُوسِ يَا بَنَ الْمَعَالِي^(٧)
ضَعْتَ فِي الشَّرْقِ بَيْنَ قَوْمٍ هُجُودٍ لَمْ يُفَيْقُوا وَأَمَّةٍ مَكْسَالِ^(٨)

(١) الساهد : الساهر .

(٢) يريد « بالقوم » : الإنجليز ، ولا ينوي ، أي الليل . شبه الليل بجيش الاحتلال في مصر في طول الإقامة ، وعدم ظهور أمارات تدل على الجلاء .

(٣) أشهر في الديوان المطبوع إلى أنها قصيدة طويلة ، ولم يثر منها إلا على هذه الأبيات ، ولم تقف نحن أيضا على بقيتها .

(٤) أفضيه أي أفضى الليل . واللث : المكث .

(٥) الشادن : ولد الظبية . والمراد هنا : المليح .

(٦) يريد أن النجوم اشتعلت من توقد أنفاسه ، وفي قلبه من اللوعة والشوق مثل هذا التوقد .

(٧) النهي العقول ، الواحدة نهي .

(٨) الهجود : النيام .

مَسْدُ أَذْلُوكَ بَيْنَ أَثْنَسٍ وَكُتُسٍ وَغَرَامٍ بِظَيْيَةِ أَوْ غَزَالٍ ^(١)
 وَتَسْيِبٍ وَمِدْحَةٍ وَهَجَاءٍ وَرِثَاءٍ وَفِتْنَةٍ وَضَلَالٍ ^(٢)
 وَحَمَاسٍ أَرَاهُ فِي غَيْرِ شَيْءٍ وَصَغَارٍ يَجُرُّ ذَيْلَ اخْتِيَالٍ ^(٣)
 عَشْتُ مَا بَيْنَهُمْ مُذَالًا مُضَاعًا وَكَذَا كُنْتَ فِي الْعُصُورِ الْخَوَالِي ^(٤)
 حَمْلُوكَ الْعَنَاءَ مِنْ حُبِّ (لَيْلَى) وَ (سُلَيْمَى) وَوَقْفَةَ الْأَطْلَالِ ^(٥)
 وَبُكَاءٍ عَلَى غَزِينٍ تَوَلَّى وَرُسُومٍ رَاحَتْ بِهِنَّ اللَّيَالِي ^(٦)
 وَإِذَا مَا سَمَّوْا بِقَدْرِكَ يَوْمًا أَسْكُنُوكَ الرَّحَالَ فَوْقَ الْجَمَالِ ^(٧)
 آنَ يَا شِعْرُ أَنَّ نَفْكَ قِيودًا قَيَّدْتَنَا بِهَا دُعَاةُ الْحُجَالِ
 فَارْفَعُوا هَذِهِ الْكُتُبَ عَنَّا وَدَعُونَا نَشْمُ رِيحَ الشَّمَالِ

(١) أَذْلُوكَ : أهانوك وأصغروا شأنك .

(٢) التسيب : التشيب بالنساء وذكر محاسنهن في الشعر .

(٣) الصغار : الذل . ومعنى قوله : « وصغار » الخ أى أنهم تياهون وهم أذلاء .

(٤) المذال : المهان .

(٥) ليلي وسليمي : من الأسماء التي رددتها الشعراء قديما وأكثروا فيها القول نسبيا وتشبيها . والأطلال : ما بقى من آثار الديار : الواحد طلل (بالتحريك) . وللشعراء في الأطلال وقفات ذكروا فيها غرامهم وحبههم وحسرتهم على أيام خلت .

(٦) الرسوم : آثار الديار .

(٧) « أسكنوك الرحال » الخ ، أى وصفوا الرحال والجمال وما يتعلق بذلك في أشعارهم . ويعرض الشاعر بما نحن فيه من اتباع طريق العرب في الشعر من ذكر العيس ، ومناداة الأطلال : وإن صح هذا للعرب فلا يصح لنا ، فلقد كانوا يصرون في ذلك عما يحيط بهم ؛ وأما نحن فلا نحس من ذلك شيئا .

خزان أسوان

قال هذين البيتين في العام الذي أسس فيه خزان أسوان ونقص فيه الفيضان

(١٩٠٢ م)

أَنْكَرَ النَّيْلُ مَوْقِفَ الْخَزَّانِ فَأَنْتَنَى قَافِلًا إِلَى السُّودَانِ^(٤)
رَاعَهُ أَنْ يَرَى عَلَى جَانِبَيْهِ رَصَدًا مِنْ مَكَايِدِ الْإِنْسَانِ^(٥)

مَعُونَةُ الدَّمْعِ

يَا مَنْ خَلَقْتَ الدَّمَعَ لُطْفًا مِنْكَ بِالْبَاكِي الْخَزِينِ
بَارِكْ لِعَبْدِكَ فِي الدُّمُوعِ عِزًّا فَإِنَّهَا نِعَمَ الْمُعِينِ

(٤) القافل : الراجع .

(٥) الرصد : الحافظ والحارس .

الخمسة

قال :

[نشرت في سنة ١٩٠٠ م]

هَذَا الظَّالِمُ أَثَارَ كَامِنٍ دَائِي يَا سَاقِيَّ عَلَى الصَّهْبَاءِ^(١)
 بِالكَاسِ أَوْ بِالطَّاسِ أَوْ بَأَثْنَيْهِمَا أَوْ بِالذَّنَانِ فَإِنَّ فِيهِ شِفَائِي^(٢)
 مَشْمُولَةٌ لَوْلَا التُّقَى لَعَجِبْتُ مِنْ تَحْرِيمِهَا وَالذَّنْبُ لِلْقُدَمَاءِ^(٣)
 قَرَّبُوا الصَّلَاةَ وَهُمْ سُكَارَى بَعْدَ مَا نَزَلَ الْكِتَابُ بِحِكْمَةٍ وَجَلَاءِ
 يَا زَوْجَةَ ابْنِ الْمِزْنِ يَا أختَ الْهَنَاءِ يَا ضَرَّةَ الْأَحْزَانِ فِي الْأَحْشَاءِ^(٤)
 يَا طَبَّ (جَالِينُوسَ) فِي أَنْوَاعِهِ مَالِي أَرَاكَ كَثِيرَةَ الْأَعْدَاءِ^(٥)

(١) الصهباء : الخمر ، سميت بذلك لصهبتها ، أى حرمتها .

(٢) الطاس : إناء معروف . وذكر (اثنيهما) على اعتبار أنهما إناءان ، ولوراعى اللفظ لأنته ، لأن الكأس والطاس مؤنثتان . والدنان (بالكسر) : جمع دن (بالفتح) وهو البقرة العظيمة . وفيه : أى فى الشراب .

(٣) المشمولة : الخمر ، سميت بذلك لأنها تشمل الناس بريحها ؛ أولأن لها عصفة كعصفة ريح الشمال . وفى جعله الذنب على القدماء إشارة إلى سبب التحريم ، وذلك أن الله تعالى كان قد نهى عن أن يقرَّبوا الصلاة وهم سُكَارَى ، فقال : (يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأتم سُكَارَى حتى تعلموا ما تقولون) ، فلما لم ينهه بعضهم عن ذلك حرَّمها الله بقوله : (إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون) وقد بسط الشاعر هذا المعنى فى البيت التالى .

(٤) المزن (بالضم) : السحاب . وابن المزن : الماء الذى ينزل منه : وجعل الخمر زوجة ابن المزن ، لأنها تمزج به . والضرة : الزوج الثانية . وجعلها ضرة الأحران ، لأنها لا تجتمع معها فى قلب .

(٥) كلوديوس جالينوس : طبيب وفيلسوف يونانى مشهور ، ولد نحو سنة ١٣٠ م ، وتوفى نحو سنة ٢٠٠ م . وقد عنى العرب بكتبه عناية شديدة بعد أن ترجمت إلى العربية ، فأكثر مؤلفوهم فى الطب من الأخذ عنه .

عَصْرُوكَ مِنْ خَدَى سُهَيْلٍ خُلْسَةً ثُمَّ اخْتَبَأَتْ بِمُهْجَةِ الظَّلْمَاءِ^(١)
 فَلَبِثْتُ فِيهَا قَبْلَ نُوحٍ حَقْبَةً وَتَدَاوَلَتْكَ أَنْامِلُ الْآنَاءِ^(٢)
 حَتَّى أُنَاحَ اللَّهُ أَنْ تَجْمَلَ لِي بِيَدِ الْكَرِيمِ وَرَاحَةِ الْأَدْبَاءِ^(٣)
 يَا صَاحِبِي كَيْفَ التُّزُوعُ عَلَى الطَّلَا؟ وَلَقَدْ بُلِيتُ مِنَ الْهُمُومِ بِدَاءِ^(٤)
 وَاللَّيْلِ أَرْشَدُهُ أَبُوهُ لِشَقَوَتِي وَكَذَا الْبَنُونَ عَلَى هَوَى الْآبَاءِ^(٥)
 أَلَفْتُ بَيْنَ ابْنِ السَّحَابِ وَبَيْنَهَا فَرَأَيْتُ صَحْحَةً مَا حَكَاهُ (الطَّائِي)^(٦)
 (صَعِبْتُ وَرَاضَ الْمَرْجُ سَيِّئَ خَلْقِهَا فَتَعَلَّمْتُ مِنْ حُسْنِ خُلُقِ الْمَاءِ^(٧))

(١) سهيل : هو أجمل نجم في السماء بعد الشعرى الإيمانية ، وهو كثير الاضطراب ، ولونه يضرب إلى الحمرة ؛ قال المری :

وسهيل كوجنة الحب في اللو ن وقلب الحب في الخلفقان

يريد تشبيه لون الخمر بلون هذا النجم . ويريد بقوله : « ثم اختبأت » الخ : حفظها في الدنان .

(٢) الحقة (بالكسر) : الدهر . والآناء : جمع آن ، وهو الحين والوقت ، أى تعاقبت عليك الأزمان حيناً بعد حين . يصفها في هذا البيت بقدم العهد .

(٣) يريد أنها لا يشرها إلا كريم أو أديب ، فهي تزداد في يديهما جمالا .

(٤) التزوع : الكف والانتها . والطلاء (بكسر الطاء والمد ، وقصر الشعر) : الخمر .

(٥) أبو الليل : الدهر . يريد أن الدهر أوصى ابنه بخاربه ، فخرت الأبناء على سنن الآباء .

(٦) ابن السحاب : المطر ، أى أنه مزجها بالماء . والطائي هو أبو تمام حبيب بن أوس الطائي الشاعر المعروف .

(٧) راضه يروضه : ذلله وجعله ليئلا سهلا . يريد أن الماء قد كسر من حدتها وسورتها ، فكأنها اكتسبت ليته ولطفه وهذا البيت من قصيدة لأبي تمام يمدح بها يحيى بن ثابت ، ومطلعها :

فدك اتند أريدت في الغسلواء كم تغلوت وأتم سجرائي

وقال وقد بعث بها إلى محمد المويلى بك الكاتب المعروف^(١)

[نشرت في سنة ١٩٠٠]

أَوْشَكَ الدِّيكُ أَنْ يَصِيحَ وَنَفْسِي بَيْنَ هَمٍّ وَبَيْنَ ظَنٍّ وَحَدْسٍ^(٢)
 يَا غَلَامُ ، الْمُدَامَ وَالْكَاسَ ، وَالطَّا سَ ، وَهَيَّ لَنَا مَكَانًا كَأَمْسٍ^(٣)
 أَطْلِقِ الشَّمْسَ مِنْ غِيَاهِبِ هَذَا الدَّ نَّ وَأَمْلَأْ مِنْ ذَلِكَ النُّورِ كَأَمْسِي^(٤)
 وَأَذِنِ الصُّبْحَ أَنْ يَلُوحَ لَعْنِي سُنْ سَنَاها فَذَاكَ وَقْتُ التَّحَسِّي^(٥)
 وَأَذْعُ نَدْمَانَ خَلَوْتِي وَأَتْنَسِي وَتَعَجَّلْ وَأَسْبِلْ سُورَ الدَّمَقْسِ^(٦)
 وَأَسْقِنَا يَا غُلَامُ حَتَّى تَرَانَا لَا نَطِيقُ الْكَلَامَ إِلَّا بِهِمْسٍ
 نَحْمَرَةً قِيلَ لِنَّهْمَ عَصْرُوهَا مِنْ خُدُودِ الْمَلَاكِ فِي يَوْمِ عُرْسٍ^(٧)
 مُنْذُ رَأَاهَا فَتَى الْعَزِيزِ مَنْامًا وَهُوَ فِي السَّجْنِ بَيْنَ هَمٍّ وَيَأْسٍ^(٨)

(١) أنظر التعريف بمحمد بك المويلى فى الحاشية رقم ١ من ص ١٤٠

(٢) صياح الديك : كناية عن طلوع الفجر . والحدس التخمين والتوهم . والمعنى أن نفسه بين هم متيقن وهم مظلون .

(٣) المدام (بالنصب) ، أى هات المدام .

(٤) يريد "بالشمس" : الخمر ، شبهها بها فى اللون . والغياهب : جمع غيب ، وهى الظلمة .

(٥) يريد فى هذا البيت تشبيه لونها بضوء الصبح . والسنا : النور . وتحسى الشراب : شربه شيئاً بعد شيء فى مهلة .

(٦) الندمان : جمع نديم . والدمقس : الحرير أو الديباىج ، ووصل الهمزة فى قوله : "وأسبل" لضرورة الوزن .

(٧) شبه الخمر فى حمرةا بجمرة خدود الحسنان فى يوم العرس ، لأن خدودهن تكون فى ذلك الحين أشد احمرارا

بما عليها من أصباغ .

(٨) العزيز : ملك مصر . وفتاه هو أحد الفتيان اللذين كانا مع يوسف عليه السلام فى السجن ، وقد كان رأى فى منامه أنه يعصر نمرًا ، وفسر له يوسف عليه السلام هذه الرؤيا بأنه سوف يسقى ربه عزيز مصر نمرًا ، فإلبث أن خرج من السجن ، وجعله العزيز صاحب شرابه . ويريد بهذا البيت والذى بعده أن رؤيا الخمر فى المنام أسعدت فتى العزيز بالنجاة ويخدّمته لذلك بعد ما كان فيه من يأس ونحس ، فكيف لو كان شرابها ؟ !

أَعْقَبَتْهُ الْخَلَاصَ مِنْ بَعْدِ ضَيْقٍ وَحَبَّتْهُ السُّعُودَ مِنْ بَعْدِ نَحْسٍ
يا نَدِيمِي بِاللَّهِ قُلْ لِي لِمَ إِذَا هَذِهِ الْخَنْدَرِيسُ تُدْعَى بِرَجَسٍ؟^(١)
هِيَ نَفْسٌ زَكِيَّةٌ ، وَأَبُوهَا غَرَسُهُ فِي الْجَنَانِ أَكْرَمُ غَرَسٍ^(٢)
هِيَ نَفْسٌ تَعَلَّمَتْ حُسْنَ اخْلا ق (المُولْحَى) فِي صَفَاءٍ وَأَنْسٍ
خَصَّهُ اللَّهُ حَيْثُ يُصْبِحُ بِالْإِقَّةِ بِالِ ، وَالْعَزِّ ، وَالْعُلَا ، حَيْثُ يُمَسَّى

مجلس شراب

وَفَتَيَانِ أَنْسٍ أَقْسَمُوا أَنْ يَبْدُدُوا جُيُوشَ الدُّجَى مَا بَيْنَ أَنْسٍ وَأَفْرَاحٍ
فَهَبُّوا إِلَى (نَخَّارَةٍ) قِيلَ إِنَّهَا قَعِيدَةٌ نَحْمَرُ تَمْزُجُ الرُّوحَ بِالرَّاحِ^(٣)
وَقَالُوا لَهَا ، إِنَّا أَتَيْنَا عَلَى ظَمًا نُحَاوِلُ وَرَدَ الرَّاحِ رَغْمًا عَنِ اللَّاحِ^(٤)
فَقَامَتْ فِي أَجْفَانِهَا كَسَلُ الْكَرَى وَفِي رَدْفِهَا وَاسْتَعْرَضَتْ جَيْشَ أَقْدَاحٍ^(٥)

وقال أيضا :

مَرَّتْ كَعْمَرِ الْوَرْدِ بَيْنَا أَجْتَلِي إِصْبَاحَهَا إِذْ آذَنْتُ بِرَوَاحٍ^(٦)
لَمْ أَقْضِ مِنْ حَقِّ الْمُدَامِ وَلَمْ أَقْمِ فِي الشَّارِبِينَ بِوَجِبِ الْأَقْدَاحِ

(١) الخندريس : الخمرة القديمة . والرجس : النجس .

(٢) زكية : طاهرة . وأبو الخمر : الكرم . يريد أن أصلها أكرم الأشجار في الحدائق .

(٣) النخارة : بانة الخمر . ويريد بكونها "قعيدة نحر" : أنها ملازمة لها لا تفارقها . والراح : الخمر .

(٤) الظلم : الظلم (بالهمز) . والملاحى : الملائم . (٥) الكرى : النعاس . والردف : العجز .

(٦) اجتلى الشيء : نظر إليه . واذنت : أعلمت . شبه جلسة الأنس وساعات اللهو بعمر الورد في القصر .

وَالزَّهْرُ يَحْتَثُّ الْكُنُوسَ بِلَحْظِهِ وَيَشُوبُهَا بِأَرْيَجِهِ الْفَيَاحِ^(١)
 أَخْشَى عَوَاقِبَهَا وَأَغْطَى شَرْبَهَا وَأَجِيدُ مَدَحَتَهَا مَعَ الْمُدَاحِ^(٢)
 وَأَمِيلُ مَنْ طَرَبَ إِذَا مَالَتْ بِهِمْ فَأَعْجَبُ لِنَشْوَانِ الْجَوَانِحِ صَاحِي
 أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ فَإِنِّي أَفْسَدْتُ فِي ذَلِكَ النَّهَارِ صَلاحي

وقال :

نَحْمَرُ فِي (بَابِلَ) قَدْ (صُهِرَجَتْ) هَكَذَا أَخْبَرَ (حَاخَامَ) الْيَهُودَ^(٣)
 أَوْدَعُوهَا جَوْفَ دَنْ مُظْلِمٍ وَلَدَيْهِ بَسَّروَهَا بِالْخُلُودِ
 سَأَلُوا الْكُهَّانَ عَنْ شَارِبِهَا وَعَنِ السَّاقِ فِي أَيِّ الْعُهُودِ؟
 فَأَجَابُوهُمْ ، فَتَى ذَوِ مِرَّةٍ مِنْ بَنِي مِصْرَ لَهُ فَضْلٌ وَجُودُ^(٤)
 مُغْرَمٌ بِالْعُودِ وَالنَّايِ مَعًا مُوَلَّعٌ بِالشَّرْبِ وَالنَّاسُ هُجُودُ^(٥)
 هُمُ فَصْدُ دِنَانٍ وَنَدَى وَأَبُوهُ هُمُ جَمْعُ النُّقُودِ^(٦)

(١) يححث : يبحث . يقول : كأن الزهر بالحلظة يوحى إلى الشاربين والسقاة بالإسراع في إدارة الكنوس . وشاب الشيء يشوبه : خلطه . وأريج الزهر : قححة ريحه .

(٢) عواقبها : أى عواقب المدام ؛ ويريد أنه لا يشربها . والشرب : الشاربون .

(٣) بابل : ناحية بالعراق منها الكوفة والحلة ، ينسب إليها الخمر والسحر . وصهرجت ، يريد أنها حفظت في الصهاريج ؛ ولم نجد هذا اللفظ بهذا المعنى فيما راجعناه من كتب اللغة ؛ والذي وجدناه أن "الصهرجة" هى أن يطل الخوض بالصاروج ، وهى النورة ؛ وليس هذا مراداً هنا . ويريد "بإخبار حاخام اليهود" أنها قد ورد ذكرها في الكتب القديمة ؛ وفي هذا دليل على قدمها .

(٤) المزة (بكسر الميم وفتح الراء مشددة) : القوة والعزيمة .

(٥) الهجود : النيام .

(٦) فصْد الدَّن : ثقبه وإهراق ما به من نحر ، تشبيهاً له بفصد العرق .

ذكري مجلس شراب

بعث بها من السودان إلى بعض أصدقائه من مصر

فَتِيَّةُ الصَّبَاءِ خَيْرَ الشَّارِبِينَ جَدُّوْا بِاللَّهِ عَهْدَ الْغَائِبِينَ
وَأَذْكُرُونِي عِنْدَ كَلَسَاتِ الطَّلَا إِنِّي كُنْتُ إِمَامَ الْمُذْمَنِينَ^(١)
وَإِذَا مَا أَسْتَنْهَضْتُكُمْ لَيْلَةً دَعْوَةُ الْخَمْرِ فَثُورُوا أَجْمَعِينَ^(٢)
رُبَّ لَيْلٍ قَدْ تَعَاهَدْنَا عَلَى مَا تَعَاهَدْنَا وَكُنَّا فَاعِلِينَ
فَقَضَيْنَاهُ وَلَمْ نَخْفَلْ بِهَا سَطَّرَتْ أَيْدَى الْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ^(٣)
بَيْنَ أَقْدَاحٍ وَرَاحٍ عُمِّقَتْ وَرِيَّاحِينَ وَوِلْدَانَ وَعَيْنَ^(٤)
وَسُقَاةٍ صَفَقَتْ أَكْوَابَهَا بَعْضُهَا الْبَلُورُ وَالْبَعْضُ الْجَيْنَ^(٥)
آكَسَتْ مِنَّا عَطَاشًا كَالْقَطَا صَادَفَتْ وَرْدًا بِهِ مَاءٌ مَعِينُ^(٦)
فَمَشَتْ بِالْكَاسِ وَالطَّاسِ لَنَا مِشْيَةَ الْأَفْرَاحِ لِلْقَابِ الْحَزِينِ
وَتَوَاتَبْنَا إِلَى مَشْمُولَةٍ ذَاتِ أَلْوَانٍ تَسُرُّ النَّاضِرِينَ^(٧)

(١) الطلاء (بالكسر والمدة ، وقصر للشعر) : الخمر .

(٢) ثوروا : هبوا مسرعين .

(٣) الكرام الكاتبون : الملائكة الذين يكتبون حسنات المرء وسيئاته .

(٤) العين : جمع عيناء ، وهي الغادة الواسعة العين .

(٥) الجين : الفضة . ويلاحظ أن في هذا البيت عيباً من عيوب القافية يسمى (سناد الخدر) ، وهو اختلاف حركة ما قبل الرفع . والردف هو حرف المدة الذي هو قبل الروى .

(٦) القطا : جمع قطاة ، وهي الحمامة . والورد : المورد . والمعين : البخارى .

(٧) المشمولة : الخمر ، سميت بذلك لأنها تشمل الناس بريحتها ، فهو فعيل بمعنى فاعل ، ولأن بها عصفرة كعصفة

عَمَدَ السَّاقِ لِأَنْ يَقْتُلَهَا وَهِيَ بِكَرٍّ أَحْصَنْتَ مِنْذُ سِنِينَ^(١)
 ثُمَّ لَمَّا أَنْ رَأَى عَفَّتَهَا خَافَ فِيهَا اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ^(٢)
 وَأَجَلْنَا الْكَاسَ فِيمَا بَيْنَنَا وَعَلَى الصَّهْبَاءِ بَنَّا عَاكِفِينَ^(٣)
 وَشَقِينَا النَّفْسَ مِنْ كُلِّ رَشٍّ نَطَقَتْ عَيْنَاهُ بِالسُّحْرِ الْمُبِينِ^(٤)
 وَطَوَى مَجْلِسَنَا بَعْدَ الْهَنَاءِ وَأَنْشَرَاخَ الصَّدْرِ تَكْثِيرُ الْأَذِينِ^(٥)
 هُكَذَا كُنَّا بِأَيَّامِ الصَّافَا نَنْهَبُ اللَّذَاتِ فِي الْوَقْتِ الثَّمِينِ
 لَيْتَ شِعْرِي هَلْ لَنَا بَعْدَ النَّوَى مِنْ سَبِيلٍ لِلْقَا أَمْ لَا تَحِينَ؟^(٦)

(١) عمد له (من باب ضرب) : قصد . و يقتلها ، أى يمزجها بالماء ، وأصله من قول حسان بن ثابت :

إِنِّ التَّى نَاوَلْتَنِي فَرَدَدْتُهَا قَتَلْتُ قَتَلْتُ فَهَاتَهَا لَمْ تَقْتُلْ

وأحصنت البكر : حافظت على عفتها ؛ وإحصان الخمر هنا ؛ بقاؤها في الدنان .

(٢) كنى بعفة الخمر في هذا البيت عن إياها المزج . يقول : إن الساقى لما رأى أن الخمر لا تقبل المزج بالماء خاف

فيها الله رب العالمين ، أى لم يقتلها بالمزج وسقانا إياها صرفا .

(٣) أجلسنا الكأس : أدرناها .

(٤) الرشا (بالهمز وسهل للشعر) : ولد الطيبة الذى قد تحرك ومشى ؛ يريد المليح الحسن الجميل .

(٥) الأذنين : المؤذن .

(٦) لات حين : أى ذهب وقت اللقاء وليس الحين حينه . ويلاحظ أن قواعد اللغة تقتضى ذكر (أو) مكان (أم)

في هذه العبارة ، فإن (أم) المتصلة لا تذكر بعد (هل) إلا شذوذا ، نحو : هل زيد عندك أم عمرو ؛ وإنما تذكر مع همزة الاستفهام في الأكثر .

الغزل

قال ترجمة عن جان جاك روسو :

[نُشِرَ في ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٠٠ م]

يَا أَيُّهَا الْحُبُّ أَمْتَرِجْ بِالْحَشَى فَإِنَّ فِي الْحُبِّ حَيَاةَ النُّفُوسِ
وَأَسْأَلُ حَيَاةً مِنْ يَمِينِ الرَّدَى أَوْشَكَ يَدْعُوهَا ظَلَامُ الرُّمُوسِ^(١)

وقال ترجمة عنه أيضا :

[نُشِرَ في سنة ١٩٠٠ م]

تَمَثَّلِي إِنِّ شَتَّيتُ فِي مَنْظَرٍ (يَا جُولِيَا) أَنْكَرُ فِيهِ الْغَرَامُ^(٢)
أَوْ فَابْعَيْ قَلْبًا إِلَى أَضْلَعٍ رَاحَ بِهِ الْوَجْدُ وَأَوْدَى السَّقَامُ^(٣)

وقال ترجمة عنه أيضا :

[نُشِرَتْ في ٢٣ نوفمبر سنة ١٩٠٠ م]

غُضِّي جُفُونِ السُّحْرِ أَوْ فَارْحِمِي مَتَمِّيًا يَحْشَى نَزَالَ الْجُفُونِ
وَلَا تَصُولِي بِالْقَوَامِ الَّذِي تَمِيسُ فِيهِ يَا مُنَايَ الْمُنُونِ^(٤)
إِنِّي لَا أَدْرِي مِنْكَ مَعْنَى الْهَوَى (يَا جُولِيَا) وَالنَّاسُ لَا يَعْرِفُونُ

(١) الرموس : القبور ، الواحد رمس . يقول : أفقد الحياة بممارسة الحب قبل أن يقطعها الموت .

(٢) يرغب في هذا البيت إلى محبوبته أن تجمع تلك الصورة التي يحبها وتمثل في صورة أخرى ينكر فيها حبه لإياها وغرامه بها ، ليستريح مما يقاسيه من تباين الهوى .

(٣) أودى به : ذهب . (٤) تميس : تتأيل وتبخر . والمنون : الموت .

في جُنْدِيٍّ مَلِيحٍ

(نُشِرَ فِي سَنَةِ ١٩٠٦ م)

وَمَنْ عَجَبٌ قَدْ قَلْدُوكَ مُهَنْدًا وَفِي كُلِّ لَحْظٍ مِنْكَ سَيْفٌ مُهَنْدٌ^(١)
إِذَا أَنْتَ قَدْ جَرَدْتَهُ أَوْ غَمَدْتَهُ قَتَلْتَ بِهِ وَاللَّحْظُ لَا يَتَعَمَّدُ^(٢)

وقال :

أَنَا الْعَاشِقُ الْعَانِي وَإِنْ كُنْتَ لَا تَدْرِي أَعْيُذُكَ مِنْ وَجْدٍ تَغْلُغَلُ فِي صَدْرِي^(٣)
خَلِيلِي هَذَا اللَّيْلُ فِي زِيٍّ أَتَى فَقُمْ نَلْتَمِسْ لِلْسُّهْدِ دُرْعًا مِنَ الصَّبْرِ^(٤)
وَهَذَا السَّرَى نَحْوَ الْحِمَى يَسْتَفْزِنَا فَهَيَّا وَإِنْ كُنَّا عَلَى مَرْكَبٍ وَغَيْرِ^(٥)
خَلِيلِي هَذَا اللَّيْلُ قَدْ طَالَ عُمُرُهُ وَإِسْ لِهْ غَيْرُ الْأَحَادِيثِ وَالذِّكْرِ
فَهَاتِ لَنَا أَذْكَى حَدِيثٍ وَعَيْتِهِ أَلَدُّ بِهِ إِنْ الْأَحَادِيثُ كَالْخَمْرِ^(٦)

وقال :

قَالَتْ أَبْجُوزَاءُ حِينَ رَأَتْ جَفَنَهُ قَدْ وَاصَلَ السَّهْرَا^(٧)
مَا لِهَذَا الصَّبِّ فِي وَلَهٍ؟ أَتَرَاهُ يَعْشَقُ الْقَمَرَا؟^(٨)

(١) المهند : السيف .

(٢) جردته : سللته من غمده . ولا يعتمد : لا يقصد القتل . ويريد بهذا أنه لا يحاسب على ما جنى لعدم قصده .

(٣) العاني : الأسير . وتغلغل دخل وأوغل . (٤) في زيه : أى سواده .

(٥) السرى : السير بالليل . ويستفzna : يستخفنا . والوعر : الصعب . (٦) وعيته : حفظته .

(٧) الجوزاء : برج في السماء معروف . (٨) الوله : التحير من شدة الوجد .

وقال يتغزل في ملبح ويعرض بأحتلال الإنجليز :

ظَبِيَّ الْحِمَى بِاللَّهِ مَا ضَرَّكَ إِذَا رَأَيْنَا فِي الْكَرَى طَيْفَكَ^(١)
وما أَلَذَى تَحْشَاهُ لَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا فُلَانٌ قَدْ غَدَا عَبْدَكَ ؟
قَدْ حَرَمُوا الرِّقَّ وَلَكِنَّهُمْ مَا حَرَمُوا رِقَّ الْهَوَى عِنْدَكَ^(٢)
وَأَصْبَحَتْ مَضْرُوبًا حَامًا لَهُمْ وَأَنْتَ فِي الْأَحْشَاءِ مُرَاحٌ لَكَ^(٣)
مَا كَانَ سَهْلًا أَنْ يَرَوْا نَيْلَهَا لَوْ أَنَّ فِي أَسْيَافِنَا لِحْظَكَ^(٤)

يقين الحب

أَذْنُكَ تَرْتَابِينَ فِي الشَّمْسِ وَالضُّحَى وَفِي النُّورِ وَالظُّلُمَاءِ وَالْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ^(٥)
وَلَا تَسْمَعِي لِلشَّكِّ يَخْطُرُ خَطَرَةً بِنَفْسِكَ يَوْمًا أَنِّي لَسْتُ مُغْرَمًا

الخال

قالها في ملبح رأى خالا على غرته

سَأَلْتُهُ مَا لِهَذَا الْخَالِ مُنْفَرِدًا ؟ وَأَخْتَارَ غُرَّتَكَ الْغَرَّا لَهُ سَكَنًا ؟^(٦)
أَجَابَنِي : خَافَ مِنْ سَهْمِ الْجُفُونَ وَمِنْ نَارِ الْخُدُودِ ؛ لِهَذَا هَاجَرَ الْوَطَنَ^(٧)

(١) الكرى : النعاس . والطيف : الخيال الطائف في المنام .

(٢) الضمير في « حرموا » للإنجليز .

(٣) المراح (بضم الميم) : المأوى والمنزل . ويجوز أن يقرأ بفتحها ، بمعنى الموضع يروح القوم منه وإليه .
ولهم ، أى الإنجليز .

(٤) أى لم يكن من اليسير على الإنجليز أن يحتلوا مصر لو أن سيف لحظك الفتاك من سيوفنا .

(٥) أذنتك : أى أذنت لك . وترتابين ، أى تشكين . (٦) الغراء (بالمد وقصر للشعر) : البيضاء .

(٧) يريد بالوطن (هنا) : خده ، لأن الخال أكثر ما يكون فيه .

رسائل الشوق

سُورٌ عِنْدِي لَهُ مَكْتُوبَةٌ وَدَلَّوْا يَسْرَى بِهَا الرُّوحُ الْأَمِينُ^(١)
 إِنِّي لَا آمَنُ الرُّسُلَ وَلَا آمَنُ الْكُتُبَ عَلَى مَا تَحْتَوِينِ
 مُسْتَهِينٌ بِالَّذِي كَابَدْتُهُ وَهُوَ لَا يَدْرِي بِمَاذَا يَسْتَهِينُ^(٢)
 أَنَا فِي هَمٍّ وَيَاسٍ وَأَسَى حَاضِرُ اللَّوْعَةِ مُوَصُولُ الْأَنِينِ

(١) الروح الأمين : جبريل عليه السلام .

(٢) يريد بقوله : « وهو لا يدري » الخ أن محبوه لم يكابدوا ألم الهوى حتى يعرف قدر ما يستهين به .

الاجتماعيات

حريق ميت غمر^(١)

[نشرت في ٧ مايو سنة ١٩٠٢ م]

سائلوا الليل عنهم والنهارا كيف باتت نساؤهم والعداري؟
 كيف أمسى رضيعهم فقد الأُم وكيف أضطلى مع القوم نارا؟
 كيف طاح العجوز تحت جدار يتداعى وأسقف تتجارى؟^(٢)
 ربّ إنّ القضاء أنحى عليهم فأكشف الكرب وأعجب الأقدارا
 ومُر النار أن تكفّ أذاها ومُر الغيث أن يسيل أنهارا
 أين طوفان صاحب الفلك؟ يروى هذه النار، فهي تشكو الأوارا^(٣)
 أشعلت فحمة الدياجي فباتت تملا الأرض والسماء شرارا^(٤)
 غشيتهم والنحس يجرى يمينا ورمتهم والبؤس يجرى يسارا
 فأغارَتْ وأوجه القوم بيض ثم غارت وقد كسّتهن قارا^(٥)

(١) شبت النار في مدينة ميت غمر من أعمال الدقهلية في (يوم الخميس أول مايو سنة ١٩٠٢ م) (٢٢ المحرم سنة ١٣٢٠ هـ) وبقيت تأكل كل ما تأتى عليه في هذه المدينة حتى يوم ٨ مايو ؛ وحلك بسبب هذا الحريق كثيرون ، ودمر كثيرا من الدور والمحال ، ولطم النكدة تألفت جماعة من الأعيان لتخفيف ويلات هذا المصائب ، وتسابق أهل الخير بخادوا بالمال الكثير ، وحضت الصحف الناس على جمع المال لذلك ؛ وفيها يقول الشاعر هذه القصيدة .

(٢) طاح : هلك . وتداعى الجدار : انقض وتهدم . وتجارى : تسابق في السقوط .

(٣) الفلك : السفينة . وصاحبها : نوح عليه السلام . والأوار شدة الحرارة والعطش .

(٤) فحمة الدياجي : ظلمة الليل ، تشبها لها بالفحم . (٥) القار : الزيت .

أَكَلْتُ دُورَهُمْ فَلَمَّا اسْتَقَاتَ لَمْ تُغَادِرْ صِغَارَهُمْ وَالْكِبَارَا^(١)
 أَخْرَجَتْهُمْ مِنَ الدِّيارِ عُرَاةً حَذَرَ الْمَوْتِ يَطْلُبُونَ الْفَرَارَا
 يَلْبَسُونَ الظَّلَامَ حَتَّى إِذَا مَا أَقْبَلَ الصُّبْحُ يَلْبَسُونَ النَّهَارَا
 حُلَّةٌ لَا تَقِيهِمُ الْبَرْدَ وَالْحَرَّ رَ وَلَا عَنْهُمْ تَرْدُ الْغُبَارَا
 أَيُّهَا الرَّافِلُونَ فِي حُلِّ الْوَشَى يَجْرُونَ لِلذُّيُولِ افْتِخَارَا^(٢)
 إِنَّ فَوْقَ الْعَرَاءِ قَوْمًا جِياعًا يَتَوَارُونَ ذِلَّةً وَأَنكِسَارَا^(٣)
 أَيُّهَا السَّجِينُ لَا يَمْنَعُ السُّجْ نُ كَرِيمًا مِنْ أَنْ يُقِيلَ الْعِثَارَا^(٤)
 مَنْ بَأَثَفٍ لَهُمْ وَإِنْ شَتَّتَ زِدْهَا وَأَجِرْهُمْ كَمَا أَجَرْتَ النَّصَارَى^(٥)
 قَدْ شَهِدْنَا بِالْأَمْسِ فِي مَضْرَعُوسًا مَلَأَ الْعَيْنَ وَالْفُؤَادَ ابْتِهَارَا^(٦)
 سَالَ فِيهِ النَّضَارُ حَتَّى حَسَبْنَا أَنْ ذَاكَ الْفَنَاءَ يَجْرَى نُضَارَا^(٧)
 بَاتَ فِيهِ الْمُنْعَمُونَ بِلَيْلٍ أَجَلَ الصُّبْحِ حُسْنُهُ فَتَوَارَى

(١) استقالت : أى عادت ما أحرقته من الدور قليلا .

(٢) وقل في ثوبه : اختال فيه وتيجرت . وحلل الوشى : الثياب المنقوشة .

(٣) العراء : الفضاء . ويتوارون : يستترون .

(٤) يريد بالسجين المنشاوى باشا الترى المعروف ، وكان إذ ذاك مسجوناً لارتكابه جريمة تعذيب اللصوص الذين اتهموا بسرقة بعض المواشى من مزرعة سمو الخديو عباس حلى الثانى ، حتى اضطروهم إلى الإقرار بما سرقوا بتأثير العذاب وكان ذلك فى سنة ١٩٠٢ م . والعتار : الشر والمكره . وإقالته : دفعه عن نزل به .

(٥) يشير إلى أن المنشاوى كان قد أجاز كثيراً من الأوربيين وحماهم من أذى المصريين فى الثورة العرابية ، وأنزلهم بيته

(٦) ابتهارا : يريد عجا . ولم تجدد فيما راجعناه من كتب اللغة هذا اللفظ بهذا المعنى . وهذا العرس الذى يشير إليه الشاعر هو عرس زواج الأمير حيدر رشدى فاضل بك من كريمة على فهمى باشا وقد أقيم مهرجان عظيم بدار على فهمى باشا مكث ثلاث ليالٍ من ليلة الأربعاء ٣٠ أبريل سنة ١٩٠٢ م إلى ليلة الجمعة ٢ مايو من السنة نفسها .

(٧) الفناء : ساحة الدار .

يَكْتَسُونَ الشُّرُورَ طَوْرًا وَطَوْرًا فِي يَدِ الْكَأْسِ يَخْلَعُونَ الْوَقَارَا
وَسَمِعْنَا فِي (مَيْتِ غَمْرٍ) صِيَا حَا مَلَأُ الْبِرَّ ضَجَّةً وَالْبَحَارَا
جَلَّ مَنْ قَسَمَ الْخُطُوطِ ؛ فَهَذَا يَتَغَنَّى وَذَاكَ يَبْكِي الدِّيَارَا
رُبَّ لَيْلٍ فِي الدَّهْرِ قَدْ ضَمَّ نَحْسًا وَسُعودًا وَعُسْرَةً وَيَسَارَا

إلى الأرض^(١)

[بركان مارتنيك سنة ١٩٠٢ م]

أَبْسُوكِ الدِّمَاءَ فَوْقَ الدِّمَاءِ وَأَرْوِكِ الْعِدَاءَ بَعْدَ الْعِدَاءِ^(٢)
فَلَيْسَتْ النَّجِيعَ مِنْ عَهْدِ قَابِلٍ لَ وَشَاهَدَتْ مَضْرَعَ الْأَبْرِيَاءِ^(٣)
فَلَكَ الْعُذْرُ إِنْ قَسَوْتَ وَإِنْ خُنْتُ ت وَإِنْ كُنْتُ مَصْدَرًا لِلشَّقَاءِ^(٤)
غَلِطَ النَّاسُ ؛ مَا طَغَى جَبَلُ النَّآ ر بِإِرْسَالِ نَفْثَةٍ فِي الْهَوَاءِ^(٥)
أَخْرَجُوا صَدْرَ أُمِّهِ فَأَرَاهُمْ بَعْضَ مَا أَصْفَرَتْ مِنْ أَلْبُرْحَاءِ

(١) المارتنيك : هي إحدى جزر الهند الغربية الفرنسية ، وبها كثير من الفوهات (البركانية) . ويشير الشاعر إلى الثوران (البركاني) الذي حدث فيها ، والذي لم يشهد العالم مثله في شدته وكثرة ضخائمه ، وذلك في ٨ مايو سنة ١٩٠٢ م .

(٢) أبسوك : يخاطب الأرض . ويشير بهذا البيت والذي بعده إلى عدوان الناس بعضهم على بعض بالقتل من عهد آدم إلى اليوم .

(٣) النجيع : الدم . وقابيل : هو ابن آدم عليه السلام ، وهو الذي قتل أخاه هابيل وقصتهما مشهورة ورد ذكرها في القرآن .

(٤) نفثة جبل النار : ما يقذف به البركان من نيران .

(٥) أمه : أي الأرض . ويريد بالبرحاء : نار الضغن والحقد .

أَسْخَطُوهَا فَصَابَرْتَهُمْ زَمَانًا ثُمَّ أَنْحَتُ عَلَيْهِمْ بِالْجِزَاءِ^(١)
 أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ يَكُنْ ذَاكَ سُخْطُ الْـ أَرْضِ ، مَاذَا يَكُونُ سُخْطُ السَّمَاءِ
 إِنْ فِي عُلُوٍّ مَسْرَحًا لِلْقَادِي بِرِ فِي الْأَرْضِ مَكْنًا لِلْقَضَاءِ^(٢)
 فَاتَّقُوا الْأَرْضَ وَالسَّمَاءَ سَوَاءً وَاتَّقُوا النَّارَ فِي الثَّرَى وَالْفَضَاءِ

اللغة العربية تنعى حظها بين أهلها

[نشرت في سنة ١٩٠٣ م]

رَجَعْتُ لِنَفْسِي فَأَتَمَمْتُ حَصَاتِي وَنَادَيْتُ قَوْمِي فَأَحْتَسَبْتُ حَيَاتِي^(٣)
 رَمَوْنِي بِعُقْمٍ فِي الشَّبَابِ وَلَيْتَنِي عَقِمْتُ فَلَمْ أَجْزَعْ لِقَوْلِ عِدَاتِي^(٤)
 وَلَدْتُ وَلَمْ أَلَمْ أَجِدْ لِعَرَائِسِي رَجَالًا وَأَكْفَاءً وَأَدْتُ بَنَاتِي^(٥)
 وَسَعَتْ كِتَابَ اللَّهِ لَفْظًا وَغَايَةً وَمَا ضَمْتُ عَنْ آيٍ بِهِ وَعِظَاتِ^(٦)
 فَكَيْفَ أَضِيقُ الْيَوْمَ عَنْ وَصْفِ آلَةٍ وَتَنْسِيْقِ أَسْمَاءِ الْمُخْتَرَعَاتِ؟

(١) صابرتهم : أى طاولتهم فى الصبر . وأنحيت عليهم بالجزاء : أقبات عليهم به .

(٢) فى علو : أى فى أعلى ، وهو بسكون اللام وضم الواو وكسرهما وفتحها ، يريد السماء .

(٣) رجعت لى نفسى : أى تأملت . والحصاة : الرأى والعقل . واحتسبت حياتى : عددتها عند الله فيما يدخر . يقول على لسان اللغة العربية : إننى عدت إلى نفسى وفكرت فيما آل إليه أمرى ، فأسأت الظن بمقدرى ، وكدت أصدق ما رمونى به من القصور ، وناديت الباطنين بى أن يصرونى فلم أجدهم سميعا ، فادخرت حياتى عند الله .

(٤) العداة : الأعداء . يقول اتهمونى بأنى لا ألد على حين أنى فى ريعان شبابى . وليتنى كنت كما قالوا فلا يحزنى قولهم . وكنتى بالعقم هنا عن ضيق اللغة وجودها .

(٥) يريد « بالعرائس » : الألفاظ المجلوبة الحسنة . ورأدت البنت : دفنها حية .

(٦) الآى : جمع آية .

أَنَا الْبَحْرُ فِي أَحْشَائِهِ الدُّرُّ كَأَمِنْ فَهَلْ سَأَلُوا الْغَوَاصَّ عَنْ صَدَفَاتِي
 فِيَا وَيَحْكُمُ أَيْلَى وَتَبَلَى مُحَاسِنِي وَمِنْكُمْ وَإِنْ عَزَّ الدَّوَاءُ أَسَاتِي ^(١)
 فَلَا تِكَاوُنِي لِلزَّمَانِ فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَحِينَ وَفَاتِي ^(٢)
 أَرَى لِرِجَالِ الْغَرْبِ عِزًّا وَمَنْعَةً وَكَمْ عَزَّ أَقْوَامٌ بَعِزُّ لُغَاتِ ^(٣)
 أَتَوْا أَهْلَهُمْ بِالْمُعْجَزَاتِ تَفَنَّنَا فِيَا لَيْتَكُمْ تَأْتُونَ بِالْكَلِمَاتِ!
 أَيُطْرِبُكُمْ مِنْ جَانِبِ الْغَرْبِ نَاعِبٌ يُنَادِي بِوَادِي فِي رَبِيعِ حَيَاتِي؟ ^(٤)
 وَلَوْ تَزْجُرُونَ الطَّيْرَ يَوْمًا عَاهَتُمْ بِمَا تَحْتَهُ مِنْ عَثْرَةٍ وَشَتَاتِ ^(٥)
 سَقَى اللَّهُ فِي بَطْنِ الْجَزِيرَةِ أَعْظَمًا يَعِزُّ عَلَيْهَا أَنْ تَلِينَ قَنَاتِي! ^(٦)
 حَفَظَنَ وَدَادِي فِي الْبَلَى وَحَفَظْتُهُ لَهْنٌ بِقَلْبٍ دَائِمِ الْحَسَرَاتِ
 وَفَانَحَرْتُ أَهْلَ الْغَرْبِ وَالشَّرْقِ مُطَرِّقٌ حَيَاءً بِتِلْكَ الْأَعْظُمِ النَّخْرَاتِ ^(٧)
 أَرَى كُلَّ يَوْمٍ بِالْجَرَائِدِ مَرْلَقًا مِنَ الْقَبْرِ يُدْنِينِي بَغَيْرِ أُنَاةٍ ^(٨)

(١) الأُساءة : جمع الأسي ، وهو الطيب .

(٢) تَكَاوُنِي : تَرَكُونِي . وَتَحِينُ : تَحُلُ .

(٣) يُقَالُ : هُوَ فِي مَنْعَةٍ ، أَيْ فِي قَوْمٍ يَمْنَعُونَهُ وَيَحْمُونَهُ .

(٤) النَّاعِبُ : الْمَصُوتُ بِمَا هُوَ مُسْتَكِرُّهُ . رَبِيعُ الْحَيَاةِ : أَيَّامُ الشَّبَابِ وَالْقُوَّةِ .

(٥) زَجَرَ الطَّيْرَ : هُوَ أَنْ تَرْمِيَ الطَّائِرَ بِحَصَاةٍ أَوْ تَصْبِيحَ بِهِ ، فَإِنْ وَلَاكَ فِي طَيْرَانِهِ مِيَامَهُ تَفَاءَلَتْ بِهِ خَيْرًا ، وَإِنْ وَلَاكَ مِيَامُهُ تَطَارَتْ مِنْهُ . وَالْعَثْرَةُ : السَّقُوطُ . وَالشَّتَاتُ : التَّفَرُّقُ . يَقُولُ : لَوْ اسْتَنْبَأْتُ الْغَيْبَ بِزَجْرِ الطَّيْرِ ، كَمَا كَانَتْ يَفْعَلُ الْعَرَبُ ، لَعَلَّمْتُ مَا يَجْرُدُنِي عَلَيْكُمْ مِنَ السَّقُوطِ وَالْإِنْحِلَالِ .

(٦) الْقَنَاتَةُ : الرِّيحُ . وَلِينُهَا : نَكَايَةٌ عَنِ الضَّعْفِ . وَيُرِيدُ « بِالْأَعْظُمِ » : مِنْ دَفْنٍ فِي الْجَزِيرَةِ مِنَ الْعَرَبِ الْأَوَّلِينَ .

(٧) النَّخْرَاتُ : الْبَالِيَةُ الْمُتَفَتَّتَةُ .

(٨) الْمَرْلَقُ : مَكَانُ الْإِتْرَاقِ ، أَيْ السَّقُوطِ وَالزَّلَلِ . وَالْأُنَاةُ : التَّائِي وَالْإِبْطَاءُ . وَيُرِيدُ وَصْفَ لُغَةِ الْجَرَائِدِ

إِذْ ذَاكَ بِالضَّعْفِ .

وَأَسْمَعُ لِلْكَتَّابِ فِي مَضَرٍ صَحَّةً فَأَعْلَمُ أَنَّ الصَّائِحِينَ نَعَائِي (١)
 أَيْهَجَرْنِي قَوْمِي - عَنِ اللَّهِ عَنْهُمْ - إِلَى لُغَةٍ لَمْ تَتَّصِلْ بِرُؤَاةٍ؟ (٢)
 سَرَتْ لُوثَةُ الْإِفْرِجِ فِيهَا كَمَا سَرَى لُعَابُ الْأَفَاعِي فِي الْمَسِيلِ فُرَاتٍ (٣)
 بِفَاءَتْ كَثُوبٌ ضَمَّ سَبْعِينَ رُقْعَةً مُشَكَّلَةَ الْأَلْوَانِ مُخْتَلِفَاتٍ
 إِلَى مَعْشَرِ الْكُتَّابِ وَالْجَمْعِ حَافِلٌ بَسَطْتُ رَجَائِي بَعْدَ بَسْطِ شِكَايِ (٤)
 فَإِذَا حَيَاةٌ تَبَعَتْ الْمَيِّتَ فِي الْإِلَى وَتَنَبَّأْتُ فِي تِلْكَ الرُّمُوسِ رُفَاتِي (٥)
 وَإِذَا مَمَاتٌ لَا قِيَامَةَ بَعْدَهُ مَمَاتٌ لِعَمْرِي لَمْ يَقْسُ بِمَمَاتِ

زواج الشيخ على يوسف (٦) صاحب (جريدة المؤيد)

قالها ينحى فيها على المصريين بعض العيوب الاجتماعية ، وما يراه من فوزى الرأى وقلة الثبات عليه

[نشرت في سبتمبر سنة ١٩٠٤ م]

حَطَمْتُ الْيِرَاعَ فَلَا تَعْجَبِي وَعَفْتُ الْيَّانَ فَلَا تَعْنِي (٧)
 فَا أَنْتِ يَامَصْرُ دَارَ الْأَدِيبِ وَلَا أَنْتِ بِالْبَلَدِ الطَّيِّبِ

(١) النعاة : جمع ناع ، وهو الخبر بالموت .

(٢) لم تتصل برواة : أى لم يأخذها الخلف عن السلف بطريق الرواية التي تحتفظها من التعبير كما هو الشأن في العربية ويشير إلى تلك اللغة المرفقة التي كانت مستعملة أيام نشر هذه القصيدة .

(٣) اللوثة (بالضم) : عدم الابانة . ولعاب الأفاعى : سمها . والفرات : الماء العذب . (٤) الشكاة : الشكوى .

(٥) تبعث الميت : تحييه . والرموس : القبور ، الواحد رمس . والرفات : كل ما تكسر وبلى ؛ يريد ما بقى من

الجسد بعد الموت .

(٦) كان بين المرحوم الشيخ على يوسف صاحب المؤيد وبين السيد أحمد عبد الخالق السادات شيخ السادة الوفائية صلة مودة وصداقة ، فخطب الشيخ على ابنه صفية ، ورضيت الفتاة وسكت الأب ، فعقد العقد في بيت البكرى من غي . علم الأب ، ورفع الوالد الأمر إلى المحكمة الشرعية طالبا فسخ العقد لعدم الكفاءة في النسب ، ودافع الشيخ على عن نفسه وأثبت شرف نسبه بتسجيل اسمه في دفتر الأشراف ، وقضت المحكمة بالحيلولة المؤقتة بين الزوجين ، ثم قضت بعد ذلك بفسخ عقد الزواج في أغسطس سنة ١٩٠٤ م ، فاستأنف الزوج الحكم أمام المجلس الابتدائى الشرعى في محكمة مصر الشرعية الكبرى فقضت بتأييد الحكم بتاريخ أول أكتوبر سنة ١٩٠٤ م ، وكان لهذه القضية ثورة في الرأى العام فاضت بها الصحف وأكثر فيها الشعراء .

(٧) حطمت : كسرت . واليراع : القلم . وعاف الشئ : يعافى : كرهه . والخطاب لمصر في هذا البيت وما أتى بعده .

وكم فيك يامصرُ من كاتبٍ أقالَ اليراعَ ولم يَكُتِبْ^(١)
 فلا تَعُدُّليني لهذا السُّكوتِ فقد ضاقَ بي منك ما ضاقَ بي
 أيعجُبني منك يومَ الوفاقِ سُكوتُ الجَمادِ ولَعَبُ الصَّبي؟^(٢)
 وكم غَضِبَ الناسُ من قَبْلنا لَسَلَبِ الحُقُوقِ ولم نَغْضَبْ
 أنا بَيْتَةَ العَصْرِ إنَّ الغريبَ مُجَدُّ بِمِصْرَ فلا تَلْعَبِي^(٣)
 يقولون : في النَّشءِ خيرٌ لنا ولِلنَّشءِ شَرٌّ من الأَجْنَبِي
 أفي (الأزبكية) مَثَوَى البَنِينِ وَبَيْنَ المَساجِدِ مَثَوَى الأَبِ؟^(٤)
 (وكم ذا بِمِصْرَ من المُضْحَكاتِ) كما قالَ فيها (أبو الطَّيِّبِ)^(٥)
 أُمُورٌ تَمُرُّ وَعَيْشٌ يُمرُّ ونحنُ من اللّهُو في مَلْعَبِ^(٦)
 وشَعْبٌ يَفِرُّ من الصّالِحاتِ فرارَ السَّليمِ من الأَجْرَبِ
 وَصُفٌّ تَطْنُ طَنِينَ الذُّبابِ وأُخْرَى تَشُنُّ على الأَقْرَبِ^(٧)

(١) أقال اليراع : أعفاه من أن يكتب به .

(٢) يشير الشاعر « بيوم الوفاق » إلى الاتفاق الذي تم بين إنجلترا وفرنسا سنة ١٩٠٤ م ، والذي أباح لفرنسا بعض امتيازات في مراكش في مقابل إطلاق يد الإنجليز في مصر .

(٣) النابتة : الناشئة .

(٤) المَثَوَى : موضع التواء ، وهو الإقامة . يريد أن الشباب في الملاهي ، والآباء في المساجد .

(٥) يشير إلى قول أبي الطيب المتنبي من قصيدة له في هجاء كافور :

وكم ذا بمصر من المضحكات ولكم ضحك كالبكاء

(٦) عيش يمر : أي يصير مرا .

(٧) طنين الذباب : صوته . وتشن على الأقرب : تصب عليه غارتها من كل جهة . ويريد « بالأقرب » : أبناء الوطن .

وهذا يُلَوِّذُ بِقَصْرِ الْأَمِيرِ وَيَدْعُو إِلَى ظِلِّهِ الْأَرْحَبِ^(١)
وهذا يُلَوِّذُ بِقَصْرِ السَّفِيرِ وَيُطِنُّ فِي وَرْدِهِ الْأَعْدَبِ
وهذا يَصِيحُ مَعَ الصَّاحِحِينَ عَلَى غَيْرِ قَصْدٍ وَلَا مَأْرَبِ
وقالوا : دَخِيلٌ عَلَيْهِ الْعَمَاءُ وَنِعَمَ الدَّخِيلُ عَلَى مَذْهَبِي^(٢)
رَأَا نِيَامًا وَلَّا نَفَقَ فَشَمَّرَ لِسَعْيٍ وَالْمَكْسَبِ
وماذا عليه إذا فَاتَنَا وَنَحْنُ عَلَى الْعَيْشِ لَمْ نَدَّأَبِ^(٣)
أَلْفَا الْخُمُولَ وَيَا لَيْتَنَا أَلْفَا الْخُمُولَ وَلَمْ نَكْذِبِ

*
* *

وقالوا : (الْمُؤَيَّدُ) فِي غَمْرَةٍ رَمَاهُ بِهَا الطَّمَعُ الْأَشْعَبِي^(٤)
دَعَاهُ الْغَرَامُ بِسَنِّ الْكُهُولِ بَحْرًا جُنُونًا بِنْتُ النَّبِيِّ^(٥)
فَضَجَّ لَهَا الْعَرْشُ وَالْحَامِلُوهُ وَضَجَّ لَهَا الْقَبْرُ فِي يَثْرَبِ^(٦)
وَنَادَى رَجُلًا بِإِسْقَاطِهِ وَقَالُوا : تَكُونُ فِي الْمَشْرَبِ^(٧)

(١) الأرحب : المتسع . ويشير بهذا البيت والبيتين اللذين بعده إلى انقسام الرأي السياسي في مصر ، ففريق مع الخديو ، وآخر يناصر دار العميد الإنجليزي ، وثالث لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء .

(٢) يريد « بالدخيل » : الأجانب الذين أصابوا في مصر حظا من الثروة لم يصبه أهلها . والعفاء : البلى والاندثار

(٣) دأب في عمله : جد فيه واستمر عليه .

(٤) يريد « بالمؤيد » : صاحبه الشيخ علي يوسف . والعمرة : ما يغمر الإنسان ويشمله من الشدائد ؛ ويريد بها هنا ما وقع فيه من شدة بما أثير حوله في قضية الزوجية . والأشعبي : نسبة إلى أشعب ، وهو رجل من الموالي بالمدينة كان شديد الطمع فضرب به المثل ، فقيل « أطمع من أشعب » .

(٥) بسن الكهول : أى في سن الكهول ؛ ويريد « بنت النبي » : السيدة صفية ، وهى من أسرة السادة الوفائية .

(٦) لها : أى لهذه الحادثة . ويثرب : اسم قديم لمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٧) يريد « بالمشرب » : المذهب أو الطريقة ؛ وهو معنى مولد .

وَعَدُوا عَلَيْهِ مِنَ السَّيِّئَاتِ أَلَوْفًا تَدُورُ مَعَ الْأَحْقَبِ^(١)
 وَقَالُوا لَصِيقُ يَبِيتِ الرَّسُولِ أَغَارَ عَلَى النَّسَبِ الْأَنْجَبِ^(٢)
 وَزَكِّي (أَبُو خَطُوةٍ) قَوْلَهُمْ بِحُكْمٍ أَحَدًا مِنَ الْمَضْرَبِ^(٣)
 فَمَا لِلتَّهَانِ عَلَى دَارِهِ تَسَاقُطُ كَالْمَطَرِ الصَّيْبِ؟^(٤)
 وَمَا لِلْوُفُودِ عَلَى بَابِهِ تَرْفُ الْبَشَائِرُ فِي مَوْكَبٍ؟
 وَمَا لِلْخَلِيفَةِ أَسَدَى إِلَيْهِ وَسَامًا يَلِيقُ بِصَدْرِ الْأَبِيِّ؟^(٥)
 فِيَا أُمَّةً ضَاقَ عَنْ وَصْفِهَا جَنَانُ الْمُفَوِّهِ وَالْأَخْطَبِ^(٦)
 تَضِيْعُ الْحَقِيقَةُ مَا بَيَّنَّا وَيَضِلُّ الْبَرَىءُ مَعَ الْمُذْنِبِ؟^(٧)
 وَيَهْضُمُ فِيْنَا الْإِمَامُ الْحَكِيمُ وَيُكْرَمُ فِيْنَا الْجَهْلُ الْغَبِي
 عَلَى الشَّرْقِ مَنَى سَلَامُ الْوُدُودِ وَإِنْ طَاطَأَ الشَّرْقُ لِلْمَغْرِبِ
 لَقَدْ كَانَ خَصْبًا بِجَذْبِ الزَّمَانِ فَأَجْدَبَ فِي الزَّمَنِ الْخُصْبِ^(٨)

(١) الأحقب : السنون ، الواحد حقب (بضم الحاء وسكون القاف أو بضمهما) . وتدور مع الأحقب ، أى تبقى على الدهر .

(٢) اللصيق بالقوم : الداخل فيهم وليس منهم .

(٣) أبو خطوة : هو الشيخ أحمد أبو خطوة فاضى المحكمة الذى حكم حكما ابتدائيا بفسخ عقد الزواج . والمضرب (بكسر الراء وفتحها) : السيف ، والجمع مضارب .

(٤) داره : أى دار الشيخ على يوسف . والصيب : المنهر المتدفق .

(٥) بشير إلى ما ناله الشيخ على يوسف من الرتب والأوسمة من الدولة العثمانية . والأبى (بتشديد الباء ، وخففت الشعر) : الذى لا يرضى الدنية أنفة وكبرا .

(٦) الجنان : القلب . والمفوه : المنطق . وينى الشاعر على الأمة أخلاقها ، فبينهاى تعد على الشيخ على يوسف السيئات ، وترميه بالتقلب فى رأى ، وتكر عليه زواجه ، إذا بها تتوافد على داره وترف إليه التهاني .

(٧) يصلى يعذب .

(٨) يقول : لقد كان الشرق غنيا بالحضارة والعمران فى عهد خلو العالم منهما ، فأصبح مجدبا من ذلك ، إذ الزمان

خصب بهما .

الى رجال الدنيا الجديدة

أنشدها في الحفل الذي أقامته كلية البنات الأميركية بمصر لتوزيع الشهادات على خريجاتها

في ٢٦ مايو سنة ١٩٠٦ م

أَيُّ رِجَالِ الدُّنْيَا الجَدِيدَةِ مُدَوِّ
وَأَفِيضُوا عَلَيْهِمْ مِنْ أَيَادِي
كُلِّ يَوْمٍ لَكُمْ رَوَائِعُ آثَا
كَمْ خَلَبْتُمْ عُقُولَنَا بِعَجِيبٍ
وَبَذَرْتُمْ فِي أَرْضِنَا وَزَرَعْتُمْ
وَلَمَحْنَا مِنْ نُورِكُمْ فِي نَوَاصِي
وَشَهَدْنَا مِنْ فَضْلِكُمْ أَثَرًا فِيهِ
لَيْتَنَّا نَقْتَدِي بِكُمْ أَوْ نُجَارِيهِ
إِنَّ فِيْنَا لَوْلَا التَّخَاذُلُ أَبْطَا
وَعُقُولًا لَوْلَا الْخُجُولُ تَوَلَّا
وَدُعَاءَ الْخَيْرِ لَوْ أَنْصَفُوهُمْ
كَاشَفَ الْكَهْرَبَاءُ لَيْتَكَ تُغْنِي
آلَةً تَسْحَقُ التَّوَاكُلَ فِي الشَّرِّ

لِرِجَالِ الدُّنْيَا الْقَدِيمَةِ بَاعَا
كَمْ عُلُومًا وَحِكْمَةً وَاخْتِرَاعَا
رِ تَوَالُونَ بَيْنَهُنَّ تَبَاعَا
وَأَمَرْتُمْ زَمَانَكُمْ فَأَطَاعَا
فَرَأَيْنَا مَا يُعْجِبُ الزُّرَّاعَا
حَفَلَةَ الْيَوْمِ لِمَعَةٍ وَشُعَاعَا
بِهَا يَرُوقُ الْعُيُونُ وَالْأَسْمَاعَا
كَمْ عَسَى نَسْتَرِدُّ مَا كَانَ ضَاعَا
لَا إِذَا مَا هُمْ أَسْتَقْلُوا الْبِرَاعَا^(١)
هَذَا لَفَاضَتْ غَرَابَةً وَأَبْتَدَاعَا
مَلَأُوا الشَّرْقَ عِزَّةً وَأَمْتِنَاعَا
بِاخْتِرَاعِ يَرُوضُ مِنَ الطَّبَّاعَا^(٢)
قِ وَتُلْقَى عَنِ الرِّيَاءِ الْقِنَاعَا

(١) استقلوا البراع : أى حلوا الأفلام .

(٢) يروض الطباع : أى يسوسها ويذلها بعد جماحتها .

قَدْ مَلَأْنَا وَقُوفَنَا فِيهِ نَبْكِي حَسْبًا زَائِلًا وَمَجْدًا مُضَاعًا
 وَسَمِينًا مَقَالَهُمْ كَانَ زَيْدٌ عَبَقَرِيًّا وَكَانَ عَمْرُو شُجَاعًا
 لَيْتَ شِعْرِي مَتَى تُنَازِعُ مِصْرَ غَيْرَهَا الْحَجْدَ فِي الْحَيَاةِ نِزَاعًا
 وَنَرَاهَا تُفَاخِرُ النَّاسَ بِالْأَحَدِ يَاءُ نَحْرًا فِي الْخَافِقَيْنِ مُدَاعًا^(١)
 (أَرْضُ كَوْلَبَ) أَيُّ نَبْتِيكَ أَغْلَى قِيمَةً فِي الْمَلَا وَأَبْقَى مَتَاعًا^(٢)
 أَرْجَالُ بِهِمْ مَلَكَتِ الْمَعَالِي أَمْ نُضَارُّ بِهِ مَلَكَتِ الْبِقَاعَا^(٣)
 لَاعِدَاكَ السَّمَاءُ وَالْخَضْبُ وَالْأُمُ نْ وَلَا زِلْتُ لِلْسَّلَامِ رِبَاعًا
 طَالِبِي الْكَوْنِ وَأَنْظُرِي مَادَهَا إِنَّ رُكْنَ السَّلَامِ فِيهِ تَدَاعَى^(٤)

مدرسة «المرحوم» مصطفى كامل

أشدها في الحفل الذي أقامته المدرسة لتوزيع الجوائز على المتقدمين

من تلاميذها في ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٠٦ م

سَمِعْنَا حَدِيثًا كَقَطْرِ النَّدى بَخَدَدَ فِي النَّفْسِ مَا جَدَّدَا^(٥)
 فَأَضْحَى لَأَمَانًا مُنْعَشًا وَأَمْسَى لَأَمَانًا مُرْقِدَا
 فَدَيْنَاكَ يَا شَرْقُ لَا تَجْزَعَنَّ إِذَا الْيَوْمُ وَلَّى فِرَاقُ غَدَا

(١) الخافقان : المشرق والمغرب .

(٢) أرض كولب : يريد أوبركة ، أضيفت إلى مكتشفها كريستوف كولب .

(٣) النضار : الذهب . يشير إلى كثرة الذهب في أوبركة .

(٤) طالبي الكون : انظري إليه . وتداعي : تهديم .

(٥) يريد « بالحديث » : ما قيل في الحفل من خطب وأشعار .

فكم مُحَنَّةٌ أَعَقَّبَتْ مُحَنَةً وَوَلَّتْ سِرَاعًا كَرَجْعِ الصَّدَى
فَلَا يُيَسِّنُكَ قِيلُ الْعُدَاةِ وَإِنْ كَانَ قِيْلًا كَحَزِّ الْمُدَى^(١)
أَتَوَدَّعُ فِيكَ كُنُوزَ الْعُلُومِ وَيَمَشِي لَكَ الْغَرْبُ مُسْتَرْفِدًا؟^(٢)
وَتُبَعْتُ فِي أَرْضِكَ الْأَنْبِيَاءِ وَيَأْتِي لَكَ الْغَرْبُ مُسْتَرْشِدًا؟
وَتَقْضَى عَلَيْكَ قُضَاةُ الضَّلَالِ طَوَالَ اللَّيَالِي بَأَنْ تَرْقُدَا؟
أَتَشْقَى بَعْهْدِ سَمَاءٍ بِالْعُلُومِ فَأَضْحَى الضَّعِيفُ بِهَا أَيْدَا؟^(٣)
إِذَا شَاءَ بَزَّ السَّمَاءُ سِرَّهُ وَأَدْرَكَ مِنْ جَرِيهِ الْمَقْصِدَا^(٤)
وَإِنْ شَاءَ أَذْنَى إِلَيْهِ النُّجُومِ فَنَاجَى الْمَجَرَّةَ وَالْفَرْقِدَا^(٥)
وَإِنْ شَاءَ زَعَزَعَ شُمَّ الْجِبَالِ نَحَرَّتْ لِأَقْدَامِهِ سُبُجْدَا^(٦)
وَإِنْ شَاءَ شَاهَدَ فِي ذَرَّةٍ عَوَالِمَ لَمْ نَحْيَ فِيهَا سُودَى^(٧)

(١) قِيلُ الْعُدَاةِ : قولهم . والمُدَى (بالضم) : جمع مَدْيَة ، وهي السكين .

(٢) الْمُسْتَرْفِدُ : طالب الرِّفْدِ (بكسر الراء) وهو العطاء .

(٣) الْأَيْدِ (بتشديد الياء) : القوي ؛ من الأيدِ (بفتح الهمزة وسكون الياء) بمعنى القوة . يقول : أَتَشْقَى أَيُّهَا الشُّرْقُ بِحِرْمَانِكَ مِنَ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ فِي زَمَنِ فَاضٍ فِيهِ الْعِلْمُ ، وَأَخَذْتَ كُلَّ أُمَّةٍ مِنْهُ بِحِظٍّ حَتَّى أَصْبَحَ الضَّعِيفُ ذَا قُوَّةٍ بِسَبَبِهِ ، بِمَا اكْتَسَبَ مِنْ عِلْمِهِ .

(٤) بَزَّ : غلب . والسَّمَاءُ : كوكب صغير يخفى الضوء في بنات نعش ، والناس يمتحنون به أبصارهم خلفاء ضوءه . يقول : إِذَا شَاءَ ذُو الْعِلْمِ سَلَبَ مِنْ هَذَا النُّجْمِ سِرَّهُ الْمَكْتُومَ ، وَجَعَلَهُ ظَاهِرًا لِلنَّاسِ يَعْرِفُونَ مِنْ أَمْرِهِ مَا يَعْرِفُونَ مِنَ الْكَائِنَاتِ الَّتِي يَدْرُكُونَهَا بِحُوسَمِهِمْ . ويشير بهذا البيت والذي بعده إلى علماء الفلك وما وصلوا إليه من اكتشافات في هذا العلم .

(٥) الْمَجَرَّةُ : نجوم كثيرة لا تدرك بمجرد البصر ، وإنما يتشربونها فيرى كأنه بقعة بيضاء ؛ ولهذا يشبهها الأدباء بالنهر ، فيقولون : نَهْرُ الْمَجَرَّةِ . والْفَرْقِدُ : نجم قريب من القطب الشمالي يهتدى به ، جمعه فَرَاقِدُ .

(٦) شُمَّ الْجِبَالِ : ما علا منها وشمخ ، الواحد شُمَّ . ويشير بهذا البيت إلى المخترعات الحربية التي تنسف الجبال .

(٧) الذَّرَّةُ : واحدة الذر (بفتح الذال) ، وهو الهباء المنبت في الهواء . ويشير بهذا البيت إلى المنظار المكبر للأشياء ، المعروف بالمكسر سكوب ونحوه . ويريد « بالعوالم » : عوالم (الميكروبات) الجراثيم .

زمانٌ تُسَخَّرُ فيه الرياحُ
 وتَعْنُو الطَّيِّعَةُ للعارفين
 إذا ما أَهَابُوا أَجَابَ الحديدُ
 وطارت إليهم من الكهربا
 أَيْجَلُ من بَعْدِ هذا وذاك
 وها أُمَّةُ (الصُّفْرِ) قد مَهَّدَتْ
 فَيَأْتِيهَا الناشئونَ أَعْمَلُوا
 ستُظْهِرُ فيكم ذواتُ الغيوبِ
 فياليتَ شعري مَنْ مِنْكُمْ
 لكَ اللهُ يا (مُصْطَفَى) مِنْ قَبْلِي
 إذا ما حَمَدْتُكَ بينَ الرجالِ
 سَيُحْصَى عليكِ زَمَانُ
 وَيَهْتَفُ بِاسْمِكَ أَبْنَاؤُنَا
 وَيَعْدُو الجَدُّ به مُنْشِدًا^(١)
 بِمَعْنَى الوجودِ وسرُّ المَدَى^(٢)
 وقَامَ البُخَارُ له مُسْتَعِدًا^(٣)
 بروقٌ على السِّلَكِ تَطْوِي المَدَى^(٤)
 بأنْ نَسْتَكِينَ وأنْ نُجْجِدًا^(٥)
 لنا النَّهْجَ فَاسْتَبَقُوا المَوْرِدَا^(٦)
 على خَيْرِ مَضَرٍ وَكُونُوا يَدَا^(٧)
 رجالا تَكُونُ لمصرَ الفدا^(٨)
 إذا هي نَادَتْ يُلَبِّي النِّدَا
 كثيرِ الأيادي ، كثيرِ العُدا
 فأنتَ الخَلِيقُ بأنْ تُجْمَدَا
 ثناءً يُخَلِّدُ ما خُلِّدَا
 إذا آنَ للزَّرْعِ أَنْ يُحْصَدَا

(١) يشير بالشرط الأول من هذا البيت إلى الطائرات ؛ وبالشرط الثاني إلى الخاكي .

(٢) تعنو : تخضع وتذل .

(٣) أهاب به : دعاه . ومسعدا : معينا .

(٤) المدى : المسافة على نوعها من زمنية أو مكانية . ويشير بهذا البيت إلى الآتين المعروفين بالبرق (التلغراف) والمسرة (التليفون) .

(٥) نستكين : نذل ونخضع .

(٦) يريد « بأمة الصفر » : اليابانيين ؛ وسماوا بذلك لأنهم . والنهج : الطريق . واستبقوا المورد أي سبقوا غيرهم من أمم الشرق إلى الارتشاف من مناهل العلوم والمعارف .

(٧) كونوا يدا : عبارة يراد بها اتحاد الكلمة واجتماع الرأي كأنهم فرد واحد .

(٨) ذوات الغيوب : أي الأقدار التي في عالم الغيب .

إلى (ناظر) المعارف (الزعيم) سعد زغلول باشا

[نشرت في ١٣ ديسمبر سنة ١٩٠٦ م]

مالى أرى ببحر السّيا سة لابنى جزراً ومدا؟^(١)
 وأرى الصّحائف أيسّت ما بيننا أخذاً ورداً؟^(٢)
 هذا يرى رأى العمى يد وذا يعدّ عليه عدا^(٣)
 وأرى الوزارة تجتني من مرّ هذا العيش شهداً^(٤)
 نامت بمصر وأيقظت لحادث الأيام (سعداً)^(٥)
 فطرحتها وسألت عند له فقيل لى : لم يأل جهداً
 يا (سعد) أنت (مسيحها) فأجعل لهذا الموت حداً^(٦)
 يا (سعد) إن (بمصر) أيّ تاماً تؤمل فيك سعداً
 قد قام بينهم وبني ن العلم ضيق الحال سداً

(١) بنى : يبطن .

(٢) أيسّت ما بيننا : أى قطعت ما بيننا من مودة ؛ ويستعار اليبس للتقاطع ؛ يقال قد يابس ما بينهما ؛ إذا تقاطعا ، كما يستعار الليل للتواصل .

(٣) يريد أن ساسة مصر فريقان : فريق يوافق عميد الدولة الإنجليزي على ما يرى . وفريق آخر يعد مساوية في مصر .

(٤) يريد أن الوزراء كانوا يستغلون بؤس الناس لإسعاد أنفسهم .

(٥) نامت : أى الوزارة .

(٦) شبهه بالمسيح فى أن معجزاته إحياء الموتى . قال تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام : (وأبصر الأكمه والأبرص وأحيى الموتى بإذن الله) .

ما زلت أرجو أن أراك لك أبا وأن ألقاك جـدا
 حتى غدت أبا له أضحت عيال القطر ولدا
 فاردد لنا عهد (الإمام) وكن بنا الرجل المفدى^(١)
 أنا لا ألوم المستشا ر إذا تعلل أو تصدى^(٢)
 فسبيله أن يستب د وشأننا أن نستعدا
 هي سنة المحتل في كل العصور وما تعدى

الحث على معاضدة مشروع الجامعة

أنشدها في الحفل الذي أقامه محفل الصدق الماسوني في دار التمثيل العربي ، وخصص لإيراده

لمشروع الجامعة المصرية

نشرت في ١٩ مارس سنة ١٩٠٧ م

إن كُتُمُ تَبْذُلُونَ الْمَالَ عَنْ رَهَبٍ فَنَحْنُ نَدْعُوكُمْ لِلْبَذْلِ عَنْ رَغَبٍ
 ذَرِّ الْكَتَاتِيبَ مُنْشِئَهَا بِلَا عَدَدٍ ذَرِّ الرَّمَادِ بِعَيْنِ الْحَاذِقِ الْأَرْبِ^(٣)
 فَأَنْشَأُوا أَلْفَ كُتَابٍ وَقَدْ عَلِمُوا أَنَّ الْمَصَابِيحَ لَا تُغْنِي عَنْ الشُّهْبِ
 هَبُوا الْأَجِيرَ أَوْ الْحَرَّاثَ قَدْ بَلَغَا حَدَّ الْقِرَاءَةِ فِي صُحُفٍ وَفِي كُتُبِ

(١) يريد « بالإمام » المرحوم الشيخ محمد عبده .

(٢) يريد بالمستشار : المستر (دانلوب) الإنجليزي ، مستشار المعارف إذ ذاك . وتعلل : تصنع العلل والمعاذير
 الماتعة من نشر العلم في البلاد المصرية . وتصدى : تعرض للصالحين بالمنع .

(٣) الأرب : البصير الماهر . ويشير بهذا البيت إلى ما كان يقصد إليه المستشار الإنجليزي لنظارة المعارف والعميد
 الإنجليزي إذ ذاك من إلهاء المصريين وتسكينهم بأكثار الكتاتيب الصغيرة في القرى والمدن عن أن يطلبوا إلى الحكومة إنشاء
 جامعة على نسق الجامعات الأوروبية .

مَنِ الْمُدَاوِي إِذَا مَا عَلَتْ عَرَضَتْ ؟ مَنِ الْمُدَافِعُ عَنْ عَرِضٍ وَعَنْ نَشَبٍ ؟^(١)
 وَمَنْ يَرُوضُ مِيَاهَ النَّيْلِ إِنْ جَمَحَتْ وَأَنْذَرْتُ مَضْرَبَ الْوَيْلَاتِ وَالْحَرْبِ ؟^(٢)
 وَمَنْ يُوَكِّلُ بِالْقِسْطِ بَيْنَكُمْ ؟ حَتَّى يَرَى الْحَقُّ ذَا حَوْلٍ وَذَا غَلَبٍ ؟^(٣)
 وَمَنْ يُطِلُّ عَلَى الْأَفْلَاقِ يَرُصُّهَا بَيْنَ الْمَنَاطِقِ عَنْ بُعْدٍ وَعَنْ كَثَبٍ ؟^(٤)
 يَبْتَئِي يَنْتَبِئُ عَمَّا تَنْمُ بِهِ سَرَائِرُ الْغَيْبِ عَنْ شَفَافَةِ الْحُجُبِ
 وَمَنْ يَبْزُ أَدِيمَ الْأَرْضِ مَا رَكَتْ فِيهَا الطَّيِّعَةُ مِنْ بَدْعٍ وَمَنْ عَجَبٍ ؟^(٥)
 يَظَلُّ يَنْشُدُ مِنْ ذَرَاتِهَا نَبَأً ضَمَّتْ بِهِ الْأَرْضُ فِي مَاضٍ مِنَ الْحُقُبِ ؟^(٦)
 وَنَ يُمِيطُ سِتَارَ الْجَهْلِ إِنْ طُمِسَتْ مَعَالِمُ الْقَصْدِ بَيْنَ الشَّكِّ وَالرَّيْبِ ؟^(٧)
 فَا لَكُمْ أَيُّهَا الْأَقْوَامُ جَامِعَةٌ إِلَّا بِجَامِعَةٍ مَوْصُولَةِ السَّبَبِ ؟^(٨)
 قَدْ قَامَ (سَعْدٌ) بِهَا حِينًا وَأَسْلَمَهَا إِلَى (أَمِينٍ) فَلَمْ يُجِجْ وَلَمْ يَهَبْ ؟^(٩)

(١) النشَب (بالتحريك) : المال . ويشير بهذا البيت والأبيات السبعة بعده إلى طوائف المتخرجين من الجامعة على اختلافهم : من أطباء ، ومحامين ، ومهندسين ، وقضاة ، وفلكيين ، وعلماء بطبقات الأرض ، ومعلمين .

(٢) يروض مياه النيل : يقوم على تصريفها وتدير أمرها ، ولا يدعها تفرق البلاد بطغيانها . وأصله من رياضة الدواب ، وهو تذليلها بعد صعوبتها وتفورها .

(٣) القسطاس (بكسر القاف وضمتها) : ميزان العدل ؛ قيل هو روى معرب . والحول : القوة .

(٤) يرصدها : يرقبها . والكثب (بالتحريك) : القرب .

(٥) يبز : يسلب . وأديم الأرض : وجهها . وركت ، أى طوت وخبات . والبذع : الذى لا مثيل له .

(٦) ينشد : يطلب .

(٧) يميظ : يكشف . وطمست : أخت واندثرت . ومعالم القصد : العلامات التى تبين طريقه وتدل عليه . يقول : إن هذا العالم الذى يبيت فى طبقات الأرض وما حوت من معادن يظل يطلب فى كل ذرة من ذراتها سرا كتمته ولم تبح به فى غابر الأزمان لجهل الماضين بما فى باطن الأرض من عجائب .

(٨) يريد بالجامعة (الأولى) : الرابطة التى تربط الأمة وتجمع طوائفها . وبالجامعة (الثانية) : ذلك المعهد المعروف .

(٩) يريد المرحوم سعد زغلول باشا ، وكان من أقوى أنصار فكرة إنشاء الجامعة المصرية والساعين فى تحقيقها ، فلما أسندت إليه (نظارة) المعارف أسلم أعمال الجامعة إلى المرحوم قاسم بك أمين .

- فَعَاوَنُوهُ يِعَاوَنُكُمْ عَلَى عَمَلٍ
وَيَدِينُوا لِرِجَالِ الْغَرْبِ أَنْتَكُمْ
لَا تَلْجَأُوا فِي الْعُلَا إِلَّا إِلَىٰ هِمَمٍ
فَإِنَّ تَأْمِيلَكُمْ فِي غَيْرِكُمْ وَهَنٌ
إِنْ قَامَ مِنَّا مُنَادٍ قَالَ قَاتِلْهُمْ
أَوْ نَابِنَا حَدِيثٌ نَرْجُو إِزَالَتَهُ
فَمَا سَمَوْنَا إِلَىٰ نَجْدٍ نُحَاوِلُهُ
يَا مِصْرُ هَلْ بَعْدَ هَذَا الْيَأْسِ مَتَسَعٌ
لَا نَحْنُ مَوْتَى وَلَا الْأَحْيَاءُ تُشَبِّهُنَا
نَبْكِي عَلَىٰ بَلَدٍ سَالَ النُّضَارُ بِهِ
مَتَى نَرَاهُ وَقَدْ بَاتَتْ خَزَائِنُهُ
هَذَا هُوَ الْعَمَلُ الْمَبْرُورُ فَآكُتِبُوا
- فِيهِ الْفَخَارُ وَمَا تَرْجُونَ مِنْ أَرْبٍ
إِذَا طَلَبْتُمْ بَلَّغْتُمْ غَايَةَ الطَّلَبِ
وَتَّابَةِ لَا تُبَالِي هِمَّةَ الثُّوبِ
فِي النَّفْسِ يُرِنِحِي عَنَانَ السَّعْيِ وَالِدَّابِ (١)
لَا تَصْخَبُوا فَهَلَاكُ الشَّعْبِ فِي الصَّخَبِ (٢)
قَالَ اسْتَكِينُوا وَخَلُّوا سُورَةَ الْغَضَبِ (٣)
إِلَّا هَبَطْنَا إِلَىٰ غَوْرٍ مِنَ الْعَطَبِ (٤)
يَجْرِي الرَّجَاءُ بِهِ فِي كُلِّ مُضْطَرَبٍ؟ (٥)
كَأَنَّا فِيكَ لَمْ نَشْهَدْ وَلَمْ نَنْبِ!
لِلوَافِدِينَ وَأَهْلُوهُ عَلَى سَغَبِ (٦)
كَتَرًا مِنَ الْعِلْمِ لَا كَتَرًا مِنَ الذَّهَبِ
بِالْمَالِ إِنَّا آكُتِبْنَا فِيهِ بِالْأَدَبِ (٧)

(١) الوهن : الضعف . والدَّاب : الاجتهاد في الأمر والاستمرار عليه .

(٢) الصخب (بالتحريك) : شدة الأصوات واختلاطها .

(٣) استكينوا : استدلوا . وسورة الغضب : حدته .

(٤) النجد : ما ارتفع من الأرض . والغور : ما اطمأن منها وانخفض . والعطب : الهلاك .

(٥) المضطرب : المذهب يضطرب فيه الناس ، أى يذهبون ويحيثون في أمور حياتهم . يقول : هل بعد هذا

اليأس من فسحة تتسع فيها آمال مصر في جميع مناحي الحياة ومذاهبها .

(٦) النضار : الذهب . والسغب : الجوع .

(٧) استعمال «الاكتتاب» بمعنى جمع المال من القوم لمصلحة عامة أو خاصة ، استعمال شائع في كلام أهل العصر ، وهو استعمال مجازي ؛ وأصله من قولهم : اكتتب فلان ، إذا كتب اسمه في ديوان السلطان . ولما كان المتبرعون بالأموال تقيد أسمائهم في سجل مخصوص ، لذلك صح أن يجوز في ذلك ويعبر عن جمع الأموال بالاكتتاب .

سورية ومصر

أنشدها في الحفل الذي أقامه لتكريمه جماعة من السوريين بهندق شبرد

نشرت في ٢٥ مارس سنة ١٩٠٨ م

لمِصْرَ أم لرُبُوعِ الشَّامِ تَنْتَسِبُ ؟ هُنَا الْعَلَا وَهُنَاكَ الْمَجْدُ وَالْحَسَبُ ^(١)
 رُكْنَانِ لِلشَّرْقِ لَا زَالَتْ رُبُوعُهُمَا قَلْبُ الْهَلَالِ عَلَيْهَا خَافِقٌ يَجِبُ ^(٢)
 خِذْرَانِ لِلضَّادِ لَمْ تَهْتِكْ سُتُورَهُمَا وَلَا تَحْوَلْ عَنْ مَغْنَاهُمَا الْأَدَبُ ^(٣)
 أُمُّ اللُّغَاتِ غَدَاةُ الْفَخْرِ أُمُّهُمَا وَإِنْ سَأَلْتَ عَنِ الْآبَاءِ فَالْعَرَبُ ^(٤)
 أَيْرُغْبَانِ عَنِ الْحُسْنَى وَبَيْنَهُمَا فِي رَائِعَاتِ الْمَعَالِي ذَلِكَ النَّسَبُ ^(٥)
 وَلَا يَمْتَنَانِ بِالْقُرْبَى وَبَيْنَهُمَا تِلْكَ الْقَرَابَةُ لَمْ يَقْطَعْ لَهَا سَبَبُ ^(٦)
 إِذَا أَلَمْتُ بِوَادِي النَّيْلِ نَازِلَةٌ بَاتَتْ لَهَا رَاسِيَاتُ الشَّامِ تَضْطَرُّ ^(٧)
 وَإِنْ دَعَا فِي ثَرَى الْأَهْرَامِ ذُو أَلَمٍ أَجَابَهُ فِي ذُرَا لُبْنَانَ مُتَحَبُّ ^(٨)

(١) أى انتسب إلى أى الأمتين شئت ، فكلاهما في العلا والحسب سواء .

(٢) وجب يجب وجبا ووجيبا : اضطرب ؛ وهو هنا كناية عن الإشتقاق على كلتا الأمتين والرعاية لها والحرص عليهما . والهلل : شعار الدولة العثمانية .

(٣) الضاد : كناية عن اللغة العربية : والمعنى : المنزل الذي غنى به أهله ، أى أقاموا .

(٤) يريد أن الأمتين تجمع بينهما أمومة واحدة وهى اللغة ، وأبرة واحدة ، وهم العرب .

(٥) يرغبان عن الحسنى : ينصرفان عن حسن الجوار . ورائعات المعالي : ما ظهر منها ووضح .

(٦) مت إليه بكذا : توسل إليه به .

(٧) أملت : نزلت : وراسيات الشام : جبالها .

(٨) ذرا لبنان : مرتفعاته وأعالیه ، الواحد ذروة .

لو أَخْلَصَ النَّيْلُ وَالْأَرْدُنُّ وَدَّهَمَا
بِالْوَادِيَيْنِ تَمَشَّى الْفَخْرُ مِشْيَتَهُ
فَسَاكَ هَذَا سَخَاءً دُونَهُ دِيمٌ
نَسِيمَ لُبْنَانَ كَمْ جَادَتْكَ عَاطِرَةٌ
فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ أَنْفَاسٌ مُسْعِرَةٌ
لَوْلَا طِلَابُ الْعُلَا لَمْ يَتَغَوَّا بَدَلًا
كَمْ غَادَةٌ بِرُبُوعِ الشَّامِ بَاكِيةٌ
يَمْضِي وَلَا حِيلَةَ إِلَّا عَزِيمَتُهُ
يُكْرِ صَرْفُ اللَّيَالِي عَنْهُ مُنْقَلِبًا
بِأَرْضِ (كَوْلِب) أَبْطَالُ غَطَارِفَةٍ
تَصَاحَّتْ مِنْهُمَا الْأَمْوَاهُ وَالْعُشْبُ^(١)
يُحْفُ نَاحِيَّتَيْهِ الْجُودُ وَالْدَّابُّ^(٢)
وَسَالَ هَذَا مَضَاءً دُونَهُ الْقُضْبُ^(٣)
مِنَ الرِّيَاضِ وَكَمْ حَيَّاكَ مُنْسَكِبٌ
تَهْفُو إِلَيْكَ وَأَكْبَادُهَا لَهَبٌ^(٤)
مِنْ طِيبِ رَيَّاكَ لَكِنَّ الْعُلَا تَعَبُ^(٥)
عَلَى أَلْيَفٍ لَهَا يَرْمِي بِهِ الطَّلَبُ^(٦)
وَيَنْثَنِي وَحُلَاهُ الْمَجْدُ وَالذَّهَبُ^(٧)
وَعَزَمُهُ لَيْسَ يَدْرِي كَيْفَ يَنْقَلِبُ^(٨)
أُسْدٌ جِيَاعٌ إِذَا مَا وَوْثَبُوا وَثَبُوا^(٩)

(١) الأردن : نهر بفلسطين معروف . الأمواه : جمع ماء .

(٢) الدَّابُّ (بالتحريك) : الجدد والاجتهاد .

(٣) الديم من السحب : جمع ديمة ، وهي الدائمة المطر . والقضب : السيوف القواطع ، الواحد قضيب ، فعيل بمعنى فاعل . يشير بالشرط الأول إلى وادي النيل ، وبالشرط الثاني إلى وادي الأردن .

(٤) مسعرة : ملتبة من الشوق . وتهفو : تميل . ويشير إلى حنين رجال لبنان النائين عن وطنهم في أنحاء الأرض طلباً للرزق .

(٦) الغادة : الفتاة المتتنية لبنا ونعومة . « ويرمى » الخ ، أى يقذف . طلب الرزق في أنحاء البلاد .

(٧) يقول : إن هذا الطالب يذهب على وجهه غير مرقود إلا بعزيمة صادقة ، ويعود متحلباً بحمل المجد ، موفور الثراء والغنى .

(٨) « يكر صرف الليالي عنه » الخ ، يقول : إن نوائب الأيام تترد عنه منقلبة وعزمه ثابت ماض في سبيله لا يتغير ولا يتبدل .

(٩) أرض كولب : أميركة أضيفت إلى مكتشفها . والغطارفة : السادة الشرفاء والسراة من الناس ، الواحد غطريف وغطراف . ويريد رجال لبنان المهاجرين إلى أميركة . وإذا ما ووثبوا وثبوا ، أى إذا اعتدى عليهم انتصفوا لأنفسهم . والمواثبة بين الخصمين : أن يثب كل منهما على صاحبه .

لَمْ يَحْجِهمْ عَلمٌ فِيها وَلَا عَدَدٌ سِوَى مَضاءٍ تَحامى وَرَدَهُ النُّوبُ^(١)
 أَسطولُهُم أَمَلٌ فِي البَحْرِ مُرْتَحِلٌ وَجِيشُهُم عَمَلٌ فِي السَّيْرِ مُغْتَرِبٌ^(٢)
 لَهُم بِكُلِّ خِضَمٍّ مَسْرَبٌ نَهَجٌ وَفِي ذُرَاكُلٍ طَوْدٍ مَسَلَكٌ عَجَبٌ^(٣)
 لَمْ تَبْدُ بَارِقَةٌ فِي أَفْقٍ مُتَجَجِعٍ إِلَّا وَكانَ لَها بِالشَّامِ مُرْتَقِبٌ^(٤)
 ما عابَهُم أَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ قَدِ نَثَرُوا فَالشَّهْبُ مُتَوَرِّدٌ مُذْ تَنانَتِ الشَّهْبُ^(٥)
 وَلَمْ يَضُرَّهُمْ سُرَّاءٌ فِي مَنابِها فَكُلُّ حَيٍّ لَها فِي الكَوْنِ مُضْطَرِبٌ^(٦)
 رَأَدُوا المَناهِلَ فِي الدُّنْيا وَلَوْ وَجَدُوا إِلَى المَجَرَّةِ رَبًّا صاعِدًا رَكْبُوا^(٧)
 أَوْ قِيلَ فِي الشَّمسِ لِلرَّاجِينَ مُتَجَجِعٍ مَدُّوا لَها سَبابًا فِي الجَوِّ وَأَنتَدَبُوا^(٨)
 سَعَوْا إِلَى الكَسْبِ مَحْمُودًا وَمافِتْنَتَ أُمُّ اللُّغَاتِ بِذاكِ السَّغْيِ تَكْتَسِبُ^(٩)
 فَأَيْنَ كانَ الشَّامِيُّونَ كانَ لَها عَيْشٌ جَدِيدٌ وَفَضْلٌ لَيْسَ يَحْتَجِبُ^(١٠)

- (١) تحامى : تنحامى ، لحذف إحدى التاءين للتخفيف . ويريد بقوله : « لم يحجمهم علم » : أنهم ليسوا أصحاب سفارة يحتمون بها وإنما يحتمون بمضائهم وعزمهم اللذين ترد عنهما نوايب الأيام قليلة مهزومة .
- (٢) يقولون : إنهم لا أسطول لهم ولا جيش غير الأمل البعيد والعمل للرزق في كل مكان .
- (٣) الخضم : البحر . والمسرب : الطريق . والنهج (بفتح الهاء) من الطرق الواضح المسلك منها ؛ وحرك الهاء بالفتح لضرورة الوزن . « وفرا كل طود » ، أى أعالى كل جبل .
- (٤) المنتجع : مكان الانبعاث ، أى طلب الرزق . يقول : لأنه قد بلغ من سعيهم على الرزق أنه لا تظهر علامة تلي بوجوده في مكان إلا وجدت من رجال الشام من يرفها ويسبق الناس إليها .
- (٥) السرى (مقصوراً ومفعلاً) : السير بالليل . ومناقب الأرض : نواحيها . والمضطرب : المذهب يضطرب فيه الناس ، أى يذهبون ويحيثون .
- (٦) رادوا : طلبوا . والمناهل : الموارد .
- (٧) انتدب فلان للأمر : خف إليه .
- (٨) يريد بقوله : « وما فتئت » الخ : أنهم ينشرون اللغة حيثما حلوا ؛ وفي ذلك كسب لها .

هَذِي يَدِي عَنْ بَنِي مِصْرٍ تُصَاحِفُكُمْ
فَصَاحِفُوهَا تُصَافِحُ نَفْسَهَا الْعَرَبُ
فَمَا الْكَانَةُ إِلَّا الشَّامُ عَاجَ عَلَى
رُبُوشِهَا مِنْ بَيْتِهَا سَادَةُ نُجُبٍ^(١)
لَوْلَا رِجَالُ تَعَالَوْا فِي سِيَاسَتِهِمْ
مِنَّا وَمِنْهُمْ لَمَّا لَمْنَا وَلَا عَتَبُوا^(٢)
إِنْ يَكْتُبُوا لِي ذَنْبًا فِي مَوَدَّتِهِمْ
فَإِنَّمَا الْفَخْرُ فِي الذَّنْبِ الَّذِي كَتَبُوا^(٣)

في الحث على معاضدة مشروع الجامعة

أنشدها في الحفل الذي أقيم في «مسرح برنتانيا» في ٨ مايو سنة ١٩٠٨ م

حَيَّاكُمْ اللَّهُ أَحْيُوا الْعِلْمَ وَالْأَدَبَا
وَلَا حَيَاةَ لَكُمْ إِلَّا بِجَامِعَةٍ
تُبْنِي الرِّجَالَ وَتُبْنِي كُلَّ شَاهِقَةٍ
مِنَ الْمَعَالِي وَتُبْنِي الْعِزَّ وَالْغَلَا
ضَعُوا الْقُلُوبَ أَسَاسًا لَا أَقُولُ لَكُمْ
وَأَبْنُوا بِأَنْجَادِكُمْ سُورًا لَهَا وَدَعُوا
لَا تَقْنَطُوا إِنْ قَرَأْتُمْ مَا يُزَوِّقُهُ
إِنْ تَنْشُرُوا الْعِلْمَ يَنْشُرْ فِيكُمْ الْعَرَبَا^(٤)
تَكُونُ أُمَّ لَطَّلَابِ الْعُلَا وَأَبَا
مِنَ الْمَعَالِي وَتُبْنِي الْعِزَّ وَالْغَلَا
ضَعُوا النُّضَارَ فَإِنِّي أَصْغِرُ الذَّهَبَا
قِيلَ الْعَدُوِّ فَإِنِّي أَعْرِفُ السَّبَبَا^(٥)
ذَاكَ الْعَمِيدُ وَيَرْمِيكُمْ بِهِ غَضَبَا^(٦)

(١) عاج على المكان : مال إليه .

(٢) يقول : لولا جماعة المفرقين بين القطرين وتغاليهم في ذلك ، لما وقع بيننا ما يوجب اللوم منا ولا العتاب منهم

(٣) الضمير في « مودتهم » للسوريين .

(٤) « ينشر » الخ : أى يبعث فيكم مجد العرب كما كان أولا .

(٥) قيل العدو : أى قوله .

(٦) يشير إلى ما كان يقيمه عميد الدولة الإنجليزية من العقوبات في سبيل إنشاء الجامعة ، وما كان يتهم به المصريين

و يرميهم به من أنهم ليسوا أهلا للتعليم العالى .

وراقبوا يومَ لا تُغني حَصائِدُهُ فكلُّ حَيٍّ سَيُجْزَى بِالَّذِي اكْتَسَبَا^(١)
 بَنَى عَلَى الْإِفْكِ أَبرَاجًا مُشَيِّدَةً فابنوا على الحقِّ بُرجًا يَنْطَحُ الشُّهُبَا^(٢)
 وجاوبوه بِفِعْلٍ لا يَقْوِضُهُ قَوْلُ الْمُنْفِنِ أَنِّي قَالِ أَوْ خَطَبَا^(٣)
 لا تَهْجَعُوا لَهُمْ لَنْ يَهْجَعُوا أَبَدًا وطالبوهم وَلَكِنْ أَجْمِلُوا الطَّلَبَا^(٤)
 هل جاءكم نَبَأُ الْقَوْمِ الْأَلَى دَرَجُوا وخائفوا لِلوَرَى مَنْ ذَكَرَهُمْ تَعَجُّبَا^(٥)
 عَزَّتْ (بِقُرْطَاجَةٍ) الْأَمْرَاسُ فَأَرْتَمَتْ فيها السَّفِينُ وَأَمْسَى حَبْلُهَا اضْطَرَّابَا^(٦)
 والحَرْبُ فِي لَهَبٍ ، وَالْقَوْمُ فِي حَرْبٍ قد مَدَّ نَقْعُ الْمَنَايَا فَوْقَهُمْ طُنْبَا^(٧)
 وذَوَابِهَا وَجَوَارِيهِمْ مُعْطَلَةٌ لو أَنَّ أَهْدَابَهُمْ كَانَتْ لَهَا سَبَابَا^(٨)
 هُنَالِكَ الْغَيْدُ جَادَتْ بِالَّذِي بَجَلَتْ به دَلَالًا فَقَامَتْ بِالَّذِي وَجَبَا^(٩)
 جَزَتْ غَدَائِرَ شَعْرِ سَرَحَتْ سُفُنَا واستَنْقَذَتْ وَطْنَاً واستَرْجَعَتْ نَشَبَا^(١٠)

(١) حصائده : أى حصائد العبيد ، أى ما يقوله من الكلام الذى لا قيمة له لئنى به العزائم عن إنشاء الجماعة .

(٢) الإفك : الكذب .

(٣) يقوضه يهدمه . والمنفند : المكذب .

(٤) الضمير فى "إنهم" للإنجليز . وأجمل فى الطلب : ترفق .

(٥) درجوا : مضوا وذهبوا . ويريد « بالقوم » : أهل قرطاجنة الآتى ذكرهم .

(٦) قرطاجنة : يريد قرطاجنة ، وهى مدينة على شاطئ إفريقيا الشمال بالقرب من موقع مدينة تونس الحالية ، أنشئت فى القرن التاسع قبل الميلاد . والأمراس : الحبال . وعزت : قلت . ويشير بهذا البيت إلى الحرب اليونانية الثالثة التى وقعت بين الرومان والقرطاجنيين من سنة ١٤٩ ق م . إلى سنة ١٤٦ ق م والى قلت فيها حبال السفن عند القرطاجنيين ، فذكر بعض المؤرخين أن نساءهم جدن بشعورهن لتتخذ منها تلك الحبال .

(٧) الحرب (بالتحريك) : الهلاك والويل . والنقع الغبار . ويريد « بالطنب » : الخيام ، شبه بها غبار الحرب . والطنب (فى الأصل) : حبال الخيام .

(٨) الجوارى : السفن .

(٩) الغيد : جمع غيداء ، وهى الفئاة المتنية لينا .

(١٠) الغدائر : جمع غديرة ، وهى الذؤابة من الشعر . والنشب : المال والعقار .

رَأَتْ حُلَاهَا عَلَى الْأَوْطَانِ فَابْتَهَجَتْ
 وَزَادَهَا ذَاكَ حُسْنًا وَهِيَ عَاطِلَةٌ
 وَ (برثران) الَّذِي حَاكَ الْإِبَاءُ لَهُ
 أَقَامَ فِي الْأَسْرِ حِينًا ثُمَّ قِيلَ لَهُ :
 قُلْ وَأَحْتِكُمْ أَنْتَ مُخْتَارٌ، فَقَالَ لَهُمْ :
 خُذُوا الْقَنَاطِيرَ مِنْ تَبَرٍ مُقْنَطَرَةٌ
 قَالُوا : حَكَمْتَ بِمَا لَا تَسْتَطِيعُ لَهُ
 فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا فِي الْحَيِّ غَازِلَةٌ
 لَوْ أَنَّهُمْ كَلَّفُوهَا بَيْعَ مَغْرَمِهَا
 هَذَا هُوَ الْأَثَرُ الْبَاقِي فَلَا تَقْفُوا
 وَدُونَكُمْ مَثَلًا أَوْشَكْتُ أَضْرِبُهُ
 سَمِعْتُ أَنَّ أَمْرًا قَدْ كَانَ يَأْلَفُهُ
 فَرَّ يَوْمًا بِهِ وَالْجُوعُ يَنْهَبُهُ
 وَلَمْ تَحْتَسِرْ عَلَى الْحَلِيِّ الَّذِي ذَهَبَ^(١)
 تَزْهَى عَلَى مَنْ مَشَى لِلْحَرْبِ أَوْ رَكِبَا^(٢)
 تَوْبًا مِنْ الْفَخْرِ أَبْلَى الدَّهْرَ وَالْحَقْبَا^(٣)
 أَلَمْ يَنْ أَنْ تُفَدِّيَ الْمَجْدَ وَالْحَسْبَا
 إِنَّا رَجُلٌ نُهِنُ الْمَالَ وَالنَّشْيَا
 يَجُورُ خَازِنُكُمْ فِي عَدِّهَا تَعْبَا^(٤)
 حَمَلًا نَكَادُ نَرَى مَا قُلْتَهُ لَعِبَا
 مِنَ الْحَسَنِ تَرَى فِي فِدَائِي نَصَبَا^(٥)
 لَا أَثَرَنِي وَصَحَّتْ قُوَّتِي رَغْبَا
 عِنْدَ الْكَلَامِ إِذَا حَاوَلْتُمْ أَرْبَا
 فِيكُمْ وَفِي مِصْرَ إِنْ صِدْقًا وَإِنْ كَذْبَا
 كَلْبٌ فَعَاشَا عَلَى الْإِخْلَاصِ وَاصْطَحَبَا
 نَهْبًا فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا الْجِلْدُ وَالْعَصْبَا

(١) « رأَتْ حلاها على الأوطان » أى رأَتْ غداؤها تبدل في الدفاع عن الوطن . ويحسر : تحسر .

(٢) الضمير في قوله : « زادها » للغيد . « وتزهي » : تختال وتفتخر .

(٣) حاك . تسج . وبرثران : قائد فرنسي ولد سنة ١٧٧٣ م . ودخل الخدمة العسكرية سنة ١٧٩٢ م ضابطا . وجاء مع نابليون إلى مصر حيث جعله قائدا للدفعية . وقد صحب نابليون إلى (جزيرة الب) ثم إلى (جزيرة سانت هيلانة) حيث لبث معه (إلى سنة ١٨٢١ م ؛ وكانت وفاته سنة ١٨٤٤ م وقد ذكر الشاعر قصته مفصلة في الأبيات الآتية .

(٤) التبر : الذهب . ويخور : يضعف ويفتر .

(٥) النصب : التعب .

فَظَلَّ يَبْكِي عَلَيْهِ حِينَ أَبْصَرَهُ يَزُولُ ضَعْفًا وَيَقْضَى نَحْبَهُ سَغْبًا^(١)
 يَبْكِي عَلَيْهِ وَفِي يَمْنَاهُ أَرْغَفَةٌ لَوْ شَامَهَا جَائِعٌ مِنْ فَرْسَخٍ وَثَبًا^(٢)
 فَقَالَ قَوْمٌ وَقَدْ رَقُّوا لِذِي أَلَمٍ يَبْكِي ، وَذِي أَلَمٍ يَسْتَقْبِلُ الْعَطْبَا^(٣)
 مَا خَطَبُ ذَا الْكَلْبِ؟ قَالَ: الْجُوعُ يَخْطِفُهُ مَنِّي وَيُنْشِبُ فِيهِ النَّابَ مُغْتَصِبَا
 قَالُوا وَقَدْ أَبْصَرُوا الرُّغْفَانَ زَاهِيَةً هَذَا الدَّوَاءُ فَهَلْ عَالَجْتَهُ فَأَبَى؟
 أَجَابَهُمْ وَدَوَاعِيَ الشَّحِّ قَدْ ضَرَبَتْ بَيْنَ الصَّدِيقَيْنِ مَنْ قَرِطَ الْقَلَى حُجْبًا^(٤)
 لَذَلِكَ الْحَدَّ لَمْ تَبْلُغْ مَوَدَّتِنَا أَمَا كُنِيَ أَنَّ يَرَانِي الْيَوْمَ مُتَحَبًّا
 هَذِي دُمُوعِي عَلَى الْخَدَّيْنِ جَارِيَةً حُزْنًا وَهَذَا قُودَادِي يَرْتَعَى لَهَبًا
 أَقْسَمْتُ بِاللَّهِ إِنْ كَانَتْ مَوَدَّتُنَا كَصَاحِبِ الْكَلْبِ سَاءَ الْأَمْرِ مُنْقَلَبًا^(٥)
 أَعَيْدُكُمْ أَنْ تَكُونُوا مِثْلَهُ فَتَرَى مِنْكُمْ بُكَاءٌ وَلَا تُنْفِي لَكُمْ دَأْبًا^(٦)
 إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ فِي أَوْطَانِكُمْ فَلَكُمْ أَجْرُ الْمُجَاهِدِ ، طُوبَى لِلَّذِي أَكْتَبَا

(١) سغبا : جوعا .

(٢) شامها : نظر إليها .

(٣) يريد بذى الألم الأول : صاحب الكلب . وبذى الألم الثاني : الكلب . والعطب : الهلاك .

(٤) القلى : البغض والكراهية .

(٥) المنقلب : المرجع والمصير .

(٦) الدأب : الجلد والاجتهاد .

رعاية الأطفال

أنشدنا في الحفل الذى أقامته هذه الجمعية في (الأوبرا) في ٨ أبريل سنة ١٩١٠ م

شَبَحًا أَرَى أَمَّ ذَاكَ طَيْفُ خَيَالٍ ؟ لا ، بَلْ فَنَاءٌ بِالْعَرَاءِ حِيَالِي ^(١)
 أَمَسْتُ بِمَدْرَجَةِ الْخُطُوبِ فَمَا لَهَا رَاجِعُ هُنَاكَ وَمَا لَهَا مِنْ وَالِي ^(٢)
 حَمْرَى ، تَكَادُ تُعِيدُ فَحْمَةً لَيْلِهَا نَارًا بَانَاتٌ ذَكَّيْنِ طِوَالِ ^(٣)
 مَا خَطْبُهَا ، عَجَبًا ، وَمَا خَطْبِي بِهَا ؟ مَا لِي أَشَاطَرُهَا الْوَجِيعَةَ مَا لِي ^(٤)
 دَانَيْتُهَا وَلَصَوْتَهَا فِي مَنْسَمَعِي وَقَعُ النَّبَالِ عَطْفَنَ إِثْرِ نِبَالِ ^(٥)
 وَسَأَلْتُهَا : مَنْ أَنْتَ ؟ وَهِيَ كَأَنَّهَا رَسَمٌ عَلَى طَلَلٍ مِنَ الْأَطْلَالِ ^(٦)
 فَتَمَلَّلَتْ جَزَعًا وَقَالَتْ : حَامِلٌ لَمْ تَذَرِ طَعْمَ الْغَمِضِ مُنْذُ لَيَالِي
 قَدْ مَاتَ وَالِدُهَا ، وَمَاتَتْ أُمُّهَا وَمَضَى الْحِمَامُ بَعْمَهَا وَالْخَالِ ^(٧)
 وَإِلَى هُنَا حَبَسَ الْحَيَاءُ لِسَانَهَا وَجَرَى الْبُكَاءُ بِدَمْعِهَا الْهَطَّانِ
 فَعَلَيْتُ مَا تُخْفِي الْفَتَاةُ ، وَإِنَّمَا يَخْنُو عَلَى أَمْثَالِهَا أَمْثَالِي

(١) العراء (فتح العين) : الفضاء الذى لا يستتر فيه شئ .

(٢) مدرجة الخطوب : أى طريق النواشب .

(٣) ذكَيْن : أى توفدن واشتعلن .

(٤) ما خطبها : أى ما شأنها .

(٥) عطفن : رجعن .

(٦) الرسم : أثر الدار بعد بلاها . شبه هذه الفتاة برسوم الأطلال في التحول والضآلة .

(٧) الحمام : الموت .

وَوَقَفْتُ أَنْظُرُهَا ، كَأَنِّي عَابِدٌ
وَرَأَيْتُ آيَاتِ الْجَمَالِ تَكْفَلْتُ
لَا شَيْءَ أَفْعَلُ فِي النُّفُوسِ كَقَامَةِ
أَوْ غَادَةٍ كَانَتْ تُرِيكَ إِذَا بَدَتْ
قُلْتُ : انْهَضِي ، قَالَتْ : أَيَنْهَضُ مَيِّتٌ
فَحَمَلْتُ هَيْكَلَ عَظْمِهَا وَكَأَنِّي
وَطَفَقْتُ أَتَهَبُ الْخَطَا مُتَمِيمًا
أَمْشِي وَأَحْمِلُ بِأَسْنَيْنِ : فَطَارِقُ
أَبْكِيهِمَا وَكَأَنَّمَا أَنَا ثَالِثٌ
رَوَّطَقْتُ بَابَ الدَّارِ لَا مُتَهَيِّبًا
طَرَقَ الْمُسَافِرِ آبَ مِنْ أَسْفَارِهِ
وَإِذَا بِأَصْوَاتٍ تَصِيحُ : أَلَا افْتَحُوا
فِي هَيْكَلٍ يَرْنُو إِلَى تِمَثَالٍ^(١)
بِزَوَالِهِنَّ فَوَادِحُ الْأَثْقَالِ^(٢)
هَيْفَاءَ رَوَعَهَا الْأَسَى بِهُزَالِ
شَمْسِ النَّهَارِ فَأَصْبَحَتْ كَالآلِ^(٣)
مِنْ قَبْرِهِ وَيَسِيرُ شَنْ بَالِي^(٤)
حَمَلْتُ حِينَ حَمَلْتُ عُدَّ خِلَالِ
بِاللَّيْلِ (دَارُ رَعَايَةِ الْأَطْفَالِ)^(٥)
بَابَ الْحَيَاةِ وَمَوْذَنَ بَزْوَالِ^(٦)
لَهُمَا مِنْ الْإِشْفَاقِ وَالْإِعْوَالِ^(٧)
أَحَدًا وَلَا مُتَرَقِّبًا لِسُؤَالِ
أَوْ طَرَقَ رَبِّ الدَّارِ غَيْرَ مُبَالِي
دَقَّاتُ مَرْضَى مُدْبِلِحِينَ عَجَالِ^(٨)

(١) يرنو : ينظر .

(٢) يريد « فوادح الأثقال » : نواب الدهر التي لا تحتمل لثقلها .

(٣) الآل : السراب .

(٤) الشن : القربة الخلق البالية .

(٥) أتهب الخطا : أى أسرع فى السير . ومتيما : قاصدا .

(٦) طارق باب الحياة : الجنين . ويريد « بالمؤذن الزوال » : أمه .

(٧) الإعوال : البكاء .

(٨) المدبلجون : السائرون بالليل . والعجال : المسرعون .

وإذا بأيدي طاهرات عودت
جاءت تسابق في المبرة بعضها
فتناولت بالرفق ما أنا حامل
وإذا الطيب مشمر وإذا بها
جاءوا بأنواع الداء وطوفوا
وجئنا الطيب يحس نبضا خافنا
لم يدر حين دنا ليلو قلبها
ودعها وتركتها في أهلها
وعجزت عن شكر الذين تجردوا
لم ينجلوها بالسؤال عن اسمها
خير الصنائع في الأنام صنيعه
وإذا النوال أتى ولم يهرق له
من جاد من بعد السؤال فإنه
لله درهم فكم من بائس

صنع الجميل تطوعت في الحال
بعضا لوجه الله لالال
كالأم تكلا طفلا وتوالي^(١)
فوق الوسائد في مكان عالي
بسريير ضيفتهم كبعض الآل
ويرود مكن دأبها القتال^(٢)
دقات قلب أم ديب نبال^(٣)
ونحجت منشرحا رضى البال
للباقيات وصالح الأعمال^(٤)
تلك المروءة والشعور العالى
تنبو بحاملها عن الإذلال^(٥)
ماء الوجوه فذاك خير نوال
— وهو الجواد — يعد في البخال
جسم الوجيعه سيئ الأحوال

(١) تكلا: تحفظ وتحرس. وتواليه: تعهده وتحنوله.

(٢) جئنا بجئو: جلس على ركبته. والخافت: الضيف. ويرود: يطلب ويتعرف. ومكن: حيث يختبئ الداء من جسمها.

(٣) يلو: يختبر.

(٤) تجرد للأمر: أحلى نفسه له. والباقيات: المآثر التي تبقى بعد صاحبها.

(٥) الصنيعه: الإحسان. « تنبو بحاملها » أطلع، أى تبعه بمن تقلدها عن الذل.

تَرْمِي بِهِ الدُّنْيَا ، فَمِنْ جُوعٍ ، إِلَى
 عَيْنٍ مَسْهَدَةٍ وَقَلْبٍ وَاجِفٍ
 عُرِي ، إِلَى سُقْمٍ ، إِلَى إِقْلَالِ
 نَفْسٍ مَرْوَعَةٍ وَجَبٍ خَالِي^(١)
 لَمْ يَنْدِرْ نَظَرُهُ أَعْرِيَانَا يَرَى
 فَكَأَنَّ نَاحِلَ جَسْمِهِ فِي ثَوْبِهِ
 يَا بَرْدُ ، فَاحْمِلْ ، قَدْ ظَفِرْتَ بِأَعْزَلِ
 يَا عَيْنُ سَحَى ، يَا قُلُوبُ تَفْطَرِي
 لَوْلَاهُمْ لَقَضَى عَلَيْهِ شَقَاؤُهُ
 لَوْلَاهُمْ كَانَ الرَّدَى وَقَفًّا عَلَى
 نَفْسِ الْفَقِيرِ ثَقِيلَةَ الْأَحْمَالِ
 لَلَّهِ دَرُّ السَّاهِرِينَ عَلَى الْأَلَى
 سَهَرُوا مِنَ الْأَوْجَاعِ وَالْأَوْجَالِ^(٢)
 الْقَائِمِينَ بِخَيْرٍ مَا جَاءَتْ بِهِ
 مَدَنِيَّةُ الْأَدْيَانِ وَالْأَجْيَالِ
 أَهْلُ الْيَتِيمِ وَكَهْفُهُ وَحُمَاتِهِ
 وَرَبِيعُ أَهْلِ الْبُؤْسِ وَالْإِفْحَالِ^(٣)
 لَا تَهْمَلُوا فِي الصَّلَاحَاتِ فَإِنَّكُمْ
 لَا تَجْهَلُونَ عَوَاقِبَ الْإِهْمَالِ^(٤)

(١) مسهدة : ساهرة . والواجف : الخائف . والمروعة : المفزعة .

(٢) الأسمال : الخرق البالية .

(٣) الأعزل : الذي لا سلاح معه . ويريد به العارى من الثياب . يقول : أيها البرد احمل على هذا العارى
 وهاجمه فليس لديه ما يتقبك به .

(٤) خاطف الأجال : الموت

(٥) الأوجال : المخاوف .

(٦) الكف : الملبأ والمحتفى . ويريد بقوله : ربيع أهل البؤس : أنهم للبائسين بمنزلة الربيع أى شص
 وخير . والإفحال : الجلب .

إِنِّي أَرَى فَقَرَاءَكُمْ فِي حَاجَةٍ - لو تَعْلَمُونَ - لِقَائِلٍ فَعَالٍ
 فَتَسَابَقُوا الْخَيْرَاتِ فَهِيَ أَمَامَكُمْ مِيدَانُ سَبَقٍ لِلْجَوَادِ النَّالِ^(١)
 وَالْمُحْسِنُونَ لَهُمْ عَلَى إِحْسَانِهِمْ يَوْمَ الْإِثَابَةِ عَشْرَةُ الْأَمْثَالِ^(٢)
 وَجَزَاءُ رَبِّ الْمُحْسِنِينَ يَجِلُّ عَنْ عَدٍّ وَعَنْ وَزْنٍ وَعَنْ مِكْيَالٍ

مدرسة البنات ببورسعيد

أنشدها في حفل أقيم ببورسعيد في ٠٩ مايو سنة ١٩١٠ م لإعانة تلك المدرسة

كَمْ ذَا يُكَابِدُ عَاشِقٌ وَيُلَاقِي فِي حُبِّ مَضَرٍ كَثِيرَةِ الْعُشَاقِ
 إِنِّي لِأَحْمِلُ فِي هَوَاكِ صَبَابَةً يَامِضُ قَدْ خَرَجْتَ عَنْ الْأَطْوَاقِ^(٣)
 لَهْفِي عَلَيْكَ مَتَى أُرَاكَ طَلِيقَةً يَجْنِي كَرِيمَ حِمَاكِ شَعْبٌ رَاقٍ
 كَلَفٌ بِمَحْمُودِ الْخِلَالِ مُتِمٌّ بِالْبَذْلِ بَيْنَ يَدَيْكَ وَالْإِنْفَاقِ^(٤)
 إِنِّي لَتُطْرِبُنِي الْخِلَالُ كَرِيمَةً طَرَبَ الْغَرِيبِ بِأَوْبَةٍ وَتَلَاقٍ
 وَتَهْزِنِي ذِكْرِي الْمُرُوءَةِ وَالنَّدَى بَيْنَ الشَّمَائِلِ هَزَّةَ الْمُشْتَاقِ
 مَا الْبَابِلِيَّةُ فِي صَفَاءِ مِرَاجِهَا وَالشَّرْبُ بَيْنَ تَنَافُسٍ وَسِبَاقِ^(٥)

(١) الجواد الكريم . والنال : الكثير النائل وهو العطاء .

(٢) الاثابة : الجزاء ويشير إلى قوله تعالى : (من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها) .

(٣) الأطواق : جمع طوق ، وهو الجهد والطاقة .

(٤) الكلف (بفتح الكاف وكسر اللام) : الشد يد الحب للشيء .

(٥) البابلية : الخمر ، نسبة إلى بابل ، وهي ناحية بالعراق كان ينسب إليها الخمر الجيد . والشرب : الشاربون ويريد « بالسباق » : المسابقة في شرب الخمر .

والشمس تبدو في الكؤوس وتشتفي
بألد من خلق كريم طاهري
فاذا رزقت خليفة محمودة
فالناس هذا حظهم مال ، وذا
والمال إن لم تدخره نعصنا
والعلم إن لم تكتفه شمائل
لا تحسبن العلم ينفع وحده
كم عالم مد العلوم حباثلا
وفقيه قوم ظل يرصد فقهه
يمشى وقد نصبت عليه عمامة
يدعونه عند الشقاق وما دروا
وطبيب قوم قد أحل لبطبه
والبدن يشرق من جبين الساق
قد مازجته سلامة الأذواق^(١)
فقد أصطفاك مقسم الأرزاق^(٢)
علم ، وذاك مكارم الأخلاق
بالعلم كان نهاية الإملاق^(٣)
تعليه كان مطية الإخفاق^(٤)
ما لم يتوج ربّه بخلاق^(٥)
لوقية وقطيع وفراق^(٦)
لكيدة أو مستحل طلاق^(٧)
كالبرج لكن فوق تل نفاق
أن الذي يدعون خدن شقاق^(٨)
ما لا تحلل شريعة الخلاق

(١) ألد : خبرل « ما » في قوله السابق « ما البالية » .

(٢) الخليفة : السجية والطبيعة .

(٣) الإملاق : الفقر .

(٤) تكتفه : أى تحوطه وتحفظه . والشمائل الأخلاق . والإخفاق : خيبة المسعى .

(٥) الخلاق : النصيب من الصلاح والخير .

(٦) حباثل الصيد : الأشرار التى يمدّها الصائد للاصطياد ، الواحدة حباله . والوقية : غيبة الناس . والقطيع : هى قطع الصلات بين الناس بما يلقى بينهم من النائم .

(٧) يرصد فقهه : أى يمدّه ويهيئه .

(٨) الخدن : صاحب الصديق . والشقاق : الخلاف . ويريد هنا الخلاف بين الزوجين .

قَتَلَ الْأَجَنَّةَ فِي الْبُطُونِ وَتَارَةً
 أَغْلَى وَأَثْمَنُ مِنْ تَجَارِبِ عَلَيْهِ
 أَوْ مَهْنَدِسٍ لِلنَّيْلِ بَاتَ بِكَفِّهِ
 تَنْدَى وَتَيْبَسُ لِلخَلَاثِقِ كَفُّهُ
 لَا شَيْءَ يَلْوِي مِنْ هَوَاهُ فَخْدُهُ
 وَأَدِيبٌ قَوْمٍ تَسْتَحِقُّ يَمِينُهُ
 يَلْهُو وَيَلْعَبُ بِالْعُقُولِ بَيَانُهُ
 فِي كَفِّهِ قَلَمٌ يَمْجُجُ لِعَابُهُ
 يَرِدُ الْحَقَائِقَ وَهِيَ بِيضٌ نَصْعٌ
 فَيُرْدُّهَا سُودًا عَلَى جَنَابَتِهَا
 عَرِيَّتٌ عَنِ الْحَقِّ الْمُطَهَّرِ نَفْسُهُ
 لَوْ كَانَ ذَا خُلُقٍ لَأَسْعَدَ قَوْمَهُ
 جَمَعَ الدَّوَانِقَ مِنْ دَمٍ مُهْرَاقٍ^(١)
 يَوْمَ الْفَخْزَارِ تَحَارِبِ الْحَلَّاقِ
 مِفْتَاحُ رِزْقِ الْعَامِلِ الْمَطْرَاقِ^(٢)
 بِالْمَاءِ طَوَّعَ الْأَصْفَرَ السَّبْرَاقِ^(٣)
 فِي السَّابِ حَذُّ الْخَائِنِ السَّرَّاقِ^(٤)
 قَطَعَ الْأَنَامِلِ أَوْ لَفَى الْإِحْرَاقِ
 فَكَانَهُ فِي السَّحْرِ رُقِيَّةٌ رَاقِ
 سَمًا وَيَنْفُثُهُ عَلَى الْأُورَاقِ^(٥)
 قُدْسِيَّةٌ عُلُوبِيَّةٌ الْإِشْرَاقِ^(٦)
 مِنْ ظُلُمَةِ التَّمْوِيهِ أَلْفُ نِطَاقِ^(٧)
 فَيَأْتِيهِ ثِقْلٌ عَلَى الْأَعْنَاقِ
 بَيَانُهُ وَيَرَاعُهُ السَّبَّاقِ

(١) المهراق : المنصب .

(٢) المطراق : الذي يكثر طرق أبواب الرزق .

(٣) تندی : تبذل . والمراد فيضان يده بالماء . والأصفر البراق : الذهب ، ويريد الرشوة .

(٤) يلوى من هواء : أى يثنيه ويصرفه عما يريد . وحده فى السلب : أى جزاءه على الرشوة . وحده السارق : قطع اليد .

(٥) مج العلاب من فقه : رمى به . واللعاب : الريق ، شبه المداد به . وينفثه : يخرج به .

(٦) النصح : الشديدة البياض . ويريد بقوله : « علوية الإشراق » ، : أن نورها من السماء .

(٧) يريد بهذا البيت والذي قبله أن هذا الكاتب يرى الحقائق ظاهرة جليلة فيزودها بقلبه على القراء ويحيطها بالأكاذيب وأخيلة الشرح حتى يرددها مظلمة سوداء لا يظهر فيها الحق .

من لى بترية النساء ؟ فإنها
 الأم مدرسة إذا أعددتها
 الأم روض إن تعهده الحيا
 الأم أستاذ الأساتذة الألى
 أنا لا أقول دعوا النساء سوافرا
 يدرجن حيث أردن لا من وازع
 يفعلن أفعال الرجال لوأهيا
 فى دورهن شؤونهن كثيرة
 كلا ولا أدعوكم أن تسرفوا
 ليست نساؤكم حلّى وجواهرًا
 ليست نساؤكم أثاثًا يقتنى
 فى الشرق علة ذلك الإخفاق^(١)
 أعددت شعباً طيب الأعراق^(٢)
 بالرى أورك أيمًا إيرا^(٣)
 شغلت مآثرهم مدى الآفاق^(٤)
 بين الرجال يجلن فى الأسواق^(٥)
 يحذرن رقبتة ولا من وآق^(٦)
 عن واجبات نواعس الأحداق^(٧)
 كشؤون رب السيف والمزراق^(٨)
 فى الحجب والتضييق والإرهاق^(٩)
 خوف الضياع تضان فى الأحقاق
 فى الدور بين مخادع وطباق^(١٠)

(١) الإخفاق : عدم الظفر بالمطلوب .

(٢) الأعراق : الأصول : الواحد عرق .

(٣) الحيا : المطر .

(٤) « شغلت » اتخ : أى ملأت أعمالهم الباقية أنحاء الدنيا .

(٥) السوافر : المنكشفات الوجوه .

(٦) يدرجن : يمشين . والوازع الزاجر . والرقبة المراقبة .

(٧) نواعس الأحداق : فترات الأبحان ؛ يريد انصرفهن عن الواجبات التى خص بها جنسهن .

(٨) المزراق : الرمح ؛ يريد أن شأن المرأة فى بيتها لا يقل عن شأن الفارس فى الحرب .

(٩) الإرهاق : الظلم .

(١٠) المخادع : الغرف ، الواحد مخدع (بكسر الميم وضمتها ، مع فتح الدال وسكون ما بينهما) .

تَشَكَّلُ الْأَزْمَانُ فِي أَدْوَارِهَا دُولًا وَهُنَّ عَلَى الْجُمُودِ بَوَاقٍ^(١)
 فَتَوَسَّطُوا فِي الْحَالَتَيْنِ وَأَنْصِفُوا فَالْتَمِسُوا فِي التَّقْيِيدِ وَالْإِطْلَاقِ^(٢)
 رَبُّوا الْبَنَاتِ عَلَى الْفَضِيلَةِ إِنَّهَا فِي الْمَوْقِفَيْنِ هُنَّ خَيْرٌ وَثَاقٍ^(٣)
 وَعَلَيْكُمْ أَنْ تَسْتَبِينَ بَنَاتُكُمْ نُورَ الْهُدَى وَعَلَى الْحَيَاءِ الْبَاقِي

ملجأ رعاية الأطفال

أشدها في حفل أقامته جماعة رعاية الأطفال بالأوبرا وقد استهلها بوصف القطار

نشرت في أول فبراير سنة ١٩١١ م

صَفْحَةُ الْبَرْقِ أَوْمَضَتْ فِي الْغَمَامِ أَمْ شِهَابٌ يَشُقُّ جَوْفَ الظَّلَامِ؟^(٤)
 أَمْ سَلِيلُ الْبُخَارِ طَارَ إِلَى الْقَضِ دِ فَاعِيَا سَوَاقِ الْأَوْهَامِ؟^(٥)
 مَرَّ كَاللَّحْجِ لَمْ تَكُنْ تَقِفُ الْعَيْنُ نُ عَلَى ظِلِّ جَرِمِهِ الْمُتَرَامِي^(٦)
 أَوْ كَشَرَخِ الشَّبَابِ لَمْ يَدِرْ كَاسِيهِ هِ تَوَلَّى فِي يَقْظَةٍ أَوْ مَنَامِ^(٧)
 لَا يُبَالِي السُّرَى إِذَا اعْتَكَرَ اللَّيْلُ لُ وَخَانَتْ مَوَاقِعُ الْأَقْدَامِ^(٨)

(١) يريد أن الزمن يتغير بأهله وهن باقيات على حال واحدة .

(٢) يريد « بالحالتين » : التضيق على النساء والتوسيع عليهن .

(٣) يريد « بالموقفين » : تقيد النساء في خدورهن وإطلاق السراح لهن . والوثاق : القيد الذي يوثق به من

حبل أو نحوه .

(٤) صفحة كل شيء : وجهه وجانبه . وأومض البرق : لمع خفياً .

(٥) يريد « بسليل البخار » : القطار .

(٦) المترامي : الممتد .

(٧) شرخ الشباب : أزاله وريعانه ، شبه به القطار في سرعة زواله . وكاسيه : أي لابسها والمنتمع به .

(٨) السرى : السير بالليل . واعتكر الليل : اختلط ظلامه .

يَقْطَعُ الْبَيْدَ وَالْقِيَا فِي وَحِيدَا لَمْ تُضَعِّضْهُ وَخَشَّةُ الْإِظْلَامِ^(١)
 لَيْسَ يَثْنِيهِ مَا يُذِيبُ دِمَاحَ الضَّبِّ يَوْمَ الْهَجِيرِينَ الْمَوَامِي^(٢)
 لَا وَلَا يَعْتَرِيهِ مَا يُجْرَسُ النَّاسُ بِحَ فِي الزَّمْهِرِيرِ بَيْنَ الْخِيَامِ^(٣)
 هَائِمٌ كَالظَّلِيمِ أَزْجَحَهُ الصَّيِّ دُورَاعَتُهُ طَائِشَاتُ السَّهَامِ^(٤)
 فَهُوَ يَشْتَدُّ فِي النَّجَاءِ وَيَهْوِي حَيْثُ تُرْمَى بِجَانِبِيهِ الْمَرَامِي^(٥)
 يَا حَدِيدًا يَنْسَابُ فَوْقَ حَدِيدٍ كَأَنِّيَابِ الرَّقْطَاءِ فَوْقَ الرَّغَامِ^(٦)
 قَدْ مَسَحَتْ الْبِلَادَ شَرْقًا وَغَرْبًا بِذِرَاعِي مُشَمِّرٍ مُقْدَامِ
 بَيْنَ جَنْبَيْكَ مَا بِجَنْبِيَّ لَكِنْ مَا بِجَنْبِيَّ مُسْتَدِيمُ الضُّرَامِ^(٧)
 أَنْتَ لَا تَعْرِفُ الْغَرَامَ وَإِنْ كَذَبْتَ تَ تَرِينَا زَفِيرَ أَهْلِ الْغَرَامِ
 أَنْتَ لَا تَعْرِفُ الْحَنِينَ إِلَى الْإِلَ فَمَا هَذِهِ الدُّمُوعُ الْهَوَامِي؟^(٨)
 أَنْتَ قَاسِيُ الْفَوَادِ جَلْدٌ عَلَى الْآيِ نِ شَدِيدُ الْقُوَى شَدِيدُ الْعَرَامِ^(٩)

(١) البید : الفلوات ، الواحدة بیداء . والقیای : المفازات : لا ماء فيها .

(٢) ما يذيب دماغ الضب : كناية عن شدة القبط . والهجير : شدة الحر . والموامي : المفازات لا ماء فيها ولا أنيس ، الواحدة مومة .

(٣) الناجح : الكلب . يقول : إنه لا يصيبه ولا يؤثر فيه طول السهر ولا شدة البرد اللذان يخرسان الكلب الناجح ويسكانه .

(٤) الظليم : ذكر النعام ، وهو معروف بسرعة العدو . وراعه : أفرخته .

(٥) النجاء : الإسراع . ويهوى : أي يشتد في سرعتة كأنه يخدر . وقوله : « حيث ترمى بجانبه المرامي » : كناية عن السرعة في اختراق الفلوات والمضى في قطع القيا في البعيدة .

(٦) الرقطاء : الحية المنقطعة . والرغام : التراب .

(٧) يشير بهذا البيت إلى نار الفاطرة ونار شوقه . والضرام : الاشتعال .

(٨) همى الدمع يهيم (من باب ضرب) : سال .

(٩) الجلد الصبور . والأين : التعب . والعرام : الشراسة والقسوة .

لَا تُبَالِي أُرْعَتَ بِالْبَيْنِ أَحَبَا بَا وَأَسْرَفَتْ فِي أَذَى الْمُسْتَهَامِ؟^(١)
 أَمْ جَمَعْتَ الْأَعْدَاءَ فَوْقَ صَعِيدٍ وَخَلَطْتَ الْأَسْوَدَ بِالْآرَامِ؟^(٢)
 إِنِّي قَدْ شَهِدْتُ فِيكَ عَجِيبًا ضَاقَ عَنْ وَصْفِهِ نِطَاقُ الْكَلَامِ!
 جُزْتَ يَوْمًا بِنَا وَنَحْنُ عَلَى الْجَسَدِ رِ قِيَامٌ وَاللَّيْلُ لَيْلُ الْقَامِ
 وَإِذَا رَاكِبٌ إِلَى الْجَسْرِ يَهْوِي بَيْنَ صَفَيْنِ مِنْ مَمَاتٍ زُوَامِ^(٣)
 مَرَّ كَالسَّهْمِ بَيْنَ تِلْكَ الْحَنَايَا قَدْ رَمَاهُ مِنَ الْمَقَادِيرِ رَامِي^(٤)
 فَتَرَدَّى فِي الْمَاءِ وَالْمَاءُ غَمْرٌ يَتَّقِيهِ الْقَضَاءُ وَالنَّهْرُ طَامِي^(٥)
 وَإِذَا سَابِحٌ قَدْ أَنْقَضَ فِي الْمَا انْقِضَاضَ الْعُقَابِ فَوْقَ الْحَمَامِ^(٦)
 غَاصَ فِي بُلْجَةِ الْخُتُوفِ بَعْزِمٍ لَمْ يَعُودَ مَوَاقِفَ الْإِنْجَامِ^(٧)
 غَابَ فِيهَا وَعَادَ يَجْمَلُ جِسْمًا سَلَّهُ مِنْ يَدِ الْهَلَاكِ الزَّامِ^(٨)
 كَالْفِجَاءِ الْمَوْجِ، صَارَعَ الْهَوَلَ، أَبْلَى كِبْلَاءِ الْمُهَنْدِ الصَّنْصَمِ^(٩)
 وَأَنْتَنَى رَاجِعًا إِلَى شَاطِئِ النَّهْرِ رِ رُجُوعَ الْكَمَى غِبَّ أَغْنِيَامِ^(١٠)

(١) راعه يروعه : أفزعه .

(٢) الآرام : الطباء ، الواحد رثم ؛ وأصله للطي الخالص البياض .

(٣) الزوام من الموت : الكريه ويريد « بالصفين » : الموت على الجسر بالقطار ، والموت بالغرق في النهر .

(٤) الحنايا : القسي ، واحدها حنية . ولما شبه الهاوى بالسهم ، شبه قضبان الجسر في اختناثها بالقسي .

(٥) الماء الغمر : الكثير . وطأ الماء : ارتفع وملا النهر .

(٦) العقاب : طائر من الجوارح معروف .

(٧) الختوف : المهاالك . وبلجتها ، أى حيث تشته .

(٨) سلّه : أتزعه . والزوام : الملازم .

(٩) المهند : السيف . والصنصم : الذى لا يثنى .

(١٠) الكمى : الشجاع . وغب : عقب .

وَقَفَ النَّاسُ ذَاهِلِينَ وَصَاحُوا
 أَنْجَاةً مِنَ الْقَطَارِ ، مِنْ الْجَسَدِ
 وَإِذَا صَيِّحَةٌ عَلَتْ مِنْ فِتَاةٍ
 وَقَفْتُ مَوْقِفَ الْخَطِيبِ وَنَادَتْ
 بَسَطْتُ تَحْتَهُ أَكْفًا تَلَقَّتْ
 دَعْوَةَ الْبَائِسِ الْمَعْدَبِ سُرُورُ
 وَهِيَ حَرْبٌ عَلَى الْبَخِيلِ وَذِي الْبَغْزِ
 إِنَّ هَذَا الْكَرِيمَ قَدْ صَانَ عِرْضِي
 عَالِ طِفْلِي وَعَالِي وَحْبَانِي
 وَهُوَ مِنْ مَعْشَرِ أَغَاثِ ذَوِي الْبُرُ
 وَأَقَامُوا لِلْبِرِّ دَارًا فَكَانَتْ
 مُلْكَتْ رَحْمَةً وَفَاضَتْ حَنَانًا
 زُرْتُهَا وَالشَّقَاءُ يَجْرِي وَرَائِي
 لَمْ يَقُولُوا : مَنْ الْفِتَاةُ ؟ وَلَكِنْ
 ثُمَّ أَهْوَتْ إِلَى الْغَرِيقِ تَوَاسِي

تِلْكَ إِخْدَى بَحَائِبِ الْآيَامِ
 رِ ، مِنْ النَّهْرِ ، جَلَّ رَبُّ الْأَنَامِ
 بَرَزَتْ مِنْ صُفُوفِ ذَاكَ الزَّحَامِ
 تِلْكَ عُقْبَى رِعَايَةِ الْإِيْتَامِ
 هُ وَحَاطَتْهُ رَغَمَ أَنْفِ الْحَمَامِ^(١)
 يَذْفَعُ الشَّرَّ عَنْ حِيَاضِ الْكِرَامِ^(٢)
 يَ وَسَيْفٌ عَلَى رِقَابِ اللَّئَامِ
 وَحَمَانِي مِنْ عَادِيَاتِ السَّقَامِ
 بِكَسَاءٍ وَبَدْرَةٍ وَطَعَامِ^(٣)
 سِ وَقَامُوا فِي اللَّهِ خَيْرَ الْقِيَامِ
 خَيْرَ وَرْدٍ يُؤْمُهُ كُلُّ ظَالِمٍ^(٤)
 فَهِيَ لِلْبَائِسَاتِ دَارُ السَّلَامِ
 وَشُعَاعُ الرَّجَاءِ يَسْرِي أَمَامِي
 سَأَلُونِي هُنَاكَ عَنِ الْآلَامِ
 بِهِ بِأَحْلَى مِنْ مُنْعَشَاتِ الْمُدَامِ

(١) الحمام : الموت .

(٢) يريد « بحياض » : حمام .

(٣) عاله : كفاه معيشته . وجباه بكذا : أعطاه . ويريد « بالبدرة » هنا : جملة من المال .

(٤) ظالمى : ظالم .

قَبَّاتٌ رَاحَتِيهِ شُكْرًا وَصَاحَتْ
 قَدْ نَجَا الْمُنْعَمُ الْجَوَادُ مِنَ الْمَوْتِ
 فَاطْفَنَّا بِهَا وَقَدْ مَلَأَ الْأَنْزَ
 وَشَهْدَنَا ثَغَرَ الْوَفَاءِ تَجَلَّى
 وَرَأَيْنَا شَخْصَ الْمُرُوءَةِ وَالْبِرِّ
 وَعَلَيْنَا أَنْ الزَّكَاةَ سَيِّلُ اللَّهُ
 خَصَّهَا اللَّهُ فِي الْكِتَابِ بِذِكْرِ
 بَدَأَتْ مَبْدَأَ الْيَقِينِ وَظَلَّتْ
 لَوْ وَفَى بِالزَّكَاةِ مَنْ جَمَعَ اللَّهُ
 مَا شَكَا الْجُوعَ مُعْدِمٌ أَوْ تَصَدَّى
 رَاكِبًا رَأْسَهُ طَرِيدًا شَرِيدًا
 سَائِلًا عَنْ وَصِيَّةِ اللَّهِ فِيهِ
 لَمْ أَقِفْ مَوْقِفِي لِأَنْشِدَ شِعْرًا
 إِنَّمَا قُتِّ فِيهِ وَالنَّفْسُ نَشْوَى

قَدْ نَجَا صَاحِبُ الْأَيْدِي الْعِظَامِ^(١)
 تِ بِفَضْلِ الزَّكَاةِ وَالْإِنْعَامِ
 نَفْسٍ مِنَّا جَلَالُ ذَلِكَ الْمَقَامِ
 إِذْ تَجَلَّى فِي ثَغَرِهَا الْبَسَامِ
 رَتَّبَ لِي فِي شَخْصِ ذَلِكَ الْهَمَامِ
 قَبْلَ الصَّلَاةِ ؛ قَبْلَ الصِّيَامِ
 فَهِيَ رُكْنُ الْأَرْكَانِ فِي الْإِسْلَامِ
 لِحَيَاةِ الشُّعُوبِ خَيْرَ قَوَامِ^(٢)
 يَا وَاهْوَى عَلَى اقْتِنَاءِ الْخُطَامِ^(٣)
 لِرُكُوبِ الشُّرُورِ وَالْآثَامِ
 لَا يُبَالِي بِشُرْعَةٍ أَوْ ذِمَامِ^(٤)
 آخِذًا قُوَّتَهُ بِحَدِّ الْحُسَامِ^(٥)
 صَبَّ فِي قَالِبٍ بَدِيعِ النِّظَامِ
 مِنْ كُؤُوسِ الْهَمُومِ ، وَالْقَلْبُ دَامِي^(٦)

(١) الأيادي : النعم .

(٢) القوام (بالكسر) : نظام الأمر وعماده الذي يقوم عليه .

(٣) حطام الدنيا . المال قل أو أكثر .

(٤) ركب رأسه : مضى إلى ما يريد من الشر لم يثنه شيء . والشرعة : الشريعة . والذمام : الحق والحرمه ، لأن نقض ذلك يوجب الذم .

(٥) وصية الله : ما أمر الله به للباس الفقير من بروحة .

(٦) نشوى : سكرى .

ذُقْتُ طَعْمَ الْأَسَى وَكَابَدْتُ عَيْشًا دُونَ شُرْبِي قَدَاهُ شُرْبُ الْحِمَامِ^(١)
 فَتَقَلَّبْتُ فِي الشَّقَاءِ زَمَانًا وَتَنَقَّلْتُ فِي الْخُطُوبِ الْجَسَامِ^(٢)
 وَمَشَى الْهَمُّ ثَاقِبًا فِي فُؤَادِي وَمَشَى الْحُزْنُ نَاحِرًا فِي عِظَامِي^(٣)
 فَلِهَذَا وَقَفْتُ أَسْتَعْظِفُ النَّاسَ عَلَى الْبَائِسِينَ فِي كُلِّ عَامٍ

إلى الخديوى عباس^(٤)

قالها عند عودة سموه من دار الخلافة وقد عَرَضَ فيها لما كان
 فى مصر من الخلاف بين المسلمين والأقباط فى سنة ١٩١١

كَمْ تَحْتَ أَذْيَالِ الظَّلَامِ مَتِّمٌ دَامِيَ الْفُؤَادِ وَلَيْلُهُ لَا يَعْلَمُ
 مَا أَنْتَ فِي دُنْيَاكَ أَوَّلُ عَاشِقٍ رَامِيهِ لَا يَحْنُو وَلَا يَتَرَحَّمُ
 أَهْرَمْتَنِي يَا لَيْلُ فِي شَرْخِ الصَّبَا كَمْ فِيكَ سَاعَاتٍ تُشِيبُ وَتُهْرِمُ^(٥)
 لَا أَنْتَ تَقْصُرُ لِي وَلَا أَنَا مُقْصِرٌ أَتَعْبَتْنِي وَتَعَبْتُ ، هَلْ مَنْ يَحْكُمُ؟^(٦)
 لِلَّهِ مَوْقِفُنَا وَقَدْ نَاجَيْتُهَا بِعَظِيمِ مَا يُخْفِي الْفُؤَادُ وَيَكْتُمُ

- (١) القذى : ما يقع فى الشراب من سح . والحمام بالكسر : الموت . ويريد بقوله : « دون شربي » أى أن الموت أهون تجربا على من تجرع هذا العيش المر .
 (٢) الجسام : العظام ، الواحد جسيم .
 (٣) يقال : نخر العظم ، إذا بلى وتفتت .
 (٤) يلاحظ أننا أثبتنا هذه القصيدة فى الاجتماعيات مع ما تضمنته من مدح الخديوى عباس ، لأن غرضها الأول مسألة اجتماعية ، وهى الفتنة بين مسلمى مصر وأقباطها إذ ذاك .
 (٥) شرخ الصبا : أوله ورباعنه .
 (٦) أقصر : كف وأمسك .

قالت : مَنْ الشاكي تَسْأَلُ سِرِّهَا
فَأَجَبْنَهَا وَتَجَبَّنَ كَيْفَ تَجَاهَلَتْ :
أَنَا مَنْ عَرَفْتِ وَمَنْ جَهِلْتِ وَمَنْ لَهُ
أَسَلَمَتْ نَفْسِي لِلْهَوَى وَأَظْنُهَا
وَأَتَيْتِ يَحْدُو بِي الرَّجَاءُ وَمَنْ أَلَى
أَشْكُو لَذَاتِ الْخِلَالِ مَا صَنَعْتَ بِنَا
لَا السَّهْمَ يَرْفُقُ بِالْجَرِيحِ وَلَا الْهَوَى
لَوْ تَنْظُرِينَ إِلَيْهِ فِي جَوْفِ الدُّجَى
يَمْشَى إِلَى كَنْفِ الْفِرَاشِ مُحَازِرًا
يَرْمِي الْفِرَاشَ بِنَظَرِيهِ وَيَنْثِي
فَكَأَنَّهُ — وَالْيَأْسُ يَنْشِفُ نَفْسَهُ —
رُشِقَتْ بِهِ فِي كُلِّ جَنْبٍ مُدِيَّةٌ

عَنِّي ، وَمَنْ هَذَا الَّذِي يَتَّظَلُّ ؟^(١)
هُوَ ذَلِكَ الْمُتَوَجِّعُ الْمُتَأَلِّمُ
— لَوْلَا عُيُونُكَ — حُجَّةٌ لَا تُفْحَمُ^(٢)
مِمَّا يُجَشِّمُهَا الْهَوَى لَا تَسْلَمُ^(٣)
مُتَحَرِّمًا بِفَنَائِكُمْ لَا يُحْرَمُ^(٤)
تِلْكَ الْعُيُونُ وَمَا جَنَاهُ الْمَعْصَمُ^(٥)
يُبْقَى عَلَيْهِ وَلَا الصَّابِئَةُ تَرْحَمُ
مُتَمَلِّمًا مِنْ هَوْلٍ مَا يُجَشِّمُ^(٦)
وَجَلًّا يُؤْخِرُ رَجْلَهُ وَيَقْدُمُ^(٧)
جَزَعًا وَيَقْدُمُ بَعْدَ ذَلِكَ وَيُجْجَمُ
لِلْقَتْلِ فَوْقَ فِرَاشِهِ يَتَقَدَّمُ^(٨)
وَأَنَسَابَ فِيهِ بِكُلِّ رُكْنٍ أَرْقَمُ^(٩)

(١) السرب (بالكسر) : الجماعة ، أى صواحبيها .

(٢) لا تفهم : لا تغلب .

(٤) يحدوني : يدفعني : ويسوقني . ومتحرماً : محتثياً مستأثراً .

(٥) الخلال : الشامة في البدن ، وهو غالب على شامة الخلد ؛ والجمع خيلان .

(٦) ما يجشم : ما يقاسى .

(٧) الكنف (بحركة) : الجانب والناحية .

(٨) ينشف نفسه : أى يهلكها . و (للقتل) : متعلق بقوله : « يتقدم » .

(٩) الضمير في « به » و « فيه » يعود على الفراش . وفي الشطر الأول من هذا البيت قلب ، إذ المسبوع أن الباء تدخل على المرسوق به وهو المدية ونحوها ، لا على المرسوق ؛ يقال : رشقته بالسهم ، لا رشقت به السهم . وانساب ، أى جرت وتدافعت في مشيها . والأرقم : أحببت الحيات وأطليها للأذى .

فَكَأَنَّهُ فِي هَوْلِهِ وَسَعِيرِهِ
هَذَا وَحَقُّكَ بَعْضُ مَا كَابَدْتَهُ
قَالُوا : أَهَذَا أَنْتَ ؟ ! وَيَحْكُ فَاتَّبِدْ
كَمْ نَفْثَةٍ لَكَ تَسْتَثِيرُ بِهَا الْهَوَى
إِنَّا سَمِعْنَا عَنْكَ مَا قَدْ رَابَنَا
فَأَذْهَبَ بِسِحْرِكَ قَدِ عَرَفْتُكَ وَاقْتَصِدْ
أَصْغَتْ إِلَى قَوْلِ الْوَشَاةِ فَاسْرَفَتْ
حَتَّى إِذَا يَتَسَّ الطَّيِّبُ وَجَاءَهَا
وَأَتَتْ تَعُودُ مَرِيضَهَا لَا بَلَّ أَتَتْ
أَقْسَمْتُ (بِالْعَبَّاسِ) ؛ إِنِّي صَادِقٌ
مَلِكٌ عَدَوْتُ عَلَى الزَّمَانِ بِحَوْلِهِ
النَّجْمُ مِنْ حُرَّاسِهِ ، وَالْدَّهْرُ مِنْ
هَلَاتُ حِينَ رَأَيْتُ رَجَبَكَ سَالِمًا

وَإِذٍ قَدْ أَطْلَعْتَ عَلَيْهِ جَهَنَّمَ^(١)
مِنْ نَاطِرِيكَ ؛ وَمَا كَتَمْتُكَ أَعْظَمُ
حَتَّامُ تُنَجِدُ فِي الْغَرَامِ وَتُهِمُّ ؟^(٢)
(هَارُوتُ) فِي أَثْنَائِهَا يَتَكَلَّمُ^(٣)
وَأَطَالَ فِيكَ وَفِي هَوَاكَ الْلُومُ
فِيَا تَزِينُ لِلْحِسَانِ وَتُوهِمُ
فِي هَجْرَهَا وَجَنْتَ عَلَى وَاجِرْمَا
أَنِّي تَلَفْتُ تَنْدَمْتُ وَتَنْدَمُوا
مَنْنِي تُشَيِّعُ رَاحِلًا لَوْ تَعْلَمُ
فُورِيهِمْ بِجَلَالِهِ أَنْ يُقْسِمُوا^(٤)
وَعَدَوْتُ فِي آلَائِهِ أَتَنَعَّمُ^(٥)
خُدَّامِهِ ؛ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْمُنْعَمُ
وَرَأَيْتُ (عَبَّاسًا) بِهِ يَتَبَسَّمُ

(١) اطلعت : طلعت وظهرت .

(٢) اتند : تمهل . وأنجد : أتي نجدا ، وهو المرتفع من الأرض . وأتهم : أتي تهامة ، وهي المنخفض منها . والإنجاد والإتهام في الغرام : غاية عن الذهاب فيه كل مذهب .

(٣) نفث الساحر : هو أن يعقد عقدة ثم ينفخ فيها . وهاروت يضرب به المثل في السحر ، وقد ذكره الله تعالى في القرآن .

(٤) مريهم : أي مري الوشاة بالقسم على صدقهم فيما وشوا به .

(٥) الخول : القزة . والآلاء : النعم .

وَحَمَدْتُ رَبِّي حِينَ حَلَّ عَرِينَهُ
خَفَقَتْ قُلُوبُ الْمُسْلِمِينَ وَأَشْفَقَتْ
وَدَعَا لَكَ الْبَيْتُ الْحَرَامُ فَأَمَنْتَ
وَدَوَى بِمَضَرِّكَ الدُّعَاءُ فَنِيلُهَا
وَمَشَى الصَّغِيرُ إِلَى الْكَبِيرِ مُسَائِلًا
حَتَّى اطْمَأَنَّتْ بِالشِّفَاءِ نَفُوسُهُمْ
مَوْلَايَ! أَمَّتْكَ الْوَدِيعَةُ أَصْبَحَتْ
نَادَى بِهَا الْقَبِيطِيُّ مَلَأَ لَهَا تَه
وَهُمْ أَغَارَ عَلَى النَّهْنِ وَأَضَلَّهَا
فَهَمُّوا مِنَ الْأَذْيَانِ مَا لَا يَرْتَضِي
مَاذَا دَهَا قِبْطِيَّ مَضَرَ فَصَدَّه
وَعَلَامٌ يَخْشَى الْمُسْلِمِينَ وَكَيْدَهُمْ
قَدْ ضَمَّنَا أَلَمَ الْحَيَاةِ وَكُنَّا

مُتَجَدِّدَ الْعَزَمَاتِ ذَاكَ الضَّيْغُمُ^(١)
دَارُ الْخِلَافَةِ وَالْمَلِكِ الْأَعْظَمِ
بَطْحَاءُ مَكَّةَ وَالْحَطِيمِ وَزَمْرَمُ^(٢)
وُسُوهَا وَفَصِيحُهَا وَالْأَعْجَمُ^(٣)
يَتَسَقَطُ الْأَنْخَبَارُ أَوْ يَتَنَسَّمُ^(٤)
وَطَلَعَتْ بِالسَّعْدِ الْعَمِيمِ عَلَيْهِمْ
وَعُرَا الْمَوَدَّةَ بَيْنَهَا تَتَفَصَّمُ^(٥)
أَنْ لَا سَلَامَ وَضَاقَ فِيهَا الْمُسْلِمُ^(٦)
بِخَرَى الْغَيْثِ وَأَقْصَرَ الْمُتَعَلِّمُ^(٧)
دِينَ وَلَا يَرْضَى بِهِ مَنْ يَفْهَمُ
عَنْ وَدِّ مُسْلِمِهَا وَمَاذَا يَنْقَمُ؟
وَالْمُسْلِمُونَ عَنِ الْمَكَايِدِ نَوْمُ
يَشْكُو، فَنَحْنُ عَلَى السَّوَاءِ وَأَنْتُمْ

(١) الضيغم : الأسد . وعرينه : مأواه .

(٢) بطحاء مكة : مسيل راديتها . والحطيم : هو ما بين الركن وزمزم والمقام .

(٣) المعروف (دري) بالتشديد . يقول : إن نيل مصرومها الخ تدعو لك ؛ نفي قوله : « فنيها » الخ ، محذوف للعلم به .

(٤) تنسم الخبر : تلطف في التماسه . (٥) عرا المودة : روابطها . وتتفصم : تنقطع .

(٦) ملأ لها ته ، أى ملأ حنجرته . واللهاة : اللجمة المشرقة على الخلق في أقصى الفم .

(٧) « بخري الغيث » الخ : أى سعى الأغنياء وقصار النظر في إشعال الفتنة بين المسلمين والأقباط ، وكف المتعلمون وأقصروا عن إخمادها وإلغائها أسبابها .

إِنِّي ضَمِينُ الْمُسْلِمِينَ جَمِيعِهِمْ أَنْ يُخْلَصُوا لَكُمْ إِذَا أَخْلَفْتُمْ^(١)
 رَبِّ الْأَرِيكََةِ ! إِنَّنَا فِي حَاجَةٍ لَجَيْلِ رَأْيِكَ وَالْحَوَادِثُ حُومٌ^(٢)
 فَأَفْضُ عَيْنَا مِنْ سَمَائِكَ حِكْمَةً تَأْسُو الْقُلُوبَ فَإِنَّ رَأْيَكَ أَحْكَمُ^(٣)
 وَأَجْمَعُ شَتَاتَ الْعُنُصَرِينَ بَعْزَمَةً تَأْتِي عَلَى هَذَا الْخِلَافِ وَتَحْسِمُ
 فَكَلَامُهَا لِعَزِيزِ عَرْشِكَ مُخْلِصٌ وَكَلَامُهَا بِرِضَاكَ صَبٌّ مُغْرَمٌ

محاورة بين حافظ و خليل مطران

في حفل أقامته جمعية رعاية الطفل (بالأوبرا)

[نشرت في ٣١ مارس سنة ١٩١٣ م]

حافظ :

هَذَا صَبِيٌّ هَائِمٌ تَحْتَ الظَّلَامِ هَيَامٌ حَائِرٌ
 أَبْلَى الشَّقَاءِ جَدِيدَهُ وَتَقَلَّبَتْ مِنْهُ الْأَظَاغِرُ^(٤)
 فَانْظُرْ إِلَى أَشْمَالِهِ لَمْ يَبْقَ مِنْهَا مَا يُظَاهَرُ^(٥)

(١) الضمين : الكفيل .

(٢) الأريكة : سرير الملك . والحوادث حوم ، أى تطفو بنا وتخلق حوالبنا ، وأصله من تحويم الطائر حول الماء ، دورانه به .

(٣) تأسو : تشفى وتداوى .

(٤) تقليم الأظافر : كناية عن أنه أعزل من أسلحة الجهاد في الحياة .

(٥) الأشمال : النياب البالية الخلق ، ويقال : « ظاهر الرجل بين نوبين » ، إذا طابق بينهما ولام . يريد أن الثوب الذى يلبسه هذا البأس قد صار طبقة واحدة رقيقة لا تدفع عنه ما يؤذيه من ألم الحر والبرد .

- هُوَ لَا يُرِيدُ فِرَاقَهَا خَوْفَ الْقَوَارِسِ وَالْهَوَاجِرِ^(١)
 لَكِنَّهَا قَدْ فَارَقَتْ لَهُ فِرَاقَ مَعْذُورٍ وَعَازِرٍ^(٢)
 إِنِّي أَعُدُّ ضُلُوعَهُ مِنْ تَحْتِهَا وَاللَّيْلُ عَاكِزٌ^(٣)
 أَبْصَرْتُ هَيْكَلَ عَظَمِهِ فَذَكَرْتُ سُكَّانَ الْمَقَابِرِ
 فَكَأَنَّمَا هُوَ مَيِّتٌ أَحْيَاهُ (عِيسَى) بَعْدَ (عَازِرٍ)^(٤)
 قَدْ كَانَ يَهْدُمُهُ النَّسِيءُ ثُمَّ وَكَادَ تَذُرُّهُ الْأَعَاصِرُ^(٥)
 وَتَرَاهُ مِنْ فَرْطِ الْهَزَا لِي تَكَادَ تَقْبُضُهُ الْمَوَاطِرُ
 عَجَبًا ! أَيَفْرِسُهُ الطَّوَى فِي قَلْبِ حَاضِرَةِ الْحَوَاضِرِ؟!^(٦)
 وَتَغُولُهُ الْبُؤْسَى وَطَرٌ فُ (رِعَايَةِ الْأَطْفَالِ) سَاهِرٌ؟!^(٧)
 كَمْ مِثْلِهِ تَحْتَ الدُّجَى أَسْوَانٌ بَادِي الضَّرِّ طَائِرٌ^(٨)

(١) القوارس : شدائد البرد . والهواجر : شدائد الحر .

(٢) يريد بقوله : « فراق معذور » الخ . أنها قد تميزت من القدم وطول العهد ، فهي معذورة لفراقها إياه ، وهو قابل عذرها .

(٣) عاكر : مختلط الظلام .

(٤) عازر : اسم رجل أحياه عيسى عليه السلام بعد الموت . شبه البأس بميت ظهرت فيه معجزة عيسى عليه السلام من إحياء الموتى بعد ما ظهرت في عازر .

(٥) تذرؤه : تفرق أجزائه ، وتطير أشلاءه . والأعاصر : رياح ترتفع بتراب بين السماء والأرض وتستدير كأنها عمود ، الواحد إعصار .

(٦) يفرسه : يقتله . والطوى : الجوع . ويريد « بحاضرة الحواضر » : مصر .

(٧) تغوله : تهلكه .

(٨) الأسوان : الحزين . ويريد بقوله : « طائر » أنه شديد الفزع والجزع مما يلاقى وما يتوقع من مصائب الزمن .

نَحْزِيَان ، يَخْرُجُ فِي الظَّلَا مِ خُرُوجِ خُفَّاشِ الْمَغَاوِرِ^(١)
مَتَلَفَعًا جِلْبَابَهُ مُتَرَقِّبًا مَعْرُوفَ عَابِرِ
يَقْدَى بِرُؤْيَيْهِ فَلَا تَلْوِي عَلَيْهِ عَيْنُ نَاضِرِ^(٢)

ومنها :

قَعَدْتُ شُعُوبَ الشَّرْقِ عَنْ كَسْبِ الْحَامِدِ وَالْمَفَاخِرِ
فَوَنْتُ فِي شَرْعِ التَّنَا حُرِّ مَنْ وَنَى لِاشْكَّ خَاسِرِ^(٣)
تَمَشَّى الشُّعُوبُ لِقَصْدِهَا قَدَمًا وَشَعْبُ النَّيْلِ آخِرِ^(٤)
كَمْ فِي الْحِكَانَةِ مِنْ فَتَى نَدَبٍ وَكَمْ فِي الشَّأْمِ قَادِرِ^(٥)
لَكِنَّهُمْ لَمْ يُرْزُقُوا رَأْيًا وَلَمْ يَرُدُّوا الْخَاطِرِ
هَذَا يَطِيرُ مَعَ الْحَيَا لِ وَذَاكَ يَرْتَجِلُ النَّوَادِرِ^(٦)
جَهَلُوا الْحَيَاةَ وَمَا الْحَيَا ةُ لَغَيْرِ كَدَّاحٍ مُغَامِرِ
يَجْتَابُ أَجْوَازَ الْقِفَا رِ وَيَمْتَطِي مَسْنَى الزَّوَاخِرِ^(٧)

(١) شبه البائس في أنه لا يظهر مستترا بظلمة الليل بالخفاش الذي لا يبصر بالنهار ، وإنما يبصر ليلا .

(٢) يقول : إن هذا العابر إذا مر بهذا المسكين ساءه ما يراه بأديا عليه من يؤس وفاقه ، فيغض بصره عنه كأنما قد وقع في عينه القذى : وهو ما يقع فيها من غمض أو رمص .

(٣) يريد « بالتناحر » : شدة التغالب في الحياة إلى أن يغير الناس بعضهم بعضا .

(٤) مثنى قدما : أى متقدما أمام .

(٥) الندب من الرجال : الماشى الخفيف في طلب الحاجة والسريع إلى الفضائل .

(٦) ارتجل النادرة ونحوها : قالها من غير تردد . ويريد « بالنوادر » : تلك النكت التي يتظرف بها الناس

في المجالس .

(٧) يجتاب : يقطع . وأجواز التفار : أوساطها الواحد جواز (يفتح الجيم) . والزواخر البحار .

لَا يَسْتَشِيرُ سِوَى الْعَزِيدِ حَمَةٌ فِي الْمَوَارِدِ وَالْمَصَادِرِ^(١)
 يَرْمِي وَرَاءَ الْبَاقِيَا تِ بِنَفْسِهِ رَمَى الْمُقَامِرِ
 مَا هَدَّ عَزَمَ الْقَادِرِ نَ بِمَصْرٍ إِلَّا قَوْلُ : (بَاكِرُ)
 كَمْ ذَا يُجِيلُ عَلَى غَدٍ وَغَدٌ مَصِيرَ الْيَوْمِ صَائِرُ
 خَوَاتِ الدِّيَارِ فَلَا آخِرَا عَ وَلَا اقْتِصَادَ وَلَا ذَخَائِرُ^(٢)
 دَعِ مَا يُجَشِّمُهَا الْجُمُوحُ دُ وَمَا يُجَرُّ مِنْ الْجَرَائِرِ^(٣)
 فِي الْاِقْتِصَادِ حَيَاتُنَا وَبَقَاؤُنَا رَغَمَ الْمُكَابِرِ^(٤)
 تَرَبُّو بِهِ فِينَا الْمَصَا نِعُ وَالْمَزَارِعُ وَالْمَتَابِرُ^(٥)
 سَلْ (حَشَمَتًا) عَنْهُ فَهُ لَذَا (حَشَمَتٌ) فِي الْجَمْعِ حَاضِرُ^(٦)
 أَحْيَا الصَّنَاعَةِ وَالتَّجَا رَةً مِثْلَهَا أَحْيَا الضَّمَائِرِ

مطران :

عَجَبًا تَعْرِفُنِي بِهِ وَأَنَا بِهَمَّتِهِ أَفَاخِرُ !
 لِي فِيهِ مَالِكٌ فِيهِ مِنْ أَمَلٍ عَلَى الْأَيَّامِ كَابِرُ^(٧)

(١) في الموارد والمصادر : أى في الحل والترحال .

(٢) خوات الديار : خلت .

(٣) يجشمها : يكلفها . والجرائر : الجنائيات ، الواحدة جريرة .

(٤) المكابر : المغالب والمعاقد .

(٥) ترَبُّو : تزيد وتتمو .

(٦) يريد المرحوم أحمد حشمت باشا وزير المعارف إذ ذاك .

(٧) الكابر : الكبير .

أَنَسِيتَ (مُوجَزَ الْاِقْتِصَا (د) وَفَضَّلَهُ أَمْ أَنْتَ ذَاكِرٌ؟^(١)
 أَوْ لَمْ يَكُنْ هَذَا الْوَزِيرُ رُبُّ ذَلِكَ التَّعْرِيبِ أَمْرٌ؟
 أَنَسِيتَ مَا عَانَيْتَهُ وَاللَّفْظُ مُسْتَعْصٍ وَنَافِرٌ؟^(٢)

حافظ :

لَمْ أُنَسَ مَا سَأَلْتَ بِهِ مِنْ خَاطِرِي تِلْكَ الْمَقَاطِرُ

مطران :

لَمْ أُنَسَ إِذْ لَالَ الْكَلَامُ م وَذَلَّتِي بَيْنَ الْحَايِرِ^(٣)

حافظ :

لَمْ أُنَسَ نَحْتِي لِأَصْطِلَا ح دُونَهُ نَحْتُ الْحَايِرُ

مطران :

لَمْ أُنَسَ تَشْدِيبَ الْفُضُولِ لِ ، وَمَقَرِّضُ التَّثْقِيفِ دَائِرُ^(٤)

(١) (موجز الاقتصاد) : كتاب في الاقتصاد نقله عن الفرنسية إلى العربية حافظ ومطران بأمر حشمت باشا وزير المعارف .

(٢) يريد ما عاناه في ترجمة هذا الكتاب السابق ذكره .

(٣) يريد « بإدلال الكلام » : تكبره واستعصاه وقلة مواتاته .

(٤) تشذيب الفضول : أى تقطيع الزوائد من الكلام وتحتها ؛ وأصله من تشذيب الشجر ، وهو إلقاء ما عليه من الأغصان الزائدة . والتثقيف : التقويم والإصلاح .

دعوة إلى الإحسان^(١)

نشرت في سنة ١٩١٥ م

أَجَادَ (طَرَانُ) كَعَادَتِهِ وَهَكَذَا يُؤَثِّرُ عَنْ (قُسٍّ)^(٢)
 فَنُ قَفٍ مِنْ بَعْدِهِ مُنْشِدًا فَإِنَّمَا مِنْ طَرِسِهِ طَرِسِي^(٣)
 وَإِنْ رَأَيْتُمْ فِي يَدِي زَهْرَةً فَإِنَّهَا مِنْ ذَلِكَ الْغَرَسِ
 رَتِي (حَبِيبًا) وَرَتِي بَعْدَهُ لِذَلِكَ الْمُؤَفِّي عَلَى الرَّسِ^(٤)
 كَانَا إِذَا مَا ظَهَرَا مِنْبَرًا حَلًّا مِنَ السَّامِعِ فِي النَّفْسِ^(٥)
 فَأَصْبَحَا هَذَا طَوَاهُ الرَّدَى وَذَلِكَ نَهَبٌ فِي يَدِ الْبُؤْسِ
 لَوْلَا (سَلِيمٌ) لَمْ يَقُلْ قَائِلٌ وَلَمْ يَجِدْ مَنْ جَادَ بِالْأَمْسِ^(٦)
 لِلَّهِ مَا أَتَّجَعَهُ إِنَّهُ دُو مِرَّةٍ فِينَا وَدُو بَأْسِ^(٧)

(١) دعا سليم أفندي سركيس صاحب (مجلة سركيس) إلى إقامة حفل يخصص ما يجمع منه لمعونة أحمد أفندي أبي العدل وأسرته محمود حبيب ، وكانا من أشهر الملمين المصريين ؛ فقعدت بالأول الشيوخة وأغتالت المنية الثاني . وفي مساء ١٢ أكتوبر سنة ١٩١٥ م أقيمت حفلة تمثيلية في مسرح (برنتانيا) لهذا الغرض ، كان للشعراء فيها مجال وقد أعد خليل بك مطران قصيدة في هذا الغرض ، إلا أن المرض حال بينه وبين إنشادها ، فتولى ذلك عنه حافظ ، ومطلعها :

الضاحك اللاعب بالأمس بات صريعاً فاقد الأنس

(٢) يريد قس بن ساعدة الأيادي خطيب العرب في الجاهلية ، ويضرب به المثل في الفصاحة واللسن .

(٣) من طرسه طرسى : أى أن شعره مستمد منه . والطرس : الصحيفة .

(٤) يريد « بحبيب » : المرحوم محمود حبيب . والمؤفّي على الرسم : المشرف على القبر ، يريد به أحمد أفندي أبي العدل .

(٥) ظهر المنير ونحوه : علاء .

(٦) يريد « بسليم » : سليم سركيس . ويشير بهذا البيت إلى دعوته إلى إقامة هذا الحفل .

(٧) المرة : القوة والعزيمة .

يَقُومُ فِي مَشْرُوعِهِ نَافِذًا كَأَنَّهُ (عَنْتَرَةُ الْعَبْسِيِّ) ^(١)
تَلْقَاهُ فِي الْجِدِّ كَمَا تَبْتَغِي وَتَارَةً تَلْقَاهُ فِي (الْهَلَسِ)
(سَرَكَيْسُ) إِنْ رَاقَكَ مَا قُلْتَهُ فِي مَعْرِضِ الْهَزْلِ فَقُلْ "مَرِي"
أَقْسِمُ بِاللَّهِ وَالْآلِئِهِ بَعْرَشِهِ بِاللَّوْجِ بِالْكُرْمِيِّ
بِالْخُنْسِ الْكُنْسِ فِي سَبْحِهَا بِالْبَذْرِ فِي مَرَاهُ بِالشَّمْسِ ^(٢)
بَأَنَّ هَذَا عَمَلٌ صَالِحٌ قَامَ بِهِ هَذَا الْفَتَى الْقُدْسِيُّ ^(٣)
ذَكَرْنَا - وَالْمَرْءُ مِنْ نَفْسِهِ وَعَيْشِهِ فِي شَاغِلٍ يُنْسِي
- بِالْوَاجِبِ الْأَقْدَسِ فِي حَقِّ مَنْ بَاعْتَهُ مِضْرُ بَيْعَةِ الْوَكْسِ ^(٤)
هَذَا (أَبُو الْعَدْلِ) فَمَنْ خَالَه حَيًّا فَهَا خَالَ سِوَى الْعَكْسِ
كَأَنَّ لَهُ فِي حَلِيقِهِ ثُرُوءًا مِنْ نَبْرَةٍ تُشْجِي وَمِنْ جَرَسِ ^(٥)
فَعَالَهَا الدَّهْرُ كَمَا غَالَهُ حَتَّى غَدَا كَالطَّلَلِ الدَّرْسِ ^(٦)
فَاكْتَسَبُوا الْأَجَرَ وَلَا تَبْتَغُوا شِرَاءَهُ بِالْثَمَنِ الْبَخْسِ
إِنِّي أَرَى التَّمَثِيلَ فِي غَمْرَةٍ غَامِرَةٍ تَدْعُو إِلَى الْيَأْسِ ^(٧)

(١) استعمال « المشروع » بمعنى الغرض الذي يبدأ في تحقيقه استعمال شائع في كلام أهل العصر .

(٢) الخنس والكنس : الكواكب .

(٣) القدسي : نسبة إلى بيت المقدس . يشير إلى مولده .

(٤) الوكس : التفصان والخسارة .

(٥) الجرس : الصوت الخفى .

(٦) الطلل : ما بقى من آثار الديار . والدرس ، أى الدارس البالى .

(٧) غمرة غامرة : أى شدة عامة شاملة .

لَمْ يَرِمِهِ فِي شَرْخِهِ مَارْمِي لَوْ كَانَتْ مَبْنِيًّا عَلَى أُسٍّ^(١)
 أَكَلَمًا خَفَّتْ بِهِ صَخْوَةٌ مِنْ دَائِهِ عَوَجَلًا بِالنَّكْسِ !
 إِنْ تُغْفِلُوا دَارِسَ آثَارِهِ عَفَى عَائِبَهَا الدَّهْرُ بِالطَّمَسِ
 أَعْجَزَهَا التُّنْقُ بِفُجَاءَتِ بِنَا تَنُوبُ عَنْ أَلْسِنِهَا الْخُرْسِ

العدوّ والصديق

ترجمة عن (فولتير)

(نشر هذا البيت في ١٥ يناير سنة ١٩١٦ م)

لَا أَبَالِي أَذَى الْعَدُوِّ خُطْبِي أَنْتَ يَا رَبِّ مِنْ وَلَاءِ الصَّدِيقِ

جمعية الاتحاد السوري

أُنشدها في حفل خيري أقامته هذه الجماعة في (الأوبرا) السلطانية لإعانة الطلبة الشاميين بالأزهر

ليلة الثلاثاء ١٥ يناير سنة ١٩١٦ م

أَيُّهَا الْوَسْمِيُّ زُرْ نَبْتَ الرَّبَا وَاسْبِقِ الْفَجَرَ إِلَى رَوْضِ الزَّهْرِ^(٢)
 حَيِّهِ وَأَنْثُرْ عَلَى أَكْمامِهِ مِنْ نِطَافِ الْمَاءِ أَشْبَاهَ الدَّرَرِ^(٣)
 أَيُّهَا الزَّهْرُ أَفِقْ مِنْ سِنَةٍ وَأَصْطَبِحْ مِنْ خَمْرَةٍ لَمْ تَعْتَصِرْ^(٤)

(١) في شَرْخِهِ : أى في ريعانه وأول نهوضه .

(٢) الوسْمِيُّ : المطر أول الربيع .

(٣) الأَكْمامُ أغطية الزهر . والنِطَافُ : القطرات الصافية من الماء .

(٤) السِّنَةُ : النوم . والاصْطَبَحَ : الشرب في الصباح .

مِنْ رَحِيقِ أُمِّهِ غَادِيَةٍ سَاقَهَا تَحْتَ الدُّجَى رَوْحُ السَّحَرِ^(١)
 وَأَنْفَجَ الرُّوْضَ بِنَشْرِ طَيِّبٍ عَلَيْهِ يُوقِظُ سُكَّانَ الشَّجَرِ^(٢)
 إِنَّ بِي شَوْقًا إِلَى ذِي غُنَّةٍ يُؤْنِسُ النَّفْسَ وَقَدْ نَامَ السَّمَرِ^(٣)
 إِلَيْهِ يَا طَيْرُ! أَلَا مِنْ مُسْعِدٍ؟ إِنِّي قَدْ شَفَّنِي طُولُ السَّهْرِ^(٤)
 قُمْ وَصَفِّقْ وَاسْتَحِرْ وَاجْمَعْ وَنُحْ وَارَوْ عَنْ إِسْحَاقَ مَا تُورُ الْخَبَرِ^(٥)
 ظَهَرَ الْفَجْرُ وَقَدْ عَوَّدَتْنِي أَنْ تُغْنِيَنِي إِذَا الْفَجْرُ ظَهَرَ
 غَنَّنِي كَمْ لَكَ عِنْدِي مِنْ يَدٍ سَرَّتِ الْأَشْجَانَ عَنِّي وَالْفِكَرِ^(٦)
 انْحَرِقِ السَّمْعَ سِوَى مِنْ نَبَأٍ خَرَقَ السَّمْعَ فَأَدْمَى فَوْقَهُ^(٧)
 كُلَّ يَوْمٍ نَبَأَةً تَطْرُقُنَا بَعْجِيبٍ مِنْ أَعَاجِيبِ الْعَبْرِ
 أُمُّ تَفْنَى وَأَرْكَانُ تَهَى وَعُرُوشُ تَهَاوَى وَسُرُرُ^(٨)
 وَجُيُوشُ بِجُيُوشٍ تَلْتَقِي كُسُيُولٍ دَفَقَتْ فِي مُنْحَدَرِ^(٩)

(١) الرحيق : الخمر . والغادية : السحابة تنشأ غدوة . والروح : الريح . جعل ماء المطر للزهر كالخمر .

(٢) النشر : الرائحة الطيبة . وسكان الشجر : الطير .

(٣) السمر : السمار .

(٤) المسعد : المعين . وشفه السهر : هزله وأضناه .

(٥) تصفيق الطير : خفقه بأجنحته . واستحمر : أى غن سمرا . وجمع الطير : تغريده ويريد « بإسحاق » :
 إسحاق بن إبراهيم الموصلى الملقب بالعمامي المعروف ، يرغب إلى الطيور أن تغنيه غناؤه .

(٦) سرت الأشجان : كشفتها وخففت آلامها .

(٧) يريد « بالنبا » نبأ الحرب العظمى . بقول أسمعى أيها الطائر من أنباءك ، (أى غنائك) ما يلد به
 سمعى ، ولا تسمعى أنباء الحرب التى تضم الآذان وتدمى القلوب .

(٨) تهى : تفل وتسقط . وتهوى : يسقط بعضها لآخر بعض .

(٩) دفقت : انصببت بشدة .

ورجالٌ تَبَارَى للردى لا تُبَالِي غَاب عنها أم حَضَرَ؟^(١)
 مَنْ رَأَاهَا فِي وَغَاهَا خَالَهَا صَبِيَةً خَفَّتْ إِلَى لِعْبِ الْأَكْرِ^(٢)
 وَحُرُوبٌ طَاحِنَاتٌ كَلَّمَا أُطْفِئَتْ شَبَّ لَظَاهَا وَأَسْتَعَزَّ
 ضَجَّتِ الْأَفْلَاكُ مِنْ أَهْوَاهَا وَأَسْتَعَاذَ الشَّمْسُ مِنْهَا وَالْقَمَرُ
 فِي الثَّرَى ، فِي الْجَوْ ، فِي شَمِّ الدُّرَا فِي عُبابِ الْبَحْرِ ، فِي مَجْرَى النَّهْرِ^(٣)
 أَسْرَفَتْ فِي الْخَلْقِ حَتَّى أَوْشَكُوا أَنْ يَبِيدُوا قَبْلَ مِيعَادِ الْبَشَرِ^(٤)
 فَأَصْمِدُوا ثُمَّ أَحْمِدُوا اللَّهَ عَلَى نِعْمَةِ الْأَمْنِ وَطِيبِ الْمُسْتَقَرِّ^(٥)
 نِعْمَةِ الْأَمْنِ وَمَا أَذْرَاكَ مَا نِعْمَةِ الْأَمْنِ إِذَا الْخَطْبُ أَكْفَهَرَ^(٦)
 وَاشْكُرُوا سُلْطَانَ مِصْرٍ وَاشْكُرُوا صَاحِبَ الدَّوْلَةِ مُحَمَّدَ الْآثَرِ^(٧)
 نَحْنُ فِي عَيْشٍ تَمَنَّى دُونَهُ أُمٌّ فِي الْغَرْبِ أَشْقَاهَا الْقَدَرُ
 تَتَمَنَّى جَمْعَةً فِي غِبْطَةٍ لَمْ تُسَاوِرْهَا اللَّالِي بِالْكَدَرِ^(٨)
 إِنِّي فِي الْأَزْهَرِ قَوْمًا نَالَهُمُ مِنْ لَظَى نِيرَانِهَا بَعْضُ الشَّرَرِ
 أَصْبَحُوا — لَا قَدَرَ اللَّهُ لَنَا — فِي عَنَاءٍ وَشَقَاءٍ وَضَجَرٍ

(١) الردى : الهلاك .

(٢) الوغى : الحرب ، لما فيها من الصوت والجلجلة . والأكر : جمع أكرة ، وهى لغة فى الكرة .

(٣) فى شَمِّ الذُّرَا : أى فى أعلى المرتفعات .

(٤) يَبِيدُوا : يهلكوا . ومِيعَادِ الْبَشَرِ : يوم يفتى الناس جميعا .

(٥) الصمد : القصد . ويستعمل فى عصرنا بمعنى الصبر .

(٦) اكْفَهَرَ : تجهم وعبس .

(٧) صاحب الدولة : رئيس الوزراء ، وكان إذ ذاك حسين رشدى باشا .

(٨) الهجعة : النومة .

نَزَلَاءُ يَبِينَا إِن يَرْهَقُوا أَوْ يُضَامُوا إِنَّمَا إِحْدَى الْكَبِيرِ^(١)
فَاعِينُوهُمْ فَهُمْ إِخْوَانُكُمْ مَسَّهُمْ ضَرْبٌ وَنَابَتْهُمْ غَيْرِ^(٢)
أَقْرَضُوا اللَّهَ يُضَافُ أَجْرُكُمْ إِن خَيْرَ الْأَجْرِ أُجْرٌ مُدْنَرِ^(٣)

الجمعية الخيرية الإسلامية

أُشِدَّ هَذِهِ الْقَصِيدَةُ بَيْنَ يَدَيِ الْمَغْفُورِ لَهُ السُّلْطَانِ حُسَيْنٍ كَامِلٍ فِي لَيْلَةِ أَحْيَاتِهَا الْجَمْعِيَّةِ الْخَيْرِيَّةِ (بِالْأَوْبَرِ) السُّلْطَانِيَّةِ

وَقَدْ قَالَهَا عَلَى لِسَانِ صَبِيْعَةٍ مِنْ صَنَائِعِ الْجَمْعِيَّةِ كَانَ يَتِمُّ بِأَسَا فَنَكَلَتْهُ الْجَمْعِيَّةُ حَتَّى اكْتَمَلَ عَقْلًا وَعِلْمًا

[نُشِرَتْ فِي ٢٨ مَارِسَ سَنَةِ ١٩١٦]

قَضَيْتُ عَهْدَ حَدَاتِي مَا بَيْنَ ذَلِّ وَأَغْتِرَابِ
لَمْ يُغْنِ عَنِّي بَيْنَ مَشْدِ رِقِّهَا وَمَغْرِبِهَا أَضْطِرَابِ^(٤)
صَفَرْتُ يَدِي نَحْوِي لَهَا رَأْسِي وَجَوْفِي وَالْوِطَابِ^(٥)
وَأَنَا أَبُ عَشْرِ لَيْسَ فِي طَوْقِي مُكَافَأَةُ الصَّعَابِ^(٦)
لَمْ يَبْقَ مِنْ أَهْلِي سِوَى ذِكْرِ تَنَاسَاهُ الصَّحَابِ
أَمْشِي يَرْنَحُنِي الْأَسَى وَالْبُسُوسُ تَرْنِيحَ الشَّرَابِ^(٧)

(١) يرهقوا : أى يعانوا من شطف العيش مالا يطيقون .

(٢) غير الزمان : أحداثه وتقلباته .

(٣) يستعمل إقراض الله بمعنى الإحسان وبذل المعروف ، لأن الله هو المولى رده والجزاء عليه .

(٤) الاضطراب فى الأرض : التردد فيها جبهة وذهابا .

(٥) صفرت يدي : فرغت : ونحوى : خلا . ويريد « بالوطاب » وعاء الزاد ، والأصل فيه : سقاء اللبن .

(٦) الطوق : الجهد .

(٧) يرنحنى : أى يملئ يئمة ويديرة . والأسى : الحزن .

فَلَكُمْ ظَلَلْتُ عَلَى طَوًى (١) يَوْمِي وَبْتُ عَلَى تَبَابٍ (١)
وَالْجُوعُ فَارَّاسٌ لَهُ (٢) ظُنْفُرٌ يَصُولُ بِهِ وَنَابٍ (٢)
فَمَكَانَهُ فِي مُهَجَّاتِي (٣) نَصْلٌ تَغْلَغَلُ لِلنُّصَابِ (٣)
وَلَكُمْ صَحْبَتُ الْأَبْيَضِ (٤) بِنِ فَابَالِيَا بُرْدَ الشَّابِ (٤)
فَإِذَا ظَفِرْتُ بِكُسْرَةٍ (٥) فَإِدَامُهَا مِثْنِي لُعَابٍ (٥)
وَعَلَى طَمْرُرٍ لَوْ هَفَّتْ (٦) رِيحُ الشَّامِ بِهِ كَذَابٍ (٦)
نَحْرُوقُهُ وَمَصَائِي (٧) فِي الْعَدِّ يُحْطِئُهَا الْحِسَابُ
مَا زِلْتُ أَوْسَعُ مُحْتَي (٨) صَبْرًا وَأَحْتِمِلُ الْعَذَابِ (٧)
حَتَّى تَنْفَسَ صُبْحُ إِفْ (٩) بِبَالِي وَنَجْمُ النَّحْسِ غَابِ (٨)
وَلِكُلِّ سَيْفٍ مُضَلَّتْ (٩) لِحَوَادِثِ الدُّنْيَا قِرَابِ (٩)

(١) الطوى : الجوع . والتباب : الخسران .

(٢) فراس : شديد الافتراس .

(٣) تغلغل النصل فى الشيء : دخل فيه ونفذ إلى جوفه . ونصاب السيف والسكين ونحوهما : المقبض .

(٤) الأبيضان : الماء والخبز ؛ قال الشاعر :

الأبيضان بردا عظامى الماء والفت بلا إدام

(٥) الإدام : ما يؤتدم به فى الطعام .

(٦) الطمر : الثوب البالى من غير الصوف . وهفت الريح بالثوب ونحوه : حركته وذهبت به .

(٧) المحنة : ما يمتحن به صبر الإنسان من النوائب .

(٨) تنفس الصبح : أضاء وأشرق ؛ وهو استعمال مجازى .

(٩) المصلت من السيوف : المجرد من غمده . وقرباب السيف : جرابه . يريد أن كل شدة إلى انتهاء ، وكل عسر

والعَيْشُ فِي إِقْبَالِهِ شُهِدَ فِي الإِدْبَارِ صَابٌ^(١)
فَتَلَقَّفْتَنِي فِتْيَةً رُحِبُ الشَّمَائِلِ وَالْجَنَابِ^(٢)
مَهَّدُوا لِأَنْفُسِهِمْ بِمَا صَنَعُوهُ زُلْفَى وَأَحْتِسَابِ^(٣)
وَعَدُوا إِلَى الْحُسْنَى كَمَا تَعْدُو الْمُطَهَّمَةُ الْعَرَابِ^(٤)
كَمْ أُسْرَةٍ ضَاقَ الرَّجَا عَنْهَا وَأَغْيَاهَا الطَّلَابُ
دَقُّوا عَلَيْهَا بَابَهَا وَاللَّيْلُ مَسْدُولُ النُّقَابِ^(٥)
وَتَعَاهَدُوهَا مِثْلَهَا يَتَعَاهَدُ النَّبْتُ السَّحَابِ^(٦)
وَجَمَالُ صُنْعِ الْبِرِّ لَا يُسْتَشْفَى لَهُ حِجَابُ
فَتَحُّوا الْمَدَارِسَ حَسْبَةً وَتَنْظَرُوا حُسْنَ الْمَأْتِ^(٧)
فِيهَا تَبَيَّنَتْ الْهُدَى وَقَرَأْتُ (فَاتِحَةَ الْكِتَابِ)

(١) الشهد : غسل النحل . والصاب : عصارة شجر شديد المرارة ؛ يريد أن العيش حلوف في إقباله ، شديد المرارة في إدباره .

(٢) يريد « بالفتية » : رجال الجمعية الخيرية الإسلامية .

(٣) مهّدوا لأنفسهم . أى كتبوا لها خيرا . والزلفى : القربى . والاحتساب : هو أن تقدّم عملا صالحا تحتسبه عند الله ، أى تدخره ولا تبغى عليه جزاء من الناس . وبلاحظ أن الوقف هنا يسكون الباء في آخر البيت على غير الألفصح ، وقد دعت إليه الضرورة .

(٤) عدوا : أسرعوا . والمطهم من الخيل : الذى تم حسنه وبرع في الجمال . والخيل العرب : الكرائم السالمة من الهجنة .

(٥) يريد بقوله : « مسدول النقاب » : وصف الليل بشدة الظلام . ويصف رجال الجمعية بأنهم يبذلون المعروف في خفية وتكتم ، وذلك أفضل للإحسان .

(٦) تعاهدوها : تفقدوها بالبذل والمعونة .

(٧) تنظروا : انتظروا وارتقبوا .

وبها صدفت عن الضلالة وأهتديت إلى الصواب^(١)
 وغدوت إنساناً نجهل له الفضائل لا الأياب
 متبصراً ذا فطنة تتفي القشور عن اللباب
 (جمعية خيرية) قامت لتخفيف المصاب
 قد كان فيها (عبده) غوثاً يلبي من أهاب^(٢)
 لم يدع مسامحاً إلى إنعاشها إلا أجاب^(٣)
 ما غاب عنها مرة حتى تغيب في التراب
 و (بعاصم) أثر بها باقٍ وذكر مستطاب^(٤)
 قد كان يحيا كما تحي مجامعها العقاب^(٥)
 ثبتت وكان ثباتها يدعوا إلى العجب العجائب
 والشرق أوزت أهله حب الثقب والخلاب^(٦)
 فينا على كرم الطب ع ونبلها طبع يعاب
 داء التواكل وهو في العمران داعية الخراب

(١) صدق عن الضلالة : أعرض عنها .

(٢) يريد الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده ، وانظر التعريف به في الحاشية رقم ٥ من صفحة ٢ من هذا الجزء .
 وكان أقوى مؤسسي الجمعية الخيرية وأعظم الداعين إلى إنشائها . وأهاب : دعا .

(٣) المسامح : الكثير السماح .

(٤) يريد « بعاصم » : المرحوم حسن عاصم باشا .

(٥) مجامع العقاب : مواضعها التي تنزل بها ، الواحد مجثم ، يقال : جثم الطائر ، إذا لزم مكانه فلم يرحه ؛
 أو تلبد بالأرض . والعقاب : طائر من الجوارح ، والعرب تسميه الكاسر .

(٦) الخلاب : الخلداع .

ثَبَّتَتْ لَأَنْتَ لَهَا إِلَى أَعْتَابِ مَوْلَانَا أَنْتَسَابُ^(١)
 لَوْلَا (حُسَيْنٌ) لَمْ تَدُمْ إِلَّا كَمَا دَامَ الْحَبَابُ^(٢)
 اللَّهُ أَذْرَكَهَا بِهِ بَحْرًا مَوَارِدُهُ عِذَابُ
 يَا وَاهِبَ الْآلَافِ كَمْ طَوَّقَتْ بِالْمِنَنِ الرُّقَابُ
 لَكَ سَاحِلَةٌ عَلَوِيَّةٌ مَا أَمَّهَا أَمَلٌ وَخَابُ^(٣)
 مَهَّذَتْ لِلْأَخْيَارِ مَيْدَانَ السَّبَاقِ إِلَى الثَّوَابِ
 لَا زِلْتَ فِي الْقُطْرَيْنِ مَحْرُوسَ الْأَرِيكََةِ وَالرُّكَّابِ^(٤)

جمعية إعانة العميان

قالها في حفل أقامته الجمعية لبناء مدرسة للعميان الأحداث (بالأوبرا)

في ١٩ ديسمبر سنة ١٩١٦ م ونشرت في اليوم التالي

إِنَّ يَوْمَ أَحْتِفَالِكُمْ زَادَ حُسْنًا وَجَلَالًا بِيَوْمِ عِيدِ الْجُلُوسِ^(٥)
 فَاقْتَرَانُ الْيَوْمَيْنِ رَمَزًا إِلَى الْيَمْنِ وَبَشْرَى تَسْرِي رَهْنَ الْحَبُوسِ^(٦)

(١) يريد بقوله : « مولانا » السلطان حسين ؛ وكان رئيسا لها أيام كان أميرا . والوقف على قوله : « انتساب » بسكون الباء لضرورة القافية جريا على غير الفصح ، وهي لغة ربيعة ، فإنهم يقفون على المنون بحذف تنوينه وسكون آخره مطلقا ، أى سوله أكان منصوبا ، كما في هذا اللفظ ، أم مرفوعا أم مجرورا . ؟

(٢) الحباب : فتاقيع الماء التي تعلوه .

(٣) علوية : نسبة إلى المغفور له ساكن الجنان محمد على باشا جد الأسرة المالكة .

(٤) القطران مصر والسودان . والأريكة : سرير الملك .

(٥) يريد عيد جلوس المغفور له السلطان حسين كامل .

(٦) يريد « برهن الحبوس » أن هذا المكفوف رهن حبس بصره ، وحبس بيته ، وكان أبو العلا المعري

يلقب « برهن الحسين » .

فَكَأَنِّي أَشِيمُ عَاطِفَةَ الْبِرِّ عَيَانًا تَجُولُ بَيْنَ الْجُلُوسِ^(١)
وَأَرَى فِي الْوُجُوهِ سِيمَا آرْتِيَا حَاجَ وَأَبْتِهَاجَ لَسَعَى تِلْكَ الْعُرُوسِ^(٢)
إِنَّ حَقَّ الضَّرِيرِ عِنْدَ ذَوِي الْأَبْصَارِ حَقٌّ مُسْتَوْجِبُ التَّقْدِيرِ
لَمْ يَضُرْهُ فَقْدَانُهُ نُورَ عَيْنَيْهِ إِذَا اغْتَاظَ عَنْهُمَا بِأَنْدِيسَ
أَنَسُوا نَفْسَهُ إِذَا أَظْلَمَ الْعَيْشُ بِعَالِمٍ فَالْعِلْمُ أُنْسُ النَّفُوسِ
وَجَهَّوْهُ إِلَى الْفَلَاحِ يُفِدُكُمْ فَوْقَ مَا يَسْتَفِيدُهُ مِنْ دُرُوسِ
أَكْمَلُوا نَقْصَهُ يَكُنْ عَبْقَرِيًّا مِثْلَ (طَه) مُبْرَزًا فِي الطُّرُوسِ^(٣)
كَمْ رَأَيْنَا مِنْ أَلَمِهِ لَا يُجَارَى وَضَرِيرٍ يُرْجَى لِيَوْمٍ عَبُوسِ
لَمْ تَقِفْ آفَةُ الْعُيُونِ حِجَازًا بَيْنَ وَثْبَاتِهِ وَبَيْنَ الشُّمُوسِ
عَدِمَ الْحَسَّ قَائِدًا فَخْدَاهُ هَدَى وَجْدَانِهِ إِلَى الْحُسُوسِ
مِثْلُ هَذَا إِذَا تَعَلَّمَ أَغْنَى عَنْ كَثِيرٍ وَجَاعًا بِالنَّفِيسِ
ذَاكَ أَنَّ الذِّكَاءَ وَالْحِفْظَ حَلًّا فِي جَوَارِ النَّهْيِ بِتِلْكَ الرُّعُوسِ
فَعَلَى كُلِّ أَلَمٍ وَبَصِيرٍ شُكْرُ أَعْضَائِكُمْ وَشُكْرُ الرَّئِيسِ

(١) أشيم أرى وأنظر .

(٢) يريد « بالعروس » : عاطفة البر السابق ذكرها .

(٣) يريد « بطله » : (الدكتور) طه حسين (بك) عميد كلية الآداب الآن . والطروس . وهو

ملجأ الحرية

[نشرت في ١٩ مايو سنة ١٩١٩ م]

أَيُّهَا الطُّفْلُ لَكَ الْبُشْرَى فَقَدْ قَدَّرَ اللَّهُ لَنَا أَنْ نُنْشَرَ^(١)
قَدَّرَ اللَّهُ حَيَاةَ حُرَّةٍ وَأَبَى سُبْحَانَهُ أَنْ تُقْبَرَ
لَا تَخَفْ جُوعًا وَلَا عُزْيًا وَلَا تَبْكُ عَيْنَاكَ إِذَا خَطَبَ عَمْرَا^(٢)
لَكَ عِنْدَ الْبِرِّ فِي مَلَجَتِهِ حَيْثُ تَأْوِي خَاطِرٌ لَنْ يُكْسَرَ^(٣)
حَيْثُ تَلْقَى فِيهِ حَدْبًا وَتَرَى بَيْنَ أَتْرَابِكَ عَيْشًا أَنْضَرَ^(٤)
لَا تُسَيِّ ظَنًّا بِمُثْرِينَا فَقَدْ تَابَ عَنْ آثَامِهِ وَاسْتَغْفَرَ
كَانَ بِالْأَمْسِ وَأَقْصَى هَمِّهِ - إِنْ أَتَى عَارِفَةً - أَنْ يَظْهَرَ^(٥)
فَقَدْ دَا الْيَوْمَ يُوَاسِي شَعْبَهُ وَهُوَ لَا يَرْغَبُ فِي أَنْ يُشْكَرَ
نَبَّهَتْ عَاطِفَةَ الْبِرِّ بِهِ مَخْنَةً عَمَّتْ وَمِقْدَارٌ جَرَى^(٦)

(١) ننشر : نحيا ونبعث . جعل ما كان فيه المصريون قبل من إهمال اليتيم وإغفال شأنه كالموت ؛ وما صاروا إليه بعد من رعايته والعناية به حياة وبعثا .

(٢) عمرا : ألم ونزل .

(٣) يستعمل « كسر الخاطر » في إجمال السائل ورده بغير ما كان يؤمل ، وهو استعمال شائع في كلام عصرنا .

(٤) الحدب (بالتحريك وسكن للشعر) : الف . ويجوز أن يقرأ بالضم بمعنى جماعة العاطفين . وأترابك : لدائك ونفراؤك ، الواحد ترب (بكسر التاء) .

(٥) العارفة : العطية والمعروف .

(٦) المحنة : ما يمتحن به الإنسان من بلية . والمقدار : القدر (بفتح القاف والدال) . ويريد ما شمل الناس من فقر وضيق إذ ذاك .

جَمَعْتُنَا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ وَأَرَادْتُنَا عَلَى أَنْ نُقْهَرَا^(١)
 فَتَعَاهَدْنَا عَلَى دَفْعِ الْأَذَى بِرُكُوبِ الْحَزْمِ حَتَّى نَظْفُرَا
 وَتَوَاصَيْنَا بِصَبْرٍ بَيْنَنَا فَغَدَوْنَا قُوَّةً لَا تُزْدَرَى^(٢)
 أَثَرْتُ فِي مِصْرَ شَعْبًا صَالِحًا كَانَ قَبْلَ الْيَوْمِ مِنْكَ الْعُرَا^(٣)
 كُمْ مُحِبُّ هَائِمٍ فِي حُبِّهَا ذَادَ عَنِ أَجْفَانِهِ سَرَحَ الْكُرَى^(٤)
 وَشَبَابٍ وَكُھُولٍ أَقْسَمُوا أَنْ يَشِيدُوا بِجَدِّهَا فَوْقَ الذَّرَا^(٥)
 يَارِجَالَ الْجَدِّ هَذَا وَقْتُهُ أَنْ أَنْ يَعْمَلَ كُلُّ مَا يَرَى
 مَلْجَأًا أَوْ مَصْرِفًا أَوْ مَصْنَعًا أَوْ نِقَابَاتٍ لَزُرَاجِ الْقُرَى
 أَنَا لَا أَعْدِرُ مِنْكُمْ مَنْ وَنَى وَهَسُو ذُو مَقْدَرَةٍ أَوْ قَصَّصَا^(٦)
 فَابْدُءُوا بِالْمَلْجَأِ الْحُرِّ الَّذِي جِئْتُ لِلْأَيْدِي لَهُ مُسْتَمْطَرَا
 وَاكْفُلُوا الْإِيْتَامَ فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ كُلَّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا^(٧)

(١) الضمير في « جمعنا » « للجنة » . ويقال : أرادته على الأمر ، وذلك إذا حمله عليه .

(٢) لا تزدرى : لا تحتقر .

(٣) أثمرت : أحيت . ويريد « بالعرا » : صلاة المودة ، الواحدة عروة .

(٤) الضمير في « حبها » لمصر . وذاد : منع ودفع . والكُرَى : النوم .

(٥) الذرا : جمع ذروة ، وهى المكان المرتفع .

(٦) ونى : أبطأ .

(٧) كفله يكفله (من باب نصر) : قام بأمره . والفرا : الحمار الوحشى « وكل الصيد في جوف الفرا » : مثل ، وأصله أن ثلاثة خرجوا مناصدين ، فاصطاد أحدهم أرنباً ، والآخرا ظلياً ، والثالث حماراً فاستبشر صاحب الأرنب وصاحب الظلي بما نالا ، وتطاولا على صاحب الحمار . فقال لهما : « كل الصيد في جوف الفرا » ، أى أن هذا الذى رزقت به وظفرت يشتمل على ما عندكما ، وذلك أنه ليس مما يصيده الناس أعظم من الحمار . ومعنى المثل هنا أن معونة اليتيم تحمل في ثناياها جميع الأعمال الصالحة .

أيها المثرى ! ألا تكفل من
 أنت ما يذريك لو أنبتته
 ربما أطلعت (سعداً) آخراً
 ربما أطلعت منه (عبده)
 ربما أطلعت منه شاعراً
 ربما أطلعت منه فارساً
 كم طوى البؤس نفوساً لورعت
 كم قضى العدم على موهبة
 كل من أحيأ يتيماً ضائعاً
 إنما نحمد عقيب أمره
 بات محروماً يتيماً معسراً ؟
 ربما أطلعت بدمراً نيراً
 يحكم القول ويرقى المنبراً^(١)
 من حمى الدين وزان (الأزهر)^(٢)
 مثل (شوقي) نابهاً بين الورى
 يدخل الغيل على أسد الشرى^(٣)
 منبتاً خصباً لكانت جوهراً
 فتوارت تحت أطباق الثرى^(٤)
 حسبته من ربه أن يؤجراً
 من لأخرأه بدنياه اشترى

جمعية الطفل

أشدها في الحفل الذى أقامته هذه الجمعية في يوم الثلاثاء أول مايو سنة ١٩٢٨ م

أيها الطفل لا تخف عنت الدهر
 قيض الله للضعيف نفوساً
 سر ولا تخش عاديات الليالى^(٥)
 تعشق البر من ذوات الجمال^(٦)

(١) يريد المنفور له (سعد زغلول باشا) وكان رئيساً للوفد المصرى إذ ذاك .

(٢) يريد «عبده» : الإمام محمد عبده (أنظر التعريف به في الحاشية رقم ٥ من صفحة ٢ من هذا الجزء) .

(٣) الغيل (بالكسر ويفتح) : الشجر الكثير الملف ، وتأوى إليه الأسود . والشرى : مأسدة جانب
الفرات يضرب بأساها المثل

(٤) العنت : المشقة .

(٥) العدم : الفقر .

(٦) قيض : أتاح . وذوات الجمال ، النساء والجمال : جمع جملة ، وهى موضع يزين للعروس . ويشير إلى

أن تلك الجمعية من السيدات .

أَيُّ ذَوَاتِ الْجَمَالِ عَشْتَنَ لِلْبَرِّ وَدُمْتَنَ قُدُوءَ لِلرَّجَالِ
 لَمْ يَكُونُوا لِيُذَرِّكُوا الْحَبْدَ لَوْلَا كُنَّ أَوْ يَسْلُكُوا سَبِيلَ الْمَعَالِي
 بِسَمَةِ تَجْعَلُ الْجَبَانَ شُجَاعًا وَتُعَيِّدُ الْبَخِيلَ أَكْرَمَ نَالٍ^(١)
 وَعِظَامُ الرِّجَالِ مِنْ كُلِّ جَنْسٍ فِي رِضَا كُنَّ أَرْخَصُوا كُلَّ غَالِي
 رَاعَنِي مِنْ نُفُوسِكُنَّ جَمَالُ يَجْلَى فِي هَالَةٍ مِنْ جَلَالٍ^(٢)
 وَجَمَالُ النُّفُوسِ وَالشَّعْرِ وَالْأَنْخِ لَاقٍ عِنْدِي أَسْمَى مَجَالِي الْجَمَالِ^(٣)
 قَمْنٌ عَلَّمَنَّا الْمُرُوءَةَ وَالْعَطْفَ فَ عَلَى الْبَائِسِينَ وَالسُّؤَالَ
 قَمْنٌ عَلَّمَنَّا الْحَنَانَ عَلَى الطُّفْلِ لِ شَرِيدًا فَرِيسَةً الْمُغْتَالِ
 قَدْ أَجَبْنَا نِدَاءَ كُنَّ وَجِئْنَا نَسْأَلُ الْقَادِرِينَ بَعْضَ النَّوَالِ
 لَوْ مَا كُنَّا غَيْرَ الْمَقَالِ بِحُدُنَا إِنَّ جُهْدَ الْمُقِلِّ حُسْنُ الْمَقَالِ^(٤)
 أَنْقِذُوا الطُّفْلَ إِنْ فِي شِقْوَةِ الطُّفْلِ لِ شَقَاءَ لَنَا عَلَى كُلِّ حَالِ
 إِنْ يَعِشَ بَائِسًا وَلَمْ يَطْوِهِ الْبُؤْسُ سُ يَعِشَ نَكْبَةً عَلَى الْأَجْيَالِ^(٥)
 رَبِّ بُؤْسٍ يُجِبُّ النَّفْسَ حَتَّى يَطْرَحَ الْمَرْءَ فِي مَهَاوِي الضَّلَالِ
 أَنْقِذُوهُ فَرِّمًا كَانَ فِيهِ مُصْلِحٌ أَوْ مُغَامِرٌ لَا يُبَالِي^(٦)
 رَبِّمَا كَانَ تَحْتَ طَمَرِيهِ عَزَمَ ذُو مَضَاءٍ يَدُكَ شَمُّ الْجِبَالِ^(٧)

(١) النال : الجواد الكريم .

(٢) الهالة : دائرة القمر .

(٣) مجال الجمال : أى مظهره وما يبدو منه .

(٤) المقل : الفقير القليل المال .

(٥) يطويه : يغييه ويذهب به .

(٦) المغامر : المقاتل الذى لا يبالي الموت .

(٧) الطمر : الثوب الخلق . وشم الجبال : المرتفعة منها ، الواحد أشم .

رَبِّ سِرٍّ قَدْ حَلَّ جِسْمَ صَغِيرٍ وَتَأَبَّى عَلَى شَدِيدِ الْمِحَالِ ^(١)
 خِفَافُ الْأَفْيَالِ أَرْقُ وَقَعًا لَوْ تَبَيَّنَتْ مِنْ دَبِيبِ الثَّمَالِ ^(٢)
 شَاعَ بُؤْسُ الْأَطْفَالِ وَالْبُؤْسُ دَاءٌ - لَوْ أَتَيْحَ الطَّبِيبُ - غَيْرُ عُضَالِ ^(٣)
 آيَدُوا كُلَّ جَمْعٍ قَامَ لِلْبَرِّ بِجَاهٍ يُظْلَهُ أَوْ بِمَالٍ
 كُمْ يَتِيمٌ كَادَتْ بِهِ الْبَاءُ سَاءُ لَوْ لَا (رِعَايَةُ الْأَطْفَالِ)
 وَرِجَالُ الْإِسْعَافِ أَنْبَلُ - لَوْ لَا شَهْوَةُ الْحَرْبِ - مِنْ رِجَالِ الْقِتَالِ ^(٤)
 يَسْهَرُونَ الدَّجَى لَتَخْفِيفٍ وَيَلٍ أَوْ بَلَاءٍ مُصَوِّبٍ أَوْ نِكَالِ ^(٥)
 كُمْ بِحَرِيحٍ لَوْلَاهُمْ مَاتَ نَزْفًا فِي يَدِ الْجَهْلِ أَوْ يَدِ الْإِهْمَالِ
 كَمْ صَرِيحٍ مِنْ صَدْمَةٍ أَوْ صَرِيحٍ مِنْ سُمُومٍ مُحَدَّرِ الْأَوْصَالِ ^(٦)
 كَمْ حَرِيقٍ قَدْ أَجْجَمَ النَّاسُ فِيهِ عَنْ ضَحَايَا تَبَنٍّ تَحْتَ التَّلَالِ
 يَتَرَامُونَ فِي اللَّهَيْبِ سَرَاعًا كَتَرَامِي الْقَطَا لِيُورِدَ الزَّلَالِ ^(٧)
 لَا لَشَيْءٍ سِوَى الْمُرُوءَةِ يَحْلُو طَعْمُهَا فِي فَمِ الْمَرِيءِ الْمُوَالِي ^(٨)
 فَاصْنَعُوا الْبِرَّ مُنْعِمِينَ وَجُودُوا أَيُّهَا الْقَادِرُونَ قَبْلَ السُّؤَالِ
 لَا تَنْشَارِ الْعُلُومُ أَوْ لَا نَطَوَاءُ أَلْ بُؤْسُ وَالشَّرُّ أَوْ لِتَرْفِيهِ حَالِ

(١) سر : أى موهبة خفية ونبوغ كامن . وتأبى : امتنع . والمحال : القدرة والقوة .

(٢) يريد بهذا البيت أن النملة على ضآلتها فيما من السر ما ليس للقليل على ضخامته .

(٣) داء عضال : شديد غالب معى .

(٤) يقول : لولا حاجتنا إلى الجند في الحروب التى لا غنى لنا عنها ، لكان رجال الاسعاف أنبل منهم وأفضل .

(٥) النكال : العذاب .

(٦) يريد « بالسوموم » : المخدرات . والأوصال : الأعضاء ، الواحد وصل (بالكسر وبالضم) .

(٧) القطا : جمع قطاة ، وهى طائر فى حجم الحمامة . (٨) المريء : ذر المروءة . والموالى : المناصر المعين .

كلية البنات الأمريكية

فالها في المنفل الذي أقامته الكلية لتوزيع الشهادات والجوائز على الفائزات

شريت في ٢٦.١٠.١٩٢٨ م

أَيُّ رِجَالِ الدُّنْيَا الجَدِيدَةِ مَهْلًا قَدْ شَاوْتُمْ بِالْمُعْجَزَاتِ الرِّجَالَا (١)
 وَفَهِمْتُمْ مَعْنَى الْحَيَاةِ فَارْصَدُوا ثُمَّ عَلَيْهَا لِكُلِّ نَقْصٍ كَمَا لَا (٢)
 وَحَرَصْتُمْ عَلَى الْعُقُولِ فَحَرَمْتُمْ عَصِيرًا يَرَاهُ قَوْمٌ خَلَالًا (٣)
 وَقَدَّرْتُمْ دَقِيقَةَ الْعُمُرِ حَرَصًا وَسِوَاكُمْ لَا يَقْدُرُ الْأَجْيَالَا
 كَمْ أَحَالُوا عَلَى غَدٍ كُلِّ أَمْرٍ وَحِيلُ الْأُمُورِ يَبْغِي الْحَالَا
 قَدْ تَحَدَّيْتُمْ الْمَنِيَّةَ حَتَّى هَمَّ أَنْ يَغْلِبَ الْبَقَاءُ الزَّوَالَا (٤)
 وَطَوَيْتُمْ فَرَاخَ الْأَرْضِ طَيًّا وَمَشَيْتُمْ عَلَى الْهَوَاءِ أَخْتِيَالَا
 ثُمَّ تَخَرَّجْتُمْ الرِّيَّاحَ فَسَيْتُمْ حَيْثُ شِئْتُمْ جَنُوبًا وَالشَّمَالَا
 تُسْرِجُونَ الْهَوَاءَ إِنْ رُمْتُمْ السَّيِّ رَوْفِي الْأَرْضِ مَنْ يَشُدُّ الرِّجَالَا (٥)

(١) الدنيا الجديدة : أميركة . وشاوتم : غلبتم .

(٢) أرصدتم : أي أعددتكم .

(٣) يشير بهذا البيت إلى قانون تحريم الخمر الذي كانت جمهورية الولايات المتحدة قد أصدرته .

(٤) تحديتم المنية : أي تارعتوها الفلبة وعارضتموها . ويشير إلى ما في هذه البلاد من العناية بالشئون الصحية والمستجدات الطبية ، والاهتمام إلى مداواة بعض الأمراض التي كانت مستعصية العلاج .

(٥) تسرجون الهواء : أي تعادونه وتهبونه للركوب كما يبرج الفرس ، أي يشد عليه سرجه ليركب . ويشير بذلك إلى الطائرات . ويؤيد بقوله « وفي الأرض » الخ : أنه لا تزال في الأرض أُمم متأخرة لم تتحول عن جودها في الحياة ، ويشد الرجال على ظهور الجبال كمهددا في العصور الأولى .

وَتَخَذْتُمْ مَوْجَ الْأَثِيرِ بَرِيداً حِينَ خَلْتُمْ أَنَّ الْبُرُوقَ كُسَالَى^(١)
 ثُمَّ حَاوَلْتُمْ الْكَلَامَ مَعَ النَّجْمِ فَحَمَلْتُمْ الشُّعَاعَ مَقَالاً
 وَمَا (فُورِدُ) آيَةَ الْمَشْيِ حَتَّى شَرَعَ النَّاسُ يَنْذِبُونَ النَّعَالَ^(٢)
 وَانْتَزَعْتُمْ مِنْ كُلِّ شَبْرٍ بَطْنَهُ أَرْضَ أَوْ بَطْنَهَا الْمُحْجَبَ مَالاً
 وَأَقَمْتُمْ فِي كُلِّ أَرْضٍ صُرُوحاً تَنْطَحُ السُّحُبَ شَامِخَاتٍ طَوَالاً^(٣)
 وَغَرَسْتُمْ لِلْعِلْمِ رَوْضاً أُنَيْقاً فَوْقَ دُنْيَا الْوَرَى يَمُدُّ الظُّلَالاً
 وَحَلَلْتُمْ بَارِضَنَا فَعَرَفْنَا كَيْفَ تُنْمُونُ بَيْنَنَا الْأَطْفَالاً
 وَرَأَيْنَا الْبَنَاتِ كَيْفَ يُثَقِّفْنَ بِعِلْمٍ يَزِيدُهُنَّ جَمَالاً
 لَيْتَ شِعْرِي مَتَى أَرَى أَرْضَ مَضْرٍ فِي حِمَى اللَّهِ تُنْبِتُ الْأَبْطَالَ
 وَأَرَى أَهْلَهَا يُبَارُونَكُمْ عِلْماً وَوُثْباً إِلَى الْعَلَا وَنِضَالاً
 قَدْ نَفَضْنَا عَنَّا الْكَرَى وَابْتَدَرْنَا فُرْصَ الْعَيْشِ وَأَنْتَقَلْنَا أَنْتِقَالاً^(٤)
 وَعَلَيْنَا بَأْسٌ غَفْلَةٍ يَوْمٍ تَحْرِمُ الْمَرْءَ سَعْيَهُ أَحْوَالاً^(٥)
 فَشَقَقْنَا إِلَى الْحَيَاةِ طَرِيقاً وَأَصْبَنَّا عَلَى الزُّحَامِ مَجَالاً
 وَنَهَضْنَا فِي ظِلِّ عَرْشِ (فُؤَادِ) وَرَفَعْنَا لِعَهْدِهِ تِمْنَالاً
 قَدْ أَبَى اللَّهُ أَنْ نَعِيشَ عَلَى النَّاسِ سِـ. وَانْ ضَاقَتِ الْوُجُوهُ عِيَالاً^(٦)

(١) يشير بهذا البيت إلى الآلات اللاسلكية .

(٢) فورِد : صاحب معامل كثيرة للسيارات في أميركة . ويريد الشاعر أنه قد أكثر منها في أنحاء العالم حتى يكا الناس لكثرتها وقلة أثمانها ليستغنون بركوبها عن المشي ولبس النعال .

(٣) الصروح : الأبنية العالية .

(٤) ابتدرنا فرص العيش : عاجلناها وأسرعنا إليها . والكرى : النوم .

(٥) الأحوال : السنون ، الواحد حول .

(٦) الوجوه : المذاهب .

الأزبكية

كم وارث غَضُّ الشَّبابِ رَمَيْتِهِ بَغْرَامِ رَاقِصَةٍ وَحُبِّ هَلُوكِ^(١)
 أَلْبَسَتْهُ الثَّوْبَيْنِ فِي حَالِيهِمَا تِيَهُ الْغَنِيِّ وَذِلَّةَ الْمَفْلُوكِ^(٢)

نشيد الشبان المسلمين

أَعِيدُوا مَجْدَنَا دُنْيَا وَدِينَا وَذُودُوا عَنْ تَرَاثِ الْمُسْلِمِينَ^(٣)
 قُرْبُ يَعْنُو لَغَيْرِ اللَّهِ فِينَا وَنَحْنُ بَنُو الْغُزَاةِ الْفَاتِحِينَ^(٤)

*
* *

مَلَكْنَا الْأَمْرَ فَوْقَ الْأَرْضِ دَهْرًا وَخَلَدْنَا عَلَى الْأَيَّامِ ذِكْرًا
 أَتَى (عُمَرُ) فَأَنَسَى عَدْلَ (كِسْرَى) كَذَلِكَ كَانَ عَهْدُ الرَّاشِدِينَ

*
* *

(١) الهلوك : الفاجرة المتساقطة على الرجال .

(٢) المفلوك : الفقير البائس ، وهي تسمية فارسية . قال صاحب كتاب (الفلاكة والمفلوكون) : هذه اللفظة تلقيناها من أفاضل العجم ، ويريدون بها شهادة مواقع الاستعمال : الرجل غير المحفوظ ، المهمل في الناس لإملاقه وفقره .

(٣) ذودوا : ادفخوا .

(٤) يعنو : يذل ويخضع .

جَبِينَا الشَّجَبَ فِي عَهْدِ الرَّشِيدِ وَبَاتَ النَّاسُ فِي عَيْشِ رَغِيدٍ^(١)
وَطَوَّقَتِ الْعَوَارِفُ كُلَّ جِيدٍ وَكَانَ شِمَارُنَا رَفَقًا وَلِينًا^(٢)

سَلُّوا (بَعْدَادَ) وَالْإِسْلَامُ دِينُ أَكَلَتْهَا عَلَى الدُّنْيَا قَرِينُ
رِجَالُ الْحَوَادِثِ لَا تَلِينُ وَعَلِمَ أَيْدِ الْفَتْحِ الْمِينُ

فَأَسْنَا مِنْهُمْ وَالشَّرْقُ عَانِي إِذَا لَمْ نَكْفِهِ عَنَتَ الزَّمَانِ^(٣)
وَنَزَعُهُ إِلَى أَعْلَى مَكَانٍ كَمَا رَفَعُوهُ أَوْ نَلَقَى الْمُنُونَا

غلاء الأسعار

أَيُّهَا الْمُضْلِحُونَ ضَاقَ بِنَا الْعَيْشُ وَلَمْ تُحْسِنُوا عَلَيْهِ الْقِيَامَا
عَزَّتِ السَّلْعَةُ النَّايِلَةُ حَتَّى بَاتَ مَسْحُ الْحِذَاءِ خَطْبًا جُسَامَا^(٤)
وَعَدَا الْقُوْتُ فِي يَدِ النَّاسِ كَالْيَا قُوْتُ حَتَّى نَوَى الْفَقِيرُ الصِّيَامَا
يَقْطَعُ الْيَوْمَ طَاوِيَا وَلَدَيْهِ دُونَ رِيحِ الْقَتَارِ رِيحُ الْخَزَامَى^(٥)

(١) جَبِينَا السحاب : يريد بسطة الملك وسعة السلطان . ويشير بذلك إلى ما روى عن أحد خلفاء الاسلام حين رأى حجابة سارية فقال ما معناه : امطري حيث شئت فان ما تنبتينه سيجي نراجه الينا .

(٢) العوارف : العطايا والمنن ، الواحدة عارفة . والجيد : العنق .

(٣) العاني : الأسير المقيد . وعنت الزمان : مشقته .

(٤) السلعة : المتاع المتجر فيه . والخطب الجسام : العظيم .

(٥) طاويا جائعا . والقنار (بالضم) : ريح الشواء . والخزاي : نوع من الرياحين ، وزهره من أطيب الأزهار نفعه . يقول : إن ريح ذاك الزهر أقل شأنا عنده من ريح الشواء لحاجته إلى الثاني دون الأول .

وَيَخَالُ الرَّغِيفَ فِي الْبُعْدِ بَدْرًا وَيُظَنُّ الْحَوْمَ صَيْدًا حَرَامًا
 إِنْ أَصَابَ الرَّغِيفَ مَنْ بَعْدَ كَدِّ صَاحَ : مَنْ لِي بَأْسٌ أَصِيبَ الْإِدَامَا؟^(١)
 أَيُّهَا الْمُصْلِحُونَ أَصَابَتْكُمْ الْأَرْضُ ضَوْضُ وَبِئْسَ عَنْ النَّفْسِ نِيَامَا
 أَصْلَحُوا أَنْفُسَ أَضْرَبْهَا الْفَقْدُ رُ وَأَحْيَا بِمَوْتِهَا الْآثَامَا
 لَيْسَ فِي طَوْقِهَا الرَّحِيلُ وَلَا الْجِدُّ وَلَا أَنْ تُوَاصِلَ الْإِقْدَامَا
 تُؤْثِرُ الْمَوْتَ فِي رُبَا النَّيْلِ جُنُوعًا وَتَرَى الْعَارَ أَنْ تَعَاْفَ الْمُقَامَا^(٢)
 وَرَجَالُ الشَّامِ فِي كُورِهِ الْأَرْضِ ضِ يَأْرُونَ فِي الْمَسِيرِ الْغَمَامَا^(٣)
 رَكَبُوا الْبَحْرَ، جَاوَزُوا الْقُطْبَ، فَاتُوا مَوْقِعَ النَّيِّرِينَ خَاضُوا الظَّلَامَا
 يَمْتَشِطُونَ الْخُطُوبَ فِي طَابِ الْعَيْدِ شِ وَيَبْرُونَ لِلنَّضَالِ السَّهَامَا
 وَبَنُو مِصْرَ فِي حِمَى النَّيْلِ صَرَخَى يَرْقُبُونَ الْقَضَاءَ عَامًا فَعَامَا
 أَيُّهَا النَّيْلُ ! كَيْفَ تُنْسِي عَطَاشًا فِي بِلَادٍ رَوَيْتَ فِيهَا الْأَنَامَا ؟
 يَرِدُ الْوَاعِلُ الْغَرِيبُ فَيَرَوَى وَبَنُوكَ الْكِرَامُ تَشْكُو الْأَوَامَا^(٤)
 إِنَّ إِيْنَ الطَّيَّاعِ أَوْرَثَكَ الذُّ لَ وَأَغْرَى بِنَا الْجُنَاةَ الطَّغَامَا^(٥)
 إِنَّ طَيْبَ الْمُنَاخِ جَرَّ عَلَيْنَا فِي سَبِيلِ الْحَيَاةِ ذَاكَ الزُّحَامَا
 أَيُّهَا الْمُصْلِحُونَ رَفَقًا بِقَوْمِ قَيْدِ الْعَجْزِ شَيْخُكُمُ وَالْغُلَامَا

(١) الإدام : ما يؤتد به .

(٢) الربا : مرتفعات الأرض ، الواحد ربوة . وتعاف : تكره .

(٣) باراد : جراد وفعل مثل فعله .

(٤) الواعل : الذي يدخل على القوم في طعامهم وشرابهم دون أن يدعى . والأوام : شدة العطش .

(٥) الطغام (بالفتح) : أوفاد الناس وأرذلهم .

وَأَغِيثُوا مِنَ الْغَلَاءِ نُفُوسًا قَدْ تَمَنَّتْ مَعَ الْغَلَاءِ الْحَامَا^(١)
 أَوْشَكْتُ تَأْكُلُ الْمَسِيدَ مِنَ الْفَقْدِ وَكَادَتْ تَذُودُ عَنْهُ النَّعَامَا^(٢)
 فَأَعِيدُوا لَنَا الْمَكُوسَ فَإِذَا قَدْ رَأَيْنَا الْمَكُوسَ أَرْنَحِي زَمَامَا^(٣)
 ضَاقَ فِي مَصْرٍ قَسَمْنَا فَاغْدُرُونَا إِنْ حَسَدْنَا عَلَى الْجَلَاءِ الشَّامَا^(٤)
 قَدْ شَقِينَا - وَنَحْنُ كَرَّمْنَا اللَّهَ هُ - بَعْضُ يَكْرُمُ الْأَنْعَامَا

أضحية الأولياء

أَحْيَاؤُنَا لَا يُرْزَقُونَ بِدَرَاهِمٍ وَبِأَلْفِ أَلْفٍ تُرْزَقُ الْأَمْوَاتُ
 مَنْ لِي بِحَظِّ النَّائِمِينَ بِجُفْرَةٍ قَامَتْ عَلَى أَجْجَارِهَا الصَّلَوَاتُ
 يَسْعَى الْأَنَامُ هَا ، وَيَجْرَى حَوْلَهَا بَحْرُ النُّدُورِ ، وَتُقْرَأُ الْآيَاتُ
 وَيُقَالُ : هَذَا الْقُطْبُ بَابُ الْمُصْطَفَى وَوَسِيلَةٌ تُقْضَى بِهَا الْحَاجَاتُ

*
* *

(١) الحام (بكسر الحاء) : الموت .

(٢) الهيد : حب الحنظل . وتذود : تدفع وتمنع . وخص النعام لأنها تأكل هذا الهيد .

(٣) المكوس : ضرائب كانت تؤخذ على السلع الواردة لباع في المدن ، وكان يتعالى في فرضها . والزام : ما ترم به الدابة ، أى تقاد . ويريد بقوله : « أرنحى زماما » : أى عهد المكوس كان أيسر على الناس وأهون .

(٤) القسم (بالكسر) : النصيب من الرزق . ويريد « بالجلاء » : انتقال القوم من أوطانهم إلى أوطان أخرى

طالبا للرزق .

وقال على لسان طفلة :

أَخْشَى مُرَبِّيَّ إِذَا	طَلَعَ النَّهَارُ وَأَفْزَعُ
وَأَظِلُّ بَيْنَ صَوَاحِي	لِعِقَابِهَا أَتَوَقَّعُ
لَا الدَّمْعُ يَشْفَعُ لِي وَلَا	طُولُ التَّضَرُّعِ يَنْفَعُ
وَأَخَافُ وَالِدَتِي إِذَا	جَنَّ الظَّلَامُ وَأَجْرَعُ
وَأَبَيْتُ أُرْتَقِبُ الْجَزَا	ءَ وَأَعْيُنِي لَا تَهْجَعُ
مَا ضَرَّنِي لَوْ كُنْتُ أَنَّهُ	تَمَعُ الْكَلَامُ وَأَخْضَعُ
مَا ضَرَّنِي لَوْ صُنْتُ أَثَدُ	وَابِي فَلَا تَتَقَطَّعُ
وَحَفِظْتُ أَوْرَاقِي بِمَحْدِ	فَفَظَّتِي فَلَا تَتَوَزَّعُ
فَأَعِيشُ أَمْنَةً وَأَمَامَ	رَعُ فِي الْهَنَاءِ وَأَرْتَعُ

كان الفراغ من مراجعة الطبعة الثانية لديوان حافظ بن عبد الأول . ضيف
الجمعة ٨ من شعبان سنة ١٣٥٨ هـ (٢٢ من سبتمبر سنة ١٩٣٩ م)
بمدينة بنى سويف . و ” إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت ، وما توفيقي
إلا بالله عليه توكلت “ ٤

شهد مختار يونس

مفتش اللغة العربية بمنطقة مصر الوسطى